

ديوان عبد الرحمن شكري

الأعمال الشعرية
الكاملة



مكتبة علي بن صالح الرقمية

عبد الرحمن شكري



ديوان عبد الرحمن شكري

الأعمال الشعرية الكاملة

شعر

1957



كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الدِّيوان الأول

ضوء الفجر

أَلَا يَا طَائِرَ الْفَرْدَوْ
سِ إِِنَّ الشَّعْرَ وَجَدَانِ

من قصيدة «عصفور الجنة»
في الجزء الثالث لصاحب الديوان

كسرى والأسيرة (قصة)

يا فتاة الحيّ قومي فاسمعي
قصة ذات اعتبار آخذ
غَضِبَ الجبارُ كسرى غضبةً
غضبة ذات وعيدٍ رائع
ترك العربَ على عزتها
أرسل الغارة في ذي مرّة
يفقد الطرف لديه لحظه
رامَ أمرًا لم يرُمه غيره
فرمى العرب بعزمٍ ناقمٍ
فغزا من أرضهم ما قد غزا
إن في السبي لَحُودًا علمت
جال ماء الحسن في أعضائها
قصةً تقتل أطماعَ الهوى
بصميم اللبِّ يقريه الهدى
فنما من شره ما قد نما
ترك العرب كأطيّار العرا
تبتغي المنعة ما بين الربى
ينزع الغلّ بتقطير الدما
ويضل السيف فيه والقنا
رُبَّ باغٍ نال أطراف المنى
ذي اغتيال لم يمانعه حمى
وسبى من أهلهم ما قد سبى
سنة البدر ملاشاة الدجى
فإذا ناجيته مجّ الضحى

* * *

رأت اليبوان في أبهة
لو بغير الطهر عينٌ نظرت
رامَ كسرى من هواها بغية
تطّبي النفس لأوطار الهوى
لرأت ذاك مقامًا للعلى
فحسا من حسنها حتى انتشى

وأذلت شهوةً مقبوحة
أكلت أحشاءه والجمّة
جاء كسرى شاهراً أطماعه
سامها كلّ خسيس كارث
ورماها بوعيدٍ حاسر
سأه أن قد تأبت فأنت
فاحتمت عنها بصبرٍ دارع
إيه لله عفافٍ مخلص
ثم قالت قولة في أسرها
«قيّدوني، غلّوني، ضربوا
فأتاها نبأ من قومها
أو تجول الحرب في ميدانها
أو يكون السيف في أعدائهم
منه حتى رام ما فوق الرضى
كولوج النار في عود الغضا
فنضا من حلمه ما قد نضا
قاتل اللذات يزري بالنهاي
شرس الإرهاب مجلوب الأذى
نقمة في طي ذياك الإبا
كاحتماء الحر عن ضيم عرا
لك ما سيم الخنى إلّا أبى
تبعث الغلّ وتهفو بالوغى
لمس العفة مني بالعصا»
أنهم عافوا لذات الكرى
كمجال الطيش في عهد الصبا
مُعَمَّلاً يودي بهامٍ وطلاً

خطرات في المساء (مناجاة يوم مضى)

نحن نبكي كلَّ مَيِّتٍ راحِلٍ
أشباب لك مرجو الضحى
أنت في حاليك كاس من بهاء
رحم أنت لما تأتي به
يا حليفَ الحدثِ المقدور ما
يا سليلَ الدهرِ كم من حادثٍ
أنت مأواه فهل من عطفةٍ
قد عهدناك ملاذاً من شقاءٍ
تبعث الأحداث من مسكنها
تُطلق الأحوال فينا مثلما
كيف لا نأسى على يومٍ مضى
أم مشيب لك معذولُ المساءِ
خالب الأنعاء محمود الروا
أم ضريح للذي مرَّ بنا
فَعَلَ الحظ بمخلوف المنى
يجعل البائسَ محلول العزَا
تدع الناغمَ مجلوب الرضى
وعهدناك ملاذاً للشقا
بعثة الفارسِ أطراف القنا
يُطلق الساحر أقوال الرُقَى

عاشق المال (خداع الغواني)

نسماتُ الربيع تخفق كالعتُـ
فهي تغدو ما بين غصن نضيرِ
كالرسولِ الأديبِ بين محبِّ
يعقد الصلح في أناةٍ كما يَعْـ
وضياء الشمس المنيرة كالبيشـ
والندی عاشقٌ يدل عليه الـ
وهناك الطير المغرَّدُ كالشـ
نغمات لم يحوها المطرب البـ
هي برَّدٌ على القلوبِ وعقدٌ
تستميل الأغصانَ بالنغم العذُّ
لك شأوٌ لم تلتَمِسُه مياهُ
منظرٌ يجعل المهدب يبغي
منظر يبعث الشجونَ ويحبو

بِ برفقٍ فَعَلَ اللَّيْبِ الخبيرِ
فاتن حُسْنُه وغصنِ نضيرِ
وحبيبٍ أو كالحكيم السفيرِ
قَدُ رَبُّ النهى قضاء الأمورِ
رِ إذا ما احتواه وَجْهُ البشيرِ
وَرَدُ إِدلالِ فاتتاتِ الثغورِ
عِ يتلو حمَدَ الزمانِ النضيرِ
رُعُ إلّا دعوى نفاقٍ وزورِ
للأمانى ومدخلٌ للسرورِ
بِ فتهتز هزة المخمورِ
ما أعدت سوى غناء الخريـ
لَبَّ ذاك الأمرِ الجليلِ الستيرِ
فاتتاتِ المنى بِيُرْدِ نضيرِ

* * *

وأنت تخطر المعشقة الحسـ
بقوامٍ ينفدُ من دونه القـ
ناء تُرْهَى بوجهها المستيرِ
بِ وطرفٍ يسطو بحسن الفتورِ

خلفها العاشق المتيمِّمُ يمشي
هو يتلو آيات حبِّ كريح الـ
وهي ملذوذة به كتلميَّ
كلمات كأنها الحلم العذُّ
ومواثيق جمّة تدعُ الحرَّ
لم تذرُ للفتاة ما يبعث الشكَّ
بينما كان جاثيًا يرسل البثَّ
جاءت الخادم العجوز لأمرٍ
أرسلت دمعها الغزيرَ وقالت
أكلَ الدهرُ ماله وقواه
وحليف القمار يدركه الذلُّ
أنقل الدَّينُ ظهره وعدا الدهـ
فغدا يائسًا تكاءدُهُ الهَمُّ
ثم أهوى إلى الحسامِ وكان الـ
فاندبى حظك الضيئلَ وعيشي

مَشِيَةَ الظافرِ الأميرِ الخطيرِ
زَهْرٍ في طيبه ونشرِ العبيرِ
ذي عناء للظلِّ وَقَتَ الهجيرِ
بُ وود يحكي صفاء الطهورِ
على حُكْمِها قرينَ الأسيرِ
ويُزْرِي بعهدِه في الضميرِ
بشجوٍ يلين صم الصخورِ
مستجدِّ من طارقات الأمورِ
أنشَبَ اليأسُ ظُفْرَهُ في الأميرِ
فغدا حظُّه كحظِّ الفقيرِ
ولو كان في ذمامِ القصورِ
رُ عليه بقسمة المقمورِ
ببالِ جوٍ وجدِّ عثورِ
موتٌ منه بموعِدٍ مقدورِ
بعد هذا عيشَ الذليلِ الحقيرِ!

* * *

مَنْ مُعِينِي على الحياةِ وقد ما
حين لم يَبْقَ لي سوى الأملِ المرِّ
جزعَ القلبُ يوم مات وما القلبـ
ت مُعِينِي وراح عني نصيري
وذكرِ رثِّ وحظِّ نزورِ
ب على كل نكبةٍ بصبورِ

هكذا قالت الفتاة ومالت
فرماها بنظرة لو رُمِيَ اللَّيْلُ—
نظرة ملؤها الخيانة والحِفْ—
نظرة تبعث الغضاضة في النف—
ثم قال اذهبي فقد ذهب الما
فات عُمُرُ الخداع وانكشف الغَيْب—
كنتُ أهواكِ حينَ مَجْدُكِ عالٍ
كنتُ أهواكِ حينَ جاهُكِ عَذْبُ
كنتُ أهواكِ حينَ أنتِ من الباقِ—
كنتُ أهواكِ والزمان مؤاتِبِ
فإذا شئتُ فالفراق قريبُ
قال ما قال ثم مال إلى البا
هكذا تخدع الرجال الغواني
باحتيالٍ أدقَّ مِنْ خُدَعِ الدهـ
في التجاءٍ إلى الحبيبِ الظهيرِ
ث بها لاغتدى بقلب كسيرِ
د تصيب الأحشاء قبل الصدورِ
سِ وتُصمِّي بمثل وقع الذكورِ
لُ جميعًا بأنَّتي وزفيرِ
هَبُ مني عن الرجاء القصيرِ
يأسر الدهر بالدَّرورِ المطيرِ
وَذَرَكَ الأغرُّ غيرِ حقيرِ
بِالِ والعزِّ بالمكان الأثيرِ
ك وريب الزمان غير مغيرِ
غير مُبَكِّ ولنا مهيب قديرِ
بِ كميلِ الظمان نحو الغديرِ!
والغواني قنيسةً للغرورِ
ر وزي غَضٍ ودمعٍ غزيرِ!

حنين الغريب عند غروب الشمس

أيهذا الغريب ذو البلد النا
قد عهدناك مستكيناً لريب الـ
وعهدناك لست تعرف ما الحبُّ
وعهدناك ليس يكرتك الضيـ
وعهدناك خاشعاً مستقاداً
وعهدناك إن زللت فأدليـ
وعهدناك لا حسوداً ولا غراً
وعهدناك لا بكياً قطوعاً
أنت واسيتنا وقد أجلب الدهـ
أنت علمتنا الرجاء بأن كُنـ
فسقى الله غربةً أَلْحَقْتَنَا
أنت أعطيتنا الطلاقة والبشـ
فخليق بنا وقد ظَهَرَتْ فِي
أن نُفَدِّيكَ بالنفوس اللواتي

زح ماذا دهاك عند الغروب؟
دَّهْرٌ مستلثماً بعزمٍ صليبِ
ولا لوعة الفؤادِ الطروبِ
مُ ولا سطوة الزمان العصيبِ
ذاكراً نعمة الأغرِّ النجيبِ
تَ بعُذْرٍ سللت غلَّ القُطوبِ
طموحاً إلى المكان الخصبِ
لرجاء المستصرخ المستثيبِ
رُ علينا بالمستذلِّ الجديبِ
تَ غريباً مباسلاً للخطوبِ
برجاءٍ عذبٍ وصبرٍ لبيبِ
رَ وأرْفَدْتَنَا برأيٍ مُصِيبِ
وجْهك السمع ظلمةُ التقطيبِ
هُنَّ مِنْ جودِك الغزير الصبيبِ

* * *

أيها النافشون في قلبه الحُزُّ
قد ذَكَرْتُمْ حالًا يروح لها مُشُّـ
إنما العزُّ أن يكون بأرضٍ
حيث لا يَعْرِفُ المداراةَ والضَّيْبُـ
ما به قلة الولاءِ ولكن
نَ ولا تعلمون داءَ القلوبِ
تملأ بالشقاءِ والتعذيبِ
أنبَتَتْ نبعَ شمله المشعوبِ
مَ وذلَّ السؤالِ والتثريبِ
ودُّهُ أن يكونَ غيرَ غريبِ

* * *

مستعيرٌ من السماءِ شعارُ الـ
فأخوك الأديب في الأهل والدا
ليس في ثوبه سوى طَلَلٍ با
ليس في وجهه من البشرِ إلّا
ليس في قلبه سوى الحبِّ والحُزِّ
فأندبُ النادباتِ والمرأةَ الحمَّـ
فَتَنَّتْنَا الحسناءُ بالزبرج المحـ
أضمر الغرب وجهها فقنعنا
منظر يبعث الشجونَ ويحبو
مستمدٌ من الجلال جلال
أذكرتني العيش اللذيذ الذي فا
ثم لم يَبْقَ لي سوى الذكر الغُرِّ
يا حنينًا إلى الحبيب ترفقُ

حُزْنٍ أم مرتدٍ بعيش الأديبِ
ر له عيشة الغريب الكئيبِ
لِ وداءِ صَعْبٍ وجرح رغيبِ
مدمع مشرقُ كَلَمَعِ الضريبِ
نِ وغيظٍ على الزمان المريبِ
لقاء ممن يعدنَّ شَقَّ الجيوبِ
ضِ وغابت في مستقرِّ غريبِ
بذوآباتها فنوع السليبِ
فاتتات المنى ببردِ قشيبِ
الله والمظهر العظيم المهيبِ
ت بغصنِ كاسِ وعودِ رطيبِ
فسُحِقًا لصرفه من غصوبِ
بفؤادٍ أَجْهَدْتَهُ بالوجيبِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

يا حنينًا إلى الأغر الذي كا
هل يطيب الزمانُ والأملُ المعـ
ن خبيرًا طبا بداءِ القلوبِ
سول ناءٍ والصبرُ غير قريبٍ!

حمام الكازينو بالاسكندرية

أشجانِ يومِ الأحدِ	ماذا دهى القلب من الـ
أخذه بالجلدِ	حيث الغواني فتنةٌ
أتية عن موعد	حالية كأنها
كمشية المقيدِ	خاطرة في مهلٍ
كهزة المسودِ	تهتز في مشيتها
كالبلبلِ المغردِ	باسمة ضاحكة
كأنها لم توجدِ	خصورها خافية
كالزاهدِ المُقتصدِ	ضعيفة ناحلة
كالنفسِ المرددِ	ثيابها خافقة
إلى بطولِ الأبدِ	والبحرُ لا تحده
مكللٌ بالزبدِ	كأنه ذو دولة
مؤسومة بالحسدِ	كأنه ذو مهجةٍ
كالمثلِ المطردِ	أمواجه سائرة
مثل امتدادِ الأمدِ	مياهه ممتدةٌ
كالعازلِ المفندِ	منبسطةٌ منقبضةٌ
في مائه المرتعدِ	ظلالها واقعةٌ

دراهمُ المنتقدِ	كأنما أطرافها
مائلة على اليدِ	عابثة بمائه
مخلوقة من غَيِّدِ	كأنما أعضاؤها
مقوِّمٌ مِنْ أَوْدِ	فقدُّها معتدلٌ
في قدِّها المنعقدِ	وخصرها مختبئٌ
كالذهبِ المبدِّدِ!	وشعرُها منتثرٌ

الحبُّ نائمٌ ويقظان

نُبِّئْتُ أن الحورَ جننَ حديقةً
حيث الندى فَتَقَّ الزهورَ بحيلةٍ
والطيرَ مفتونٌ بحسن بيانه
والأرضَ كالحسناءِ يوم زفافها
حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه
أرعى لَوَاحِظَه وأَطْبَقَ جَفَنَه
فأمنَّ منه صولة عربية
يحسبن ذاك وما أمنَّ وإنما
فمشى إليهن الهوى بترقُبٍ
فعثرن في أذيالهن تخوفًا
وعدون عدوة خائف متظالعٍ
بكرًا كحاشية الرداءِ الأجددِ
أزرت بوقع الصارمِ المتعمدِ
فمُعَرِّدِ يشجو وغير مغردِ
رود النواحي بالمحاسن ترتدي
شرك الأبي وعُقلة المتعبدِ
فعلُ اللبيب القانصِ المترصدِ
تَدَعُ العزيز من الفناء بموعدِ
هي حيلة ذَهَبَتْ بحزم الأرشدِ
مشي الشجاعة في فؤاد القعدِ
منه وسوَّينَ المطارف باليدِ
إن لم يكن متزايلاً فكأن قدِ

* * *

فكأنهن أزاهرٌ منثورةٌ
وكانهن صوادفًا وشواردًا
وكانهن نسائم الصيف التي
نثر المبشر غُرَّة الخبر الندي
حبات عقدِ اللؤلؤِ المتبدِّدِ
تحیی رجاءَ العاشقِ المتتهدِّدِ

وكانهن كواكب السعدِ التي
سكنت فؤادَ الحنّسِ المتجسِّدِ
وكانهن عزائمِ النحسِ الذي
لعب القضاءُ بسعيه المتجدِّدِ

* * *

إِلا فتاةَ علَّها ماء الصبا
فتمهَّلتُ كبيرًا بحُسنِ تأوُّدِ
وأنا التي لَعِبْتُ بلُبِّ الأُصيدِ
أخاف هذا الحب في يقظاته
وقضى الجليد بدلها المتوَعِّدِ؟
وأنا التي شقي السعيدُ بهجرها

* * *

قال الغرام ورُبَّ قولةِ ناصح
أبدت لها وجه السبيلِ الأَقْصِدِ
يا رُبَّ غانية طرقت فناءها
فوصمتها بضراعةِ المستعبدِ
كانت تظنُّ فؤادها متأبياً
عني ولم تعلم بسهمي المُقْصِدِ
فتركَّتها والنار بين ضلوعها
تدعو عليَّ بلهفةٍ وتلدُّدِ
أحسبتُ أن الحُسنَ يأنف أن يرى
بحنين مفتون وجفنٍ مسهَّدِ

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعني
أو ما عَلِمْتَ بأنني لك عاشقٌ
يا بؤس من سَكَنْتَ إِلَيْكَ لِحَاظُهُ
أرْنو إِلَيْكَ فَتَحْتَوِينِي هَيْبَةً
ما حيلة الطرفِ الذليلِ إذا كبا
يا نظرة تهدي الشجون وتنتضي
ويعيدك القلب الذي عانى القلى
وإذا وضعتك في الجفون صيانة
وإذا رغبتُ لك الضلوعَ فإنني
وإذا وضعتك في الفؤاد فإنني
إن كنت تآبى أنني بك هائم
أو كنت تبعد بالوصال مضنَّةً
هل بعد أن أفنى الغرامُ حشاشتي
حب كماءِ المزن حين وقوعه
يا ليت حظي منك أني نفحة
وأود لو ركد النسيمُ وقد رمى

لنظمتُها لك في القريض نسيبًا
أفنى الزمانَ صباةً ونحيبًا
أن كنت أنت على المحبِّ رقيبًا
فأرد طرفي خاشعًا مغلوبًا
أن كان شخصك في الفؤاد مهيبًا
سيفًا من الطرف الكحيل مصيبًا
من أن تكونَ على الجفاء معيبًا
أذرتُ عليك لدى البكاء صيبًا
أخشى عليك لهيبها المشبوبًا
أخشى عليك من الفؤاد وجيبًا
فأردد إليَّ فؤادي المسلوبًا
فأبعث إليَّ خيالك المحجوبًا
يأبى دلالك أن تكون طيبيا؟
فوق الزهورِ مرققًا مسكوبًا
تسعى إليك مع النسيم هبوبًا
بي دون قيد الرمح منك قريبًا

فأكونُ مِنْكَ بحيثَ يطمعُ عاشقٌ
لو ذاقَ طعمَ الحبِّ كلُّ مؤنِّبٍ
هل نافعِي أَنِي أَكْتَمُّ لوعتي
عجباً لطرفي يستريحُ إلى البكا
ما أخلقُ الدنفَ المشُوقَ بسلوَةٍ
لا أتقي هجرًا ولا تأنيبًا
قلبي لصارَ العاذلونَ قلوبًا
عمن يظلُّ بما أُسرُّ لعوبًا؟
من بعد ما كان البكاءُ غريبًا
إن كان لا يرجو المحب حبيبًا

شكوى الزمان

كفى حَزَنًا أن التطلّب بالصبرِ
لقد لَفِظْتَنِي رَحْمَةُ اللهِ يَافِعًا
رضيتُ بهذا العيش بعد أبوة
وحاولَ مني الهَمُّ صبرًا فلم أزلْ
وإني لأدري أن في الموت راحة
ولولا تُقَى لا يملك اليأسُ صرْفَه
فما أسرع الأحداثِ إن قُلْتُ أَبْطِئِي
فإن كان ذنبي من تناقض خطتي
وربَّ ليالٍ بتُّ أدحو ظلامها
وزاولتُ صرف الدهر حتى عرَفْتَه
دعاني إليه الفضلُ لما دعوتُه
فما ساءني ما بتُّ أخفيه جاهدًا
هل العيش إلا أن تتال بعزمة
فما العزمُ إلا ما يبيلُك المنى
إذا كنت ذا عسر فكن ذا قناعة

وأن مآقي العين أدمعها تجري
فصرت كأني في الثمانين من عمري
لأبلغ شأواً أو أُغيب في قبري
أدافعه حتى أبحث له صدري
وأجنُّهُ حتى كأني لا أدري
لأوردني يأسِي على المسلك الوعرِ
وما أبطأ الآمال إن سِمْتُها نصرى
فعذري إلى الأيام أن ضاق بي عذري
بطرفي وذيل الليل يعثر بالفجرِ
فسيان ما لاقيتُ في العسر واليسرِ
فما زال بي حتى التقينا على قدرِ
ولا سرنى ما يعلم الناس من أمري
مقاماً كأن النجم من تحته يسري
وما العجزُ إلا أن تُنْهِنَه بالزجرِ
فإنَّ احتمالَ العسر يذهب بالعسرِ

شكوى الصديق

ومطَّلب بالعتبِ هَجْرِي لم أزلُ
يعالج مني باسمِ الثغرِ راضيًا
أجودُ بنفسِي في هواه سماحةً
وما كلُّ أمرٍ تستقيمُ صدوره
لقد سامني أن أقبَلَ الذلَّ ضلَّةً
ووكَّلَ بي الأعراضَ حتى ألفتُهُ
سأندب عهدًا كنت فيه بغيطةً
وليل كأغضاءِ الحليمِ درعته
وصلت به الأوهام حتى كأنما
أداريه حتى عارضتُهُ مذاهبُهُ
وأخبرَ غرًّا أنكرته معايبُهُ
ويبخل بالندر الذي أنا طالِبُهُ
لمن لم يرُضهُ تستقيم عواقبُهُ
هل الغبن إلا ما تقل مطالبُهُ
وما كل صافي الوجه تصفو مشاربُهُ
وهل يرجع العهدُ الذي أنا نادبُهُ
لأقضي أو تتجاب عني غياهبُهُ
يراقبها في مكثها وتراقبُهُ

تحية للشمس عند شروقها

أشريقي يا طلعة الشَّمِّ
أنت للغرس حياة
كيف لا ترتاح نفس
ما رأى ضوءك غرُّ
غازلي الغصن برفقٍ
وسلي الغيد ابتسامًا
واذمي وجهه مُريبٍ
وسلي المقلّة أن تُشِّ
إن في الدمع إذا استغف
وتمشي في فضاء
مشية الحرّ المرجّي
سِ علينا وأنيري
وحلى الروض النضيرِ
للبهاءِ المستنيرِ
بسوى الطرف الحسيرِ
وامسحى وجهه الغديرِ
من أقاحي الثغورِ
واحمدي وجهه بشيرِ
—رقّ بالدمع الغزيرِ
—زر إعلان السرورِ
الله مشي المستغيرِ
لعظيمات الأمورِ

* * *

وابعثي أبناءك الغرَّ
سهر الليل ولا مسد
نظرة منك إليه
نظرة غرّاء تودي
إلى بيت العليلِ
عدّ في الليل الطويلِ
خلست بشر الرسولِ
بجوى الداء الدخيلِ

وكان الليلَ لما
ضامِنُ قلبَ مُحِبِّ
خانهُ وقتَ الرحيلِ
راعَهُ قولَ عذولِ

* * *

وكانَ الشمسُ تُجلى
أقْبَلَتْ في الأفقِ تسعى
في خمارٍ من لهيبِ
مثلِ إقبالِ الحبيبِ
منظرِ يَفْعَلُ فِعْلَ الـ
عودِ بالقلبِ الطُّرُوبِ
غيرَ أنَّ الليلَ أدرى
شملةَ العاشقِ والسا
بأحاديثِ القلوبِ
رقِ والعاذي المهيبِ
لبسِ الأفقِ ضياءً
بدلَ الجنحِ المُريبِ
وشبابِ المرءِ لا يَغـ
قُبُهُ غيرُ المشيبِ

الحبُّ والليل

عمي الدجى عن مطلع الفجرِ
ولع البكاء بناظريّ كما
والروض ممتنع الرقادِ وقد
والليل مشقوق الجيوب وقد
والطرف بالإفشاء متهم
وأكاد أن لا أستقرّ جوّى
وأملت أن أجد الوسيلة لي
لا تلح مشتاقاً على شجن
والسعي رزق والهوى أمل
والحب إن دبّ السلو به
والصفو قد يُفْضي إلى كدر
من ناوشت نظراته حسناً
في ليلة كسريرة الدهرِ
ولع الندى ببدايع الزهرِ
نمتّ عليه مواقع القطرِ
باح السحاب بطلعة البدرِ
والقلب مؤتمن على السرِّ
فكأنما خلس الدجى صبري
عند الصبا فمُنيتُ بالهجرِ
إن الشباب مطية العذرِ
والهجر يأكل جدة العمرِ
فكما يدب الشرُّ في الخيرِ
واليسر قد يفضي إلى عُسرِ
فقد استنثار الموت بالسحرِ

النعَمات

إذا ترنَّم والآذان ظامئة
خلنا الرويَّ على آذاننا اندفقاً
لجَّ من النعمات الغرِّ يحمدها
إن النفوس تعاني بينها الغرقاً
لو صورت فأقامت غير خافية
كانت أجل الذي يستعبد الحدقا
كأن شيئاً من الحب الذي غرَّيت
به الخليفة في أثنائها انبتقاً

* * *

إذا ابتداها عظيم في مهارته
حسبت كل ضجيج لجَّ في الخرس
تظل تفعل بالأحزان ما فعلت
أشعة القمر الواضح بالغلس
تذوب فيها هموم النفس خافية
كما يذوب الندى في موقع النفس
ينزو الهيام بقلبي حين أسمعها
لعب الرياح بثوب البائس التعس
كعصفها حين لجَّت في تأوُّبها
تثير من نزعات القلب مرحةً
كلمة البحر تطفي شُعلة القبس
وتبعث الذكر العهد الذي ضمنت
ترد عادية المستأسد الشرس
فتودع القلب وجداً غير ملتبس

* * *

كأنها ذات حول ليس يعجزها
إحياء منعفر في القبر منفرد
كأنها شاعرٌ جادت مخيلته الـ
غراءً بالكلم المسعود بالسدد

عبد الرحمن شكري

لا شيء من حسن الألمان يفضلها
وأنة النسمة المعطار جاذبة
إلى الخريف وصوت الطائر الغرد
جيد الغصون بجبل ليس من مسد

الفونوغراف

هل علمَ الغريد في وكرِه
وهل درى المطرب ماذا الذي
يا عجبًا من ناطقِ أبكمٍ
يستخرج اللحن بمسنونة
شأنَ الذي خفّصَ من قَدْرِه؟
يستحضر الملحود من قبرِه؟
تأثف الألمانُ في صدرِه
تزيل ذاك اللبس عن أمرِه
كانها تبحت عن سرِّه
كانها مرّت على فكرِه
تخطُّ في أعطافه أحرفًا
يروى أحاديث أناسٍ مَضَوْا

حديقة

فيحاء زان شبابها
حيث الفرائد جمّة
من كل محسود البها
والوردُ يقطر بالندی
والنهر يرفل عندها
فكأنه وكأنها
تُجلى بصفحة مائه
فكأنّ فوق الماء ما
وكأنّ صورة درهمٍ
وكأنّ طلعة فاتنٍ
تتردّد الأطيّارُ فو
كتردّد الآمالِ في
مرح الطيور أجلّ من
هذا يدبُّ به الشقا

لون الربيع الأزهر
تزهو بأروع منظرٍ
ء مكلّ ومنورٍ
كالعاشقِ المستعبرِ
في ثوبه المتكسّرِ
أحوى استكّن بمنزّرِ
صوّر الربيع الأخضرِ
صنعته كف مصوّرٍ
سكنت بخاطر مُعسِرِ
أخذت بلبّ محيرٍ
ق غصونها بتخطرٍ
خلد الطموح الممترِ
مرح الخليع الموسرِ
ء وذاك غير مُكدرٍ

مغالبة الهوى

هل قَلْدُوكَ مَدَامَ اللَّامِقِ
يا فتنَةً أَخَذَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
إِنْ كُنْتَ لَّا تَخْشِينِ صَوْلَةَ ظَالِمٍ
فدعي مغالبةَ الضعيفِ وناجزي
أَمْ ضَمَّنُوكَ مِصَارِعَ الْعِشَاقِ!
وَسَطْتَ بِنَقْمَةِ هَجْرَةٍ وَفِرَاقِ
مَرِّ الْوَقِيْعَةِ صَادِقِ الْإِبْرَاقِ
ذَلِ الْهَوَى وَصَبَابَةِ الْمَشْتَاقِ

مطال الهوى

حاذِرَ الطيفُ أن يُلمَّ فيشفي
أودع القلب حبه زفرات
أيُّها العاذلون قد وَضَعَ الحُبُّ
قد تَبِعْتُ الهوى إلى آخر المطـ
وتخَوَّفْتُ أن يدبَّ به الخُـ
ما يضيرُ الذي يُعَلِّني بأـ
طالما قد ذَمَّمْتُ مطلقَ قَبْلَ الـ
وتنبهت حين أَعْلَنْتِ الأُفـ
باتصال الرقاد نضواً صريعاً
سجرتة حتى استحال دموعاً
على مسمعي حجاباً منوعاً
لِ فما اسطَعْتُ بعد ذلك نزوعاً
فُ فطالبتُ بالوفاءِ تبوعاً
مطل أن أجعل البكاءَ شفيحاً
خلف حتى فقدت منه صنيحاً
دار بوُسي ونازعتني الهجوعاً

نظرة

نَظَرْتُ إِلَيَّ بَعَيْنٍ مَخْتَبِرٍ جَمَعَ الدَّلَالَ وَحِيرَةَ السَاهِي
يَا نَظْرَةً فِي طَيِّهَا نِعَمٌ فَكَأَنَّهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

في سبيل الجامعة

برأي سديدٍ واعتزام مصمِّمٍ
فلا قول يغني عنك غير مؤيدٍ
ألا عصابة غراء يصدّق سعيها
ألا قائل أو باذل أو مؤازر
فنبصر إما أسعدت عزماتهم
هنالك آمل كأن بطونها
فيا حسن ذكرٍ للذين تملكوا
أيدعى غني القوم سيد قومه
إذا لم يكن طبع فجدوا تطبعا
وأنتم عماد للبلاد مشيد
ألم يكفكم فخرا وعزا وسوددا
فجدوا فقد جاد البهاليل قبلكم
وإن شنيع العار أعظم سبة
إذا لم تناصركم حمية ماجد
يقوم ميل الحادث المتجهّم
بفعل حميد الوقع غير مذمّم
تتادي لأمرٍ مُدبرٍ غير مبرم
برأي يقوي عزيمة المتبرم
محاسن تزري بالجمان المنظم
تفتح عن عيشٍ رقيق منعم
لباب الغنى فاستمسكوا بالتركّم
إذا غاب عنه فضل فعلٍ معظّم
فرب جميل جاء من متندّم
فلا تتركوها كالبناء المهدم
رجاء محلى بالثناء المفخّم
وحظهم الموفور غير المنلم
من الفقر إما عادكم من توهم
فيا ضيعة الآمال في الزمن العمي!

مصري عربي يخاطب أخاه القبطي

بني البهاليل من علياء شاهقة
إذا تتأذى بكم عن مجدنا نسب
إن التآلف لم يترك لنا نسباً
أما وقومي، وقومي خير ما حلف
إذا الأواصر لم تجعل لنا سبباً
إذا هفوتم رميناكم بمعتبة
يدان إن تقطعوننا تقطعوا بكم
إني على شغفي بالأهل يُطربني
فإن فخرت فبالصيد الأولى أسروا
كانت لكم دولة غراء ثابتة
كنتم تُطلون فوق النجم من أنف
ومحتد الصيد لا تمشي له الريب
فأنتم في مراقي مجدكم عرب
يلوي بكم دوننا من دونه نسب
إذا حلفت تدانى المجد والحسب
فحرمة الود فيما بيننا سبب
فإن هفونا فلا يملككم الغضب
كذلك نحن لنا في عزكم أرب
أني إليكم إذا فاخرت أنتسب
حوادث الدهر لم يخذلهم الغلب
في مرتقى العز تبغي شأوها الشهب
حتى تركتم سهيلاً قلبه يجب

ضرر اليأس

أخذ القنوطُ عليكَ كلَّ وسيلةٍ
واليأسُ إنِ يعرضَ لعزيمةٍ عازمٍ
لولا مزاولةَ التجهُمِ ما رأَتْ
فإذا نهجتَ من التفكُّرِ منهجًا
من حيثَ لم يتركَ لرأيكَ منزلًا
بلغ الصميمَ وحالَ منْ أنِ يعملًا
هذي الرذيلةُ في فؤادكَ مدخلًا
فاجعل فؤادكَ للطلاقةِ مؤئلًا
حتى تناهِ اليأسُ عن طلبِ العُلَا
كم طالبٍ وَّجَدَ التجهمَ مغنمًا

ذكرى

محَبُّ حماه الهجر أن يتصَبَّرَا
وفي الذكر الغرِّ التذاذُ بما مضى
ذكرت به ليلاً كأن نجومه
يبيت الندى فوق الزهور مرقراً
وفي ساعدي ريان من نهلة الصبا
يبيت يناجيني بسحر لحاظه
فما إن طلبتُ الوصلِ إلّا تحرُّجاً
وألتمس العذر الخفيَّ لصدِّه
فأغضيتُ عن بعض الذي كان في الهوى

ومن حاجة المهجور أن يتذكَّرَا
ورجعة عيشٍ جلَّ عن أن يُكَدَّرَا
ثقوبٌ نرى منها الصباح المسترَّا
كما انبعث الطلُّ الرقيق ليقطَّرا
كما فتح الشؤبوب زهراً منوراً
ويُسمِّعني ذاك الحديث المغرَّرا
وما إن شكوت الهجر إلّا تحسُّراً
ولستُ أريد العذر إلّا تعذُّرا
وما عشق الفتان إلّا ليعذَّرا

أعمى يرثي بصره

قال الرغيبُ المواسي لا تكن جزعًا
وفي الظلام عبارات منمّقة
لو أنّ كل فتون مثل ما زعموا
إذا سمعت حبيبًا ليس في نظري
كان الأمين المرجّى يوم كارثةٍ
أبكي عليه بعينٍ كان يعمرها
لي بعد فقدك سمع كله حذرٌ
ففتنة العين داءٌ غير مأمونٍ
تكنُّ في لُبِّها ما ليس بالدونِ
وددت أن لنفسي حالَ مفتونٍ
علمت أني بين العزِّ والهونِ
فأصبح الدهرُ فيه غير مأمونٍ
كأنها نحرٌ دامي النحر مطعونِ
يَظَلُّ يسعدني من حيث يُعِيني

البخيل

يرعى البخيلُ مالهَ لولدهِ
يلصقه في نومه بخذِّه
يحرصه في نومه وسُهدِه
يلصقه في نومه بخذِّه
يجمعه بكذِّه أو جدِّه
كأنه يحسبه من جدِّه
كأنه يجمعه لعدِّه
كأنه يحسبه من جدِّه
كأنه يجمعه لعدِّه
فَعَيْشُهُ مستَعْبِدٌ لَزُهْدِه
وَبُخْلُه داعية لِفَقْدِه
مجدبه مستجلب من رغدِه
مجدبه مستجلب من رغدِه
كأنما يطلبه برِّدِه
إن البخيل معدَّم في سعْدِه
إن البخيل معدَّم في سعْدِه

أومه في التجني

أومه في التجني ثم أعذره
يبيت ممتلي الأجان من وسن
يا ليته كان يدري كيف يحرمني
لكل صبّ شفيح من صبابته
إذا نظرتُ إليه جرّت من وله
أبيت أعذل قلبي في محبته
فهل تعاون قلبي في حوائجه
بالله يا نسماتِ الريح سائرةً
استودعيه سلامًا كله شجنٌ
والدمع يُفصح عما كنت أستره
منعمًا وحليف الليل يسهره
أو ليتني كنت أدري كيف أهجره
ودمعه، وشفيع الحسن منظره
يا ليت قلبي يقسو حين أنظره
والعين في عبرات الدمع تحدره
يا أيها الأمل الممنوع مصدره
نحو الحبيب الذي قد طاب عنصره
من المحبّ الذي قد مات أكثره!

الخُمُول

كم وردة ليس لها ناشقُ
تَنْبُتُ في زهرِ كريمِ الثرى
طيبة النكهة لم تبتذلُ
كَلَّهَا القطر وماء الندى
وجدول ينساب بين الرُّبى
وبلبل يُعْرِبُ عن شجوه
وخامل والفضل من حظِّه
يحفُّها الروضُ بوادٍ سحيقُ
مستوثقِ الأصلِ عزيزِ العروقُ
يخلص رياها النسيم الرقيقُ
بلؤلؤٍ من دمه ذي بريقُ
يحسبه الذائقُ كأسَ الرحيقُ
من حيث لا يأخذ سمع المشوقُ
قد أخرجوه بالأذى والعقوقُ

اليُسْرُ بعد العُسْرِ

إِنِ الشِّتَاءَ إِذَا تَطَاوَلَ أَمْرُهُ
وَاللَّيْلُ إِمَّا لَجَّ فِي غُلُوَائِهِ
وَالسَّحْبُ إِمَّا أَسْقَمَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ
وَكَذَا الشَّقَاءُ إِذَا تَمَادَى عَهْدُهُ
دَخَلَ الرَّبِيعُ بِطَيْبِهِ وَرَوَائِهِ
جَاءَ الصَّبَاحُ بِضُوئِهِ وَبِهَائِهِ
بَرَزَ الْهَالِالُ يَزِينُهَا بِضِيَائِهِ
جَاءَ النَّعِيمُ يَذُلُّ مِنْ غُلُوَائِهِ

حسنا ماتت في صباها

أي مهدٍ أهدى المنونُ إليها
وهي حسناء مثل لؤلؤة الحا
وسقاها ماءً الحياءِ مريئاً
عظة تبعث الشجونَ وتُجلي
واستعار الربيعُ من وجنتيها
لي إذا قامتِ اللحاظُ عليها
واستبدَّ الفتونُ في مُقلتيها
خادعات الصروف في حالتها

عتاب وأعتاب

ألا مبلغٍ عني الصديق رسالةً
حمدُكَ لا أني أردتُ مثوبةً
لقد أعلمتُكَ الحادثاتُ مكانها
وما كنتُ إلا الدهر في حالِ سلمِهِ
وما أخذتُكَ النَّفْسُ إلا فضائلاً
أظل ولم أُكجِلْ بمرآك ناظري
ودون التراضي معتب و غضوبُ
على الحمدِ لكن كي يقال مصيبُ
فصار على المقدار منك رقيبُ
سوى أنه في الحالتين مُريبُ
كأنك معني في الضمير عجبُ
كأنني بين الأقربين غريبُ

المشقوق

ضاقَت الأرض عن مآثمه فاعَـ
حَمَلَتْهُ على الرياحِ وأَعَلَّتْـ
يَعِظُ الناسَ بالممات كأنَّ الـ
جُمِعَتْ حوله الورى فله حا
وأقَالَنتُهُ من مآثمه فُرْـ
منظر ما أقام بالعينِ إلَّاـ
وله في النفوس وقع أليمٌ
ذاك مَنْ ملَّه الشقاء وكلَّ الـ
كان في عيشه من الخبث كالأجـ
رُبَّ صحو من سكرةٍ، ورخاءٍ
تاض عنها برقَّة الملحودِ
ه عن الناس زاجرًا بالوعيدِ
رُشِدَ مستجلِبٌ من التبعيدِ
لُ حُسود ووقفه المحسودِ
قَّة عَيْشٍ معجَلٍ التتکیدِ
راعها بالبكاءِ والتسهيدي
ينزع الغلَّ من فؤاد الحقودِ
بُؤْسٍ منه فصار صنو الشريدِ
رب يغدو في أهله كالوحيدِ
من عناءٍ، ويقظةٍ في رقودِ

حسناؤ تغني

رُبَّ لَحْنٍ كَأَنَّهُ الْمَنْظَرُ الْغَضُّ
وَعِنَاءٌ عَذِبٌ يَدْبُ إِلَى حَيْبٍ
وَفَمٌ لَا يَكَادُ يَنْطِقُ مِنْ دِقِّ
وَكَأَنَّ السُّكُونَ أَصْغَى إِلَيْهَا
يَبْتُ الْأَمَالَ وَالْأَوْطَارَا
سُ الْأَمَانِي فَيُخْرِجُ الْأَسْرَارَا
تِهِ بِالْغِنَاءِ إِلَّا اضْطَرَّارَا
فَأَفَاضَتْ عَلَى السُّكُونِ وَقَارَا

نصيبي من الحياة

هل ألومُ المنى وهن ثقتي
يا غريمَ البُكا رويدك لا تُمُـ
إن يكن حظك القليل فهل تُفـ
إنَّ عشرين حجةً تركتني
إنَّ من أخطأ الرجاء يرى الدَّهـ
مَنْ دَهَاهُ الشقاء في يقظةِ الدَّهـ
كلُّ يومٍ يفنى من المرءِ شيءٌ
كيف أثني على الزمان إذا كا
إن تراخى الرجاء عني قليلاً
يا لهذي الحياة مَنْ لأناسٍ
فأناسٌ تسرُّهم سيئاتي
وأسيغ الأسي بغير شكاة؟
حى دواعي الهمومِ بالعبراتِ
ضِي عليه بهذه الحسراتِ
لا أرَجَى سوى الذي هو آتِ
رَ بعينٍ نُقْذَى بغير قذاةٍ
رِ جزاه النعيمَ في الغفلاتِ
ما سمعناه عليه صوتَ النُّعَاةِ
ن ارتقابُ الآمالِ من عزماتي
فوداعاً لما بقى من حياتي
يدفعون الحقوقَ بالشبهاتِ
وأناسٌ تسوءُهم حسناتي!

الصغير والكبير

رأيتُ الكبيرَ ضئيلَ الطماحِ
وفي الذكرِ الغرِ ذخرَ جليلٍ
وإن الصغيرَ أبى الطماحِ
وفي الحقِّ إن غنيَّ الأمانِي
يتبَّعَ خاطره ما تولَّى
لمن جعلته العوادي مقلًا
يرجِّي من الغد عزا ونُبلاً
يعجز أن يتبع القولَ فعلاً
فيخْطِي الأجلَّ ويصْمي الأفلًا
وفي السعي شيءٌ يعوق الطموحَ

الطموح

بكاءُ العين علَّمها السُّهادَا
وبي ظمًا لوَّ أنَّ الماءَ ريِّ
ولوَّ أنَّ الظلامَ بقدرِ ما بي
وقد كان الزمانُ إذا رمانِي
وناشتتي الهمومُ ولم أرُعها
أهمُّ إلى العلاءِ وتعافُ نفسي
وروضها طموحي للتمني
وزاولتُ السباقَ بها فلمَّا
بلَّغتُ بها المدى فلوَّ استزادتْ

وهمُّ النفسِ جسَّمها الجلاذَا
له ما بتُّ أفنقدُ الرقادَا
لما عرف الصباخُ له نفاذَا
تَطَرَّقَني فعلمني السدادَا
كأنَّ لها على حلمي اعتمادَا
لغير قلى مخافةً أن تكادا
فصيرتُ الطلابَ لها اعتقادَا
سبقْتُ البرقَ جاريتُ المرادَا
عُلِّوا ما وجدت المستزادَا

رثاء مصطفى كامل

نفد العمر على طول الليالي
ومجالُ الدهر في أحواله
يا ضلوغًا دونها حرُّ الجوى
فاجزعي يا نفسُ أو لا تجزعي
وانقعي الحزنَ بآماقي إذا
قد يفيد الحزن في مرزئة
وإذا المقدار لم يُنجِ امرأ
قد مضى من كان فينا رحمةً
ولقد عاش على غير قلى
باشَرَ الآمال مبدول اللهي
ولقد دك المعالي أنه
أَوْحَشَ الموتُ به أنفسنا
وَهَبَ الدهر نفيسًا للعلَا
ولئن أودى فقد أبقى لنا
إنما العيش طريقٌ للردى

واستباح الموتُ ذكرًا غير بالي
ألحق التالين منا بالأوالي
أصبح السلوانُ بعد الدمعِ غالي
ما بقاء المرءِ إلا للزوالِ
وجد الظمانُ رِيًّا عند آلِ
لو يعود المرءُ بعد الإنتقالِ
جزع الدرع على ذِكْرِ النصالِ
لليتامى واعتصامًا للعيالِ
فرماه الدهرُ بالداءِ العضالِ
واستقاد الدهر محمود الجلالِ
فارقَ الأحوال مفقود المثلِ
والمنى دانيةً والمجدِ عاليِ
واستباح الردَّ ضنًّا بالنوالِ
سيرًا في مجده غير بوالي
وخلود المرءِ في حسنِ الفعالِ

موقف

وليلةٌ كشعار الحزن داجية
جاءت بأغيدٍ يفري الليل عن وضح
فبتُّ أودعُهُ النجوى وقد فعَلتُ
ينأى به الدُّلُّ عني ثم تعطفه
وبات أدنى من الأشواق يحرسُهُ
يدُّ على القلب تستجدي الهوى ويدُّ
يقول — والحرُّ في الأنفاس يُؤلمُهُ:
لا أستعيزُ بها إلا من الأرقِ
من وجهه كطلوع البدر في الغسقِ
بي الصبابةُ فَعَلَ النوم بالحدقِ
نحوي الدموع فعطفيه على قلقِ
أنْ لا الذُّسوى مرأى ومعتنقِ
على الجفون تصادي عادي الغرقِ
ما بال قلبك مطويًّا على حرقِ؟

التأليف

أبني أبينًا والأمور ضعيفة
إن الثريا لو تسر نجومها
والفرقدين إذا تخرى عنهما
هل سرّكم يوم اللجاجة أننا
كنا وكنتم في الصميم من العلاء
لولا اللجاجة والمرء وعصبة
ومن البلية أن نكون وجمعنا
يا ابن الفراعنة الألى ورثوا العلى
قُمْ نُرْجِعِ الْفَضْلَ الصَّرِيحَ وَدَوْلَةَ
هذا مقالي شفته بنصيحة
أسبابها أن تقطعوا اليد باليد
غير الوفاق غدت بِشْمَلٍ مُشْرِدٍ
وَدُّ تَتَأَيَّ فَرَقْدٌ عَنِ فَرَقْدٍ
نُدْنِي عَلَى الْأَحْقَادِ عَادِيَةِ الْغَدِ؟
لولا مدهنة الزمان الأندك
رصدت لكل محزّبٍ وموحدٍ
متقسمٍ والشامتون بمرصدٍ
إرثَ الأماجد سيدًا عن سيدٍ
يمشي عليها الدهر مشي مقيدٍ
فتلقّ فيه رقّة المتوّدِّ

الشاعر وحبيبته

دعيني وحظي لست أهلاً لأن ترى
إذا ما رأيت البشرَ يملأ صفحتي
وما بعث الله الأديبَ ليمتطي
تُريه مكانَ الهمِّ عينٌ بصيرةٌ
يفرُّ الرجاءُ العذبُ من خطراته
مهيجة أشجانه لا يمسُّها
فهنَّ كأعضاءِ اللديعِ إذا دنت
حبيبة مشبوب الفؤادِ معذبٍ
ضياءً فأمالى خديعةِ خلْبِ
على سروات العزِّ أطيّبَ مركبِ
فيحويه منه كالخباءِ المطنَّبِ
فرار الصحيح الجسم من لمسِ أجربِ
سوى كل فوّارِ الصبابةِ أغلبِ
لشيءٍ تأذت من حكاك المقرَّبِ

ليلة من ليالى الحبِّ

يا رَبَّ لَيْلٍ بَتُّ فِي جَنَحِهِ
فزارني زورة ذي رقبة
فرُحْتُ أَحكي الدهرَ في سِلْمِهِ
وانتزع الرقة من قلبه
ثم ائتلفنا عند حُكْمِ الهوى
مثل ائتلاف الدرِّ في عقده
أستصرُّ البدرَ على نَدِّهِ
يرى التداني منتهى جدِّهِ
وراح يحكي السيف في جهده
وأسكنَ الرقة في قدِّهِ

عين اليقظة وعين الحلم

ما لعيني دمعها قد نفذًا
ولجنبي لا يمسُ المرقدًا
أفةُ العاشق من حيث يرى
كشقاءٍ من نعيمٍ وردًا
بَعَثْتُ عيني منها نظرةً
قَرَّبْتَنِي منه حتى بَعُدًا
قد عرفتُ الصبر حتى راعني
بالتنائي فعرفتُ الكمدًا
إِنَّ عيني — ولها الحمد — لقد
أُنْجَزْتُ بالنومِ ما قد وَعَدًا
فَأُسَلِّي الهَمَّ عني بالمنى
ويبيحُ العتبُ منه موعِدًا
قد سَجَرْتُ الشوقَ حتى خمدًا
لا تخفُ مِنْ حبسها أن تَكْسِدًا
إِنَّمَا الأملُ أركى متجرٍ

النصيحة

ورُبَّ خَلِيلٍ لَّا أُجُودُ بُوْدِهِ
أَنَاصِحَهُ جَهْدِي فَيَحْسَبُ أَنِّي
فَصِرْتُ أَدَارِيهِ وَإِنِّي لَمُشْفِقٌ
مَخَافَةً أَن يَقْضِيَ الْأُمُورَ بِضِدِّهَا
إِذَا اعْتَرَضَتْكَ الْحَادِثَاتُ فَلَا تَكُنْ
فَإِنَّ التَّمَّاسَ الْحَقَّ لَيْسَ بِعَائِبٍ
أَرَاهُ عَلَى الْعَلَّاتِ وَهُوَ حَمِيدٌ
أُرِيدُ بِهِ شَرًّا وَلَسْتُ أُرِيدُ
إِذَا مَا طَوَيْتُ الرَّأْيَ وَهُوَ سَدِيدٌ
فَيَدْرِكُهُ مِنْ دُونِهِنَّ قَعُودٌ
عِيُوفًا لَمَّا يُلْقَى عَلَيْكَ مَرِيدٌ
مَجْدًّا إِذَا عَابَ الْعَنِيدَ جَحُودٌ

الحزم والحدثان

أهاب بحزمي طارق الحدثان
فلو حاولت مني الخطوب استكانةً
ولو أوطأنتني الحادثات مهانةً
ولكن مثلي ليس تكبو به المنى
ولم يُبق مني الدهر غير لساني
لبأشرتُها مستلماً ببياني
أبي لي طبعي أن تكون مكاني
ولو كان في أيدي الخطوب عناني

عتاب ومحبة

أيمنعني الأعتابُ أنك جارمٌ
وإني ضنينٌ أن تمسكَ وحشةً
فما أنا بالراجي عن الحبِّ نبوةً
ولكن إذا ما الداءُ دبَّ بمعصمٍ
وما كنتُ أدري قبلَ هجرِكَ ما الهوى
وما أنكر العتبَ الذي يبعث الرضى
ولست أبيعُ السرَّ للجفنِ ضلَّةً
فنتسب لي الهجرانَ وهو توهُمٌ
إذا ما دنا من مسمعِكَ الملوِّمِ
ولا أنا بالمُسْطِيعِ صبراً فأكْتُمُ
فأوشِكُ بأن لا يحْمِلَ الكفَّ معصمُ
ولكنَّ مَنْ يَبْلُ الأحبةَ يعلمُ
فإن كان في لا شيءَ فهو تبرُّمُ
ولكنَّه بين الضلوعِ مكْتَمُ

آمال النفس

ما لي أراقبُ نفسي في تمنِّيها
نزّهتها عن رجاءٍ لست آمنه
إن الحياة إذا ما شابها ضرعٌ
لو أن لي حيلةً في الذل أجنبها
أحسب القوم أن أرضى بمنزلةٍ
سأرقبُ النجاحَ والآمالَ داجيةً
إن الحمية لو دبّت إلى رممٍ
ولو سرّت بوضيع صار ذا شرفٍ
ولو سرّت بأسيرٍ عاده جلدٌ
إن اللئيم يريك الحزم مهلكةً
وحالة العجز لا تبقى على أملٍ

وحالة اليأس ترضيني وأرضيها
حتى كأنّي بالنتزيه أغنيها
عادت كأنّ المنايا في حواشيها
خوفًا فلا بلغت نفسي أمانها
العجز أولها والذل ثانيها
حتى يجاب إلى العلياء داعيها
ريعت قلوب الأعادي من عواديها
حتى كأنّ المعالي من معانيها
كأنما أسرُهُ أغرى به تيهها
ويخلطُ النصح بالتضليل تمويها
من النهوض فإن العزم يُفِيها

ذكرى ليلة

كَلَّفْتَنِي فِي هَوَاكَ أَمْرًا
فَابْلُ الْهُوَى وَاسْتَعِرْ ضَلُوعِي
وَرَبِّ هَجْرٍ يَعُودُ وَصَلًّا
وَرَبِّ لَيْلٍ أُرْحَى عَلَيْنَا
وَشَى بِي الْبَدْرُ عِنْدَ لَيْلِي
بَاتَ يَمُجُّ الظَّلَامَ طَرْفِي
وَحِينَ وَافَى الْحَبِيبُ لَيْلًا
أَخْبَرَهُ الطَّرْفُ مَا أَعَانِي
أَضْنَى اصْطَبَارِي وَنَوْمَ عَيْنِي
يَحْفَظُ سَمْعِي عَنْهُ حَدِيثًا
بَتُّ وَعَيْنِي بِالْحَزَنِ عَبْرِي
جَعَلْتَ قَلْبِي لِلْحَبِّ وَكِرًّا
مَلَأْتَ صَدْرِي مِنَ اللَّيَالِي
يَدْعُوهُ أَهْلُ الْوَفَاءِ غَدْرًا
لَكِي تَرَى هَلْ نَطِيقُ صَبْرًا
وَرَبِّ وَصَلٍ يَعُودُ ذِكْرِي
لَمَّا احْتَوَانَا الظَّلَامُ سِتْرًا
فَخَلَّتُهُ مِنْ دَجَاهِ يَعْرَى
كَأَنَّهُ بِالسَّهَادِ مُغْرَى
كَادَ يَكُونُ الْمَسَاءُ فَجْرًا
فَهَلْ رَأَى فِي الْجَفَاءِ عُذْرًا
كِلَاهُمَا خَافَ مِنْهُ هَجْرًا
أَيَّامَ كَانَ الزَّمَانُ نَضْرًا
لَأَعِينِ بِالذَّبُولِ سَكْرِي
فَصَارَ طَرْفِي لِلطَّيْفِ وَكِرًّا
فَصَارَ مَا بِي فِي الصَّدْرِ صَدْرًا

أمانى الحب

لو اعجُ الحُبُّ تلويهم وتُغريني
وفي الجفون دموعٌ ضلَّ رائدها
نجبي من اليأسِ أن الحُبَّ ذو غير
ما أبعدَ الصبرَ من قلبي على جَلدي
رجعتُ بالخسرِ والأمالِ تخذعني
من لي به وعيون الليلِ تَنظُرنا
يكفي من الدهرِ أن الدهرَ يمطلني
يكفي من القربِ أنَّ النومَ يجمعنا
إني لأهوى الردى والعيشَ مقتبلُ
كن كيف شئتَ مُدلاً أو على صلةٍ
وسطوةُ الهجرِ تُبقيهم وتُفنيني
قول العذول عليها غيرُ مأمونِ
وهل يعودُ بما قد كان يلويني
وأقربَ الوجدَ من قلبي على ديني
حتى ظننتُ بأني غيرُ مغبونِ
بعد التصافي فأدنيه ويُدنيني
فإنَّ وعدَ الليالي غيرُ مضمونِ
فإنَّ ذلك وصلُّ غيرُ مظنونِ
لعلَّه بعد موتي فيه يبُكيني
فكلُّ شيءٍ من الأحبابِ يُرضيني

دليل الشوق

أنتكرُ أشواقي وأنت دليلُها
وهل عائبني عند العيونِ إذا رنتُ
هل الوجدُ إلا أن ترانيَ باكيًا
بسطت لكم بينَ الضلوعِ مكانةً
ولكنَّ آمالي يُرجِّينَ عطفةً
شقيتُ بنفسي والحسود عذيرها
وتطفئُ أشجاني وأنت غليلُها
سوى أنها تدري بأني قتلُها
إذا لوعة زادت وضرَّ قليلُها
على القلبِ لا يأبى الوفاءَ نزيلُها
لديك ولو أن الجفاءَ رسولُها
فكيف شقائي والحبيب عذولُها

مرثية فقيد الوطن والعلم قاسم أمين

أودى البكاء بمعوز السلوان
طوراً تكاثرني الهموم وتارة
يا دَمْعُ رفقاً بالمحاجر واتَّئِدُ
ولقد علمتُ وإن عَرَّتني وحشةُ
إن الفجيرة بالرجال أجَلُّها
لهفي على الفضلِ الصريحِ إذا ثوى
ليتَ الزمان وقد أَرادك بالذي
مالَ الرجالُ أمامَ نعشِكَ حسرةً
وضعوا الشمالَ على الجفونِ وأختها
وبكى الجليدُ بكاءً تكلى واحداً
فاذهب كما ذهبَ السحابُ محبباً
يا سَعْدُ ما فَعَلَ الزمانُ بما جدِ
قد كنتَ تدعو للعظيمِ مغلباً
قد كان يُدني من فؤادك حَبَّةُ

وبقيتُ بين طوارق الأحرانِ
أوي إلى صبرِ الضعيفِ العاني
فالمرءُ رهْنُ قطيعةٍ وليانِ
أن المنايا آفةُ الإنسانِ
فَقَدْ الكفاةُ لطارقِ الحدثنِ
في حفرةِ القرمِ العظيمِ الشأنِ
يأبى أحسَّ بمَقْتَلِي فرماني
ميلَ الغصونِ مع النسيمِ الواني
موكولةً بمجامعِ الأشجانِ
فَرِدِ رماه مقطرِ الفرسانِ
تثني عليه نفحةُ الريحانِ
غَدَرَ الزمانُ بعُودِهِ الفينانِ
يُدني الرجاءَ بهمةِ المعوانِ
صدقُ الجهادِ وصحةُ الإيمانِ

رثاء قاسم أمين

الدمعُ بعدك قد أصابَ مسيلًا
وعدا على الآمالِ بعدَكَ عاصفٌ
كانت تفتح كالزهورِ فيجتني
فغدَت كوجهِ الترابِ أعوزه الحيا
هل عند رهنِ القبرِ أن زفيرنا
هل عنده أني افتقدتُ بفقدِهِ
أخذَ الفؤادُ على الجفونِ وثيقةً
ولقد رأيتُ الدهرَ في أحواله
قلُّ للذي لم يُضمِ رزؤك قلبه
كيف احتواك القبرُ في أحشائه
يا ربَّ أقوامٍ نَفَيْتَ ضلالهم
أخذوك بالطرفِ الحسيرِ وربما
والرزءُ مكنَّ في الضلوعِ غليلاً
صعبٌ أمرٌ رجاءنا المعسولاً
لحظُ العيونِ بهاءها المطلولاً
جدباً ضنيناً بالثمارِ وبيلاً
يقري السلامَ جنابه المأمولاً
ربَّ الكفايةِ بكرةً وأصيلًا
أن لا تميلَ إلى العزاءِ قليلاً
تخذُ الأمانَ على النفوسِ دليلاً
إني حسبتُ فؤاده مدخولاً
ولقد عهدتك صارماً مسلولاً
وعجمتَهُم حتى أقمتَ مميلًا
بعث العليلُ إلى الضياءِ عليلاً

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العَلَّاتِ آمالي
ورحمتُ أدأبُ والآمالِ تُسَعِدُنِي
وفاتني الحظُّ منبوذًا بمنزلةِ
حسبتُ دمعي قرى والشوقَ منتجعا
جريتُ في الحبِّ مدفوعًا بلا عبثِ
يسعى أناسٌ إلى وردٍ لينقذهم
يا أيها الزائر المدلي بمعذرةِ
لو أنني مُودَعٌ في طَيِّ مقبرةِ
لما انتزعتُ حديثَ اليأسِ من بالي
حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالي
ينمُّ فيها الهوى عن راحةِ السالي
وخلت قلبي لهيبًا والجوى صالي
فما اعتذاري إذا ما فاتني التالي
من الغليلِ وهذا الوردِ يسعى لي
وفي تمهله لو شاء إبالي
تسعى على تُربها أحييتُ أوصالي

الحبُّ والرقة

شكوتُ إليه ذلَّتِي فتحكَّما
وقال له الواشون أنت وصلتهُ
وخُبِرَ أني قد تخيلتُ أني
وخُبِرَ أني سوف أخلص نظرةً
وإني لأهوى أن أموت لعله
وأرسلتُ دمعي شافعاً فتبرَّما
ببعثك طيفاً في الكرى فتظلماً
تزوَّدتُ منه قبلةً فتألماً
إليه فأضحى بالحياءِ ملثماً
إذا مرَّ ذكري في الحديث ترحماً

في الفخر والحكم

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحانِ
وما زاد ذو جدٍ ليحتاز العلى
ولقد علمتُ — وإن شكوتُ خصاصةً —
عَجَمَ الزمانُ عزيمتي وعجمته
وَلئن سَفَلتُ كما عَلَيْتُ تواضعًا
صاحِبْتُهُمْ بالشك حتى نَقَتَهُمْ
وإذا كرِيت عن الحوادثِ غرةً
رَوَّضتُ نفسي للطماحِ فراعها
أرَبى بنفسِي أن أبين سريرتي
ومُلَمَّةً تُنسي الجبان حياته
ولربما أدعُ المناظرَ أبكَمًا
وإذا الحوادثُ نوّهتُ بملَمَّةٍ
ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمانِ
لكنّه قد زادَ للنقصانِ
أن المنيةَ غايةُ الإنسانِ —
فكأننا علمان يصطدمانِ
حيث الأسافل ما جهلتُ مكاني
فعلمتُ أني قد أبحثُ عناني
راعيتُها بلواحظِ اليقظانِ
أنّ الأمانِي آفةُ الإنسانِ
لمضللٍ قد غرّه إعلاني
كشَفْتُها بحفيظتي وبياني
في موقفٍ ما حار فيه لسانی
لِتَرُو عَنِي لا يُسْتَطَارُ جناني

إلى صديق

دافع الآمال بالتُّهمِ
فبيبتُ الليل يسهرُهُ
وإذا ناجى مُسامرَهُ
فاجتباه السهدُ يؤنسُهُ
وشبابُ الليل متهمٌ
دبَّ فيه البدر مهتكمًا
واستباح الصبحُ دولتهُ
لم يدع منه الصباحُ سوى
يقنقيه وجهُ ذي خلق
قد أنار البشرُ صورتهُ
حلَّ بين الناسِ منزلةً
واقعٌ في حيث لا دنس
سائرٌ إلا إلى عبثٍ
نفسُهُ للفضل تدفعُهُ
جالٌ فيه المدحُ ملتئمًا
لو قرأه النومُ لم ينمِ
وهو يرجو الوصلَ في الحلمِ
لم يُجِبُهُ النجمُ من صممِ
واجتباه الحبُّ للألمِ
يقرع الأفلاكُ بالظلمِ
«كديب النار في الفحم»
إذ رماه الفجرُ بالهرمِ
رمقٍ في شخصٍ منعَمِ
أصله من عنصرِ الكرمِ
فهو في التعبِيسِ يبتسمِ
كحلولِ الصفوِ في الشيمِ
موقعَ الآمالِ في الهممِ
واقفٌ إلا على ندمِ
فهواه غيرُ متهمِ
كمجالِ الحمدِ في النعمِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

ومشت فيه فضائله
ومشية الآرام في الحرم
ووجدت فينا محبته
كوجود الدين في النمم

ضيقة حال

أُعَاتِبُ دَهْرِي أَوْ تَهونُ خُطوبُهُ
وَكَيْفَ أَلومُ الدَّهْرَ فِيمَا يُرِيئُنِي
سَأَنْدُبُ حَظِي وَالْأَمَانِي شِوَارِدُ
إِذَا عَبَثَ الدَّهْرُ اللَّئِيمُ بِبَائِسِ
وَصَرْتُ كَمَا شَاءَ الزَّمَانُ مَخِيبًا
وَدَافَعْتُ أَمَالِي كَأَنِّي سَمْتُهَا
وَصَافَقْتُ بِي الْأَحْوَالَ حَتَّى كَأَنَّهَا
أَضْنُ بِصَدْرِي أَنْ يُلِمَّ بِهِ الْأَسَى
وَلَا أَرْقُبُ الْأَمَالَ إِلَّا تَعَلُّا
سَأَذْكَرُ أَيَّامًا نَعَمْتُ بِلِبْسِهَا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ لَا يُعَزِّي فُؤَادَهُ
وَلِلْمَرءِ أَحْوَالَ تَرِيدَ عَزِيمَةً
إِذَا كَانَ دُونَ الشَّيْبِ لِلْمَرءِ مَانِعٌ
وَأَعْذُلُ حَالِي وَالدموعُ تَنْبِيهُ
وَأَحْسُنُ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ عِيوبُهُ
كَأَنِّي سَقِيمٌ قَدْ جَفَاهُ طَبِيبُهُ
فَحَسْبُ نَصِيبِي أَنْ مَتَلِّي نَصِيبُهُ
يَعَاتِبُنِي قَلْبِي كَأَنِّي رَقِيبُهُ
وَأَخْلَفَنِي صَبْرِي كَأَنِّي أَرِيبُهُ
فُؤَادَ مَحَبِّ غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ
عَلَى الْخَطْبِ إِلَّا أَنْ يَضِيقَ رَحِيبُهُ
لَعَلَّ الَّذِي يَعْدُو الْمَرَادَ يَصِيبُهُ
إِذَا مَا شَدَا عِنْدَ النَّضِيرِ خَطِيبُهُ
إِذَا خَانَ جَدًّا أَوْ تَنَاءَى قَرِيبُهُ
يَذُودُ بِهَا عَنِ قَلْبِهِ مَا يَنْوِبُهُ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَيْهِ مَشِيبُهُ

رثاء الشيخ محمد عبده

سجرتُ فؤادك حتى خمدُ
وَأرخصت دمعك حتى نفذُ
وَحَقَّ عَلَى الْعَيْنِ أَنْ لَا تَتِي
تشرّد من دمعها ما جمدُ
أردتَ الوفاءَ فهان البكاءُ
ورُمتَ التعزّي فخان الجلدُ
وأسمَعَكَ الموتُ حتى أصمَّ
فهل للذي فات من مستردُ
ولو أقصد الموت غير الإمامِ
لهان على مصر من تفتقدُ
فكم من مضلّ له قد عنا
وكم من شقيّ به قد سعدُ
ترَقَّبَ منه الردى غرةً
فقد صار يمزح حتى عمدُ
أبى ذُخْرُهُ أَنْ يَهَابَ الردى
وقد عرف العيش حتى زهدُ
وإنّ الفتى ليخاف المماتَ
وما جنب الورد حتى وردُ
يقيم على أملٍ خادعٍ
ومن غرّه العيش لا يقتصدُ
يرجى سفاها متاب الغداةِ
فهل أمين الموت من دُونِ غَدُ
وما أخطأ الموتُ في حُكْمِهِ
ولكن لكلّ بقاءٍ أمدُ
وقد نال من فضله الحاسدو
ن حتى الزمان عليه وجدُ
فيا آيةَ الله لم تقصري
فقد عرف الحق من قد جدُ
وكم رام شأوك من حاقدٍ
فما ذمّ فضلك حتى حمِدُ

وهل يجهلُ الضوءَ إِلا العمى
وهل يُنكرُ العيبَ إِلا الرضى
وينتقصُ الشمسَ إِلا الرمَدُ!
وهل يجحدُ الفضلَ إِلا الحسدُ!

عقيدة الحبِّ

زارني والطرفُ مسلوبُ الكرى
حالةٌ لم ينعَمِ الطرفُ بها
لم يذُرْ في خلدي السلوانُ حتَّى
إنما يوحش في القُربِ التجافي
وانثنى والجسمُ مسلوبُ الفؤادُ
فأباح الطيفُ لي طعمَ الرُقَادُ
سَى كأنَّ الحبَّ في قلبي اعتقادُ
مثلما يوحش في البُعدِ افتقادُ
هالكاً من مَطله هلك اقتصادُ
هكذا الآرام لا تعطي قيادُ
ألهمتني كلَّ معنى مستفادُ
وعيون ناطقات بالكرى

وصف راقصة

آنسةٌ تمرُّحُ في جلبابها كأنها تعجَّبُ من شبابها
وشعرها كأمةٍ تعني بها راقصةٌ كالصلِّ في انسيابها
كأنها تدور في إهابها تكاد أن تخرُج من ثيابها
وثوبها يكاد أن يزهي بها!

حالات الحبِّ

ما لِعَيْنِي خانها الدمعُ ولما
نَفَدَ الدمعُ على طول البكى
أنا والالام تستهدفني
قد كرهتُ النومَ حتى إنني
ما أبالي والهوى يبرئني
هانت الأنفسُ في الحبِّ فلا
إن أعنت الصبَّ في حمل الهوى
قد منعت الوصلَ من غير قلى
عُذِرَ للعينِ إذا لم تسجمِ
فاستعار الحبُّ لحمي ودمي
نادمٌ لو كان يُغني ندمي
لو أتاني طيفُكم لم أنمِ
إن رمانى حاسدٌ بالتُّهمِ
ترحم العاشقَ إن لم يسقمِ
هزئت أعضاؤه بالالمِ
فارضَ لي الصدَّ إذا لم يحرمِ

طلعة وشجون

يا طلعةً طَلَعْتَ بكلِّ شجوني
ومن العجائبِ أن تصد حبيبة
أنا في هوائِك بمنزلٍ لم يعده
رضي الفؤادُ بذلتي وخصاصتي
أجهَدْتُ قلبَ متيِّمٍ مفتونٍ
وثَقَّتْ بحبِّ الصادقِ المأمونِ
أسف الحزينِ وحالة المجنونِ
أرثيتِ أنتِ لذلكِ المسكينِ؟
أوي إلى صبرِ عليكِ أمينِ!
طورًا تُكَاثِرُنِي الشجونُ وتارةً

الحظ القليل الكثير

حسبي من الدرّ أني كُلمًا نظرتُ
وإن ترصدَ للأسعار جاهلها
وإن ترفَّعَ بالأسرار كاتمها
وإن تمادى غنيّ في غوايته
إني لأنظرُ بالعين التي نظرتُ
عيني إلى الأفق جادتي بلألاء
ما ضرّني حالُ إرخاصٍ وإغلاء
ناجيتُ صوت التقاء الماء بالماء
علّمتُ أني كُفيتُ الداءَ بالداءِ
ما بين ذلك من حالات آلاءِ

حساد على الصبر

نَقَمَ الحُسَّادُ أَنِي صابِرٌ
رُبَّ صبرٍ في فؤادِ البائِسِ
قد رأوني ذا سلام صارمٍ
رُبَّ تَلَمٍّ في سلاحِ الفارسِ

الحزن والسرور

إنَّما الحزنُ والسرورُ غذاءٌ لفؤاد الإنسان طولَ الحياةِ
فإذا طاح بالسرورِ قضاءً فأرضَ بالحزنِ قبلَ أنْ لا يُوَاتي

مواطن الأشياء

تعرض الأشياء في أوطانها
كم جهولٍ عزبت عنه النُّهى
آفة الجوهري أن لا يعرفا
نَبَذَ الدرَّ ونالَ الصَدفا

إلى صديق بعد إبلاله من مرض

رَضِينَا بِالْبَعَادِ وَأَنْتَ دَانِي
وَكَلَّفْنَا احْتِجَابُكَ عَنْكَ صَبْرًا
وَكَيْفَ تَتَأَلَّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
وَمَا هَزْنَتْ بِصُعْدَتِكَ الْعَوَادِي
فَصِرْتَ عَلَى بَعَادِكَ كَالْأَمَانِي
وَهَلْ يَغْنِي السَّمَاعُ عَنِ الْعِيَانِ
وَأَنْتَ الْبِرُّ مِنْ حَدَثِ الزَّمَانِ
وَلَكِنْ غَرَّهَا سَلْسُ اللَّيَانِ
طَلَعَتْ طُلُوعِ يَوْمِ أَضْحِيَانِ
وَوَجَّهَ مِثْلَ مَا عَشَقَ الْغَوَانِي
كَأَنِّي لَسْتُ أَمْنَحُكَ التَّهَانِي!

شاهد الدمع

أحبيبُ لو دَبَّتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي
لَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ
لَا تَحْسِبَنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ بِخَلْقِهِ
إِنَّ الْبِكَاءَ مَوْكَلٌّ بِالْمَحْجَرِ
وَهَلِ ابْتَغَيْتَ عَلَيَّ وَفَائِي شَاهِدًا
أَمْ هَلِ دَلَلْتَ عَلَيَّ الصَّبَاحَ بِنِيرٍ!؟

رثاء الحبِّ

ولا تدفنوه بأرضِ خلاءِ
ولا تُنزلوه صميمَ الفؤادِ
ولكنْ بحيثِ غناء الطيو
وإني لأخشى عليه الأذى
وإنَّ خليقاً بطيبِ المقامِ
فلا تشمتوا بعظيمِ مضي
ومن عجبٍ أن أراه الحميدِ
يصول بحالينِ هجرٍ ووصلِ
تعالوا نُظللُّه بالغادياتِ
ونُنهلُّه من قطراتِ الندى
فقد كان يأبى المكانَ الجديداً
فإني أخافُ عليه الوجيباً
ر يقريه لحناً لذيذاً رطيباً
كما كنتُ أخشى عليه الرقيباً
م من كان يهدي إليَّ الحبيباً
فقد كان فينا قديراً مهيباً
وقد كان يُدمي الكلى والقلوباً
يشبُّ لهيباً ويُطفي لهيباً
من السُّحبِ لو أسعدت مستثيباً
هنيئاً وننزلُهُ روضاً قشيباً

استهداء رَسْمِ جميل

يا أبا يعافُ مدرجةَ الجا
قد عهدناكَ منعةً لضئيلِ الـ
وعهدناكَ أعظمَ الناسِ قلبًا
تُرْسِلُ اللفظَ في مناجرةِ البطـ
أنتَ خلو من المداجاةِ واللؤ
فسقى الله عزيمةً لك شمًا
إنَّ لي حرمةً لَدَيْكَ على مَد
كان هارونُ يَمْنَحُ الخُلَعِ العَرَّ
ولديكَ الشفاءُ من سَقَمِ القَلِّ
طلعة ضَمِنَتْ مصارعَ قَتَلًا
مَنْ مُجِيرِي من الذي تبلِ القَلِّ
شرع اللحظَ ثم قال لطرفي
فأنا اليومَ إن رمانِي بلحظِ

ه إذا ما رأى عليها الهوانا
حظَّ إن لَدَهُ الشقاءَ طعانًا
وجماحًا وهمةً وبيانًا
لِ فيهوى سيفًا وينحى سنانًا
م إذا استعبد النفاقَ الجبانًا
ءَ ونفسًا لا تُسْتَطَارُ جنانًا
حَكَ لا تجزني عليها امتهانًا
اءَ برًّا بأختها وامتنانًا
بِ إذا كنتَ تَحْمَدُ الإحسانًا
ها اعتداءً وأودعتُ أشجانًا
بَ وليس المواصلَ المعوانًا
في وعيدٍ: هُنْ يا عزيزُ فهانًا
قال طرفي: يا مقلتيه أمانًا!

عبادة الحُسن

عجبتُ لأشجانٍ مجوسيةِ اللظى
وراضَ لي الأعدارُ أني شاعرٌ
حنانِيكَ يا هذا الحبيبِ على فتى
يبيت سَميرَ الليلِ يخفق قلبه
أصارتك معشوقًا فصرتَ معبِّدًا
وأنك قد أصبحت في الحُسنِ أوحَدًا
يحبك حُبًّا حيثما نَفَدَ ابْتَدَا
فيسُعدُهُ القلبُ الذي ضَمِنَ الصدى
بموتي فلا تحبسُ بكاءً مردِّدًا
ولم يلقَ مني في المحبةِ مسعدًا
وقُلْ رَحِمَ اللهُ الوفيَّ الذي قضى

الود الرخيص

أيها الناغم الذي أَطْلَقَ الْكَيْبَ— دَ وَلَمْ تُثْنِهِ هَوَادَةُ حَلْمِي
قد حلمت الودادَ من غير أجرٍ فقبلت الجفاءَ في غيرِ جُرْمِ

إلى صديق

وقفتُ عليك القلب عند منازلٍ
فكُنْتُ أَخَافِي النَّائِبَاتِ وَسَاعِدًا
تَكَثَّرَتْ بِالْأَنْصَارِ حَتَّى عَرَفْتَهُ
وَحَسْبِي مِنَ الْحِظِّ الْمَدْلِ بِنَفْسِهِ
أوائها معقودَةٌ بطموعِهِ
قَدِيرًا يَرِدُّ الْخَطْبَ قَبْلَ وَقْوَعِهِ
فَغَابَتْ غِيَابَ الشُّكِّ عِنْدَ طُلُوعِهِ
إِذَا قِيلَ هَذَا الْقَرَمُ مَلْءُ ضُلُوعِهِ

لجاجة الحب

هُمُو قَيِّدُوا قَلْبِي بِهَا وَتَوَاقَفُوا
يُرِيدُونَ أَنْ لَا يَجْمَعُونَا سَفَاهَةً
يَقُولُونَ لَا تُعْطِ الْغَرَامَ مَقَادَةَ
لَكَ الْخَيْرُ لَا تَجْزَعِ فَمَا لَكَ حَاجَةٌ
أَلَا لِيْ غَيْرِ الْخَيْرِ لِيْ كُلِّ لَاعِجٍ
هُوَى نَازِعِ الْأَحْشَاءِ فِي مَسْتَقَرِّهَا
لَقَدْ أَضْمَرَ الْغَيْبُ الْمَضِلُّ وَصَلَّهَا
طَوِيلًا مَعَ الْأَهْوَاءِ يَدْفَعُهَا الْعَتَبُ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا الْخَمْرُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْخَطْبُ أَوْ دُونَهُ الْخَطْبُ
إِلَيْهَا وَمَا يَدْرُونَ مَا فَعَلَ الْحُبُّ
قَدِيرٍ مِنَ الْأَشْجَانِ يُضْمِرُهُ الْقَلْبُ
وَأَحَدَتْ مَا لَا يَسْتَحْتُّ لَهُ اللَّبُّ
فِيَا لَيْتَ هَذَا الْهَجْرَ أَضْمَرَهُ الْغَيْبُ

غلاة الصهباء

زارني زورةً أتيةً بها ما
قلتُ يا ظالمَ القلوبِ ترفقُ
فتمشَى الحياءُ في الخدِّ حتى
تاهَ بالعزِّ صاحبُ الخيلاءِ
بحنيني ولوعتي وبكائي
حجبتَه غلاةُ الصهباءِ!

مخادعة الهم

نحن قومٌ إذا تطرَّقنا الهمُّ
ثم ننفيه بالأزاهرِ والشَّعْـ
خدعناه بالرحيقِ المشوبِ
ـرِ ووصلِ المنى وعطفِ الحبيبِ!

العذر في الكأس

أَيُّهَا الْعَازِلُونَ فِي الْكَأْسِ مَهَلًا
قَدْ جَهَلْتُمْ عِلَالََةَ الْعَشَّاقِ
هِيَ تَبْرٌ يَحْيِي الطَّلَاقَةَ فِي النَّفْسِ
سِ وَيَمْحُو غَضَاظَةَ الْإِمْلَاقِ!

خطرات في الحياة

قنوع اليأس يجحدني رجائي
وقد غَلَبَتْ صروفُ الدهرِ حزمي
وقد سَلَبَتْ صروفُ الدهرِ مني
وقد يُغْنِي العزاءُ عن التمني
أجزع من مجالدتي الرزايا
وهمُّ النفسِ داعيةُ الرخاءِ
فجالدتُ المصائبَ بالنجاءِ
كما سلبَ البقاءُ من البهائمِ
وقد يُغْنِي الطَّلابُ عن العزاءِ
كأني لستُ في طلبِ العلاءِ!

مجلس

أَسْفَرَ وَجْهَهُ الْأَفْقَ بِالصَّبَاحِ
وَكُنَّا مِنْ مَنْتَشٍ وَصَاحِي
وَنَخْلَطُ الْوَقَارَ بِالْمِرَاحِ
فَعِرْضُنَا لَيْسَ بِمَسْتَبَاحِ
وَلَمْ نُطِغْ فِي تَرْكِهَا الْلَوَاحِي
كَأَنَّهُ يَبْسُمُ عَنْ أَقَاحِي
قُمْنَا نُحَيِّي الْفَجْرَ بِاصْطَبَاحِ
لَا نُؤَثِّرُ الْجَدَّ عَلَى الْمِرَاحِ
ثَارَتْ بِنَا إِلَى كُؤُوسِ الرَّاحِ
شَبِيبَةً تَدْعُو إِلَى الْجَمَاحِ

عناء الليل والحبِّ

ما لحدادِ الليلِ لم يخلعِ
لعلَّه يَفْرِقُ من هيبتي
وربَّ ليلٍ ملَّني جناحه
قريته من زفرات الحشا
لم يُدِمِ قلبي طولَ هجرانه
أبدلني بالوعدِ مِنْ وَصْلِهِ
إن لم أكن عن حبه مُقْلِعًا
إن لم يكن حبي له شافعي
إن أَشْفَقَ الغيْثُ على تُرْبِهِمْ
هل حيلة تصرفني عنكمُ
دلوا على عطفكمُ مولعًا
وما لعين الأفقِ لم تهجعِ
أن يخلصَ الأنداءَ من أدمعي
لو مرَّ بالمخطئِ لم يجزَعِ
فما لهذا الليلِ لم يشبعِ
لكنَّ سهمَ اللحظِ لم يُنْزَعِ
لكنني بالوعدِ لم أقنعِ
فما لهذا الصدِّ لم يقلعِ
فما لجناحِ الليلِ لم يشفعِ
أقولُ هل خانهمو مَدْمَعِي؟
فإنَّ صرفَ الدهرِ لم يزمعِ
ظمان لا يسلو ولم يطمع!

خطرات الحبِّ

حبيبُ هلْ عوتبتُ في مغرمِ
إن يك منك البخلُ مستحسنًا
لئن أراني عتبتُكم عطفةً
أعلمُ أني فيكمُ هالكُ
أثريت لما أن تجافيتمو
إن تك قد عرَّتكمُ صبوتي
أو أكُ في معتبتِي آثمًا
أو أكُ بالكتمانِ عاهدتكمُ
وبالمنى أفدي الذي قال لي
إذا الرضى أعلن في ثغره
وإن تبدى السُّخْطُ في وجهه
وإن أرمُ إرضاءه جاهدًا
لو أثم العاشقُ في حبِّه
لئن يخاصمني الهوى فيكمُ
كيف أرجي رحمةً منكمُ

فإنني عوقبتُ في ظالمِ
فرحمةُ الله على حاتمِ
فإنني أشبهُ بالنائمِ
حتى كأني لستُ بالعالمِ
من مدمعي باللؤلؤِ الساجمِ
لا تستحثوا خدعةَ الراغمِ
كيف استجزتُم زلةَ النادمِ
ما حيلتي في لغطِ الحالمِ
ما أنتَ في حبِّك بالغانمِ
فخادعُ أشبهُ بالباسمِ
فمعتبُ أشبهُ بالناقمِ
لأسكرتني نظرةُ الواجمِ
لاشتبه المظلومُ بالآثمِ
عند المنى كان الهوى خاصمي
إن كان قلبي ليس بالراحمِ؟

من كان من أسقامه وانثقا
من يجعل الحب شفيحا له
لم تستم له قالة اللائم
خاصمه الحب لدى الحاكم!

زهرة و وعد

وما زهرةُ صان الربيعُ بهاءها
بأحسنَ مِنْ وَعْدِ الحبيبِ وفرحةِ الـ
وكَلَّها الإصباحُ باللؤلؤِ النَّدي
محبِّ وقولِ العاذرِ المتوددِ

اليأس من الحب

وكيف يكونُ الحبُّ عني راضيًا
أشأيعُهُ حينًا على ما يريدُه
ولا راحة في العيش ما دُمْتُ هكذا
إذا كان طرفي خائني في دموعه
وقلبي عنه بالحوادث مشغولُ
وإنِّي لأدري أن ذلك تعليلُ
يُبغِّضُني في العيشِ يأسٌ وتأميلُ
فإنَّ فؤادي لا محالةً مدخولُ!
كأنِّي معنيّ بالإعادة مملولُ!
وضيعني القومُ الذين حَفِظَتْهُمُ

طول الليل

يا ليلُ هل وقف الفلكُ
ووقفتَ تلتمس الطربِ—
ولقد ثقُلتَ على المحبِّ
بيني وبينك يا ظلاً
يا من أباح مقاتلي
لولاك ما عدلَ الحسو
لو كنتَ مُحْتَكِماً عليّ—
لو كنتَ تقضي بيننا
أم هل دليلك قد هلكُ؟
قَ فساءَ ظنُّ الصبِّ بكُ
فهل ثقُلتَ على الحُبِّ؟
مُ وبين طرفي مُعْتَرَكُ
وأحلَّ في صدري الضنَّكُ
دُ على هواكَ ولا محكُ
نَا لانتصرتُ عليكِ بكُ
لشكوتُ عُدَّالي إليكُ!

عفة الطرف

لو أن طرفي فاسقٌ لعلمت أني عاشقٌ
أغضي لحاظي عفةً لكنّ دمعي ناطقٌ
إنّ المحبّ مسشردٌ فكأن نومي عاشقٌ!

لحن يتمشى بالألم

مطربي الحيّ تعالوا أيقظوا
واحدروا من رقة السامع أن
ربة الدلّ على وقع النغم
يتمشى اللحن فيه بالألم!

الأمني حدق

يذكرنيك ضياءُ الهلالِ إذا ما الهلالُ بدا في الغسقِ
فإن تكُ قد غبَّتَ عن ناظريَّ فإنِّي تَخَذْتُ الأمني حدقُ!

الخمود والجمود

قد أداروا من الخمود عقارًا
واستكانوا فأنفذ الدهرُ فيهم
سلكَ العجزُ فيهم مسلكَ العزِّ
ليتني متُّ قبل أن أنكرَ العيبَ
واستباحوا من الذهولِ وقارًا
حُكْمَه واستردَّ ما قد أعارًا
م فظلوا يروُنَ في المجد عارًا
شَ ولكنني فقدتُ الخيارًا
لأ أسبغُ الحياةَ إلا اضطرارًا
إنما يُنكرُ المفيقُ الخمارًا
يا بني مصرَ والمذلةُ عارُ

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أني هالك
وأجهل أسباب الهوى غير أنني
محبتك لو تدعوه والنار بينه
بحبك فابعث في المنام خيالكا
أسائل عنها مقلتي وجمالكا
وبينك تبغي موتة لسعي لكا

الروض والهجير

بعثَ الهجيرُ إلى الزهورِ نسيمةَ
خلسَ الهجيرُ إلى الزهورِ حياتها
ودتْ ذواتُ الحُسنِ أن لبوسها
بتنفسُ كتنفسِ الولهانِ
فغدتْ كطرفِ الناعسِ الفتانِ
مِنْ نَسجِ ذاكِ الرائعِ الألوانِ

معاني النظر

لها نظرٌ جُمُّ المعاني إذا رنّت
سألت فؤادي أيُّ معنَى تريدهُ
إذا نظرت طاحت بقلبي نشوةٌ
فينحل معقودَ العزاءِ جليدهُ

شفق الغروب

وكانما شَفَقُ الغرو
بِ إِذا استقرَّ على الغديرُ
خَجَلُ المليحةِ يومَ يَجُـ
لِوها الزفافُ إلى السريزُ

الحياة قمار

إِنِّي رَأَيْتُ الْمَسَاعِيَ فِي مَصَادِرِهَا وَالنَّاسَ مَا بَيْنَ مَهْمُومٍ وَمَسْرُورٍ
مُقَامِرٌ ظَافِرٌ رَاضٍ بِقِسْمَتِهِ وَآخِرٌ نَاقِمٌ فِعْلَ الْمَقَادِيرِ

الخاطر والزمن الخالي

يمرُّ بي الخاطرُ في شَجْوِهِ على هَوَى فاتٍ وعهدٍ قديمٍ
كما تجول الريحُ في مَرِّها بدارسٍ رتِّ ذليلِ الأديمِ

التَّبَاتُ

ثَبَاتًا فَإِنَّ الْعَارَ أَصْعَبَ مَحْمَلًا
وإن تحسبوها خَطَّةَ الطَّيْشِ إِنَّا
فإن رَوَّعُونَا كِي يَقُودُوا أَشِدَّةً
فَمَا زَادْنَا التَّرْوِيعُ إِلَّا حَمِيَّةً
سِيَهْزِمُهُمْ مِنَّا أَبُوهُ مَا جِدِ
فِيَا قَوْمٍ لَّا حَقَّقْتُمُو قَوْلَ عَازِبِ
أَقِيمُوا بِنَا نَهْجَ الطَّرِيقِ لِغَيْرِنَا
مِنَ الذَّلِّ لَّا يُفْضِي بِنَا الذَّلُّ لِلْعَارِ
ذَوِي الْعِزْمِ لَّا نُغْضِي لَصَوْلَةِ جِبَّارِ
ثَبَّتْنَا عَلَى التَّرْوِيعِ نَلْهُو بِأَخْطَارِ
وَهَلْ حَسِبُوا أَن يُطْفِئُوا النَّارَ بِالنَّارِ
وَهَمَّةُ خَطَّارٍ وَعِزْمَةُ مِقْدَارِ
عَنِ الْحَقِّ يَسْتَخْبِي الرِّيَاءَ بِأَعْذَارِ
فَإِنَّا بَنِي الْأَوْطَانِ كَالْجَارِ لِلْجَارِ

الحب أعمى

يا رئم هل للوفاء مُرتَجَعُ
وإن رأيتَ المحبَّ ذا ضَرَعِ
وليلة بالنجومِ حالية
ضنَّ بها الدَّهْرُ أن يزوَّجَها
فالحبُّ أعمى يقودُه الطمَعُ
ففي الصبا لا يُشِينُهُ الضرعُ
رعِيَتْها والفؤادُ منصدعُ
فجاء نورُ الصباحِ يفترعُ

لغز الحياة

إذا كان في موتِ الفتى راحةً له
عجبتُ لهذا الدهرِ إمّا يغرُّنا
وإمّا شقاءً ليس يُرَجى نفاذهُ
أنضحكُ أم نبكي وهذا زماننا
فأى رجاءٍ في الحياة يريدُه
ببعض المُنَى حتى يرَجى حميدُه
تمرُّ علينا خيلُه وجنودُه
عجيبٌ لدينا وعدُه ووعيدُه

دواء الملل

ملتُ فكان العتبُ مني سفاهَةً كلانا له ممن يملُّ بديلُ
ولولا خداعُ شابٍ طَبَعَكَ لم يَكُنْ إليك لمن يبغي الوفاءَ سبيلُ

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسعى
إذا لاحت أوائله ابتهجنًا
أمنًا صولة الأيامِ لَمَّا
إذا ظمى الفؤادُ إلى بهاءِ
شربنا باللواحظِ ما رأينا
بهاءِ أخذ بالنفسِ يسطو
يميلُ الغصنُ من طربِ إلينا
ومرأى النجمِ من خللِ الغصونِ
كسعيِ العامدينِ إلى يسارِ
كأنَّا قد نجونا من إيسارِ
رأينا الروضَ محمودَ الجوارِ
فإنَّ الروضَ يذهب بالأوارِ
من الحسناتِ والطرفِ الكثارِ
بمثلِ الخمرِ مأمونِ الخمارِ
كأنَّ الغصنَ مخلوعُ العذارِ
كمرأى الحُسنِ من خللِ الستارِ

البرق

شَبَّ برقٌ في فحمةِ الليلِ ماضٍ شَبَّ في أضلعي لهيبَ الغرامِ
أنت لحظٌ من الحبيبِ إلينا أم مُغيِّرٌ من طائشاتِ السهامِ!

أمنية

ولقد قلتُ إذ رأيتُ حبيبي
ليتني في خلال بيتِ رقيقِ
يتغنى بظرفَةٍ من شعري
لائمًا نغره بأطرافِ نغري!

جسم وقبر

ليس جسمي الذي تَرَوْنِ وَلَكِنْ ذَاكَ قَبْرٌ لِمَا تَكُنُّ الضَّلُوعُ
من شجونٍ ولوعةٍ وإدكارٍ وهمومٍ تتَمُّ عنها الدموعُ!

النجوم

لَعَمْرُكَ مَا أُدْرِي أَتَلُكُ أَزَاهِرُ
وَيَبْعَثُنَّ نَحْوِي بِاللَّحَاطِ كَأَنَّمَا
مَفْتَحَةٌ أَمْ قَدْ رَأَيْتُ أَمَانِيَا؟
يُرِدُّنَ لِيَعْرِفَنَّ الَّذِي فِي فَوَادِيَا!

نصيب قليل

اجعلِ الدمعَ والسهادَ نصيبي
حسبِ الصّدِّ أن يميلَ بقلبي
واجعلِ الطيفَ عاذلي ورقبي
لست أصبو إلى الملالة والهَجِّ
ذي شجونٍ عن أن يراك حبيبي
رِ ولو قلَّ في هواك نصيبي

الروض والحب

زارنا والليلُ منبسطُ
قُمْتُ أسعى نحوَهُ جدلاً
ثم عُجْنَا نحوَ حَالِيَةِ
وغناء الطيرِ يُطْرِبُنَا
فرأينا طلعةَ الشمسِ
وأفدِّي النفسَ بالنفسِ
ببديعِ طيبِ العرسِ
كالخواني ليلةَ العرسِ

صديق عدو

تتأوشني الوشاة فأدريها
ولكن أنت مغفرها المتين
وكيف أصيب أعدائي رماء
وهم يحميهم الدرع الحصين؟

كلمة في الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذري الدمع من شجنِ
ألبستهُ من سوادِ الحزنِ ضافيةً
فكرٌ كأنّ ملاك الوحي يُسعدُهُ
إذا ظفرتَ بمعنى كان موقعُهُ
قد اجتبييتَ من الأراءِ أشرفها
كأنّ قلبك مدلولٌ على العبرِ
فخلتُها من سوادِ القلبِ والبصرِ
موكّلٌ بصروفِ الدهرِ والغيرِ
أذّ من وقعاتِ النجحِ والظفرِ
حتى كأنك معنى الصدق في الخبرِ!

إلى صديق

سامر الليل بابنة العنقودِ
خُلِدَتْ في الدنانِ حتى لقد أَرُ
وُئِدَتْ كي تعيشَ حتى لقد حا
وتَعَدَّتْ مدى الصفاءِ فكادَتْ
مستحيلُ النديدِ منقطعُ القرِ
متقَصِّي البيانِ يَعْضُدُهُ الحَقُّ
أنتَ قد قُمتَ بالنتيرِ وَلَكِنِ—
واطمانَّتْ بكِ البلاغةُ حتى
وفضُلْتَ الورى فلو نُظِمَ الكَوُ
وأدرها تُرْحُ فؤادَ العميدِ
بَتَ سُنُوها على مدى التخليدِ
لَتَ وَجُلَّتْ عن هيئةِ الموجودِ
أن تُوَازِي مِنْ خُلُقِ عبد الحميدِ
ن لذي مَاقِطِ البيانِ الشديدي
برأيِ في النائباتِ سديدي
ك أزرَيْتَ فيه بابنِ العميدِ
نَسِيتَ عَهْدَها بعد الحميدِ
نُ قصيدًا لَكُنْتَ بيتَ القصيدِ!

موعد

موعدٌ يجذب الفؤادَ إليه
ووصالُ أشهى لديّ من النجـ
يا حبيبي لقد أقامَ بنا الهجـ
سأذمُّ الزمانَ حتى يحينا
ح سأفني الرجاءَ حتى يكونا
رُ على حُكمه فكيف رَضينا؟

الخمول

إني وإن كنتُ منبوذًا بمنزلةٍ ينمُّ فيها الرضى عن موضعِ العجبِ
لذو فؤادٍ ذكيّ الطبعِ مختبيئٍ بين الضلوعِ اختباءَ البرقِ في السحبِ!

عذير الحب

غال قلبي بالصدِّ حين تخلَّى
إن يكن للعدول فيه عذيرٌ
أتراه يضمن بالوصلِ بخلاً
فالعמיד الشجِيُّ بالعدرِ أوْلَى!

عذاب ونعمة

مَنْ استعار النومَ من ناظري
إِنْ فَنَدُوا السَّاحِرَ فِي فَعْلِهِ
وَرَدتْ ظَمَانًا فَلَمْ أَرْتَوْ
إِنْ يَعْقِبَ الصَّبْرَ رَجَاءً فَمَنْ
إِنْ لَمْ يَجِدْ لِي عَاقِلٌ حَيْلَةً
إِنْ يَجْعَلُ الحَبَّ شَفِيعًا لَهُ
إِنَّ عَذَابَ الحَبِّ لِي نِعْمَةٌ
وَمَنْ أَبَانَ العُذْرَ للعَاذِرِ
فَإِنَّ سَقَمِي حِجَّةُ السَّاحِرِ
مَا أَشْبَهَ الوَارِدَ بِالصَّادِرِ
يُؤْمِنُنِي مِنْ مِيتَةِ الصَّابِرِ
مَا حَيْلَةَ المَخْتَبِلِ الحَائِرِ
فَالحَبُّ طَوْعُ الحَاكِمِ الجَائِرِ
وَجَا حُدُ النِّعْمَةِ كَالكَافِرِ!

في التبسط

أَدِرِ الكَأْسَ فَقَدِ طَابَ الصَّبُوحُ
وَأَفْتَرِغْهَا نَصْطَبِحَ مَوْعُودَةَ
عَاطِهَا أَغْيَدَ مَعْسُولَ اللَّمَى
جَاءَنَا يَمْشِي بِعَطْفِيهِ الصَّبَا
لَا تُطْعُ فِي تَرْكِهَا قَوْلَ النَّصِيحِ
خُلِدَتْ فِي دَنِّهَا مِنْ عَهْدِ نُوْحِ
نَاعِمَ الْأَطْرَافِ كَالرَّئِمِ السَّنِيحِ
جِيئَةَ النُّومِ إِلَى الْجَفَنِ الْقَرِيحِ
مِثْلَ مَا يَلْفِظُهُ الطَّبِيُّ الذَّبِيحُ!

إلى عالم جليل

إِنِ الْمَقْرَّ بِمَا أُوتِيَتْ مَجْهُودُ
قَدْ قُفِّمَتْ بِالْبِشْرِ حَتَّى قِيلَ بَارِقَةٌ
وَأَلْبَسَ اللَّهُ مِنْكَ الدِّينَ حُلَّتَهُ
مَنْ يَنْكِرُ الضَّوْءَ وَاللِّصْبَاحَ مَشْهُودُ؟
وَقُفِّمْتَ بِالْحَلْمِ حَتَّى قِيلَ جَلْمُودُ
كَأَنَّمَا هُوَ سِرٌّ فَيْكَ مَوْعُودُ

إلى صديق

لا بد لي منك مهجورًا ومودودًا
وإن تكن لستَ تدري كيف تحفظنا
فاكفُفْ ولست بما تجنيه مجهودًا
على الوفاءِ فقد سيمناكَ تقليدًا

لقاء على صد

سائلٌ بليلي هل أوي بأخره
كم خفتُ صبري على من ليس ينصفي
أبيتُ منبعثَ الآمالِ يحرسني
ونمَّ بالحبِّ لما زارني هطلُ
نبيتُ يلهو بنا صدٌّ وعاذلنا
خوف اغتماضي لما ملني السهدُ؟
والآن إن رمْتُ صبرًا خانني الجلدُ
من السلوِّ فؤادٌ ملؤه كمدُ
من الدموعِ ونمتَ بالسلامِ يدُ
يبيتُ منْ وهمه يلهو به الحسدُ

حُبُّ من لوازم الحياة

شَكَوْتُ إِلَيْهِ هَجْرَهُ فَتَعَلَّلَا
وَوَافَقَهُ لَيْنُ فَارْحَى لِحَاظَهُ
وَإِنِّي لِيُغْرِينِي بِحَبِيهِ أَنِّي
وَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ يَضْحَجَّ عَوَاذِلِي
وَمَا رَغْبَتِي فِي الْعَيْشِ إِلَّا لَأُنِّي
إِذَا مَا خَلَا قَلْبِي مِنَ الْحَبِّ طَرْفَةً
وَإِنْ هَجَرَ الْحَبُّ الضُّلُوعَ زَهَادَةً
فَمَا جَاءَ دَاءُ الْحَبِّ إِلَّا مَخَادِعًا
يُرْجِّي الْمَحْبُونَ الْخُلَاصَ مِنَ الْهُوَى
وَحَقَّ لِمَنْ أَهْوَاهُ أَنْ يَتَدَلَّلَا
لِيُطْلَقَ طَرْفًا رَاجِيًا مَتَدَلَّلَا
لَثَمْتُ بِثَغْرِي ثَغْرَهُ فَتَهَلَّلَا
إِذَا كَانَ وَصْلٌ مِنْهُ يَشْمَتُ عُدْلَا
أُؤَمِّلُ أَنْ أَهْوَى حَبِيبًا مُؤَمَّلَا
تَقَبَّلَ دَاءَ الْيَأْسِ فِيمَا تَقَبَّلَا
تَرَحَّلَ قَلْبُ الصَّبِّ فِيمَا تَرَحَّلَا
وَمَا رَاحَ دَاءُ الْحَبِّ إِلَّا لِيَقْتَلَا
وَأَرْغَبُ أَنْ أَبْقَى الْمَحَبَّ تَلَا

الهوى

راحةُ الهوى تعبُ
لم يدع بنا رمقاً
وأعزَّ مطلبُهُ
الحبيبُ محتكمُ
بالعتابِ منعطفُ
للعيونِ مختطفُ
غاضبٌ ومن عجبِ
إن بكيتُ منتحباً!

واحتماله عجبُ
إن صدقه كذبُ
أن جدّه لعِبُ
فالقلوبُ تضطربُ
بالدلالِ منسحبُ
للقلوبِ مختلبُ
يستجثني الغضبُ
يستميله الطربُ!

في التبسط

رَبِّ لَيْلٍ لَبِسْتُ مِنْهُ شَعَارَ الْـ
قَدْ لَهَوْنَا فِيهِ بِطَيْبَةِ الْأَنْـ
رَوَّضَتْهَا السَّقَاةُ بِالْمَاءِ حَتَّى
ثُمَّ صَارَ الزَّجَاجُ مِنْ عِنَصِرِ النَّوْ
حُزْنٍ حَتَّى أَبَحْتُ فِيهِ السَّرُورَا
فَاسَ مَلَأَ الْكُؤُوسَ نَارًا وَنُورَا
خَلْتُ فِيهَا السُّكُونَ شَيْئًا سَتِيرَا
رِ وَصَارَ الْمَزِيحُ فِيهِ ضَمِيرَا!

مغرم أم مغرم

لَأَثْرَيْتُ مِمَّا أَعَانِي لَوْ أَنَّ الْهَوَى مَغْنَمٌ
شَجَاهُ الَّذِي قَدْ شَجَانِي وَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَذُولَ
كَفَيْلٌ بِمَا قَدْ دَهَانِي فَيَعْلَمُ أَنَّ الْهَوَى
وَأَفْنَيْتُ فِيهِ الْأَمَانِي تَحْمَلْتُ فِيهِ الْجَوَى
بِمَا جَرَّ صَرْفُ الزَّمَانِ! فَمَا كَانَ إِلَّا الرِّضَى

الحياة

ما أَشْبَهَ الحُزْنَ بالسُرورِ وأشبهَ المَكْثَ بالمرورِ
وما أخالُ الحياةَ إلّا كجولةِ الفكرِ في الضميرِ

العزير تَعَلَّة

كُلُّ مَا كَانَ عَزِيرًا فَهُوَ لِلنَّفْسِ تَعَلَّةً
وَمَمَاتُ الْمَرْءِ رِزْءٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ نَلَّةً

كان الخداع وكنت الحذار

محَبُّ يَخَادِعُ فَيْكَ الْوَقَارَا
وَلَوْلَا الْوَثُوقُ بِفَضْلِ الْوَفَاءِ
وَبَادِرَةُ ذَهَبَتْ بِالْعِزَا
لَقَدْ جُلَّتْ فِي غَفَلَاتِ الزَّمَانِ
وِخْلٌ أَعَانَ عَلَيَّ الْهَمُومَ
وَيَسْأَلُ عَنْ قَلْبِهِ أَيْنَ سَارَا
لَمَا كَانَ يَحْسِبُ فِي الْهَجْرِ عَارَا
ءِ لَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ فِيهَا قَرَارَا
فَمَا أَعْقَبَ السَّعْيِ إِلَّا عَثَارَا
فَكَانَ الْخِدَاعُ وَكَانَتْ الْحَذَارَا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارتُ له أملاً
وأعِينُ أزرى بها سهداً
وَأَمِلُ بِالْجَهْلِ مَمْتَعٌ
وَالْمَرْءُ إِنْ يَعْرِضُ لَهُ قَدَرٌ
وَأَلْسُنُ قَدْ هَجَنَهُ عَذلاً
فَأَرْسَلْتُ مِنْ دَمْعِهَا هَطلاً
لَوْ يَعْلَمُ الْمَأْمُولُ مَا أَملاً
يَضِلُّ فِيهَا يَبْتَغِي الْحَيْلاً
مَنْ سَاكِنٌ يَهْتَاجُ لِي خَبلاً
أَرْجُو إِيبَاً بَعْدَ مَرْزِيَّةٍ

ليلة نحسٍ وليلة سغدٍ

هل أثارَ الخيالُ داءً دخيلًا
واستعار السهادُ عيني وقد أطـ
وكأنَّ الأوهامَ من عنصرِ الحبِّ
طال عهدي بذلك الليلِ يا صُبـ
خَبَّرُونِي أينَ القبيحِ إذا كا
يا عميدَ الهوى إذا ما تَحَرَّجـ
وإذا كُنْتَ لستَ تعلم ما الحبُّ
قد بَنَتْهُ النسيمَ ما بي وقد هبَّ
سَمَّنتي الأحوالُ إِنِّي قَدْ صِرُ
غفل الدهرُ يا حبيبي فقمُ نَنـ
ونكتِّم عن الحواسد سرًّا
ونُبَادِرُ قبل الحوادثِ آما
إحتوانا الدجى فقم يا حبيبي

فاستحال العزاءُ إلَّا قليلًا
لقَ نجمُ السماءِ طرفًا كليلًا
فليست تزولُ حتى يزولًا
حُ فكنُ لي من الظلامِ بديلًا
نَ اصطباري عن الحبيبِ جميلًا
تَ فكنُ واصلًا شفيقًا منيلًا
تَخَذَنِي على الوفاءِ دليلًا
فصار النسيمُ مثلي عليًا
تُ على الحادثاتِ حملًا ثقيلاً
فضَ زمانًا دون الوصالِ طويلًا
جَلَّ أَنْ نَدْعُوهُ شيئًا جليلًا
لَا ونشفي صباةً وغليلًا
نتخذُه إلى الوصالِ سبيلًا!

استعطاف

تَعَرَّفَ عَقِيدَ الْفَضْلِ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنِّي إِذَا لَمْ تَحْتَفِظْ بِي نَازِعٌ
ضَمَنْتُ لَكُمْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي مَوْدَةً وَإِنَّ مَوْدَاتِ الْقُلُوبِ وَدَائِعٌ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ ذَاكَ الَّذِي قَدْ عَرَفْتَهُ لِأَبْعِدَنِي عَنِ مَنَهْلِ الذَّلِّ وَازِعٌ
وَلِي عَزْمَةٌ غَرَّاءُ يَصْدُقُ سَعْيُهَا وَلَيْسَ بُوغْدٍ مَا تَكُنُّ الْأَضَالِعُ

إلى صديق

ما كلُّ ناءٍ عن الأحبابِ بالنائي
إن كان يُعوِّزُكُمْ ما ترحمون به
يا حبذا العيش والأحوال مسعدةٌ
وكنت كالأمل الممدودِ جانبُهُ
ضمنت كلَّ جليلٍ يُستعزُّ به
وكم بغيضٍ تردَّى من معايبه
فلست أُغمضُ عيني بعد نايكُمْ
ففي التذكر خطُّ الناعمِ الرائي
هلا استعرتم من الأضلاعِ أحشائي؟
كأنما جرعت من كأسِ صهباءٍ
في ليلةٍ للعوادي ذاتِ أنواءٍ
من الفضائلِ إلّا النطق بالراءِ!
ضمنت في العين منه بعض أقداءٍ
ولست أفتُحها إلّا على داءٍ

في معلم جاهل

لا تلوموا الشيخَ الجليلَ على ما
إنما همُّه التَّكسُّبُ بالآ
عَمَّةٌ فوق رأسه تُشْبِهُ الوَرَّ
كان منه في مجلسِ التدريسِ
ي وخطفُ الرغفانِ يومَ الخميسِ
دَّةٌ فوق التُّرْبِ الذليلِ الخسيسِ!

ذكري زورة

ألم تر أنّ الحبَّ غيرَ حالِيَا
لئن بقيتَ نفسي ولم يأنِ يومُهَا
وكيف أرجي في الأمانِي عَالَةً
ولم أنسَ يوماً زارني بعد هجعةٍ
لمستُ بكفي خدّه فحسبتهُ
يعاتبُ ذا شجو فيبسم سالمٍ
أذلُّ ويناى بالدلالِ وبالجفا
وأوردني الإدلالُ ما كُنتُ خاشِيَا
فما هو إلّا أن تملَّ الأمانِيَا
وقد منَعَ الهجرانُ ما كنتُ راجِيَا
فجاء بابلالي وطول بلانيَا
يُفتَحُ فيه الزهرُ غصًّا وزاهيَا
فهل كان يستمري لذيدَ عتابيَا؟
فقلتُ له يا ليت ما بك ما بيَا!

رثاء عزيز

ما لعيني ترى الضياءَ ظلامًا
ولقلبي كأنه مستزارٌ
يا جديرًا بأن أكونَ شجيًّا الـ
أنزلتكَ الأحداثُ قلبي وقد كُنـ
كنتَ في العيشَ منظرًا يبعثُ البشـ
ولجنبي يرى الرقادَ حرامًا؟
لا يحلُّ الضلوعَ إلا لمامًا
قلْبٍ فيه هل اتقيتَ الحمامًا
تَ لسمعي وناظري قوامًا
رَ وللنفسِ بهجةً واعتصامًا

المحب الهالك

سَتَرَى النَّاسَ حَوْلَ قَبْرِ—
وَعَدَا يَسْتَرِيحُ مَنْ
كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الْهَوَى
وَإذْكَرِ الْعَاشِقَ الَّذِي
نَسَبُوا شِقُوتِي إِلَى
ظَلَمُونِي لَوْ أَنْصَفُوا
—بِرِّي يَبْكَونَ هَالِكًا
خُنْتَهُ فِي خِيَالِكَا
لَا تَدَعُهُ بِبَالِكَا
مَاتَ صَبْرًا بِذَلِكََا
حَسَنٍ مِنْ دَلَالِكَا
زَعَمُوا غَيْرَ ذَلِكََا!

في شاب يدّعي سعة الاطلاع كذبًا

قُلْ للذي حسبَ العلومَ رغبةً
ما زِلْتَ تقرأ كلَّ سفرٍ وارمِ
لا يجتبيها المرءُ إن لم يكذبِ
حتى قرأتَ اليوم ما لم يُكْتَبِ!

الْحَبُّ يُدْعَمُ بِالْحَبِّ

رعى الله محبوبًا أعان محبَّه
حبيبي سلِّ العُدَّالَ في غير عطفة
فيا فانتًا لولاه قامت هواجسُ
عهدتك نعمى للاله وتحفةً
وما أنتِ إلَّا السعد في السخِطِ والرضى
على ما به والودُّ يُدْعَمُ بالودِّ
إذا عابني العُدَّالُ هل وجدوا وجدِي
بنا لا نقيم القلب في منزلِ الصِدِّ
لمن بات مخذول الفؤادِ على جهْدِ
وما أنا إلَّا الشوق في القربِ والبعدِ!

المجادلة

وعاوي عوى والحق بيني وبينه
أعوذ بحزمي أن أنزلَ مثلهُ
فألقيته البطل الذي هو قائلهُ
ويأبى رقيب الحق أن لا أنزلهُ!

حنين واشتياق

أنتكر ما بي وأنت الحبيبُ
حننتُ إليك فلولا الضلوعُ
وتجهل دائي وأنت الطبيبُ؟
لطار إليك الفؤاد الطروبُ
دهنتي حوادثُ هذا الزمانِ
فما بال قلبك لا يستريبُ؟

داء أم دواء

أبحثُ فؤادي للهوى وسبقته
وليس نصيبي أن تكونَ مواصلي
شقيتُ ولكنْ في الشقاءِ سعادةٌ
فدمعي على حقِّ الصبابةِ مسعدي
فإنْ كنتُ مسحورًا فأنتَ تميمتي
أبيتُ كأنَّ الليلَ صبَّ سوادهُ
إليه ولم يعلم بذاك رقيبِي
ولكن نصيبي أن تكونَ حبيبِي
وليس شقائي في الهوى بعجيبِ
وقلبي إلى ما لا يريب مجيبِي
وإنْ كنتُ معلولًا فأنتَ طبيبي!
عليَّ فأخفي والدموعُ تنثي بي!

إسعاد الهوى

يا حبيبي إن لم أكن بك مسعو
اغتتمني فإنني بين قلبي
دًا فماذا يرجو العواذلُ منَّا؟
ومقالِ العذولِ فيك مُعَنَّى!

إلى أديب

حمدنا فيك ما قالَ البشيرُ
ولكنَّ العظيمَ إذا تلظى
وبادرةٍ إليك أقيمت فيها
ولولا عزيمةٌ لك وانبساطُ
فلا تخشَ مراغمةَ الليالي
ولا تحمِلْ يراعَكَ عن دعيِّ
وأنكى ما يكون المرءُ يوماً
إذا أخذَ البعيدُ عليك أمراً

وقبل اليوم برأكَ الضميرُ
على مكروهةٍ شمتَ الحقيِرُ
كأنَّ الحقَّ ليس له نصيرُ
لدى الأحداثِ أخطأكَ العثورُ
فإنَّ البدرَ يلزمه السفورُ
فإنَّ المرءَ يُطغيه الغورُ
إذا كان العذولُ هو العذيرُ
فلا يزري بك النظرُ الحسيرُ!

كلماتُ العَواطِفِ

(وهي قصيدة من الشعر المرسل، فيها يشرح الشاعرُ ما يُحزِنُه من أمور الحياة، ومواقع هذه الأمور من عواطفه؛ ويطمح إلى حياة أكمل من هذه الحياة، وأسعد حالاً، وأكثر إنصافاً.)

الِإِهْدَاءِ

إذا لم يَغْذُهُ الشوقُ الصحيحُ	خليلي والِإِخاءِ إلى جفاءِ
وقد نبلوا المرارةَ في الثمارِ	يقولون أصحابِ ثمارِ صدقِ
فجاء بك الزمانُ كما أريدُ	شَكَوْتُ إلى الزمانِ بني إِخائي
له خُلُقٌ يضيقُ عن الرِياءِ	أراني قد ظفرتُ بذِي وفاءِ
كأني قد جرعتُ من العقارِ	أظُلُّ إذا رأيتك مستفزاً
وتنتبت في أجنحة النسورِ	يؤم بي العلاءُ أخو وجيفِ
وقد يهدى الصديقُ إلى الصديقِ	تَقَبَّلْ طرفة لك من خليلِ
أصاب الفضلُ في المحضِ اللبابِ	فإن أكُ محسناً فلربَّ غرِّ
من الخطأِ المُبينِ عن الصوابِ	وإن أكُ مخطئاً فالفضلُ يوتى
إذا عَجَزْتُ تَعَرَّضْ لِلتَهْدِي	لعلك واجدٌ عذراً صريحاً
فقد يُهْدَى النظيمُ إلى الحبيبِ	وإن تُهَدَّ الزهورُ إلى ربيعِ

رأينا الشكَّ يثبت في اليقين
وتقضي للقويِّ على الضعيفِ!
وترحم كلَّ جبارٍ عنيفِ!
على صافي السريرة من دهاءِ
تحامقَ من عواقبه الحليم
يفيض النفس في الوادي البعيدِ
يميل به الودودُ عن الودودِ
كأنَّ الحسنَ من عدد البلاءِ
ويا لك من نعيمٍ في شقاءِ!
يذيق العز في خطراتِ بالِ
بمُقَصِّ بعضِ آمالِ الطموحِ
كمنزلة البشائر في الربيع
بقاتلِ هَمَّتِي ومُمِيتِ شاني
وفي الأرزاءِ إعلاءً لناسِ
على عللٍ تعهده بماء
فعدت غصّةً تأتي بداء
فيأسرُ طيبُهُ أنفَ المشوقِ
تمرُّ كأنها ورقُ الخريفِ
جناحِ الذلِّ مأمون الحفيفِ

بَلَوْنَا سَهْمَةَ الْأَيَّامِ حَتَّى
تَقِيمُ السُّخْلَ فِي سَبْلِ الضُّوَارِي
وَتَغْفِرُ زَلَّةَ الْمُثْرَى الْمَفْدَى
وَتُسْعِدُ ذَا الدَّهَاءِ بِمَا جَنَاهُ
وَتَقْصِدُ صَاحِبَ التَّقْوَى بِأَمْرٍ
تَلِيحٍ لِمَصْحَرٍ بِالْأَلِّ حَتَّى
وَتَوَدُّعُ فِي نَفُوسِ الصَّحْبِ شَكًّا
وَتُشْقِي أَنْفَسًا بِالْحَبِّ حَتَّى
فِيَا لَكَ مِنْ شَقَاءٍ فِي نَعِيمٍ
تَمُدُّ لَأَمَلٍ أَمَلًا عَرِيضًا
وَمَا صَرَفَ الزَّمَانَ وَإِنْ تَمَادَى
وَمَنْزِلَةَ الرَّجَاءِ مِنَ الْمَسَاعِي
لِعَمْرِكَ مَا النِّعِيمُ وَلَا أَخُوهُ
وَكَمْ فِي الْعِزِّ مَفْسَدَةٌ لِقَوْمٍ
وَكَمْ غَرَسٍ كَرِيمٍ لَيْسَ يَنْمُو
وَكَمْ مِنْ جُرْعَةٍ كَانَتْ شِفَاءً
وَإِنَّ الْعَوْدَ بِالْإِحْرَاقِ يَذْكُو
وَأَيَّامَ تَتَأَيُّ الْوَصْلُ عَنْهَا
أَضَاعَتْ عِزَّتِي الدُّنْيَا وَأَمْسَى

أيحسدي على صبري أناس
وكم من كُرْبَةٍ هَجَمَتْ عَلَيْنَا
وَإِنَّ الْقَرَّ يَتَّبِعُهُ حَرُورٌ
وَإِنَّ الْعُودَ بَعْدَ الْعُرْيِ يُكْسَى
وَكَانَتْ ضَيْقَةً فَأَقَمْتُ فِيهَا
«فَقُلْ لِلشَّامَتِينَ بِنَا أَفِيقُوا
رِعَاكَ اللَّهُ يَا وَقِعَ الرِّزَايَا
تَعَهَّدْتُ الْمَنَى بِالشَّكِّ حَتَّى
وَعَلَّمْتُ الْعَظِيمَ وَإِنْ تَأَبَّى
وَلَمْ تَتَطَّرِقِ الْمَسْكِينَ حَتَّى
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَبْلُغْ رِشَادًا
لِحَاكِ اللَّهُ يَا حَدَثًا دِهَانًا
أَطْرَبُكَ الشَّهِيقُ إِذَا تَعَالَى
لَقَدْ عَلَّمْتَنَا ذَمَّ الْعَوَادِي
كَأَنَّكَ يَا جَلِيدَ الْقَلْبِ آتٍ
تُطَامِنُ لِلنَّوَابِ إِنْ تَمَادَتْ
وَلَوْلَا الْمُجْدِبُ الْمُنْحُوسُ يَعْدُو
لَقَدْ قَالَ السَّلَامِيُّ بَيْتَ شَعْرٍ
«تَبَسُّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا
وَلَيْسَ الصَّبْرُ مَحْمُودَ الْمَذَاقِ
فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتَ جَعَلْتَ تَزُولُ
وَجَنُحُ اللَّيْلِ يَفْرِيهِ الْهَلَالُ
وَمَحَلُّ الْأَرْضِ يَسْعُدُهُ السَّحَابُ
مَقَامَ الْبَدْرِ أَضْمَرَهُ السَّرَارُ
سَيَقْلَى الشَّامَتُونَ كَمَا لَقِينَا»
فَرَبِّ فَضِيلَةٍ لَكَ لَا تَذَالُ
أَقَمْتَ الْغَافِلِينَ عَلَى انْتِبَاهِ
مَعَانَاةِ الطَّوَارِقِ بِالدَّوَاهِي
أَفِيضْ عَلَيْكَ مِنْ نُورِ الْبَالِهِ
غَوِيٌّ بَاتَ يَكْفُرُ وَهُوَ لَاهٍ
وَكَنَّا قَبْلَ ذَلِكَ غَافِلِينَ
وَأَصْوَاتِ الْكَوَاعِبِ وَالْبَنِينَا؟
وَأَدْرَارِ الرِّجَالِ الْبَاخِلِينَا
لِنُوقِظَ رَحْمَةً هَجَعْتَ سَنِينَا
فَلَوْلَا الْحَزَنُ مَا عُرِفَ السَّرُورُ
عَلَيْنَا مَا اسْتَقَامَ لَنَا النُّضِيرُ
يُرِدُّهُ الْخَلِيْعُ مِنَ الرِّجَالِ:
رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذَّنُوبِ»

وإنَّ العفو موقعه عزيزٌ
فلا تتلمَّ ضميرك بالدنيا
نقمتُ من الزمان دنوَّ صرفٍ
ولم أقر الحياة سوى انتقاصٍ
لم ترَ بئسًا لاقى المنايا
فلو أن الحياة على انتظامٍ
جُهِينُ أَنْتِ مُخْبِرَتِي أَهْدِي
وهل ضمن البقاء من المعاني
نُسَائِلُهُ فيخدعنا مرارًا
نرى في اليوم ما هو في أخيه
ولولا عصب أعينها لكانت
ولولا خدعة الأمل المرجى
وليس العيش إلَّا ما نعمنا
إذا سَقَطَ العجوز على نعيمٍ
بكائي أن أرى رجلًا لئيمًا
فإنَّ حَرَكَتَهُ للعرْفِ يومًا
«أترثي للعباد — وأنت منهم —
بكائي إنني أغدو غريبًا
بكائي إنَّ لي طبعًا أبيًا

وقوع القطر في الروض الأنيق
وهل شيء أرقُّ من الضميرِ
له جذب يقعق بالشنانِ
فهل يثني الزمانُ على بياني
ولم يذُقِ المريء من الحياة
لَأَخْصَبَ مَحَلُّهُ ورعى الأمانى
أريد من المعيشة أم ضلال؟
سوى لمعات خداعِ خلوبٍ؟
كما يَتَمَنَّعُ المعنى البعيدُ
كذاك حياة أبقار السواقي!
تعاني اليأس والسأم الدخيلًا
لأسلمنا النفوس إلى الحمام
به أيام نمرح في الشبابِ
فقد سقط الهشيمُ على الزهورِ
يُقَدِّمُهُ الرياء على الكريمِ
تبدَّى منشدًا قولًا رخيصًا:
من الرب الذي خلق العبادًا»
وحولي معشري وبنو ودادي
ورأيًا مثل حدِّ السيف ماضي

بكائي إنّ في الدنيا أمورًا
وكم وغد رفيع الجاه يغدو
تعافُ الرحمة الغراء نزلًا
فإنّ الزهرَ في القيعانِ ينمو
أرى قومًا تسوسُهُم الأعادي
أرى زغبَ الحواصلِ فوق قبرٍ
وكم موتٍ ألدّ من الألماني
وكم من طالبٍ للموتِ يأسًا
أخوك النوم ألين منك مسًا
ولكن فيك آياتٌ كثار
تُذِلُّ النَّائِرَ العادي وتُلْهي
وخوفُ الناس من حُكْم المنايا
وإِشفاقُ السليم من العوادي
وما مستمسكٌ بالعيش إلّا
وإنّ الموتَ مرآةَ أبانت
وكم من أيمٍ فُجِعَتْ بِإِلفٍ
تَمُدُّ يَدًا لو ان الحقَّ فيها
أرى الحسناءَ في طمرٍ ذليلٍ
أرى الدنيا تضيق بكل حرّ

يضيق بمثلها الصدرُ الرحيبُ
كأنّ الكونَ ليس به سواه
قلوبًا قد أضرَّ بها التعالي
وإنّ الثلجَ في قمم الجبالِ
كسوقِ الخيلِ في يوم الطرادِ
تضمّن ما تضمّن من رجاءٍ
وكم موتٍ أشدّ من الهزيمة
تعمّد أن يباعدَهُ الحمامُ
وأوطأ مسلکًا وأجل شأنًا
ومعجزةٌ وذكرى للغولِ
أسير العزِّ عن ظلم العبادِ
كخوفِ الطفلِ من وجّه الظلامِ
كإشفاقِ المريضِ من الرجامِ
كموقوفٍ على خوفِ الحمامِ
حياة المرء كالنفس الرقيقِ
وقد كان النصيرَ على الحياةِ
لأذوتُهُ الخصاصةُ والسؤالُ
وفي الديباج، داجية الجبينِ
فتأنّفُهُ كما لُفّظَ البصاقُ

أرى خُدَعًا تُقَادُ بِهَا الْغَوَانِي
أرى التُّكْلَى تَكَادُ تَسِيلُ دَمْعًا
هو اجس تعتريني لست أدري
أم التَسَالُ خَيْرٌ مِنْ سَكُوتِ
وفي أعقابها الذلّ الكمينُ
وفي أحشائها النارُ الأَكُولُ
أقتلها وأقنع بالجهالة؟
وإنَّ الرَّأْيَ يَنْضِجُهُ الزَّمَانُ؟

* * *

ألم يبلُغَكَ أَنَّ الْمَوْتَ أودى
صفوف الجيش نزعها الحفاظُ
ويَمِّمَ «مقدن» جيش الأعادي
لقد جلبوا السوابق مقرباتٍ
تنثر على جوانبها غبارًا
وقد سَكَبَتْ جلودُ الخيلِ دمعًا
وأصواتُ المدافعِ إذْ تعالتْ
لقد ضاق المجالُ فلا قرارُ
فوجه الجو يعبس من شحوبٍ
كأنَّ المدبرين غداة ولّوا
وضاجعتِ المقانبُ قانديها
وإنَّ الحربَ مرزئةٌ وبلوى
وإنَّ لكل هائجة سكونًا
كأن الحربَ في الميدانِ رَسْمٌ
بمن علقَتْهُمُ الحربُ الزبونُ؟
وعَدُو الخيلِ أَعَجَلَهُ المِغَارُ
فحلَّ بأرضها الفلكُ المدارُ
يضنُّ بقصدها النقعُ المُنْتَارُ
كأنَّ الأرضَ ليس لها قرارُ
فبانَ على جوانبها شعارُ
كصوت الحمقِ أَعْضَبَهَا اعتذارُ
وقد عزَّ النجاءُ فلا فرارُ
وعين الشمس يكحلها الغبارُ
رءوس الشرب غازلها الخمارُ
بأرضٍ لا ينمُّ بها النهارُ
وبعض السلم مرزئةٌ وعارُ!
«وإنَّ لكل سائلة قرارًا»
أجادَ صَنِيعَهُ الحِذْقُ اللبِيقُ

وأين البغض يضرب في الصدورِ
كذلك النار آخرها خمودُ
وكان التكلُّ ما غَنِمَ الكبارُ!

فأين الحقد تنفته اللحاظُ
وإنَّ الحرب آخرها خرابُ
وكان اليتمُ ما غَنِمَ الصغارُ

* * *

تريق القلبَ في ماءِ البكاءِ
وأنَّ السعدَ يزلق عن مكاني
ولكنَّ ذلك الخُلُقَ الحميدًا
فما يُغني اهتلامي بالعواءِ
فإنَّ السبقَ من بعد الجراءِ
وموتي بين أحبائي حياةً
وأهجرُ كلَّ ممنوعِ الودادِ
وكم من وَحْدَةٍ جَلَبَتْ عذابًا
فإنَّ اليأسَ فيك لَذُو طروقِ
سقيم الصدرِ مسموم اللحاظِ
وتحت بهائه السُّمُّ المميثُ
ولكن لا يغرُّ به اللديغُ
ولما والله ما أنا بالعميِّ
وهل في القلبِ للشكوى مجالُ؟

ألم يكفِ الحوادثُ أنَّ عَيْني
فحسبي أن أعدائي كثيرُ
يَعيبُوني وما عابوا بغيضًا
إذا ما سَبَّني سفهاء قومِ
وإن يكُ قد تقدمني أناسُ
حياتي بين أعدائي مماءُ
سألزم كَسَرَ بيتي في احتجازِ
وكم من وَحْدَةٍ مَنَعَتْ عذابًا
أأخت اليأسِ هل حلفٌ قديمُ؟
وربَّ مصاحبٍ حُلُو اللقاءِ
كبعضِ الزرعِ تحسبه مريبًا
وجلدُ الحيةِ الرقطاءِ يزهو
صَبَرْتُ له ويحسبني عميًّا
ولكنِّي رأيت العفوَ أبقى

* * *

هَوَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ حَبِّ الْغَوَانِي
كَفَانِي مِنْ نَبِيهِ الذِّكْرِ أَنِّي
أَرَى دَمْعِي يُرِنُّهُ أَحْمَرًا
حَنِينٌ يَتْرَكَ الْأَشْجَانَ جَمْرًا
تَغْنَى الْحَبِّ فِي فَجْرِ الْحَيَاةِ
نَبِّجُهُ فَيُخَفِّضُنَا سَفَاهَا
تُطَالِبُنَا الْحَسَانَ بِهِ دَلَالًا
فَإِنْ دِنَّا لَهُ لَمْ نَلْقَ مِنْهُ
وَبَطْشَ الْغَدْرِ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ
أَيَا هَذَا الْغَرَامُ لَطَفَتْ حَتَّى
أَرَى عَيْنًا يَصَافِحُهَا الْفَتُورُ
أَرَى عَيْنًا يَجُولُ السِّحْرُ فِيهَا
وَحَوْلِكَ مِنْ دَمَاءِ النَّاسِ بَحْرُ
وَفَوْقَكَ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ طَيْرُ
أَتَخَذَلْنَا وَنَحْنُ مُنَاصِرُونَ
وَتُقْصِينَا وَنَحْنُ مُقَرَّبُونَ
أَبُوكَ الْوَهْمُ مُتَسِّعُ الْفَنَاءِ
رَجَوْتُ بِكَ الْخُلَاصَ مِنَ الْعَوَادِي
وَكَمْ مِنْ لِحْظَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْنَا
كَأَنَّ الذِّكْرَ مِنْ حَيْلِ الرَّسُولِ
تَمَرُّ بِي الْحَسَانَ فَمُتْرَضِينِي
كَأَنَّ الشُّوقَ قَدْ ذَبَحَ الْمَنَامَا
وَشُوقٌ يَتْرَكَ الزَّفْرَاتِ نَارَا
غَنَاءَ الطَّيْرِ فِي فَلَقِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّ الْحَبَّ مِيزَانُ ظُلُومٍ
كَأَنَّ الْحَبَّ دَيْنٌ فِي الرِّقَابِ
سِوَى الْمَقْبُوحِ مِنْ غَدْرِ الْمَلُولِ
كَأَنَّ الْغَدْرَ مَغَوَارُ سَلِيبٍ
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ النَّفُوسِ
وَقَلْبًا لَا يَصَافِحُ الْهِنَانُ
مَجَالَ الْمَاءِ فِي الْعُودِ الرَّطِيبِ
مَهَيْبِ اللَّجِّ مَهْجُورِ النَّوَاحِي
يُظَلُّ الْجَوُّ مَمْلُوءَ الْفَنَاءِ
وَتَخَذَعْنَا وَنَحْنُ مُنَاصِحُونَ؟
مِنَ التَّبْيَانِ وَالْأَدَبِ الْغَزِيرِ
وَأَنْتَ تَضِيقُ بِالرَّجْلِ الْأَدِيبِ
فَكُنْتَ عَلَيَّ عَوْنًا لِلْعَوَادِي
نَزُولَ الْقَطْرِ مِنْ خَلْلِ السَّحَابِ

* * *

أَيْغَلِبْنِي عَلَى أَمْرِي التَّصَابِي
لِعَمْرُكَ مَا الْخَمُولُ بِمَسْتَدْلِي
وَإِنْ يَكُ فِي مَاقِي الْعَيْنِ مَاءٌ
أَمَّا لِلشَّاعِرِ الْفِيَاضِ دَهْرٌ
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ لَرَعْتُ قَوْمًا
وَلَوْ أَنِّي لَفَحْتُ بَغْلٌ صَدْرِي
سَأُحَدِّثُ فِي غَدٍ حَدَثًا عَظِيمًا
فَإِنْ أَعْمُرُ فَوَيْلٌ لِلْأَعَادِي
حَنَانًا أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمَفْدَى
سَنُهِدِيكَ النُّصِيحَةَ مَا اسْتَطَعْنَا
لَهُ فِي نَفْسِ قَارِيهِ فِعَالٌ
وَكَمْ مِنْ نَاعِقٍ يَدْعُو لِأَمْرٍ
وَآخَرَ لَا يَقِيمُ عَلَى قَرَارٍ
وَيَحْكِي فِي تَتَقْلُهُ سَفَاهًا
يَعِيثُ الْجَهْلُ فِي أَبْنَاءِ قَوْمِي
أَبِي الْقَلْبِ بَيْنَهُمْ ذَلِيلٌ
يُفَرِّقُنَا التَّبَاغُضُ وَالتَّعَادِي
مَتَى تَدْعُو الْحَمِيَّةُ لِلْمَعَالِي

وَلَمْ تَخْنَعْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ نَفْسِي
فَإِنَّ الْبَرْقَ فِي طَيِّ الْغَمَامِ
فَكَمْ مِنْ عِبْرَةٍ فِيهَا اعْتِبَارٌ
فَيَنْفِثُ بَعْضَ مَا ضَمَّنَ الضَّلُوعِ
«أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا»
لِغَاضِ الْمَاءِ وَاحْتَرَقَ الْهَوَاءُ
تَظَلُّ لَهُ الْبِوَارِقُ تُسْتَطَارُ
وَإِنْ أَهْلَكَ فَوَيْلٌ لِلصَّدِيقِ
وَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ السُّوءِ فِينَا
وَنَشْدُو فِيكَ بِالْقَوْلِ الْعَجِيبِ
كَفَعَلِ الْغَيْثِ فِي الْمَرَعَى الْجَدِيبِ
نَعِيقَ الْبُومِ فِي الطَّلَلِ الْخِرَابِ
يُحَاكِي وَثْبُهُ وَثَبَ الْجِرَادِ
خِيَامَ الْعُرْبِ بِالْأَرْضِ الْخِلَاءِ
كَعَيْثِ الذَّنْبِ فِي الْغَنَمِ النِّيَامِ
وَوَعْدُ الْقَلْبِ مَرْفُوعُ الْعِمَادِ
كَكُنْثَرِ الرِّيحِ أَوْرَاقَ الْغُصُونِ
فَتُصْغَى فِي الْعُرُوقِ لَهَا الدَّمَاءُ

وكم من عبرة هبطت علينا
إذا عاث القويُّ فلا تراعوا
ضئيلُ الأمرِ يتبعه عظيمٌ
هبوط الوحي من عندِ الإلهِ
فإن الظلمَ نعشُ للظلمِ
كذاك النار تُفدحُ من شرارِ

الديوان الثاني

لألى الأفكار

وإنما الشعرُ مرآةٌ لغانيةٍ
وإنما الشعرُ تصويرٌ وتذكرةٌ
وإنما الشعرُ إحساسٌ بما خففتُ
من كل معنى يروعُ الفهمَ طائئلهُ

هي الحياةُ فمنُ سوءٍ وإحسانٍ
ومتعةٌ وخيالٌ غيرُ خَوَّانٍ
له القلوبُ كأقدارٍ وجدَّثانٍ
معنى من الجانِ في لفظٍ من الجانِ

صاحب الديوان

مقدمة

الشعر ومزاياه

ليس الشعر لغواً تهذي به القرائح، فتتلقاه العقول في ساعِ كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس.

لأ، بل الشعر حقيقة الحقائق، ولبُّ اللباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها، فإن كانت النفس تَكْذِبُ فيما تُحسُّ به أو تداجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب، وكل شيء في هذا الوجود كاذب، والدنيا كلها رياء، ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء.

وقد يخالف الشعرُ الحقيقةَ في صورته، ولكن الحُرَّ الأصيل منه لا يتعدها، ولا يمكن أن يشدَّ عنها؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت في النفس واحتواه الحس، والشعر إذا عبَّر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى.

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف في ظاهرها، ولكنها في كنهها واحدة لا خلاف بينها، فليس الجميل قمرًا، ولا الزئير رعدًا، ولا الكريم غمامًا، والشمس لا تتكرر لغياب الحبيب، ولا الليل ينجاب لحضوره، ولكن الغبطة بالصورة الحسناء كالغبطة بالليلة القمراء، والرغبة من زمجرة الأسود في غيابها كالرغبة من جلجلة الرعود في سحابها، وتجدُّ الروض بعد انهمال المطر كتجدُّ الأمل بعد نوال المطر، وإنَّ الشمس إن كانت تُشرق بعد نأي الحبيب، فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها، وإن تكشف لها فكأنما هو بادٍ لغيرها، والليل إذا عسعس فما هو بساتر عن عين المحب منظرًا يشتاق رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه، فإنما هو من الدنيا حسبه، وهو الضياء الذي يُبصرُ به قلبه.

فهذه معانٍ مترادفة في لغة النفس، وإن اختلف نطقها في الشفاه؛ إذ إنه لا محلّ في معجم النفوس إلا للمعاني، فأما الألفاظ فهي رموز بين الألسنة والآذان.

وهل تُبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس؟ أو تبلغ الحواس خبرًا إذا كانت النفس ساهية والمدارك غير واعية؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة، بل إن السعادة — ما لم تعفها حوائل الحياة — لا تَدْخُلُ إلى القلوب إلا من بابه، فإنه ما من شيء في هذه الدنيا يَسُرُّ لِدَاتِهِ أو يُحْزِنُ لِدَاتِهِ، وإنما تَسُرُّ الأشياءُ أو تُحْزِنُ بما تكسوها الخواطر من الهيئات، وتُكَيِّفُهَا الأذهان من الصور، وآية ذلك أن الشيء الواحد بينما يكون مدعاة البهجة والرضى، إذ يكون في غير ذلك الوقت مجلبةً للأسف والأسى وطريقًا إلى الشجن والجوى، والشعر وحده كفيلاً بأن يبدي لنا الأشياء في الزمن الذي ترضاه خواطرنا، وتأنس به أرواحنا؛ لأنه سلطانٌ متربّع في عرش النفس، يخلع الحلل على كل سائحة تمثّل بين يديه، ويُغضُّ الطرفَ عن كل ما لا يُحِبُّ النظر إليه. والشعر أيضًا مسألةً لمن شاء السلوى، وصدى تسمعه النفس في وَحْشَةِ الوَحْدَةِ، فتطمئن إليه كما يطمئن الصبيُّ النَّائِه إلى النداء في الوادي، ليأنس برجع صوته، أو يسمع من عساه يُقْبِلُ لِنَجْدَتِهِ.

فقد سَبَقَتْ مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأممًا مجتمعة، وأن يكونوا نوعًا له غرائزُ كامنة في طبائع أفرادها يقتضيها بقاءه ودوامه، فوجب أن يُجَبَّلُ أبناءه على الألفة ويُذَرَّعُوا على التعاطف ودواعي الاجتماع، وقد درج نوع الإنسان على هذه الفطرة، فصرنا وليس يهنا أمرؤ منّا بأن ينعم منفردًا، ولن يطيق أحد أن يبتئس وحده، وما كان المعرّي يمدح نفسه، ولكنه قال قولًا في شرار الناس، كما يَصْدُقُ في خيارهم، إذ يقول:

ولو أني حبيت الخلد فردًا لما أحببت بالخلد انفرادًا

فذلك ما لا فخر فيه للإنسان على إنسان، وأحسب لو أن الناس كلهم كانوا فجرة خسرة، وكان لا يجوز منهم إلى فردوس الأبرار إلا رجل واحد، لكان هذا الرجل النَّقِيُّ أشدَّ عذابًا بتقواه وأسوأ جزاءً من كل جناة الجحيم وعصاته. وكأني بذلك الرجل، وقد طاف في الجنة حتى بليت نعاها، ثم نظر إلى ما حوله نظرة الكاره الزاهد، فطرح بنفسه في الكوثر هربًا من هذا النعيم الأعجم، أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم، فيصلى النار فيها وهو واحد من يقول له: إن عذاب النار أليم، خير من أن يبقى في جنة لا يرى فيها من يقول له: ما أرغد هذا النعيم!

ويقيني أنه لو نُزِعَ الحسد من الناس يومًا ما، لاشتراه أولو النعمة وفرقوه على الناس مجانًا ليحسدوهم على ما بهم من نعمة؛ فإن السعادة أنثى لا يكتمل سرورها حتى تستجلي مثالها في المرأة، وسواء لديها أكان رافع تلك المرأة لها شأنًا حسودًا أو صديقًا مخلصًا، ومن أجل ذلك يرتاح العاشق إلى من يناجيه بأسرار حبيبه ونكايات عذوله، ويحيط الغني مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنه ربُّ عيشة راضية، وهناءة محسودة.

ولما تُصَدِّقُ أَنَّ أَحَدًا يَصِلُ بِهِ احتقار الناس أن لا يبالي بهم قاطبة، ولكنه ربما احتقر جيلًا منهم وهو ينتظر النصفة من جيل سواه، أو يهزأ بالفئة التي يعاشرها، ولكنه يعتقد أن هناك فئة لو لقيته ولقيها لأرضته وأرضاها، وإلا فلو احتقر المرء ما مضى من الناس وما سيجيء منهم، لما كلف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه.

كذلك خُلِقَ الإنسان عضوًا من جسم تدب حياته في عروقه، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه والتخلي عن عاطفته النوعية ما دام داخلًا في اسم الجنس الذي يشمل الإنسان بأجمعه.

فإذا كان هذا شأن التعاطف، فاعلم أن الشعر شيء لا غنى عنه، وأنه باقٍ ما بقيت الحياة، وإن تغيَّرت أساليبه، وتناسخت أوزانه وأعارضه.

وإذا كان الناس في عهدٍ من عهودهم الماضية في حاجة إلى الشعر، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه؛ فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها، وخلا جانب من القلوب كانت تعمره، فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه، كسر اليأس القلوب، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة. وها هو القرطاس القديم بين أيدي الشعراء، فليخُطوا فيه رسم الفردوس الجديد، وليجعلوه في الأرض أو في السماء، وليكن معاده المثل الأعلى، أو خلود الذكر، أو وحدة الإخاء؛ فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء.

هذا ولو أنّ ما ألمحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب، كان أوّل ما يستفاد من الشعر وآخره، لما كان الشعر جديرًا بالعناية من عصر المادة الذي نحن فيه، ولكن ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة، وما لها من ذكاء المشمّ وطلاوة الطعم، تُشبع المعدة وتملأ الفم، ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار.

فما لا مشاحة فيه أنّ كل نهضة من النهضات التي تشذ عزائم الأمم وتحدها في نهج النماء والثراء، لا تكون إلا بعد فترةٍ يتيقظ فيها الشعور، وتتحرك العواطف، وتعتلج نوايا النفوس ومنازِعها، وفي هذه الفترة ينبع أعظم الشعراء وتظهر أنفسُ مبتكرات الأدب، وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذي تتعلق به، بل هو ناقوسها المنبه لها، وحاديها الذي يأخذ بزمام ركبها.

وهذه إنكلترا نهضت في تاريخها نهضتين بلغت في كليتهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد؛ كانت أولاهما في القرن السابع عشر؛ أي عقب ازدهار الأدب الإنكليزي في عهد شكسبير، فتحرّكت في ذلك القرن عوامل الحياة في الأمة الإنكليزية، ووُضِعَ عهدئذٍ أساسُ إنكلترا الجديدة، وها هي الآن في إبان نهضتها الثانية تقبض على صولجان الدنيا، وتطالب كل فئة منها بقسطها من الحياة والعمل. وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقة بنهضة أدبية كبرى، ظهرت في أثنائها أكبر

الأسماء المعروفة في الأدب الإنكليزي، وأعني بهم أمثال: شلي وببيرون وسكوت وكيّس ووردزورث وكولوردج وسوذي وماكولي، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ولكنهم كتبوا في النقد والأدب.

وهذا شبيهٌ بما حدث في فرنسا، فإنَّ جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك النهضة الأدبية التي كان يُشرف عليها لويس الرابع عشر، وما كان يدري ذلك الملك المتجبر، وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة، أنه يزلزل بيديه قوائم العرش الذي يجلس عليه، ومن حقَّق تاريخ القرن الثامن عشر في فرنسا ولم يرَ في ثورته يداً لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينييه وأمثالهم، فهو قاصر النظر، ومثله في ذلك كمثل من تقول له: إنَّ المد والجزر من فعل القمر، فيقول لك: أين السماء من الماء؟! ثم تتابعَت بعد ذلك ثوراتٌ كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال، الذين يظنُّ بعض كُتَّاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير في عالم الجد، وقد جهلوا أن الأمم تدأب في حياتها بين عاملي الحاجة والأمل. فإن كانت المادة تحكِّم حيز الحاجة من نفوسها، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل، وهو أشدَّ العاملين حثًّا وأعذبهما نداءً.

وجاء بسمارك في ألمانيا فاتمَّ تأليف وحدثها بعد أن شاعت في ولاياتها مصنفات ليسنغ وهردر وجيتي وشيلر وهيني ورفقائهم، فكان الألمانيون أمة ذات أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد.

وأقرب من ذلك شاهدٍ إلينا، الدولتان الأموية والعباسية، بل أقرب منهما هذا الذي نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر وحفظه، فإنه — ولا شك — عنوان النهضة المرجوة لمصر، ودليل على تفتُّق الأذهان وسريان النبض في مركز الشعور. وفي الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعي يزعمون أن البلد في غنى عن الأدب، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها. قالوا ذلك؛ لأن الثروة قوت الأمة، ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم في شرايينها، وهو قول — كما يرى القارئ في حديث الطب — يقضي بأن لا

يجوز الكلام مع الممعود في غير الأطعمة الدسمة والكيما وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب!

على أن كثرة الكلام في المال ليست هي التي تُوجد المال متى كانت الهمم راکدةً والنفوس باردةً.

فالشعر لا تتحصر مزيته في الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر، لا، بل ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات، ولكنه يُعين الأمة أيضًا في حياتها المادية والسياسية، وإن لم تَرِدْ فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع، فإنما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفساني، ولن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم الخارجي.

خُدِعَ بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات، فقالوا: إن الناس اليوم في دور العلم والتحقيق، وإن آباءنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى، وكان يحيرهم في تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها، فيذهبون في تأويلها مذاهب الحدس والتخيل، وإنما غَشِيَتْ أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأي، ولست أدري كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجيء يوم على الإنسان يقف فيه جامدًا بين يدي هذا الوجود مهما حصّل من العلم وأحاط بأسراره، وهل يؤثر علم النباتي العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها؟ وهل علمي بنواميس الطبيعة يعصمني من الانفعال بمؤثراتها ويزود عني الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف، أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدها؟

اللهم إنه عِلْمٌ يُفْقِدُ الإنسان حواسه، ويا لله ما أضعف الإنسانية! فإن الفرد منها لَتَمَلَكه العاطفة، فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها، وإنَّ الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالةٌ من الأحوال الطارئة في بعض الأجيال، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها. ظهرت أميركا بمناجمها، واخترعت الآلات

التي تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال، وأعلنت الحرية فألقي حمل كل طبقة على عاتقها، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعي في طلب رزقها، فحدث من جراء ذلك جميعها تهافتُ غير مألوف على الذهب، فما هي إلا سنوات مضت في مقدمات هذه الزوبعة قد ملأت الدنيا غبارًا، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال. نسي الناس كل شيء إلا أنهم في عصر المال، ونسوا أيضًا أن الإنسان لم ينفذ عنه في عصر المال عنصره القديم، وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة، فإنه لا يزال في مكانه من الطبيعة، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجري مع طياراتها. ولسوف يمضي عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية، وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه.

أقول ذلك ولا أعني بما قُلْتُ كُلَّ الشعر، ولكني عنيت منه المطبوع الأصيل؛ إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط، وقلَّ أن يتجاوز أثره القراطس الذي يَكْتُب فيه، أو المنبر الذي يلقي عليه، وشتان بين كلام هو قطعة من نفس، وكلام هو رقعة من طرس.

فالشاعر العبقرى معانيه بناته، فهنَّ من لحمه ودمه، وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيياته، فهنَّ غريبات عنه وإن دعاهن باسمه. ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع في تنميقها، ويصبغها أحسن صبغة، ثم يرشها بعطر الورد فيشتمُّ منها عبق الورد، ويرى لها لونها ورواؤها، ولكنها عقيمة لا تنبت شجرًا ولا تُخرج شهدًا، وتبقى بعد هذا الإتيان في المحاجر زخرًا باطلاً.

ألا وإنَّ خير الشعر المطبوع ما ناجى العواطف على اختلافها، وبتَّ الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان.

* * *

فإذا تلقى قرَّاء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان شكري، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين، قد سمح بها قلمٌ سخّي وقريحة خصبة.

في هذه الصفحات نظرة المتدبر، وسجدة العابد، ولمحة العاشق، وزفرة المتوجع، وصيحة الغاضب، ودمعة الحزين، وابتسامة السخر، وبشاشة الرضى، وعبوسة السخط، وفتور اليأس، وحرارة الرجاء. وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء، ويكفكف من غلوائها؛ فلا تنطلق إلا بما ينبغي من التجميل والثبات.

وإن شعر شكري لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وانصباب، ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون.

قد يعسر على بعض القراء فهم شيء من شعر شكري، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التي بها يفهمونه، وليس ذلك مما يُطلب منه، ولو حاوله لأفسد شعره بالتعمل والزيادة، ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا في كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاءً ويقربها من إحساس قرائهم، وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب؛ فإن العواطف لا تتأثر بالباطناب، وإنما هو مما يُتوسل به إلى إفهام العقول، وإدخال المعاني إلى الأفكار.

ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه، كما لا تُوقع أدوار «الأوركستر» على القيثارة أو المزهرة؛ فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة. فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر، فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذي ليس في معزفها وتر يهتز به.

* * *

قال لي بعض المتأدبين: إن شعر شكري مشرب بالأسلوب الإفرنجي. وأنا لا أعلم ماذا يعني هؤلاء بقولهم: الأسلوب الإفرنجي والأسلوب العربي! فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين في الأساليب والتراكيب، ولكنها مسألة تفاوت في جوهر

الطبائع، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب في المزاج كاختلاف الأمتين في الملامح والسحناء.

وأشبهه بالحقيقة عندي أن يقال: الأسلوب الآري والأسلوب السامي؛ فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب.

الآريون أقوامٌ خيالٍ نشئوا في أقطارٍ طبيعتها هائلة، وحيواناتها مخوفة، ومناظرها فخمة رهيبية، فاتسع لهم مجال الوهم وكبر في أذهانهم جلال القوى الطبيعية، ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات في الذهن ويجسم له الوهم، فيصبح شديد التصور، قوي التشخيص لما هو مجرد عن الشخوص والأشباح.

والساميون أقوامٌ نشئوا في بلادٍ ساحية ضاحية، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم؛ فقويت حواسهم وضعف خيالهم.

ومن ثمَّ كان الآريون أقدر في شعرهم على وصف سرائر النفوس، وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء؛ وذلك لأن مرجع الأول إلى الإحساس الباطن، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر.

السامي يُشبهه الإنسان بالبدر، ولكن الآري يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان، ويروي عنه نواذر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء، وهذا — ولا مرأى — أجمع لمعاني الشعر؛ لأنه يمد في وشائج التعاطف، ويؤلِّد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة ودأً وانتناساً يجعلهما الشعرُ السامي وقفاً على الأحياء، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء.

وهذا الفرق بين الآري والسامي في تصوُّر الأشياء، وهو السبب في اتساع الميثولوجي عند الآريين، وضيقها عند الساميين؛ فليست الميثولوجي إلا لباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء، وتلك

طبيعة الآريين، فإنهم — كما قلنا — قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين.

وهذا أيضًا هو السبب في افتقار الأدب السامي إلى الشعر القصصي، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر في الأدب الآري. فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجي، وتَسْتَمِدُّ منها أصولها، وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربي، فكانت له ينبوعًا تفرعت منه أساليبه، وتشعبت أغراضه ومقاصده، وحُرم الشعر العربي منها، فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها.

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصري، فليس المراد به تقسيمه إلى عربي وإفرنجي، ولا يراد بالعصري مقابلته بالقديم؛ فإني أعتقد أن الشعر العصري يشبه الشعر القديم في أن كليهما يُعَبِّرُ عن الوجدان الصميم، ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذي تَدَلَّى إليه الشعر العربي في القرون الأخيرة.

فالشاعر قد يكون عصريًا بريئًا من التقليد، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجيًا في مسلكه.

وأما شاعر كان واسع الخيال قوي التشخيص، فهو أقرب إلى الإفرنج في بيانه وأشبه بالآريين في مزاجه وإن كان عربيًا أو مصريًا، ولا سيما إذا كان مثل شكري، جامعًا بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب العربيين.

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

حياة الأمم أو التجدد والتغير

حياةُ الناسِ إمَّا ماءٌ نهرٍ
وإمَّا ماءٌ آجِنَةٌ كثيرُ
وليست هذه العاداتِ إلَّا
رداءُ العيشِ تبليهِ الليالي
وأبكارُ المعاني حائكاتُ
فصلحهُ التدفُّقُ والمسيرُ
قذاه، ويأجن الماءُ الطهورُ
رداءُ العيشِ تبليهِ الدهورُ
وبيكي عهدَ جدِّته الغرورُ
رداءً عهدُ جدِّته نضيرُ

* * *

نظامات و عادات تقضي
وأسبابُ البقاء لها صيالُ
وأحكامُ الوجود لها مسيلُ
فإن تسدُّ طريقَ السيلِ تهلكُ
ويحيا بالتغيرِ كلُّ حيٍّ
فلا تكُ جازعًا في إثرِ أمرٍ
وآمال و آراء و عادٍ
وبعضُ الأمرِ يصلح إذ يحولُ
صيال السيل يهلك إذ يصولُ
مسيلُ السيل يهلك إذ يسيلُ
ولا يُغني البكاءُ ولا العويلُ
ويردى الفاسدُ القدر العجولُ
جليلُ الأمر يعقبه الجليلُ
سواء في تغيرها شكولُ

* * *

وكم من أمةٍ تخشى زوالًا
تُحاذِرُ أن تغيرها الليالي
على الأيام أدركها الزوالُ
فيودي حالها ويجيء حالُ

وبين الدهرِ والدولِ استباقُ
فقل للغافلين إذا أصاخوا
سنُنْفِذُ فيكم الأقدارُ حكماً
وهل يخشى الجديدَ سوى جبانٍ
وبعضُ النَّاسِ يُعْوزُهُ المِجالُ
حياتُكُمْ هي الداءُ العِضالُ
ويرجمكم بأنكده المألُ
له من حبِّ أقدامه عقالُ

الإيمان والقضاء

ليس يدري مضاضة القدر الغا
تفتقُ الذهن مثلما يفتقُ الأز
غير أن الشقاء قد يخزُ النفس
فهو طورًا يكون برءًا لدا
هو سيفُ القضاء في يدِ عدلٍ
خفيتُ حكمةُ الحوادث عنا
لو رأينا منابتَ العدل فيها
لو رأينا مطالع العدل منها
وخداعُ الحياة أروعُ جلبًا
سكناتُ الإيمان برءً من الحز
هو حصنٌ من الشقاء حصينٌ
كنفٌ مانعٌ وظلٌّ ظليلٌ
يلج النفس بالثبات وبالحرز
هو روض جُمِّ الفروع أنيقٌ
يُدخل الأمن والسلام على قلـ

لبِ إلّا مُعالجُ اليأسِ
هار وهنا مرققُ الأنداءِ
سَ وَيُصمِي مجامعَ الأهواءِ
وهو طورًا يُعدُّ في الأدواءِ
رُبَّ عدلٍ في وقعِ ذاك البلاءِ
فشقينا شقاوةَ الجهلاءِ
لنعمنا بالعيشة الخسنا
ما شكّونا مضاضةَ الأرزاءِ
لأسى المرءِ من خداع النساءِ
ن وماوى لهاربٍ من قضاءِ
ووقاءٍ أنعمَ به من وقاءِ
وشرابٍ يشفي أوامَ الظماءِ
م ويطوي جوانبَ الضراءِ
ونعيمٌ موطنُ الأفناءِ
بِ خفوق الضلوع والأحشاءِ

الحياة والعبادة

أَكْذَبُ الدِّينِ مَا يُنِيْمُ قُوَى الْمَرْءِ
إِنَّمَا الدِّينُ أَنْ تَفَكَّ عَنِ النَّفْسِ
إِنَّمَا الدِّينُ أَنْ يَجِدَّ مَجْدًا
إِنَّمَا الدِّينُ قُوَّةٌ وَجَمَالٌ
كَيْفَ يَدْرِي جِلَالَةَ النَّفْسِ غَيْرُ
كَيْفَ يَدْرِي جِلَالَةَ اللَّهِ غَيْرُ
أُعْبُدُ اللَّهَ بِالْجِهَادِ وَبِالتَّقَى
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ جِهَادٌ
خُلِقَ الْمَرْءُ كِي يَنْهَضَ أَمْرًا
كُتِبَ الصَّبْرُ فِي الْحَيَاةِ عَلَيْنَا
عَشْ شَهِيدًا تُنَاجِزُ الْهَمَّ وَالذَّاءَ
فَحْنِينُ الثَّكْلَى وَوَحْزُ الضَّمِيرِ
هِيَ مَا يَعْْبُدُ الْأَنَامُ بِهِ اللَّهَ
ءِ كَمَا يُخْرِسُ الرِّيَّاحُ الرُّكُودُ
سُ مِنَ الْيَأْسِ وَالْخُمُولِ قِيُودُ
أَعْمَلُ السَّعْيِ أَوْ يُجِيدَ مُجِيدُ
وَحْيَاةٌ وَعِدَّةٌ وَعَدِيدُ
أَزَعَجَتْهُ بَوَارِقُ وَرَعُودُ
حَرَكَتُهُ ضَغَائِنٌ وَحُقُودُ
كَبِيرٌ، وَالْعَقْلُ عَابِدٌ مَعْبُودُ
وَالجِبَانُ الْمَوْهُونُ فِيهَا جَحُودُ
فَهُوَ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ شَهِيدُ
فَالْبَسِ الصَّبْرَ فَالْعَظِيمُ جَلِيدُ
ءَ إِذَا أُمَّ حَتْفَهُ الرُّعْدِيدُ
وَدَمَوْعٌ يَرِيْقُهَا الْمَكْدُودُ:
كَمَا يَعْْبُدُ الْقَضَاءُ الْوُجُودُ

القلق والغفلة

يا أسيراً قيوده أَمالٌ
تبتغي الخيرَ في مجاهل ما يَأ
لك صدرٌ جم الحنوّ على النا
أنت عبدُ البقاءِ لو كرهَ العبدُ
أنت تقري الأنام من دمك الغمُ
أنت تبكي مما يعالجه النَّا
إنَّ عتباً على القضاءِ سفاهٌ
ينعم الغافلُ الغبيُّ ويشقى
أيُّها اللائمون في الحزنِ مهلاً
ما بكيننا من الشقاءِ وَلَكِنَّ
ضربَ الأمانِ والسلامِ عليكم
لو مُنيننا بعيشكم ما رضينا
لا يصيب السلامَ إلا غبيُّ
كم عظيمِ قضي ولم يبلُغ النجْ
كم جليلِ مرجمٍ بسبابِ
مشكلات لا تستبين لرائي
تي من الدهر والقضاءِ النَّائي
سِ ولكن يضيق بالأرزاءِ
دُ إياقاً من رقيّ ذاك البقاءِ
رِ شأبيب عاجزات السخاءِ
سُ وتأسى لبادرات البلاءِ
غاب عنه مطالع النعماءِ
عاتبٌ ساءهُ وقوع القضاءِ
غافل القلبِ ميتُ الأحياءِ
ما بكيننا من ذلنا للقضاءِ
وعلينا عرفانُ وقع البلاءِ
ضاحك القلبِ جاهلٌ بالبقاءِ
كيف نرضى بعيشِ أهلِ الغباءِ؟
حَ وغرِّ أصابه برياءِ!
وضئيلٍ مزينٍ بالثناءِ!

اليتيم

يتيمٌ تقاضاه الهموم حياته
وما اليتيمُ إلا غربة ومهانة
يمرُّ به الغلمانُ مثنى وموحداً
يرى كلَّ أمِّ بابتها مستعزةً
يسألهُ الغلمانُ عن شأنِ أهلهِ
إذا جاءه عيدٌ من الحولِ عادَه
كأنَّ سرورَ الناسِ بالعيدِ قسوةٌ
يظلُّ حَسودًا للذين أظَلَّهُمْ
وما عَلِمَ الغلُّ الفتى كمصيبةٍ
فيا وَيْلَهُ قد مزَّقَ الغلُّ قلبَهُ
عزاءك لا يلتم بك الضيمُ إننا
فهذا يتيمٌ تاكلُ صَفْوَ عيشه
وكلُّ امرئٍ في الناسِ باكٍ وضاحكٍ
فإن شئتَ فاعددْ من رزئتَ أمانياً
وما الرزءُ إلا فقدٌ من لو حُرِّمتهُ

وتُظْمِيهِ من طيبِ الحياةِ خطوبُ
وأَيُّ قريبٍ لليتيمِ قريبُ
وكلُّ امرئٍ يلقى اليتيمَ غريبُ
وهيهات أن يحنو عليه حبيبُ
فيُحزِنُهُ أن لا يجيبَ مجيبُ
من الوجدِ دمعٌ هاطلٌ ووجيبُ
عليه تُريقُ الدمعَ وهو صبيبُ
من العيشِ، فينانُ النعيمِ رطيبُ
دَهَتْهُ فلم يَعْطِفْ عليه ضريبُ
وأنشَبَ فيه للشقاءِ نُيوبُ
يتامى ولكنَّ الشقاءَ ضروبُ
وذاك من الصحبِ الكرامِ سَلِيبُ
وكلُّ يتيمٍ لليتيمِ نَسِيبُ
وإِنَّكَ منها ما حَيَّيتَ سَلِيبُ
حَيَّيتَ ولم يعنفَ عليك وجيبُ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

أَلَا إِنَّ بَيْنَ النَّاسِ قُرْبَىٰ وَلَوْ طَغَىٰ
فَإِنَّ جَهْلُوا أَنَّ الْقُلُوبَ أَوْاصِرُ
جَفَاءٌ وَأُودَتْ بِالْحَنَانِ شَعُوبُ
فَمَا جَهْلُوا أَنَّ الْقُلُوبَ قَلُوبُ

الجمال والعبادة عند قدماء اليونان

كم أمةٍ أَحَكَمَتِ بِالْحُسْنِ دَوْلَتَهَا
حُبُّ الْجَمَالِ حَيَاةٌ لَّا نَفَادَ لَهَا
تلك التماثيلُ أم هذي المعابدُ أم
يا رَبِّ مرأى لنا منها ورُبَّ مُنى
لَهْفَى على زمنٍ كان الجمالُ به
لم يَحْبِسِ المرءَ عن آماله فَرَقَ
الحبُّ والحسنُ والأشعارُ دِينُهُمْ
لم يُزِرِّ بِالْحَقِّ حُبُّ الْحُسْنِ بَيْنَهُمْ
كأنما عَيْشُهُمْ من طيبٍ مَخْبَرِهِ
يَرُونَ في كلِّ شيءٍ حَوْلَهُمْ نَفْسًا
لكلِّ شيءٍ إِلَهٌ ملؤه جَذلٌ
وللجمالِ إِلَهٌ غيرُ ذي بخلٍ
لقد أضاءت وُجوهَ العيشِ عِنْدَهُمْ
لَا تَحْسَبِ الحَبَّ بين الناسِ مَنْقَصَةً
فَخَلَّفَتْهُ وَأودى مَجْدَهَا الفاني
لَا نَهَبَ دهرٍ ولَا أسلابِ حدثانٍ
تلك الفنون عليه خيرُ عنوانٍ
فيها وحُسْنٌ قديمُ العهدِ يوناني!
ما يَعْبُدُ الناسُ في دينٍ وإيمانٍ
منها ولم يُثْنِه عن عزمه ثاني
أَنعمَ بذلك دينًا بينَ أديانٍ
فالحقُّ والحسنُ إن فَكَّرْتَ سيَّانٍ
بيتٌ من الشعرِ في حُسْنٍ وتبيانٍ
حيًا وروحًا نماءً طيبُ جُثْمَانٍ
معبَّدٌ بين أزهارٍ وأغصانٍ
مكللٌ بوريقِ العودِ فينانٍ
محاسنُ الحَبِّ من صدقٍ وإحسانٍ
فالحبُّ سلوةٌ هذا العالمِ الفاني!

الحياة والعمل

المرءُ لَيْسَ بِمَالِكٍ يَدَهُ
والمرءُ يَقْمَرُ جِسْمَهُ كَسَلٌ
والعَيْشُ سِرٌّ أَنْتَ بَاحِثُهُ
والعَيْشُ سَجْفٌ أَنْتَ رَافِعُهُ
والعَيْشُ تَجْرِبَةٌ لِسَالِكِهِ
فَحَذَارِ أَنْ تَعْتَدَّهُ غَرَضًا
لو كَانَ هَذَا الْعَيْشُ غَايَتِنَا
لَا تَزْدَهِيكَ مَنَازِلٌ وَطِنَتْ
وَالنَّجْحُ لَيْسَ بِخَيْرٍ مُكْتَسَبٍ
كَمْ ظَافِرٍ بِأَقْلٍ مُطَّلَبٍ
فَالطَّيْشُ لَيْسَ بِعَائِبِ الْأَمَلِ
إِنْ الَّذِي يَسْعَى عَلَى وَجَلٍ
حَتَّى تَكُونَ وَسِيلَةَ الْأَمَلِ
وَالعَمْرُ بَعْضُ غَنِيمَةِ الْكَسَلِ
فَعَسَى تَجُوبُ مَجَاهِلَ السُّبُلِ
عَمَا جَهَلْتَ بِجَدِّ ذِي حَيْلٍ
وَاليَأْسُ أَخْطَلُ فِيهِ مِنْ خَطَلِ
إِنْ الْحَيَاةَ وَسِيلَةَ الرَّجْلِ
لَمْ نَطْرُقِ الْأَقْدَارَ بِالْأَجَلِ
فَالسَّعْيُ خَيْرُ مَنَازِلِ النَّزْلِ
كَمْ نَجْحَةٍ شَرٌّ مِنَ الْفَشْلِ
خَذَلْتَ يَدَاهُ بِمَطْلَبٍ جَلَلٍ
وَالعَجْزُ لَيْسَ بِعَائِبِ الْعَمَلِ
غَيْرِ الَّذِي يَسْعَى عَلَى جَدَلٍ!

ضحكات الأطفال

ضِحْكَةٌ مِنْكَ صَوْتُهَا صَوْتُ تَغْرِيبٍ
ضِحْكَةٌ رَدَّتِ الْمَشِيبَ شَبَابًا
ضَحِكَاتٌ كَأَنَّهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ
ضَحِكَاتٌ كَأَنَّهَا نِعْمَاتٌ
ضَحِكَاتٌ لَا تَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ
تُفْرِعُ الْهَمَّ مِنْ ضُلُوعِ ذَوِي الْهَمِّ
كَمْ أُنَامَتْ دُونَ الْفَوَادِ وَجِيبًا
رُبَّ ضِحْكٍ قَدْ يَضْحَكُ الْغَدْرُ فِيهِ
أَبْيَضُ النَّفْسِ صَادِقُ الضَّحِكِ وَالْغَا
وَلَقَدْ يَضْحَكُ اللَّئِيمُ رِيَاءً
يَا رَعَى اللَّهُ لِلطُّفُولَةِ حَالًا
يَا رَعَى اللَّهُ لِلطُّفُولَةِ حَالًا
كَمْ صَحَبْنَا فِيهَا الزَّمَانَ أَمِينًا
عِدِ الْعَصَافِيرِ تَسْتَفِزُّ الْقُلُوبَا
وَأَمَاتَتْ مِنَ الْوَجْهِ الشُّحُوبَا
تَمْحُو مَاتَمًا وَذُنُوبَا
تَتْرُكُ الْغَافِلَ الْغَبِيَّ طَرُوبَا
وَلَا تُضْمِرُ الْجَوِيَّ وَاللُّغُوبَا
وَتُخْنِي عَلَى الْقُلُوبِ الْقُلُوبَا
وَأَغَاضَتْ مِنَ الدَّمْعِ غُرُوبَا
وَيُغْطِي عَنْ خَبِّهِ أَنْ يَرِيْبَا
دُرٌّ يَعْطِيكَ ضِحْكُهُ الْمَكْذُوبَا
فَتَرَاهُ وَهُوَ الضَّحُوكُ قَطُوبَا
تَرَكَّتْ بَعْدَهَا الْعِزَاءَ سَلِيْبَا
مَا عَهَدْنَا الزَّمَانَ فِيهَا مُرِيْبَا
وَلَبَسْنَا فِيهَا النِّعِيمَ قَشِيْبَا

الجمال والموت

بَاعَدَ الهمُّ عن فراشي المنامًا
وجعلتُ الفراشَ مأوى همومي
هو مُوري الأثواقِ بعد خمودٍ
وهو أحنى عليَّ من وَضح الصُّبـ
غيرَ أنَّ الفناءَ يَخطرُ في شَمـ
طَرَقْتَنِي في جنحه خَطَرَاتُ
نَضَّدتْ فَوْقِي الرَّجَامُ ضَرِيحًا
فَرَأَيْتُ النِّيَابَ فَوْقِي أَكْفًا
وَرَمَيْتُ الظَّلامَ بالنظرِ الـ
إِنَّ هَذَا الظَّلامَ بَابٌ إِلَى المَوِّ
يا سَمِيرَ المَوْتَى أَبْنِ لِي حَبِيبًا
غَبَنَّتَنِي المَنُونُ فِيهِ وَلَوْ شَا
فَرَعَيْتُ الأشجانَ نهبًا سوامًا
فاستزادتُ من الظلامِ ظلامًا
وهو داءٌ مرٌّ يهيضُ السقامًا
سِحِّ وَأندى يَدًا وأهدى مقامًا
لَتِهِ غابنا جِسومًا نِيامًا
أَنَا مُحْيِي الدُّجَى وَهُنَّ النِّدَامَى
وَسَقَنْتَنِي مِنَ الحِمَامِ مُدَامًا
نَا وَحَوْلِي جِماجِمًا وَعِظَامًا
مِلِّ أَبْغِي مِنَ الظَّلامِ مَرَامًا
تِ نِراهِ وِراءِنا وَأَمَامًا
كَانَ فِي مَقَلَّتِي بَدْرًا تَمَامًا
عَتَ لِسَامَتِ بِهِ الأَنامُ مِسامًا

* * *

أَيُّ زُورٍ يَفْرِي الدُّجَى عَنِ ضِيَاءِ
أَنْتِ أَنْتِ الَّتِي هَجَرْتِ لِحَاظِي
أَنْتِ فِي المَوْتِ وَالْحَيَاةِ تَقُودِي—
أَيُّ زُورٍ يَسْعَى إِلَيَّ لِمَامًا
وَتَرَكْتِ الفُؤادَ يَشْكُو أَوَامًا
مِنَ فُؤادِ مُتِيَمًا مُسْتَهَامًا

عانقيني فرُبَّ صَدْرٍ خَفُوقٍ
واجعلي ساعِدَيْكَ عُقْدًا لِجِيْدِي
عانقتني فعانقِ الداءَ جِسمِي
ورأيتُ العظامَ تُعْرَى منَ اللَحْمِ
أبعدي عن مِشْمِي النَّفْسَ المُرَّ
أبعدي فاكِ ذاكِ عن شَفْتِي الظَّمِّ
بينما أنتِ كالضياءِ بهاءً
ظلَّ يَحْنُو عَلَيْكَ عامًا فَعامًا
واجعلي مِعْصَمِيكَ فِيهِ زِمَامًا
وكانَ الخيالَ صارَ رِمامًا
مِ وَقدَ فارَقَ البهَاءُ العِظامًا
فَقَدِّمًا شَمَمْتُ مِنْهُ البِشامًا
أى فَقَدَّ أَبدَلَ الرُّضابَ لُغامًا
إذِ تَعودِين رَمَّةً تَتحامِي

عبادة الشمس (اسم زهرة معروفة)

تُدِيرِينَ نَحْوَ الشَّمْسِ وَجْهًا كَأَنَّهَا
فَمَا حَسَرْتَ عَيْنَاكَ مِنْ طُولِ رَقَبَةٍ
أَتَبْغِينَ مِنْ تِلْكَ تِلْكَ شُكْرَ نِعْمَةٍ
تَسْقِيكَ مِنْ أَضْوَائِهَا بِلَوْاحِظٍ
إِذَا غَرَبَتْ أَرْخَيْتِ أَجْفَانَ عَاشِقٍ
تَضِيئِينَ وَجْهَ الرُّوضِ مِنْ فَرْطِ صُفْرَةٍ
وَفِي اللَّوْنِ آيَاتٌ مِنَ النُّورِ غَضَّةٌ
كَأَنَّكَ بَيْنَ الزُّهْرِ فِي لَيْلِ أَرْبَعٍ
وَصَفْرَاءَ مِنْ نَسْلِ المَجُوسِ كَأَنَّهَا
تَهْمُ إِلَى وَجْهِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
كَمَا يَشْرَبُ النَّسْرُ هَيْضَ جَنَاحِهِ
جَدَدْنَا مَغَالِيقَ الطَّبِيعَةِ ضَلَّةً
تَرَيْنَ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مَا كَتَبَ الدَّهْرُ
وَيَا رَبَّ تَرِصَادٍ يَنْوُءُ بِهِ الصَّبْرُ
هِيَ النُّورُ لَمْ يَحْسَبْ عَلَيْكَ لَهُ أَجْرُ؟
وَلِلشَّمْسِ لِحْظًا لَّا بَطِيءٌ وَلَا شَزْرُ
يِنَاجِي حَبِيبًا دُونَهُ لِلدَّجَى سِتْرُ
فَأَنْتِ لَهُ شَمْسٌ وَأَنْتِ لَهُ بَدْرُ
وَيَا رَبَّ لَوْنٌ قَدْ يَضِيءُ لَهُ جَمْرُ
وَعَشْرٌ هَلَالٌ حَوْلَهُ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
تَعَالَجُ أَمْرًا لَّا يِعَالِجُهُ الزُّهْرُ
لَهَا فِي صَمِيمِ الْأَرْضِ مِنْ جَذْرِهَا أُسْرُ
مَقِيمٌ عَلَى الدَّهْمَاءِ أَلْحَازُهُ طَيْرُ
فَكَانَتْ حَيَاةُ المَرءِ أَكْثَرُهَا سُرُّ

صوت الليل

ملأت الكونَ مِنْ نَفْسٍ عميقِ
وأجريتَ الجلالَ على سكونِ
وأخرستَ الحياةَ وراغبيها
كأنكُ شدو ظئرٍ للوليدِ
كأنَ النومَ صنوكَ حينَ تجري
وأنتَ علالةُ الروحِ الكبيره
فصوتُ الليلِ من صوتِ الضميرِ
يئنُ صداه في صمِّ الضلوعِ
فيا مأوايَ مِنْ عَنَتِ الحياةِ
فكم ناجيتُ سرَّك في الظلامِ
فأسمعُ كلَّ ذى قلبٍ مفيقِ
يَفيضُ على ظلامك كالأنينِ
وريحُ الموتِ تخفقُ منك فيها
إذا طردت به صحو العنيدِ
على سَمعِ سرارك ليس يدري
إذا أصغت ولجت إلى السريره
مهيب القولِ كالهادي النذيرِ
ويكسو النفسَ ثوبًا من خشوعِ
إذا أنا متُّ لا تهجر رفااتي
وداءُ النومِ يسري في الأنامِ
فأنتَ اليمُّ تعمره المعاني

وصف البحر

أعَبَ كما تهوى النهى والبصائرُ
كبعض سَطَاكِ الآبياتِ النوافِرُ
كما اختبأتِ فيكَ الهى والذخائرُ
ومن دونه كل المدى يتقاصرُ
خواطرُ تتلوها عليك السرائرُ
فجاشتُ لديك الراقصاتِ الزواجرُ
دعاه عذارى البحرِ شادٍ وشاعرُ
كأنك دهرٌ بالحوادثِ مائرُ
صباهِ ولا تقضى عليه المقادرُ
ولا أنتِ منقوصٌ ولا أنتِ خاسرُ
طَحَابُكَ من حكمِ المنيةِ ساخرُ
كأنك حيٌّ نابضُ القلبِ شاعرُ!
كنبضِ قلوبٍ أعجلتُهُ البوادرُ
مَعَالِمٌ لا تُبقي عليها الأعاصرُ
يلوحُ كما لاحتِ رسومُ غوائرُ
كأن جَهَلتَها الصائلاتُ الدوائرُ

ألا ليتني لَجَّ كَلَجَكَ زَاخِرُ
فكم عَبَّتِ النفسُ اللجوجُ وحاوَلتُ
فأخفتُ من الدرِّ النفوسِ ومن حلى
كأن بها أَفَقًا كأفَقِكَ نَائِيًا
أُتْربُ من لحنِ الخريِرِ كأنه
كما يَطْرِبُ النشوانُ من لحنِ صوتهِ
وإِلا فما للموجِ في اليمِّ راقِصًا
خريِرِكَ يحكى صدحةِ الدهرِ صامتًا
هو الدهرُ لا يخشى المنايا ولا يهيى
وأنتِ شبيهه الدهرُ لا أنتِ هارِمٌ
ويصطخبُ الأذْيُ فيكَ كأنما اصْـ
أخْفَقَ وإِعصارٌ ودَفْعٌ وهبَّةٌ
فريحُكَ أنفاسٌ وموجك نابضُ
خَلَوْتَ من السُّمَّارِ كالبيدِ وامَّحَتْ
سوى شَلَوِ فُلُوكِ قد حدرتِ إلى الردى
وكم جزرٍ مثلِ الجنانِ مضيئةِ

لَخِيلَتْ نَجُومَ السَّعْدِ وَالْحُبِّ وَالْمَنَى
كَمَا حَنَّ لِلَّالِ الْخُلُوبِ قِوَاغِلُ
لَخَلَّقْتَ فِي قَلْبِ الْمَخَاطِرِ هِمَّةً
يَحْنُ إِلَى مَا خَلْفَ أُفُقِكَ نَاطِرُ
كَأَنَّ مَنَى لِلنَّفْسِ مِنْ خَلْفِ أُفُقِهِ
أَوْ أَنَّ مَجَالَ السَّعْدِ دَرٌّ مَنْظَمٌ
بَلَى كُلَّ نَفْسٍ لِلْغَرِيبِ مَشْوِوَقَةٌ
وَيَصْغُرُ فِي مَرَاكٍ عَيْشُ ابْنِ يَوْمِهِ
خَوَاطِرُ مِثْلِ الْفَلَكَ فِيكَ شِوَارِدُ
تَنَاءَتِ بِكَ الْأَمْوَاجُ وَهِيَ نَوَافِرُ
كَأَنَّ بِهَا عَجَزَ الْمَشِيبِ إِذَا انْتَنَتُ
فَنَمَّ نَوْمَةَ الظِّلِّ الْبَطِيءِ مَسِيرُهُ
فِيَا رَبِّ حِلْمٍ خَامِلِ الْبَطْشِ هَادِي
كَأَنَّ لَنَا مِنْ لُحِّ مَائِكَ وَاعْظَا
رَأَيْتُكَ وَالْأَمْوَاجُ فِي وَثْبَاتِهَا
فَبِينَا يُرِيقُ الضَّوْءُ فَوْقَكَ مَاءَهُ
وَيَتَلَوُّ عَلَيْكَ الصَّائِدُونَ غَنَاءَهُمْ
وَيُسْمِعُكَ الْمَلَاخُ مِنْ شَجْوِ قَلْبِهِ
إِذِ الْجَوْ جَهْمٌ وَالرِّيَّاحُ كِتَائِبُ

فَحَنَّ إِلَيْهَا الشَّخْشَخَانُ الْمَخَاطِرُ
تَخَبَّ بِهَا فِي الْبَيْدِ إِئِلَّ ضِوَامِرُ
عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى وَتَبْلَى الْعِمَائِرُ
كَمَا تَنْتَشِدُ الْغَيْبَ النُّهَى وَالْبَصَائِرُ
تَلُوحُ كَمَا لَاحَ السَّرَابُ الْمَبَادِرُ
عَلَى الْوَاقِعِ يَنْحُوهُ الطُّلُوبُ الْمَغَامِرُ
وَإِنْ خَوَّفَتْهَا مِنْ سَطَاهِ الْمَحَازِرُ
وَيَكْبُرُ رَأْيِي ذَاهِبٌ فِيكَ سَائِرُ
يَضِلُّ عَلَيْهَا عَازِبُ اللَّبِّ حَائِرُ
وَجَاءَتْ بِكَ الْأَمْوَاجُ وَهِيَ ثَوَائِرُ
وَعَزَمَ الشَّبَابُ الْغَرَّ وَهِيَ بَوَادِرُ
وَوَثِبَ وَثْبَةَ الْغَضْبَانِ حِينَ يُسَاوِرُ
ضُمِنْتَ وَجْهٍ شَرُّهُ مَتَطَايِرُ
بَلِيغًا لَهُ مِمَّا أَثَرْتَ زَوَاجِرُ
عَسَاكِرُ حَرْبٍ قَدْ تَلَّتْهَا عَسَاكِرُ
وَتَجْرِي عَلَيْكَ الرِّيحُ وَهِيَ خَوَاطِرُ
يَرَجِّعُهُ لَحْنٌ مِنَ الْمَاءِ مَائِرُ
أَحَادِيثٌ قَدْ تَأَقَّتْ لَهَا الْحَرَائِرُ
وَإِذْ أَنْتَ مَقْبُوحُ السَّرِيرَةِ غَادِرُ

ورُبَّ سفينٍ يَقَرَّعُ النجمَ مجْدُها
يروِّعها في كل هوجاء موعدا
فليس الغمامُ الغمرُ إلا رياحها
وما ذلك اللج الذي في سمائها
إذا ذَكَرَ المَلَّاحُ زوجًا وصبيَّةً
وتذهل عن مهْدِ الوليدِ رءومه
وما هي إلا صولةٌ ثَمَّتِ انجَلَّتْ
كما غرقت في لجة الدهرِ دولةً
تقاذفها مستوفز اللجِّ هامرُ
ويسعى لها قَبْرُ من الماء سائرُ
وما المرسلاتُ الهوجُ إلا الهوامرُ
بأهدأ من لَجِ نَمْتُهُ الزواخرُ
طغى شجن في مرجل الصدر فائرُ
إذا ما رَمَتْهَا بالوعيد الزماجرُ
وأكْبَرَ غرقاها المساعي البوائرُ
زهت ما زهت و الدهرُ للناس غامرُ

معانٍ لا يدركها التعبير

كم معانٍ يودُّ لو صاغها المرُ
هي ملءُ الضميرِ لم يبلغ اللفُ
كُلَّمَا رامَ أن يعبرَ عنها
فَهَيَّ عذراءُ لا تحنُّ لناءٍ
نَزَلَتْ في النفوسِ مَنْزِلَ صِدْقٍ
وتأبَّتْ عن قانصِ الحقِّ باللفِ
هي جزءٌ من النفوسِ وهل تَبُّ
لن تراها بالرأي حتى تراها
طالما نالها أخو الصمتِ والصمِّ
إنَّما تتطقُ النفوسُ لدى كُلِّ
ونجِّيُ النفوسِ ليس الذي أُلِّ
إنَّ وأدَّ الأبناءِ أهونُ خطبًا
ذلُّ من خاف لومةَ الناسِ في قوِّ

ءُ وحلَّى بها وجوهَ البيانِ
ظُ مداها ولم تُذَلِّها المباني
أَنْفَتُ أن تُنالَ بالأذانِ
وهي عذراءُ لا تليُّنُ لداني
كنزولِ النفوسِ في الأبدانِ
ظُ ولو كان واسعَ التبيانِ
دو نفوسٍ لمدرِكٍ بالعيانِ
بفؤادٍ موفِّقٍ يَقْضَانِ
تُ كريمِ البيانِ جُمُّ الأمانِ
مصيخِ إصاخةِ المذَعانِ
جَمَ فاه من رهبةٍ أو هوانِ
وأثامًا مِنْ وَأَدِ تلك المعاني
لة حقِّ فلجَّ في الكتمانِ!

غلام مريض يكلم أمه

خبريني أمي أن متُّ ماتتْ
والحنانُ الذي أضْمُّ به كلَّ
والضياءُ الذي ترينَ بعيني
وهل المرءُ في المماتِ غيبينُ
عاهديني أن لا تعاني لموتي
وإذا شئتِ فاجعليه رشاشاً
في قليلٍ من البكاءِ بلاغُ
لستُ أرضى لحرِّ وجهك أن يُزْ
لست أرضى لأضلعِ حَمَلْتِنِي
ولصدرٍ قد كان يحنو على جسِّـ
العصافيرُ في الرياضِ تُعَنِّي
كنتُ في العيشِ مثل هذي العصافيرِـ
فألاحت لي المنونُ بوجهِ
ليس ما بي خوف الجبانِ ولكنْ
كالمكان الخرابِ يبعث في النفْـ
فهو يخشى وليس يعرف ما يخْـ

نزعاتي إليكمُ وحنيني؟
قريب معانقٍ أو قرينِ
أمضيءٌ سواد تلك المنونِ
أم هو المرءُ فيه غيرُ غيبينِ
حرقاتٍ تُفِيضُ ماءَ الجفونِ
ذلك الدمعِ واحبسي من أنينِ
وكثيرُ البكاءِ داء العيونِ
رى به من شحوب وجهِ الحزينِ
أن تعاني حملَ الأسي المكنونِ
مَيَ في المهدِ لوعةً من شجونِ
لا كجسمي تحت الترابِ الدفينِ
رِ أُغْنِي في وكري المأمونِ
أبي راءٍ يرضيه وجهُ المنونِ؟
خوفُ جهلٍ لا خوفُ جُبْنٍ وهونِ
سِ خشوعاً ورعدةً للظنينِ
شئى ووجه الفناءِ غير أمينِ

التنويم المغنطيسي أو عزيمة المجرم (قصة)

مصميات ساكنات	بلحاظ راميات
طاء عند الوثبات	كلحاظ الحية الرق
بدعاء أو شكاة	واعترام ليس يُثنى
قبل خير الآيات	قادها كرها وكانت
فعل تلك النظرات	جعلت تُغضي لتمحي
في الشباك القانصات	فهي كالطير قنيص
كجناح الطائرات	ولها قلبٌ خفوق
ف كخوف الغانيات	خيفة الرجس ولا خو
بحديث اللحظات	صار يدعوها إليه
فهي طوع الأمرات	لحظاتٍ أمرات
باقتدار العزمات	تأخذ المرء اقتسارًا
ها بخير الرحمات	رحماتُ الله ترعا
ر لحكم الشهوات	كم يُضحّي الشرُّ بالطُّه
جز وجه العزمات	رُبَّ جانٍ علم العا
جذاب الفرصات	رُبَّ جانٍ علم الغرّ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

كلّ خبّ ودهاءٍ
هو محسوب علينا
واعترامٍ للجناة
في أساليب الحياة!

الحلال والحرام

إذا لم يَعُدْ بالشرِّ ما أنتَ ناعمٌ
فكم لذةً للمرءِ كان اغتصابها
وما كلُّ ما يأتيك عفواً مُحَلَّلاً
ولكنها اللذات ما غاب ضرُّها
فَرُبَّ حلالٍ حرَّموه وحرمة
متى يَعْرِفُ الأَقْوَامُ حلاً محرِّماً

به فانتهزه ليس فيه حرامٌ
حراماً أطلت والصروفُ كِرَامُ
ولا كلُّ ما لا ينتحيه ملامٌ
حلالٌ وإن هابَ الحلالَ لئامُ
أَحَلُّوا وألباب الأنامِ نيامُ!
فيروى من الحلِّ الحرامِ أوامُ؟

ليتني كنت إلهًا

ليتني كنتُ في السماءِ إلهًا
فأضُمُّ الوجودَ بينَ جناحَيَّ
ثم أحنو على الأنامِ كما يحـ
ليس شرِّي عليهمُ بهتُونِ
إنَّ وعدي لديهمُ خيرٌ وعدٍ
ليس حكمي عليهمُ بشديدٍ
ونداماي في الملائكةِ الغرِّ
مجدُّوني حتى عَطَفْتُ عليهم
هم أجادوا المديحَ والنَّعمَ العذَّ
هم أضاعوا كواكبي بضيائي
وهُمُ في الظلامِ حولي قيامُ
كم عناقٍ لي بينهم والتزامِ
لو تراني وعزتي وجلالي
لو تراني وعزتي غير عزها
وهُمُ يَبْسِمُونَ عن جذلِ جمِّ
فتنوني بمبسمٍ وقوامِ

نافذَ الأمرِ في شئونِ الوجودِ
وأسطو على الشقاءِ بجودي
نو شفيقٌ على الرضيعِ الوليدِ
إنَّما العدلُ آيةُ المعبودِ
ووعيدي بالشرِّ غيرُ وعيدِ
وقيودي لديهمُ بقيودِ
حسانُ من الظباءِ الغيدِ
فاستراحوا من ضجةِ التمجيدِ
بَ فأعفونا من ركعةٍ أو سجودِ
وأثاروا بوارقي ورعودي
لم يهيجوا لواعجي بالصدودِ
وارتشافٍ من الرضابِ البرودِ
وجنودي وعدَّتِي وعيدي
ة وقولي: أحبكم يا عبيدي!
وعيشٍ هناك غير عميدِ
وبجيدٍ وأعينٍ وخدودِ

ليس فيهم من خائنٍ أو خبيثٍ
ولهم في أوائلِ الفجرِ لحنٌ
وسقاني من الملائكة الغرِّ
رُبَّ ساقٍ متوجِّجِ الرأسِ بالزُهِّ
ولنا من سمائنا فوق هذا الـ
كم بعثنا اللحاظَ في غَسَقِ اللَّيْلِ
فإذا النَّاسُ بينَ باكِ وضَحَّا
ورأينا في مرقدِ الغادةِ الرو
فضحكنا حتى أفقنا من الضَّحِّ
كم رفعنا قنانيَ الخمرِ للسا
فأضاعت له الطريق سوياً
فأرقنا عليه ديمةَ مُزْنِ
وضحكنا ضحكاً يضجُّ له المَوْ
هكذا تمزح الملائكةُ الغرُّ
رُبَّ مزحٍ سهَّلِ المساعِ ومزحِ
ومزحنا مزحِ خالصِ النفسِ والكفِ
بُسطَ العرشُ فاستويْتُ عليه
أنا بالخيرِ قائمٌ، وأخي إِبْنُ
كم سخرنا من خائفٍ غيرِ ندبِ

أو لنئيمٍ أو حاقِدٍ أو حسودِ
يوقظون الطيورَ بالتجریدِ
وصيفُ شرابِ أهلِ الخلودِ
رِ صَقِيلِ اللحاظِ غيرِ عنيدِ
نَّاسِ إشرافُ سيدٍ معبودِ
لِ ولحظِ الباليه غيرِ شريدِ
كِ ومُضْنَى من لوعةٍ أو حقودِ
د نساءً حُلِينِ بالتجریدِ
كِ وحتى حَسِبْنَهُ من رعودي
ري إذا ضلَّ في الليالي السودِ
وهدته هَدْيِ اللبيبِ الرشيدِ
سَلَبَتْ منه جدة في البرودِ
تى ويشكو منه حبيسُ اللُّهُودِ
ومزحُ الكرامِ غيرُ شديدِ
مستطيلِ العداةِ غيرِ حميدِ
بريء من سواةٍ أو حُقُودِ
مُسْتَعِزًّا بِمُلْكِي المدودِ
ليس بالشرِ قائمِ والوعيدِ
إنما الجبنُ آفةُ الرعيدِ

وطربنا من عابد العملِ الجمِّ
أنا والحب خالداً، كلانا
هو تربي والكون طفلاً وليدٌ
يا جمالَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ العُشَّ
يا جمالَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ الشا
يا ضياءَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ الرا
يا حياةَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ الصا
يا حياةَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ المَطَّ
يا حياةَ الحياةِ مَنْ عَلَّمَ العوَّ
قد أرتهم ملأكي طرفَ العيِّ
أنا شيخٌ وهم تلاميذُ صدقِ
سُنتُ هذا الأنامَ بالحلم حتى
وهجاني من البُغاثِ كثيرٌ
هكذا سُنَّةُ الوري، وقديماً
وأنتتي قوارصُ عن أخِ الجَهِّ
ذهنه خاذلٌ فلو كان رياً
كيف أخشى هَجْوَ البغاثِ وقد نا
فاعترامُ الجهولِ غيرُ جليلِ
ما رعودي لهم وعيداً، ولكنْ

عظيم الفؤادِ غير قعيدِ
ذو صيالٍ ونشوةٍ وجنودِ!
وسميري ومسعدي وعقيدي
أقَ رشفَ اللمى ولثمَ النهودِ؟
عَرَ وَصَفَ الهوى ونسجَ القصيدِ؟
سمَ رَسَمَ الضحى ووردَ الخدودِ؟
نع صُنَعَ الدمى الحسان الغيدِ؟
ربَ حسنَ الغناءِ والتغريدِ
أدَ إفصاحَ عوده الغرَّيدِ؟
شَ فأوروا نكاءهم بزنودي
شايعوني بالنصرِ والتأييدِ
صار رأيي في الحلم غيرَ سديدِ
ليس فيهم من عاقلٍ أو رشيدِ
هلك الليثُ في زمانِ القروِدِ
لِ فويح لمثله من قصيدي
لذبابٍ لمات من تصريدِ
هضتُ إبليسَ في زبون كئودِ
وأماني الحسودِ غيرُ ولودِ
ضحك سُخرٍ بالشانئِ المجهودِ

طارق اليأسِ لا تلخ لي بأمنٍ
أنا أقوى من أن أذلَّ ليأسٍ
ودمٌ للحياة هاجَ بقلبي
نبضاتٌ في القلب تحيي طموحي
كلُّ عيشٍ سهلُ المساغ وإن مرَّ
لهفٌ نفسي على مراتب عزِّ
لهف نفسي على مراتب قد يبَّ
رُبَّ عيشٍ لي في السموات رغدٍ
كان يقضي القضاء أمري فما حُكَّ
عزلوني عن حكمها فكأنِّي
غير أني قد كنتُ أحسن عهدًا
ولو أني بقيتُ في الدست حينًا
فكأنني قرْدٌ يُقلدُ فيها
أيُّها الغافلون قوموا جميعًا
لم تدع لي نوائب الدهر منها
ولسانٍ مثل الحسام رهيفٍ
واعفني من حديثك المقنودِ
مستعيرًا بأمره المعقودِ
موقفًا بعضَ همتي بالوئيدِ
وتزيحُ الهباءَ عن مجلودي
سوى عيشٍ يائسٍ مصفودِ
تطبينًا بالسؤددِ المعقودِ
لغها المرءُ في الخيالِ البعيدِ
ليس عيشٌ من بعده بحميدِ
سمي لدى الحادثات بالمردودِ
يوم ذاك السلطانُ عبد الحميدِ!
وعهودُ البغاة غيرُ عهودي
هلك الناسُ من زمانٍ بعيدِ
ربَّه، بئسَ ذاك من تقليدِ!
واسألوني عن عدتي وعيدي
غيرَ قلبٍ على الحياة جليدِ
وبيانٍ كاللؤلؤ المنضودِ!

لسان الغيب

يا لسان الغيبِ ناجي شاعرًا
عرف الهمَّ فلم يخنع له
إنَّما العيشُ عظيمٌ لا يني
ودحا الكون بلحظٍ صادقٍ
يبتغي المخبوءَ في مكنه
ويردُّ الناسَ عن غفلتِهِمْ
باشِرَ الحالاتِ كي يخبرها
يا رسول الغيبِ لا تَعْنَفْ بِهِ
إنما الشاعر فيما يبتغي
بائعٌ باع رخيصًا عُمرَهُ
ودهتهُ في العوادي حكمٌ
قد أحبَّ العيشَ لا حُبَّ امرئٍ
وقلاه لا قلى مستضعفٍ
واستقاد العيشَ لا تكرثُهُ
فإذا شاء رأى في الجذب خصبًا

كشفَ الغيبَ له طولُ الأنينِ
ورمى الدهرَ بصبرٍ لا يخونُ
يتقاضاه الأسي وهو ديونُ
فرأى ما لا يراه الناظرونُ
ويناجي الله في تلك الظنونُ
ما علا يومًا على الشكِّ اليقينُ
ويرى في بعض ذاك العزِّ هُونُ
أطرقِ الشاعر في رفقٍ ولينُ
باحثٌ برُّ على الغيبِ أمينُ
بعلالاتِ المنى وهو غيبينُ
جُنَّ منها لُبُّه أيَّ جنونُ
واجدٍ يخشى على العيشِ المنونُ
يبتغي الآمالَ أو حزَّ الوتينُ
صولةُ العاداتِ بالداءِ الدفينُ
ورأى في الراكدِ الماءَ المعينُ

نعمى الزواج

إنَّما عقْدَةُ الزَّواجِ عَقْلٌ
هو ذاك النعيم لو أسْلَسَ الحِظُّ
وهو مأوى المظلوم من حَدَثِ الدهـ
جاعلٌ بيننا هضابًا منيعا
غير أن الحلاب أعذَّبُ وردًا
إنما المورد الحرام كسمِّ الـ
أحكم الله عقْدَةً هي كالعضـ
جاعلاً ذلك الزواج كريمًا
إنَّما الزوج موئلاً حيث لا مؤـ
وهي كالنجمَةِ المنيرة في جُنـ
ولجَّتْ في الصميم من حَبَّةِ القلـ
وإِسارٌ أنعمَ به من إسارِ
وباب الجحيم عند العثارِ
ر بشؤبوب ديمةٍ مدرارِ
تِ وبين الأهواء والأوطارِ
وهو أنأى عن ذلةٍ وصغارِ
صِلِّ في طرف مؤخرٍ غدارِ
بِ لدى عقْدَةِ الخطوبِ الكبارِ
كزواج الأنداءِ للأزهارِ
ئل يُنجي من صولةِ الأقدارِ
ح دُجى الخطبِ للشريد الساري
بِ وحلَّتْ بموطنِ الأسرارِ

الشاعر وصورة الكمال (قصة)

قد حَدَّثُوا عن شاعرٍ نابغٍ
لم يَعشَقِ الغيدَ وَلَكِنَّهُ
صُورَةٌ حَسَنٌ صَاغَهَا لِبُّهُ
فصارَ كالطفلٍ رأى بارِقًا
يمدُّ نحوَ النجمِ كَفًّا له
فأينما سارَ تراءت له
خيالها دانٍ به حائِمٌ
وربما ألبسها وَهْمُهُ
قد هجر الأترابَ من وحشةٍ
يحدِّثُ النفسَ بأمرِ الهوى
فبينما يسعى على قمةٍ
رأى التي صورها لِبُّهُ
قالت له: إن كنت لي عاشقًا
فسارَ يقفو إثرها هائمًا
وهمَّ أن يُمسِكها جَاهِدًا

مجوِّدِ الشعرِ شريفِ المقالِ
هامَ بيكرٍ من بنات الخيالِ
وحَدُّها في الحسنِ حدُّ الكمالِ
هاج له أطماعه في المحالِ
ويحسبُ النجمَ قريبَ المنالِ
كما تراءى خادعًا لمُع آلِ
كانه غير عزيز النوالِ
جسمًا وكمَّ وَهْمٍ غريب الصيالِ
وصار يمشي فوق هامِ الجبالِ
ويسأل الأرواحَ رجع السؤالِ
تروِّع النفسَ بمرأى الجلالِ
تصوير صبِّ عابدٍ للجمالِ
فاتبَّعَ خُطايَ واستنصَى بالخيالِ
والمهتدي بالوهمِ جمُّ الضلالِ
بين ذراعيه بأيدي عجالِ

ما زال يعدو جهده نَحْوَهَا
فرحمة الله على شاعرٍ
حتى هوى من فوق تلك القلالِ
مات قنيلًا للأمانى الطوالِ!

رَبِّمَا أَوْ الْمَرْهُوُّ بِحَمِيدِ خُلُقِهِ

يا سعيدًا ينتيه بالخُلُقِ الْفَا
خَفِضِ اللَّحْظَ قَدْ يَتِيحُ لَكَ الْعَيْـ
ربما شبَّ بين جنبيكَ للشرِّ
كُلُّ نَفْسٍ فِيهَا إِلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
أنت في اليوم واسعُ الجاهِ غَضُّ الْـ
خالصُ الكفِّ من دماءِ قَتِيلِ
ربما كنتَ في غدٍ أَشَعْتَ الطَّبَّـ
خاضبَ الكفِّ من دماءِ عدوِّ
أو طريدًا يرميه بالنظرِ الشَّرُّ
كم وجوهٍ مشبوبةٍ من حياءِ
كُلُّ نَفْسٍ فِيهَا عِزَائِمٌ وَسَنَى
ليس تبدو حتى يمزَّقَ عنها
أكثرُ النفسِ ساكنٌ غيرُ يَقْظَا
ربما أَضْرَمَتْ حَوَادِثُ فِي النَّفِّـ

ضِلُّ فِينَا كَتَيْهِ أَهْلُ الثَّرَاءِ
شُ أُمُورًا مِنْ حَادِثَاتِ الْقَضَاءِ
ضِرَامٌ مَا إِنْ لَهُ مِنْ فَنَاءِ
دَوَاعٍ طَوِيلَةَ الْإِغْفَاءِ
خَيْرِ لَدُنُّ الرِّخَاءِ رَطْبُ الرِّجَاءِ
أَبْيَضُ الطَّبَعِ لَمْ يُشَبَّ بِرِيَاءِ
عَ لَنْيَمِ الْخِصَالِ جَمَّ الشَّقَاءِ
طَائِرَ الضَّغْنِ ثَائِرَ الشَّحْنَاءِ
رِ عَظِيمِ الرِّيَاءِ جَمَّ الْحِيَاءِ
وَقُلُوبٍ لَنْيَمَةِ الْأَهْوَاءِ
فَهِيَ كَالْغَيْبِ لَا تَبِينُ لِرَائِي
قَدْرٌ وَقَعَّ سَتُورَ الْخَفَاءِ
نَ خَفِيٌّ خَفَاءَ غَيْرِ عَفَاءِ
سِ وُلُوعًا بِالْخَيْرِ جَمَّ السَّنَاءِ

النساء في الحياة والموت

قُمنَ يرفُفنَ في الليالي السودِ
بعد أن كنَّ للعيون جلاءً
مالناتِ وجَهَ الحياة ضياءً
هزَّ منها الهوى ثمارَ صباها
يتواقعنَ كالنسيمِ ويَجْنِبِ—
صِرْنَ يخطرُن في الظلام ويرمي—
ويرجغنَ في الظلامِ صراخَ الـ
لابساتِ أكفانهنَّ حياءً
هنَّ في الموت والحياة يُخبئُ—
ربما أضمرَ الرياءَ حياءً
بعد أن صِرْنَ طعمةً للدودِ
فاتتاتِ بأعينٍ وخدودِ
عابثاتِ بمسعداتِ الجدودِ
هزةَ الريحِ زهرةَ الأملودِ
—نَ لحاظي بثني تلك القدودِ
—نَ عيونَ الرائين منها بداءِ
—بومٍ حتى يُسقمَنَ وجهَ الهواءِ
—إن تری قُبْحَهُنَّ عينُ الرائي
—نَ عيوبًا تزري بذاك الحياءِ
وبدا في الحياءِ بعضُ الرياءِ!

العقاب بالقتل

أطيلوا حياةَ الجارمينَ فإنَّها
أُتْبِغُونَ أَنْ تَنْفُوا بِجْرَمِ جَرِيمَةٍ
فلو أنهم عاشوا وفي السجنِ معهُدٌ
لقد أخلفتهم بلغةُ العيشِ برَّها
لبئسَ حياةَ المرءِ والفقرِ عاكفٌ
فقلْ للألى أذوى النعيمِ قلوبهم
كأنكم بالضامرينَ تعارفوا
هنالكِ إنِّي للفقيرِ لَعَاذِلٌ
حياةٌ إذا سدَّ المطامعَ عاقرُ
هي القتلُ يأتيها مقيدٌ وعائرُ
لتهذيبهم عاشوا وفي العلمِ زاجرُ
زماناً وحاجاتِ الحياةِ غوادرُ
عليه وأسبابِ الحياةِ جرائرُ
أعينوا ألي الحاجاتِ فالفقرُ كافرُ
على نيةٍ سواءٍ والجوعُ أمرُ
وإنِّي له مما يعانيه عاذِرُ!

عيون الندى

عيون الندى كوني على الزهر إنّه
فليس عيون الغيد أشعلها الصبا
ولا أطفأت منك الغزاة رونقا
ولا زال مكسال النسيم إذا سرى
يهزك هز الظئر مهد وليدها
ولا زال غريد العصافير واقعا
يطلُّ على العشاق منك ويُسرفُ
بأروع في لآئها حين تعطفُ
على الروضِ جذلان المدامع يذرفُ
على روضةٍ يحنو عليك ويرؤفُ
فلا المهدُ يشكوها ولا هي تعنفُ
على الزهرِ يحسو منك رياءً ويرشفُ

الحاجة المكتومة (قصة)

زعموا أن فتاةً
شُهرت بالبرِّ والنَّفـ
ما رآها عارفوها
ما رآها عارفوها
هي عاشت في جلالٍ
حين ترنو الشمسُ حزناً
لم تجذَّ وجدًا فتمحو
فلها عيشٌ رقيقٌ
وهي لم تُمنَّ بهمَّ
غير داءٍ خَفِيَتْ أَسـ
وافتقارُ النفسِ للحبِّ
هزلت في كلِّ يومٍ
ولها لحظٌ ضعيفٌ
أتراها سَتَرَتْ حا
أم تراها جهلتها
عُمِرَتْ حينًا وماتتْ

جَمَعَتْ طيِّبَ النساءِ
—وى وحسنٍ وحياءٍ
ضَحِكَتْ ضِحْكَ الضيَاءِ
رَدَّدَتْ رَجَعَ الغناءِ
كجِلالِ للمساءِ
وهدوءًا في السماءِ
هُ بِأَحْيَاءِ البكاءِ
كغديرٍ في الصفاءِ
وهي لم تُمنَّ بداءِ
—بأبئه عن كلِّ رائئِ
عنيفٌ لا يرئئِ
في صباحٍ ومساءِ
مثل ضعفٍ للفناءِ
جَتَّها سَتْرَ رياءِ
جَهْلَ طُهرٍ أو غباءِ؟
من عفافٍ وحياءِ!

الإنسان والزمن

حيوانٌ مهذبٌ	أم إلهٌ معذبٌ؟
صرح الخير والاذى	فيه والخير أغلب
فإلى العجم نسبة	وإلى الله يُنسب
وهو في الشر يرغب	وهو في الخير يرغب!
وله دُونَ شره	في الليالي مؤنّب
وله دُونَ خيره	في الليالي مهذب
نهل هذه المنى	والمساعي تقرب
لحياة قبل الحيا	ة وعيش لا يكذب
تذكر النفس حالها	فيه والحال تعجب
فجنابٌ موطأً	واقنذارٌ محبّب
ولها عند أمسها	في ضحى اليوم مطلب
وملأ في يومها	وطموحٌ ومعتب
ولها كل ساعة	شجنٌ أو تطرب
مثلما أذكر الغريب	ب حبيباً تغرب
مثلما هاج للغريب	ب جوى الحزن مغرب
فالمالُ التنقلُ	والمالُ التقلبُ

والبقاءُ التغيُّرُ	والحياةُ التطلبُ
أوماً تبصر الزما	ن أتياً لا ينضبُ
وهو للعمر مالى	وهو للعمر يسكبُ
وله الكونُ خلعةُ	يرتديها فيحجبُ
وله القلبُ منزلُ	وله النفسُ ملعبُ!

مراجعة الحب

دعني أقتاتُ من عيونك بالـ
ودعُ جفوني تبلُّ خدَّك بالـ
نستدفعُ العتبَ بالعناقِ وننـ
هل تذكر الموقفَ الرهيبَ وقد
ولهان أبكي وأنت ذو خجلٍ
تحسب حبيكَ شرًّا منقصيةً
وإنما الحبُّ سلوةٌ جلل
وإنما الحبُّ كالضرامِ إذا
وإنما الحسنُ نهزةٌ تدعُ الـ
لقد عرفنا الحياةَ معرفةً
فاملأ بعطفيكِ ساعديَّ ولما
لم يخلق الله حسنكم عبثاً
أليس يرضيك أني رجلٌ
ما أنت بالقارئ الأديبِ فأر
يا دولةَ الحسنِ غير راقبةٍ
إن تسعدي الشاعرَ القنول فقد

لخظِ وأروى من خمرةِ الجذلِ
دَمَعٍ وتحكي مصارعَ الأملِ
فيه بإحياءِ ضجةِ القبلِ
مالت بسمعيك حجةِ العذلِ
وقد يراضُ الحبيبُ بالخجلِ
تفعل بالجاه فعلةَ الأسلِ
على شقاء ذي دولةٍ جللِ
أجيعَ يخبو كخبوةِ الشعلِ
خائبَ يبكي منها على طللِ
يهابها خائفٌ من الزللِ
تترك فوادي بالصدِّ في شغلِ
يا باعئين الهيامَ بالمقلِ
طال من الشَّعرِ مبلغَ الأوَّلِ؟
قبيكَ بقولٍ من حكمةِ الرسلِ
من الليالي مصارعِ الدولِ
أسعدت طباً بأمرِكَ الخضلِ

أو تخذليه فأنت عادية
يا باخلاً بالنعيم لا عجب
أما ترى لذة الحبيب إذا
تسدُّ عنه منافذ الحيل
إن أنت عانيت شقوة البخل
قبله عاشقٌ على وجل!

الحاجات الممتزجة

كم حاجة للنفس ممزوجة
كذلك الحبُّ به شهوة الـ
ونفحةُ الزهرِ بها شهوة الـ
ولذةٌ للنفس في طيِّها
يا عجباً للنفسِ يهتاجها
كم من صلاتٍ بين نفسِ الفتى
وربَّ لونٍ هاج شجْو الفتى
إنَّ غذاءَ الذهنِ فيما احتوى
والحسُّ بابُ النفسِ كم والـجِ
إنَّ عناءَ الجسمِ في فعله
وربَّ داءٍ والـجِ جسْمه
لا راحةً للنفسِ في حيث ما
بحاجة الجسمِ كخمرٍ وماءٍ
جسمٍ وريٍّ للنفوسِ الظماءِ
أنفٍ إذا سيقَّتْ بريحِ رخاءِ
تفعلُ فيها مثلَ فعلِ الدواءِ
بشجْوهِ الصوتُ سليلُ الهواءِ
وبين موجوداتِ هذا الفضاءِ
وفتَّحَ الذهنُ بمرأى الضياءِ
من سَمعِ أذنِ المرءِ أو رأيِ راءِ
منه إليها بالحجى والغباءِ
يغري بنفسِ المرءِ برُحِ العناءِ
يصابُ عقلُ المرءِ منه بداءِ
للجسمِ فيه مطلبٌ للرخاءِ

أنفاس السحر

نسِيمُ الرِيَاضِ وَرِيحُ السَّحَرِ
يَمُرُّ عَلَيْنَا النَّسِيمُ الْعَطِرُ
فَمَا اسْتَبْرَدَ الْقَلْبُ رِيحَ السَّحَرِ
وَكَمْ فِي الدَّجَى مِنْ بَدِيعِ الْغُرُرِ
وَمِيزُ النُّجُومِ بِوَجْهِ الْعُدُرِ
نَظَرْتُ إِلَى النُّجْمِ لَمَّا سَفَرُ
سَوِيعةً لِلْقَلْبِ فِيهَا عِبْرُ
تَطْيِبُ الْأَمَانِي بِهَا وَالذِّكْرُ
جَنِينًا مِنَ الْحَبِّ خَيْرَ الثَّمَرِ
فِيَا نَفْسَ الصَّبْحِ لَمَّا ظَهَرَ
لَقَدْ صرْتُ ذَكَرِي تَشَبُّ الذِّكْرُ
أَهَابَا بِشَجْوِي حَتَّى ظَهَرُ
بِبَرْدِ الدَّجَى وَبَطْيِبِ الزَّهَرِ
حَتَّى اسْتَثِيرَ لَهُ مَا اسْتَتَرَ
مَنَاظِرُ تَصْبِي الْفَتَى مَا نَظَرُ
وَلَوْنُ الدَّجَى حَوْلَ ظِلِّ الشَّجَرِ
ثَقِيلُ النِّعَاسِ بَعِيدُ النَّظَرِ
يَهِيحُ الْخِيَالُ بِهَا وَالْفِكْرُ
وَتَنَشَّقْنَا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ
وَنَلْنَا مِنَ اللَّهْوِ أَقْصَى وَطَرِ
وَيَا حِنْدَسَ اللَّيْلِ لَمَّا انْحَسَرُ
بَطْيِبِ الزُّهُورِ وَبِرْدِ السَّحَرِ

امراة تُكَلِّمُ بَعْلَهَا

ليس الجمالُ عقارًا أنت مالِكُهُ
تعتدُّني سلعةً في ملكها أربُّ
في كلِّ لحظٍ عطيلٌ ثارَ ثائره
وتحسب البعلُ مولىً زوجه سفهاً
وحاجةُ النفس في نديِّ أخي كرمٍ
هل كلُّ قولك حقٌّ لا ارتيابَ به
أم أنت عندي كما تهواه من خطلٍ
لا يطعم البعلُ منكم حبَّ زوجته
لا يصحب البعلُ منكم روح زوجته
فصار رأيكم في العيش ذا عوجٍ
إنَّ الجمالَ جمالُ الله والناسِ
تموت داءً ولا يدنو لها النَّاسِي
وكلَّ خطرةٍ فكرٌ رجعٍ وسواسِ
فهل يُشايخُ رأيي رأيك القاسي
جمٌّ ورفقٍ وإعزازٍ وإيناسِ
أم كلُّ طبعك حلوُّ الطعم للحاسي
أعزُّ عندي من العينين والراسِ
فليس يعرف فيه غير أرجاسِ
دعم الودادِ بأطنابٍ وأساسِ
جمٌّ وآمالكُم في الحبِّ كالياسِ!

الحسنة الغادرة

يأسي إليك أحبُّ من تأميلي
أذنيّتي حتى ملكتِ مسالكي
وجعلتِ حسناً فيك نحو نفوسنا
فأضاءَ بين ضلوعنا لك ضوءه
ولبستِ أهل الحب حلية ساعة
فإذا نأى لك عاشقٌ أنسيته
وحسبتِ غدرك كافلاً بشفائه
فدعي النفاقَ عزيزة التتويلِ
ومنازعي فهجرتِ هجر ملولِ
لك رائداً والحسنُ خيرُ دليلِ
سرّ الهوى ولو اعج المخذولِ
أو خلعة أبدلتها ببديلِ
إنّ المقيمَ لديك خيرُ خليلِ!
من دائه والغدرُ غيرُ كفيلِ!

النعمان ويوم بؤسه (قصة)

(كان للنعمان نديمان فماتا. فحزن عليهما حزناً شديداً، ودفنهما في قبر واحد. وجعل يوم موتهما يوم نحس سمّاه يوم البؤس. فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أول من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما! فحدثت القصة الآتية في يوم من أيام بؤسه):

لقد خرج النعمان في يوم بؤسه
وقد كان آلى أن أول قادم
رأى شاعراً ينحوه في بعض سيره
يرجى لديه الخير والخير عازب
فجاءت به الحراس وهو مقيد
فقال له النعمان قولة عازم
طلعت علينا طلعة لك شرها
طلعت علينا والردى لك راصد
فقال له العافي وقد حن قلبه
هو الجد بالإنسان غاد ورائح
ترك ورائي صبية وحليلة
فإن لم يكن إلا الممات فخلني
يرفه عنه من جوى غال غائله
على قبر ندمانيه تدمى مقاتله
وكان رحيباً للعفاة فناؤه
فيا ليته قد غاب عنه رجاؤه
عزيز المحيا ثابت الجاش مطرق
على الشر لا يلويه عنه الترفق
وقد يدرك الإنسان ما فيه ضره
عبوس ويوم البؤس قد طار شره!
إلى أهله شوقاً وهاج وجيبه:
ورب طلب يتقيه طليبه
وجئتك أبغي حاجة من تفضل
أودع أهلي قبل ساعة مقتلي

حلالٌ لنا إن لم تَعُدْ أن نقيدهُ
ضمين غريب خشية أن يكيده
له بين قُوَادِ الأَمِيرِ وصحبهِ
دليلاً على ما فيه من طيبِ قلبهِ
دعوتك للجُلَى فهل أنت سامعٌ؟
وأنت وَفِيَّ لا محالة راجعُ
وقد قَرُبَ الميعادُ أو كادَ يذهبُ
عليه وحبُّ العيشِ للنفسِ أغلبُ
عليك جَنَّتْهَا فيك شيمةٌ أخرجِ
فأَوْقَعَكَ المِقدَارُ في شرٍّ مزلقٍ!
مما تُرَجِّيْ إِنَّه غير سابقه
لقد كنتُ أخشى أنني غير لاجِقه
ولولا أتِي السيلِ ما عاق عائقُ
فأنت أمينٌ أبيضُ الودِّ صادقُ
على نفسه منها رقيبٌ يعينه!
أحق بإجلالِ الفتى أم ضمينه؟
على العيشِ بالإحسانِ والصدقِ والندى
إلى أن يتيح الدهرُ لي عادي الردى!

فقال له النعمان: هل لك ضامنٌ
أقم أنت نائي الدارِ لا غر بيننا
فقام غريبُ الدارِ ينشدُ ضامناً
إلى أن رأى شيخاً كأنَّ بوجهه
فقال له: هل فيك للخيرِ منزلٌ
فقال له: اذهب إنني لك ضامنٌ
مضى ما مضى حتى إذا آن عَوْدُهُ
وجاءوا بذاك الشيخِ والسيفِ مصلتُ
وقال له النعمان: هذي جناية
ضَمَنْتَ غريبَ الدارِ لم تَبُلْ صِدْقَهُ
رأوا فارساً يعدو كأن وراءه
فلما أتاهم قال: أين ضمينكمُ
فإنَّ أتِي السيلِ عاقَ مطيبي
فقال له النعمان: لا تَخْشَ بأسنا
وما كنتُ أدري أنَّ في الناسِ مَنْ له
ووالله ما أدري أوافِ بعهده
ألا عِللاني يا خليلي أنتما
فقد صرْتُ لا أخشى من البؤسِ عودة

اليأس داء والأمل داء

(يدفع العيشُ الإنسانَ إلى الأملِ فلا ينفعه الأملُ. ويدفعه إلى اليأسِ فبيأس فلا ينفعه اليأسُ. ويرى في اليأسِ أملاً وفي الأملِ يأساً. ويرى الأملَ يزجي إلى اليأسِ؛ واليأسَ يزجي إلى الأملِ؛ فيعلم أن اليأسَ داء والأملَ داء.)

كذَّبتُ أخلاقه ذاك الهوى	كلما أضمرتُ حبًّا لحبيب
مثلما أومضَ برقٌ وخبأ	في ضياءِ الحسنِ وعدُّ كاذبٌ
إنما نحن عبيدٌ للمنى	قال داعي الهَمِّ قولًا صادقًا
يجلب النعمةَ في داعي الأسى	عجبًا للدهرِ في أحكامه
وقلى والعيشُ لا يخشى القلى	عجبًا ليس يُروِّي غلةً
يبتغي في نيله برء الشقا	خُلِقَ الإنسانُ كي يشقى بما
لم تكن فيه دواعٍ للجوى	ولوَّ أنَّ اليأسَ بُرءٌ للجوى
إنما اليأسُ سبيلٌ للمنى	ما أتىح اليأسُ إلا شقوةً
خلق اللخناءَ مرور الجنى	صاحٍ إن العيشَ خلق كاذبٌ
فكأنَّ الحبَّ صنوٌّ للقلى!	نحن نهواه ونقلى حكمه

ضوء القمر على القبور

(إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور، خشع من جلالة ذلك المنظر. ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور، امتلكه الفزع من قساوة ذلك المنظر الذي يحكي له فناء الجمال في الموت، وفناء الموت في الجمال.)

إني رأيتُ بياضَ ضوءك موهناً	فوق القبور كعارضٍ يتهللُ
ففزعْتُ من ذاك البياضِ كأنه	لون المشيبِ على الذوائبِ يتقلُّ
ولربما كره الفتى صُورَ الردى	وهو الجريءُ على الحمامِ المقبلُ
ولقد رأيتك والقبور كأنها	أشباح ساكنة النواظر مُتَّ
نظر البريء إلى القتلِ مجندلاً	والروعُ في أنفاسه يتعجلُ
ولقد رأيت على الهلالِ سامةً	سأم يعالج مثله المتأملُ
فكأنه الحسناء يطرقها الردى	فتبَّيتُ تذوي في الفراشِ وتذبلُ
طوراً يريك الموت في لحظاته	حتى كأنَّ الحسنِ داء معضلُ
ويبيت طوراً في الرياضِ يعلُّها	مما يريق على الفضاءِ وينهلُ

الندامة

(الندامة إذا لم تطرق المرء على سيئ فعله، أغشاه الغي موارد الآثام، وأرهقه مرادها. وإذا طرقت، طرقتة إما بالعزم والنشاط، وإما بالهم الذي يخلص العزم والنشاط.)

ولكنها قد توئس المرء في الباقي	ندمنا وقد تمحو الندامة ما مضى
وتتحى على بالٍ السليم بإقلاق	وتودي بعزم صادق ذي عرامة
ومن لك من رقى الهموم بمعتاق	وتغري همومًا جمّة بفؤاده
وينبذ لب المرء ليس له واقى	وقد يخلص الهمّ الشجاعة والحجى
فترهقنا الآثام أعظم إرهاق	إذا لم تناصرنا عدا الغيّ عدوة
بخطبٍ رهيف النابٍ ليس له راقى	وإن هي آتتنا خشينا صيالها
وتدفعه طورًا إليه بإعناق	فطورًا تردُّ المرء عن نهج عزمه

ثغر

رُبَّ ثَغْرٍ قَدْ كَانَ مَرْتَادَ ثَغْرِي
كَانَ يَحْنُو ثَغْرِي عَلَيْهِ كَمَا يَحُـ
نَائِمًا فَوْقَهُ كَمَا نَامَ فَوْقَ الْـ
وَلَقَدْ أَرَشَفَ الرِّضَابَ بِشَدْوِ
قُبُلٍ كَالدَّلَالِ مِنْ رِقَّةٍ تَفُـ
أَخْرَسَ الْهَجْرُ صَوْتَهَا لَا رَعَى اللَّهُ
كَمْ جَنِينًا مِنْ صَوْتِهَا النِّعْمَ الْعَذُ
وَرَشَفْنَا فِيهَا الْحَيَاةَ كَمَا يُرُ

ومجيري من الزمان المغيرِ
نو شفيقٌ على الوليدِ الصغيرِ
زَهْرٍ شَادٍ أذَوْتُهُ نَارُ الْهَجِيرِ
مِثْلَ مَصِّ الظَّمَانِ مَاءِ الْغَدِيرِ
عَلَّ فِينَا فِعْلَ الدَّلَالِ الْغَرِيرِ
الذي أحدثت بنات الدهورِ
بَ وَخَمَرَ الْهُوَى وَخَمَرَ السَّرُورِ
شَفُّ مَحْضِ اللَّبَانِ مِنْ ثَدْيِ ظَيْرِ

ابتسامات

وميضُ ابتساماتٍ يضيءُ جوانحي
إذا ابتسمت ضياءً بعيني ابتسامها
يكادُ يضيءُ الغيب في مستقرِّه
وأسمعُ في نفسي أغاريدَ جمَّةً
كأنَّ بها من صادح الطيرِ شاديًا
وإني لكالبذرِ الدفينِ ولحظها
ويوقظُ آمالي ضياءُ ابتسامها
شعاعُ ابتسامٍ كالغديرِ خواطري
ويجلو ظلامَ الهَمِّ واليأسِ من صدري
كما ضياءَ وَجْهِ البدرِ في صفحة البحرِ
وميضُ ابتسامٍ فعُله صادقُ السِّحرِ
يهيجُ صداها في الجوانحِ والصدرِ
يغرِّدُ في روضٍ من الحبِّ والشعرِ
غذاءً كلحظِ الشمسِ للزهرِ والبذرِ
كذلك شعاعِ الشمسِ يزخرُ بالذرِّ
نوازل فيه كالكواعبِ في النهرِ!

عتاب أم دلال

لَمَ إِنِّي نَادَيْتُهُ يَا حَيَاتِي!
قَالَ: لَوْ كُنْتَ صَادِقَ الْحُبِّ لَمْ تَدِّ
مَنْ يَنَادِي حَبِيبَهُ بِحَيَاةٍ
نَادِيَنِي — لَوْ أَرَدْتَ — يَا نَفْسُ! إِنَّ الْـ
قَلْتُ: إِنِّي أَخَافُ أَدْعُوكَ بِالنَّفْسِ
لَكَ نَفْسٌ بِيضَاءُ خَالِصَةٌ الْوَجْهِ
قَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِكَ فِي الْحُبِّ
فَاقْتَسَامُ يُكُونُ فِي سَيِّئَاتِ
قَلْتُ: أَنَّى يَكُونُ وَجْهُ شِكَاةٍ؟
عُ عَلَى مَنْ تُحِبُّهُ بِالْمَمَاتِ
وَالْمَنَايَا رَوَاصِدٌ لِلْحَيَاةِ؟
نَفْسَ أَبْقَى عَلَى نَعِيقِ النِّعَاةِ
سِ فَنَفْسِي كَثِيرَةٌ الْعَثَرَاتِ
هَ وَنَفْسِي مُسَوَّدَةٌ الصَّفَحَاتِ!
اقْتَسَامٌ لَزَلَةٌ أَوْ هِنَاةٌ
وَاقْتَسَامٌ يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ!

الحسن والآمال النبيلة

يا ليتني لو تكون مجديّة
أعطي لآمالي التي طرقت
جسم رخام يصونها أبداً
آمال تُتسي الفتى شقاوته
تعلو بنفس المحبّ عن دنس
وصحة النفس صحة أبداً
إلى جلال للعيش يظهره
أصور الحبّ دمية تذرّ الـ
حسناً تغري الوقور بالمرح الـ
ومن سمّت نفسه لغايتها الـ
يُكرّم الحبّ كلّ تكريمة
فالحسن أنواعه سواسية
أو حسن رأي، أو حسن مآثرة
هذي الأمانى صنّاع أصنام
في يقظة الحبّ باب أحلامي
وربّ حسن رهين أجسام
وتعدم الشرّ أيّ إعدام
فيها ولؤم جمّ وأوغام
للحسن والحسن نهلة الظامي
حسن نفوس وحسن أفهام
خالي شجياً ضمير آلأم
جمّ وترضي فؤادي الدامي
قصوى بعزم تثبت وإقدام
ويُعظم الحسن أيّ إعظام
حسن طباع، أو حسن أجسام
أو حسن فعل خلا من الذاام

شرب الخمر والحبيب

يا ليت أنك تستحم بخمرة
فتريق فوق محاسنك كأسها
وتعيدها في دنها وتصبها
فتلذ لي فيها محاسن جمة
فلشد ما ظمئت إليك جوانحي
مشمولة في الدن ذات ضياء
فتزيدها من رقة وصفاء
لي شربة بلباقة وحياء
وتبل حر لواعجي وظمائي
ظماً الجريح إلى شراب الماء!

أمل فريضة

هل ينفَعني ذلك الـ
يدحو شقاء الأبريا
أمل يرى ظلم الحيا
فيعيدَه طلقاً كوجـ
أمل يطلُّ على السنيـ
ويرى الحياة فريضةً
أملُ المخضَّبُ بالدمِ؟
ء وينثني لم يكلم
ة بوجهها المتجهم
ه الأغيذ المتبسم
ن بحسرةٍ وتتدم
من أجلٍ ومقدّم

صوت الموتى

ألا إن للأموات صوتاً كأنه
ويحكي خفيف الغصن في لين وقعه
ويُعولُ أحياناً كإعوال تاكل
يئنُّ أنين الريح عند خفوتها
ويصرخ أحياناً فيحكي صراخه
يئن أنين الليل إن هدأ الورى
خرير المياه الجاريات على الصلدا!
وطوراً كأصداء الطبول على بُعد
رَمَتْها صروفُ الدهرِ في الولد الفرد
ويعوي عواء الذئب في المهمة القفر
صراخ العباب الغمر في لجج البحر
وطوراً له صوت كحشرة الصدر

الحجاب

أطلقوا عن عرسه حتى يراها
واحسبوها لو أردتم سلعةً
كيف يهوى عادةً لم يرَها
إنَّما الأرواح شتَّى فاسلكوا
رُبَّ حسناء إذا كَشَفَتْها
لنَبْتُ عينُك عمَّا أبصرت
رُبَّ ريان الصبا غَضَّ الهوى
فدعوا الحسناء تبدي لكمُ
ويرى أين هواهُ من هواها
يُتَرَجَّى عَرَضُها قبل شراها!
يافع أبدت له الدنيا صباها؟
كل روحٍ حيث لا تذوي منهاها
عن أمورٍ كان ينميها خفاها
ودهى نفسك ما أصمى عماها
مضمر في نفسه ملء دهاها
منه طبعًا غاب عن عينِ سواها!

الموت والتخيُّل أو أحلام الأحياء بالموت

تسائلني عن الموتى، وإني
ولو بطلَ التساؤلُ ما رضينا
وأحوالِ كآراءِ السكارى
ولو بطلَ التخيُّلُ ما رضينا
خيالَ يطَّبي الأهواءَ منا
وكم في الشعر من حلمٍ لذيذٍ
فزهراً الروضِ أو زهر النجومِ
نُزِينُ به الممات وقد خلَّونا
وكان العدلُ أن نرضى بموتِ
أليس الكونُ أكبرَ منك شأنًا
خذ الموتَ المحلَّى بالأمانى
ودع لي ميتةً لا حلم فيها
ولكنَّ التخيُّلَ ماءً ريِّ

ربيبُ الموتِ في هذا الأنامِ!
بعيشٍ مثل أحلامِ النيامِ
إذا دبَّتْ بهم خُدَعُ المدامِ
بما يلقي المغيَّب في الرجامِ
كبرقٍ لآح في وجه الظلامِ
يعين على حياةٍ أو حمامِ
ووجهُ البدر في سجبِ الغمامِ
به في العيش أيامَ الغرامِ
فلا طيفٌ يساعِدُ باللمامِ
وأولى بالمقاديرِ والنظامِ؟!
وبالأحلامِ تطرق في الظلامِ
فما أخشى وقد هدأت عظامي
حلالٌ أن أبُلَّ به أوامي!

شاعر في الغربة

كنتُ مثل الغريد جيئَ به من
حيث وجهُ النهارِ جذلانَ بسًا
ودواعٍ إلى الغناءِ كثارِ
أنزلوه في منزلٍ مثل بطنِ الـ
عاش يبكي أيامه حيث صفو الـ
ففضى عيشه غريبًا عن الأهلِ
إن أكن عائشًا فعيشُ عليّ الـ
الهوى والحياة واليأسُ والحزُّ
روضه والزمانُ غيرُ ذميمِ
مُ، ووجهُ الظلامِ غيرُ بهيمِ
من حبيبٍ وموطنٍ وحميمِ
أرضِ جهنمِ السماءِ جهنمِ الأديمِ
عَيشِ سهلِ الجنابِ سهلِ النسيمِ
لِ قليلِ العزاءِ جمِّ الهمومِ
نَفْسِ يذوي مثل الرجاءِ العقيمِ
نُ وريبٍ من الزمانِ خصومي

حنينٌ غريب

ابغ في مصرَ امرًا بالتأسي
خدلتني فقمْتُ أنشدُ حظي
أنشقوني نسائمَ النيلِ إني
منْ مُعيني على خواطرِ إما
حيث وجهُ النهارِ يضحك بالبشـ
أنا في بلدةٍ يمرُّ بها الدهـ
فهي مثلُ السجنِ العبوسِ نهارًا
لبستُ فوقنا السماءَ حدادًا
وتمهَّلْ وانظرَ أماكنَ أنسي
في سواها فكانَ موردَ نحسي
لعليلٌ والنيلُ حاجةٌ نفسي!
طرقتني أغرت هواي بأمسي
رَ فيروي ظمَاءَ زهرٍ وغرسِ
رُ حزينًا لا يستضيءُ بشمسِ
قد رمتني فيها الخطوبُ بيأس!
فكانَ السماءَ قبةً رمس!

كأس خمر

اسقنيها فإنني غيرُ صاحي
ما على من دهاه من حادثِ الدهـ
عذلُّ رائثه العذول سفاهاً
أنا ظمانٌ ليس يُعوزني الما
فاسقنيها على وجوه ملاحٍ
ليس شأنُ السليمِ كالملاحِ!
— عظيمٌ إذا انتشى من جناحِ
هل يلوم العليل غير الصراحِ؟
ءٌ ولكن رقيقة الأقداح
لهف نفسي على الوجوه الملاحِ!

الزوجة المهجورة تعالج السّحر

هرمَ اليومُ فقومي أشعلي
قد نبشت اليومَ قبرًا غائرًا
فضعيه في اللظى واسعي إلى
أخبريه أنني هيمانةٌ
وخذي منه الرقى في خُفيةٍ
وأعنيه بما يطلبُهُ
في دجا الليلِ ضرامَ الساحرِ
جادني منه بعظمِ ناخرِ
بيت هامان بقولِ ماكرِ!
لم يدع لي الحبُّ حزمَ الصابرِ
خفية تطفئُ لحظَّ الناظرِ
وسليه عن حبيبي الهاجرِ!

* * *

أيُّها الليلُ أفض من ظلمةٍ
لا يرى فيك رقيبٌ أدمعي
أيُّها النجمُ استمع شكوى التي
بليت منه بوجهٍ عابسٍ
بليت منه بقلبٍ فاركٍ
لو يكون الجوُّ نارًا والكرى
أشعلت من شوقه ما قد خبا
يا ولادة الشرِّ هبوا هبةً
أنا والسحر وأنتم والأذى
تشعل النارَ بجفنٍ ساهرِ
وزفيري غيرُ نجمٍ زاهرِ
علقت وجهَ خليعٍ سادرِ
بعد أن قيدت بجفنٍ ماطرِ
بعد أن قيدت بلحظٍ فاترِ
حرقًا تلفح وجهَ الجائرِ
وجرت منه بقلبٍ نافرِ
وأعينوني بحلف ناصرِ
نبتلّيه بالمذلِّ الفاجرِ

أنشبووا فيها نياياً خُصِّبَتْ
فَعَسَى أَنْ يَنْتَهِي مُسْتَشْفَعًا
أنا أهواه وأقلناه معًا
إِنَّمَا الْبَغْضُ أَخُو الْحَبِّ إِذَا
بَدِمَ يَنْبَعُ مِنْهُ مَائِرِ
بَجْوَى بَادٍ وَجَسْمٍ ضَامِرِ
شَدُّ مَا هَاجَ بِقَلْبِي الْحَائِرِ
ظَفَرُ الْحَبِّ بِجَدِّ عَائِرِ
ظَمِّي رِيًّا كَرِيًّا الطَّائِرِ!

الشاعر والزمن الخرب

أرمني بشعري في حلق الزمان ولما
لا أبتغي الجاه أسعى نحوه ضرعاً
قد ناهضتني خطوبٌ كُلَّمَا عَصَفَتْ
حتى كأنَّ فؤادي منزلٌ خربٌ
ماذا أفادت بناتُ الشعرِ قائلها
إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكةٌ
لولا لذاذة قولِ الشعرِ ما خدعتُ
فارفق بنفسك أن تُدعى الأديبَ وأنَّ
إنَّا لفي زمنٍ عيشُ الأديبِ به
أبيتُ منه على همٍّ وبلبالٍ
جزاء شعري إنَّ الجاهَ يسعى لي
عفتُ على أملٍ كالمنزلِ الخالي
مهدمٌ بين آثارٍ وأطلالٍ
إلَّا عداوة حسادٍ وعُدَّالٍ؟
فاربأ بنفسك واعقلها بأعمالٍ!
خديعة المصححِ الضمانِ بالالِ
يجري بك النحسُ من ذلِّ وإقلالِ!
عيش الجناةِ سقيم الوجه والحالِ!

الحب والحجاب

بينى وبينك سترٌ لا انكشافَ له
لا فرّق الله قلوبينِ اتصالهما
لا فرّق الله جسمينِ انتعاشهما
لا فرّق الله رُوحينِ ائتلافهما
في مقلّتيك معاني الخلدِ باديةً
وأيقظينا ففي العادات مُخملةً
وهذبينا بلحظٍ كلُّه جذلٌ
فالحسنُ أعظمُ من يلحى على دنسِ
الله يعلمُ أنّ الحبَّ مكرمةٌ
وسنةٌ الله لا تجري بذي ضررٍ

ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ
مثل اتصال فتاءِ السنِّ والوِطرِ
بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهرِ بالمطرِ
مثل ائتلافِ صروفِ الدهرِ والقدرِ
فخلدنا بلحظٍ ربةِ الخمرِ
وكيف يسعدُ من يحيا على غررٍ؟
وأسعدنا بحسنِ ساطعِ الغررِ
والحبُّ أشرفُ من يلحى على نُكُرِ
وإنّما الوزرُ غدرٌ غير مغتفرِ
وحاجبِ الحبِّ عنا واسعِ الضررِ!

قبلة الزوجة الخائنة

قد قَبَّلْتَنِي قَبْلَةَ مُرَّةٍ
تَحْسَبُ أَنِّي رَاتِعٌ غَافِلٌ
مَاءٌ مِنَ الْحَسَنِ رَوِينَا بِهِ
تَنْهَشُ جَاهًا لَمْ يَكُنْ نَهْزَةً
وَلَوْ دَرَّتْ أَنْ عَلَى رَأْسِهَا
لَوْلَا وَمِيضُ الرَّأْيِ يَقْتَادُنِي
جَلَّتْهَا بِالسَّيْفِ أَمْحُو بِهِ الـ
بَيْنِي فَقَدْ بَانَتْ بِمَا قَدْ جَنَّتْ

كَأَنَّهَا مِنْ حِمَّةِ الْعَقْرِبِ
أَلْذُّ مَا تَدِينُهُ مِنْ مَأْرِبِ
عَادَ كَوَعْدِ الْبَارِقِ الْخُلْبِ
لَشَاخِذِ الْأَنْيَابِ وَالْمَخَابِ
سَيْفًا مِنَ الْغَدْرَةِ لَمْ تَلْعَبِ
يَعِيدُنِي مِنْ سَفِهِ الْمَغْضَبِ
ذَنْبَ بَذْنِ رَائِعٍ مَعْجَبِ
غَوَادِرَ مَا كُنَّ مِنْ مَطْلَبِي!

خطأ الحرِّ وإصابة العبد

إذا ما أصابَ العبدُ في بعضِ فعلِهِ
وإنَّ أخطأَ الحرُّ الأبيُّ فإنه
فلا تحسد العبدانَ مجدًّا مؤثلاً
وهل يرفع الإنسانَ فضلُ أصابه
فما رُبَّ مجدٍ في الإباءِ مشيدٍ
فما الفضلُ إلَّا للذي هو أمرُهُ
لأفضَلُ من عبدٍ تهون مصادِرُهُ
بناه لهم ربُّ طغاةٍ أو أمرُهُ
إذا كان يزجيه إلى الفضلِ زاجرُهُ
وإن لم تَبِنِ للصاغرينَ مأثرُهُ!

الحبُّ والكِبْرُ

هي والكبرُ والوقارُ رقيبًا
نسبٌ باذخٌ ومجدٌ قديمٌ
أبعدها عن حبِّ فأخفتُ
فلها نظرةٌ من الحبِّ سكرى
يا ابنة الفاخرين بالجاهِ والما
إنَّ مجدي في الحبِّ والصدقِ لا يفـ
أنتِ تخشينَ أن يقالَ أحبَّتِ
هل يفيدُ الإباءُ والشممُ الجُمُّ
أبعد الكبرِ دانيات الأمانى
ضربَ الدهرُ بيننا من طباع الـ
بين كبرٍ وبين جبنٍ ضياع

ها تداني محبتها وهي تتأى
وثناءً جمٌّ وجُبْنٌ وتَقْوَى
في صميمِ الفؤادِ ما ليس يخفى
ولها نظرةٌ من الكبرِ سكرى
لِ وقبرٍ فانٍ ومجدٍ تقضى
نى ومجدُ النفوسِ بالفخرِ أحرى
غير سامي الأحسابِ منشأ ومعزى
نفوسًا صرعى من الحبِّ نضوى
لهفٍ نفسي على أمانى شتى
سوءٍ سترًا فنحن بالحبِّ نشقى
لنفوسٍ بالحبِّ ثمنى فتحيا

مَلَلٌ مِنَ الْحَيَاةِ

بيننا ألد نعيم العيشِ في دعةٍ
كفى بنفسي داءً أنني رجلٌ
أجنُّ بالعيشِ طورًا ثم أبغضه
إنِّي ولعتُ بعيشٍ كله خدع
ما من مجيرٍ على هذا الملالِ سوى
لو كان لي حيلةٌ أفني بها مللي
رمى بي الشكُّ بين السهدِ والمللِ
أخشى الحياةَ وأقلَى سطوةَ الأجلِ
ما أضيع المرءَ بين اليأسِ والأملِ
كما برمتُ بعيشٍ غيرِ مقبَلِ
موت يبعِد بين النفسِ والعللِ
من الحياةِ لما قصرتُ في الحيلِ

ذکر

ذکرُ كَأَنفَاسِ المحبِّ إِذَا تحرقُ أو تَلدَّدُ
وكانَّها نَشْرُ النسيبِ
وكانَّها ورقُ الخريـ
وكانَّها قَبْرُ الهوى
ولرُبَّ آمالٍ مَضَتْ
فكانني قَبَلْتُ مِنْ
بعض الأمانى كالحيا
عِندَ إِذَا تصوَّبَ أو تصعَّدُ
فِ إِذَا تناثرَ أو تبدَّدُ
وخميْلَةُ الأملِ المجدِّدِ
عَاوَدْتُها والعودُ يُحمَدُ
تَا أو نَظَرْتُ إِلَيْهِ يُلحَدُ
ة إِذَا انقضتْ ليست تُجدِّدُ

رثاء عصفور

لَيْتَ أَنَّ الرَّبِيعَ إِذْ مَتُّ مَاتَا
كُنْتُ حَلِيًّا لِلرَّوْضِ وَالرَّوْضُ غَضُّ
فَرَزْنَاكَ شَادِيًّا عِلْمَ الشَّا
نَغْمَاتُ مِثْلُ الرَّبِيعِ حِسَانُ
كَفَّنُوهُ بِالْغَضِّ مِنْ وَرَقِ الْوَرْدِ
وَحَفِيفُ الْغُصُونِ أَرْوَعُ نَاعِ
حُلْتُ مِيثًا بَيْنَ الرَّبِيعِ وَبَيْنِي
بِالتَّدْلِي فِي أَيَّكَهْ وَالتَّغْنِي
عَرَّ أَنْ يَخْلُبَ الْقُلُوبَ بِلَحْنِ
وَغِنَاءِ يَحْيِي الْهَوَى وَالتَّمْنِي
دِ وَلَا تَضْرَحُوا الضَّرِيحَ لِدْفِنِ
لِلَّذِي كَانَ حَلِيَّةً فَوْقَ غُصْنِ
مِنْ سَكُوتِ وَالطَّيْرِ زَهْرٌ يَغْنِي

في دفة قديمة ملقاة على شاطئ البحر

لقد جار الزمانُ عليك حتى
تُصَرِّفُكَ الأَكْفُ وِكلُّ عزمٍ
وللأهواءِ في الآراءِ فعلٌ
وما هجروك من عبثٍ ولكـ
كذاك الناسُ مثلكِ والليالي
كذاك العيشُ عيشَ الناسِ طرّاً
حكيت عزيمةَ الرجلِ الضعيفِ
يؤثر فيه تصريفُ الصروفِ
كفعلِ فيكِ لليمِّ المخوفِ
نَّ غاياتِ الوسائلِ في الحتوفِ
وسائلُ للقضاءِ وللصروفِ
وسيلتهمِ إلى الأملِ الصدوفِ

ذكري على جفاء

نسانِي طيبُ العيشِ إِن كُنْتُ أَنسَاكَ
رأيتك معبودَ الجمالِ مُنعمًا
تدُلُّ علينا بالجمالِ وليتنا
وإنَّا لَنَسْتَعْدِي الوصالَ على الجفا
متى يجمعُ النأيُ المشتتَ شملنا
لعلك يومًا أن ترى في وصالنا
وما عشتُ حتى الآنِ إلا بذكراكا
فما حيلتي إن كان قلبي يهواكا
ندلُّ بشوقٍ في القلوبِ لرؤياكا
ونخلصُ حُسنَ العيشِ من حُسنِ مرآكا
فتلثمني خدًا وتُلثمني فاكَا
مأربُ تدنينا إذا التيهُ أقصاكا

إلى صديق

أبراهيمُ قد طالَ اغترابي
عليُّ النفسِ في بلدٍ غريبٍ
عهْدُتْكَ مرَّةً تبغي إِيَّائي
أراكَ على اغترابي ذا ابتعادٍ
فلولنا منزلٌ لك في فؤادي
سلام الله لا أبغي جذابًا
سلام ليس يُغني عن وداٍ
إذا كان الحبيبُ على سلوٍ
فهلَّا كان عندك بعضُ ما بي؟
يؤرِّقُه التذكُّرُ والتصابي
وأنت اليومَ توغلُ في اجتنابي!
وكنْتَ على اقترابي ذا اقترابٍ
لأنَّسانيكَ هجرَكَ وارتيابي
وهل يدنو المناذبُ بالجذابِ؟
ولا يعدي على غدرِ الصحابِ
فلا يغني التودُّدُ بالعتابِ!

شكوى شاعر

قد طال نظمي للأشعارِ مقتدرًا
قد أولعوا بكبير السنِّ أو رجلٍ
ولو سفلت إلى حيث القريض لقي
ولو سفلت فقلتُ الشعرَ في خبرٍ
ولو سفلتُ فقلتُ الشعرَ مبتدلاً
لقليل: نِعَمَ لَعَمْرِي أنت من رجلٍ
وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكُّرةٌ
وإنَّما الشعرُ مرآةٌ لغانيةٌ
وإنَّما الشعرُ إحساسٌ بما خَفَقَتْ
قالوا: أتيت بشعرٍ كلُّه بدعٌ
مِنْ كُلِّ معنَى يروع الفهمَ طائِلُهُ
من كل معنَى كموج اليمِّ مطَّردٍ
هذي المعاني تتاجبهم فما لهمُ
متى يتاح لهم شادٍ بما رقصتُ
هل في أكابرهم برءٌ لذي أدبٍ

والقومُ في غفلةٍ عني وعن شاني!
بنى له الجاهُ ما يغلو به الباني
بين الأثافي وربع المنزلِ الفاني
من السياسةِ في زورٍ وبهتانٍ
في وصفٍ مخترعٍ أو ذمٍّ أزمانٍ
جمَّ المحاسنِ من صدقٍ وتبيانٍ!
ومتعةٌ وخيالٌ غير خوانٍ
هي الحياةُ فمن سوءٍ وإحسانٍ
له القلوبُ كأقدارٍ وحدثانٍ
فقلت: نِعَمَ لعمري قولُهُ الشاني!
معنَى من الجانِ في لفظٍ من الجانِ
جمَّ الجلالِ فلولا الله أعياني
لا ينصتون بأفهامٍ وأذهانٍ
له القلوبُ وتحنانٍ كتحناني؟
من كفِّ كلِّ جديبٍ الكفِّ منَّانٍ؟

عاطفة شوق

أنا فوق الفراش لا أطعمُ الغمَّ
أشتكي ما جنى الفراقُ ويا لَيْبَـ
يا حليفَ النوى عليك سلامٌ
أين أيامي التي حسنتُ حيـ
لم تكن كلها نعيمًا ولكنُ
كنتُ في مصرَ أندبُ العيشَ والعَيْـ
فرمّنتي النوى بأوجع ما يُرُ
ونأتُ بي عن الأنيسِ صروفُ
لا صديقٍ لديّ أشكو إليه
عالج الغدرَ والفسولةَ حتى
فاذكر البائسَ الغريبَ بخيرٍ
وأعني بالدمعِ إنَّ بلاغَ الـ
وهنيئًا لك الليالي المواضي
أنت مني بمنزل الحبِّ في القلـ

ضَ وقلبي إليك بالأشواقِ
ت حنينَ الغريبِ برءُ الفراقِ
وحنينٌ يريقُ ماءَ المآقي
نًا وكأسَ الشقاءِ غير دهاقِ؟
كان ينفي الأسى وجوهُ رفاقي
شُ وريقُ الغصونِ حلوُ المذاقِ
مى به واعظُ بغيضِ الخلاقِ
وكلتُ بي لواعج المشتاقِ
غير غرِّ بسّامِ وجهِ النفاقِ
أنكرتُه مكارمُ الأخلاقِ
رُبَّ ذكرى تُعيد عهدَ التلاقي
وودَّ أن لا تضنَّ بالإشفاقِ
وهنيئًا لك الليالي البواقي
ب ومجرى الضياءِ في الأحداقِ

الحرية

حسبوك صافية الجبين خريدهً
بيضاء ناعمة كأن قوامها
هلاً رأوك وأنت بين معاشرٍ
ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامه
أوكلما أدمى الذليل قيوده
لا يبلغ المقهور منك نصيبه
عجباً لقاسية الفعال حبيبةً
سكرى من الدم قد أنام ضميرها
نظرت بعين الصل حين وثوبها
تقسو كما يقسو القضاء وإنما
ولرب جرم مخوه بجريمة
تسبي القلوب بأكلٍ وسانٍ
في لينة غصن من الأغصان
وضعوا السيوف مواضع التيجان
كالذئب يعوي بادي الأسنان
زارت لديك زئيرة الأضغان
حتى يضرّج بالنجيع القاني
وقليلة الغفران والنسيان
ومعالج الأضغان كالنشوان
نظراً يسم مجامع الأشجان
موت الذليل وعيشه سيان
ظلم الظلوم وقتله جرمان

نبوءة شاعر

لئن خانني الذِّكْرُ الجليلُ وملّني
سيرُوي عظامي شاعرٌ بدموعه
إذا جنني الليلُ البهيمُ أطاف بي
يجيء مجيءَ النومِ من حيث لا أرى
فيا ساكنًا في الغيب هذي نبوتي
أتيح لهم صاد إلى النهلة التي
فساموه أن يسعى على منهج عفا
مسامعُ قومي أو غلبتُ على أمري
وينثر أزهارَ الربيعِ على قبري
خيالًا له يزري على صفحةِ البدرِ
ويسمعي ما قد قرضتُ له شعري
فذكّرُ بها القومَ الألى جهلوا قدرِي!
شربتُ بها ربيًّا يبلُّ جوى صدري
قديمًا كما يسعى المقيدُ في الأسرِ!

أنا والغيب

ليت لي نظرة إلى الزمن الآ
فتريح الفؤاد مما يعاني الـ
أو تميت النفوس بالنبأ الأعـ
فهني بشرى محمودة أو نعي
كيف تعنو الأقدار للمرء والمر
ويح شمل الصحاب لو كان صدق الـ
أيها الغيب كم رميتك بالظن
أنا والغيب كالغلام إذا حا
ليس يغني وجيبه وبكاه

تي البعيد الخطأ الغريب الحال
طرف من لوم هذه الأحوال
ظم إن الوجود نحس المال
لمساع مآلها للفوات
ء ستبلى أعماله كالرفات؟
قول أن لا حياة بعد الحياة!
فأبديت لي كوجه السحاب
ول فتحا لمغلق الأبواب
ليس تجدي ذريعة المرتاب!

ثورة النفس

وللنفس في بعض الأحياء ثورة
فيا نفس كم تبغين ما ليس حادثاً
هياج كما هاجت قطة تعلقت
أما في سكون الليل يا نفس واعظ
فهل تحسبين نائماً كل ساكن
نعم إن للشلال روعاً وهيبة
نعم للرياح الهوج هول وقوة
أغرّك من هذي الطبيعة أنها
وما أحسب اليم الخضم بثائر
وما القلب إلا لوعة تاكل الحشا
نعم أنت فيما تبغضين مصيبة
ويا حسن ما تملي الخيالات إنها
تريدين أن الجسم يغدو كأنما
إذن لأراقت كل نفس ضياءها
سأبذل جهدي في تعلم رقصة
فيا نفس قومي فارقصي في جوانحي

يكاد لها جسم الفتى يتمزق
وحتام آمالي لديك تحرق
بأحولة الصياد إذ ليس مهرب
أما في هدوء الروض ملهى ومطلب؟
وهل تحسبين ميتاً كل هاجع؟
ورب جلال للعواصف رائع
وللبحر أمواج تهيج فتحرب
تنثور فلا يقوى عليها المغلب
إذا كان هذا اليم يشقى ويألم
وما الجسم إلا ذلك اللحم والدم
ويا حسن ما تبغين من خير مطلب
حلي على جيد من الدهر أجرب
يضيء به منك الضياء المحجب
على ظلمة للعيش والعيش غيهب
لأرقصها إن الحوادث تطرب!
كما رقص المجنون يهذي ويلعب

فلا تعذلوني إنَّ لليأس رقصةً
وللنفس آهاتٌ من اليأسِ والجوى
فيا ليت أني في فم البرقِ كامنٌ
ويا ليت أني مثل زوس مسيطرٌ
ولكنني إما صرخت كصارخٍ
ورُبَّ بليغٍ راجحِ الرأي والحجى
نعم، نحن أبناء الزمانِ وصرفه
فإنَّ تكن الحالات تأتي بترحةٍ
رضعنا من اليأس الصريح لبانه
فما أمل فينا سوى صنو يائسٍ
وفي اليأس يأسٌ يبعث المرءَ بعثة
فلا تعذلونا دهركم غير دهرنا
أفي كل يومٍ يائسٌ بعد يائسٍ؟
وليس الملام وحده بدوائه
تَعَلَّمَهَا المحزونُ من نشوةِ الأسي
تحقر آهات الأناشيدِ والهوى
فيودعه الأشجان قلب معدَّب
على الرعدِ إنَّ أَعْضَبَ كذا الرعدُ يغضبُ
غريقٍ له صوتٌ من الماءِ خافتُ
ولكنَّه بين الحوادثِ صامتُ
وحالاته حتى يتاح لنا الردى
فنحن بنوها للتجلدِ والأسي
وكان وكنا في بطون الحواملِ
وما يائس فينا سوى صنو أملٍ
إلى الغاية القصوى من السعي والجدِّ!
فإنَّا علقنا بالبعيدِ من المجدِ
لقد جال ذاك الداءُ كلَّ مجالٍ
فلا تطلبوا في العذلِ غيرَ محالٍ

فجر الشباب

إني لأذكر أيامًا لنا سلفت
فكان للفجر قلبٌ خافقٌ أبدًا
والضوءُ يرقصُ في الأنهارِ موقعه
وناظرٌ ونجومُ الفجرِ مائلةٌ
وكلمتي الرياحِ الهوجُ في فمها
كما تذكّرُ صوتَ اللجةِ الصدفُ
من الحياةِ ووجهه كله لطفُ
فقدّه مائسٌ فيها ومنقصُ
نحو الغروبِ كما يرنو لها الدنفُ
سرُّ الطبيعةِ مخبوءٌ ومنكشفُ!

الإيمان بالحياة

لي في الحياة اعتقادٌ لا فناء له
وإنَّما الكون قلبٌ لا سكون له
فالعينُ ظامئةٌ، والنفسُ ظامئةٌ
لا ترجمونا بياسٍ في مقالكمُ
أعظمُ الناسِ في اللأواءِ كم صبروا
الكونُ يعلنُه والفكرُ يوضح لي
حياتُه نبضاتُ الحادثِ الجللِ
إلى محاسنٍ من قولٍ ومن عملٍ
فاليأسُ أقبح ما يُنعى على الرجلِ
إنَّ العظيمَ عظيمُ السعيِ والأملِ

محبّ يرد لحاظه

أردُّ لحاظي عنك وهي مشوقة
ولو كان لي عيشٌ رغيذٌ وحالة
لأقدمت إقدامَ الشجاعِ وكان لي
ولكنَّ لي حالًا أخافُ صيالها
أحبك حبًّا لا يحبك مثله
فيا بؤس نفسي تضرم الحبَّ بالمني
إليك ولي دون الضلوعِ وجيبُ
تعيذُ كساءَ العمرِ وهو قشيبُ
إليك طموحُ طائرٍ وهبوبُ
عليك إذا صالت وأنت قريبُ
أبُّ لك، ذو رفقٍ عليك نجيبُ
وقد علمت ما لي لديك نصيبُ!

العظيم في قومه

رأيتُ حياةَ الحرِّ في نفعِ قومهِ
يغالبُ ما يبليه في جمعِ أمرهم
وما نصب المصباحُ إلَّا لضوئه
وليس الذي يحيا حياةً ذليلةً
يفيض بياناً يقطر الحزمَ ماؤه
ويبري سهامًا من مقالِ قويمه
يهدده الجبارُ بالضميمِ ضلةً
فلا تحسبن أنَّ الرجاءَ مضلةً
ولا خيرَ في كنزٍ إذا كان خافياً
وإن كان فيهم شاحبَ اللونِ طاويا
وإن كان في أحشائه الدهنُ فانيا
خليقاً بأن يُدعى على العيشِ باقيا
فتصغي إليه في العروقِ دمائيا
مهذبة يرمي بهنَّ المراميا
وهل يستقاد الحرُّ ما دام آبيا؟
وهل خابَ ذو عزمٍ إذا كان راجيا؟

نحن إخوة

إِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَةٌ جَعَلْتَنَا
نَزَعَاتُ الْقُلُوبِ كَالأُضْدَادِ
إِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَةٌ تَرَكْتَنَا
وَقَعَاتِ الأَقْحَادِ كالأَحْقَادِ
إِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَةٌ جَعَلْتَنَا
حَمَةَ البَغْضِ طَعْمَةً للأَعَادِي
نَتَمَادِي عَلَى القَطِيعَةِ وَالهَجْبِ—
رِ فَمَاذَا جَنَى عَلَيْنَا التَّمَادِي؟
قَدْ أَقْمَنَا عَلَى التَّخَاذُلِ دَهْرًا
فَدَهَانَا بِسَيْلِهِ كُلُّ وَادِي
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ لِنَامًا
فَلَمَاذَا تَقْرُ فِي الأَجْسَادِ؟!

لذة المحبوب والمحِبِّ

أتمنعون القلبَ من وجيبه
وتأمرّون الرشاً الأغيْدَ أنْ
وزاجر الأغيْدِ عن عاشِقِه
ولذة المحبوبِ في محبِّه
وتزجرون الصبَّ عن نحيبِه؟
يقسو على ولهان مستطيْبِه
كزاجر المسعودِ عن نصيبِه
ولذة المحبِّ في محبوبِه
تزيد قلبَ الصبِّ من لهيبِه
وغلّةُ الفاتنِ عن لذاتِه
ما أنصف الأغيْدِ من يهواه إنْ
لو مُنِعَ العاشقُ من حبيبِه؟
مأذا يُرَجِّي المرءُ من حياته
تشغل قلبَ المرءِ عن كروبِه!
قد خلقَ الله الحسانَ سلوةً

الشاعر وجمال الحياة

أيهذا العذول في شهواتِ الـ
نحن كالنحل لا نُحبُّ من الزهـ
لا تلمُّ شاعرًا رأى العيشَ حلواً
هو مهما آتاه فيها نعيمٌ
عَيشٍ يدعو إلى حياةٍ عليه
رِ سوى كلِّ غضةٍ مطلولة
فأُتِيحتُ له الحياةَ جميله
لا يرى في الحياةِ كلَّ فضيله

فى قبيح اسمه حسن

إذا وصفوا بالحسنِ مثلك ضلّةً
فما الحسنُ في خلقٍ ولا في خليفةٍ
لقد كانت الداياتُ يسخرنَ حينما
فكنّ كمن نادى من الزنجِ أسودًا
وما صاغك الرحمنُ إلا فكاهةً
فمن ذا يُسمّى قاتلَ الوجهِ أخرقا
لديك وليس الحسنُ فيك تخلُّقا
وصفنَ بحسنٍ أظلمَ الوجهِ أحمقًا!
فقال له يا أبيضَ الوجهِ مُشرقًا
وماذا عليه أن يشاءَ وتُخلِّقا!

الكاذب

لا تَلْمُهُ فِي كَذِبَةٍ بَعْدَ أُخْرَى
لو سمعنا له مقالة صدق
قم فبيِّن للناس فلسفة الكذِّ
وَأَحَقُّ اللَّئَامِ بِالسَّخْرِ غَرٌّ
هو أَهْلٌ لَأَنَّ يَكُونَ كَذُوبًا
لم يكن صدقُه إلينا حبيبًا!
بِ وَنَاجِزِ عَدُوِّهِ وَالرَّقِيبَا
لا يرى حوله بصيرًا لبيبًا!
سَ وَقَدِمًا كَانَ اللَّئِيمُ مَرِيبًا!

كلمة مدح

شيمٌ كأخلاق المسيحِ كريمةٌ
لطفتُ كما لطفَ النسيمُ وأحكمتُ
وكأنَّها من رقةٍ وعذوبةٍ
تجلو عن النفسِ القطوبِ قطوبها
ومحاسنٌ لك غيرُ ذاتِ نضوبِ
أسبابِ ذاكِ الفضلِ والتهذيبِ
جرعاتِ ماءِ المنهلِ المشروبِ
وتزيحِ يأسِ اليائسِ المكروبِ
مطرٌ رقيقٌ السجمِ غيرُ صبيبِ
وكأنَّها قطعُ الرياضِ يعلها

العهد والخدر

كم تَحْتَ مَنزَرَ ذَاتِ الخِدرِ مِنْ دَنَسٍ
إِنَّ الفُضيلةَ لا يودِي بها خُلُقٌ
حَسَبَ الكَرِيمِ إِذا ما غابَ عَن دَنَسٍ
فقد تَخُونُ ذِواتُ البَعْلِ آمِنَها

وفي ابتذالِ ذِواتِ العَهْرِ مِنْ خَفَرٍ!
قضى بِهِ العِيشُ في حالٍ مِنَ الغَيرِ
أَن لا يَسبَّ ذِواتَ العَهْرِ بالنَظَرِ
وقد تَخُونُ الأَلى ظَلوا على حَذَرِ

العادات

أَلَا إِنَّمَا الْعَادَاتُ كَالْبَحْرِ، وَالْفَتَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا دَرِيَّةٍ بِأَمُورِهِ
كَذَاكَ نَوُو الْعَادَاتِ غُرٌّ وَبَاحَتْ
فَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ غَنَّاها مِنْ ثَمِينِها
يَعِيشُ كَمَا عَاشَ الْكَثِيرُ مِنَ الْوَرَى
كِرَاكِبِ ذَاكَ الْبَحْرِ يُخْشَى زِمَا جِرُهُ
لِيُوشِكَ أَنْ تُطَوَى عَلَيْهِ زَوَا جِرُهُ
جَرِيءٌ لَهُ رَأْيٌ عَلَى الشَّرِّ نَاصِرُهُ
سَعَى كِرْحَاءِ الشَّرِّ دَارَتْ دَوَائِرُهُ
يَجُوبُ ظِلَامَ الْجَهْلِ وَالْجَهْلُ أَسِيرُهُ

أم إسبرطية قتلت ابنها

فرَّ بيغي من الحمام مجيراً
بأدرته بحتفه أمه وهـ
ولو أنّ النذير أوحى إليها
لرمته بجانب الجبل الشا
إن إسبرطة التي قمع الطا
جعلت ذلك الفرار حراماً
أيها الخائن الجبان خشيت الـ
إن أمّا تُعزى لها قتلت في
شرفت ثم أجمت فلك العا
فأعان الردى عليه المجير
و على عاره إليها حبيب
وهو في المهد أنه سيخور
مخ لم تنترح عليه الغروب
مع فيها خميسها المنصور
والذي يركب الحرام مريب
موت والموت حادث مقدور
قتلك العار لم يصبها معيب
ر ولكن لها الجوى والزفير

مناجاة الحبيب

وفي شفيعٍ من العينين هتانِ
وفي الفؤادِ الذي يحنو على الجاني
وراءِ مسترسلِ الهدبين وسنانِ
عزمِ الحسامِ صقيلاً غيرِ خوَّانِ
قبلِ اجتناءِ أغنِّ الطرفِ جدلانِ
ولا الشبابِ الذي أدوته أشجاني
فكيف أبرئُ أشجاناً بأشجانِ
وتتركِ الدمعَ في آثارِها قاني
فما لِحُسْنِكَ لَمَّا طابَ أظماني؟
يحنو على ضاحكِ اللالاءِ ريانِ
ما كلُّ حُسْنٍ بعفِّ الذيلِ فتانِ
رحبِ المرامي فإنَّ الذِّكْرَ أدناني
وظلُّ عيشٍ من الإحسانِ فينانِ
وأنتِ كالحظِّ في مَنْحٍ وحرمانِ
ماذا تركتِ للحظِّ الآثمِ الجاني؟
ماذا تعالج من شوقي وتحناني

اللهَ في نزعاتِ الوالهِ العاني
وفي الوجيبِ الذي تشقى الضلوعُ به
وفي اللحاظِ التي ناجتِ ضميرَكَ من
يا نظرةً خلستُ مني على غررِ
لو كنتُ أملكُ أن تترتدَّ خاسئةً
لما احتسبتُ فؤادي وهو منصدعُ
كانتِ شفاءً فعادت ملؤها شجنُ
ورُبَّ ذكرى تهيجِ الشجوةَ عن عَرْضِ
إنَّ الجمالَ لماءٍ طابَ مورِدُهُ
فمن لذي شجنٍ بالكبرِ يكتمه
صُنْ بالفضيلةِ حسناً أنتِ زائنهُ
إنْ كان حُبُّكَ أقصى عنك لي أملاً
أنتِ النعيمُ وأنتِ السعدُ منعطفاً
وأنتِ كالدهرِ لا يُرثى لذي ضرعِ
يا مُرْخِيَ اللحظِ من دلٍّ ومن خفرِ
أسأِلُ النفسَ في أمرٍ يراؤُ بها

ينأى ويدنو كما شاء الدلال له
فيأسر القلب في جدّ وفي لعبٍ
أهواه والحبُّ يدلي لي بمعذرةٍ
فإنّ تتأوى فما في هجره سرفٌ
يتلو على القلب في دلّ وفي خفرٍ
فلا يشاركني في لوعتي دنفٌ
جاء الخيال مضيئاً في الدجى مرحاً
إنّ الظلام على العشاق مؤتمنٌ
أريق في الدمع ما يعيا الفؤاد به
والدمع أخونٌ من تُرجى معونتهُ
لعب النسيم بأزهارٍ وأغصانٍ
ويشعل الوجدَ في وصلٍ وهجرانٍ
من حسنه وجفاء الهجرِ يلحاني
وإنّ تدانى فسمح غير منّانٍ
آيَ الجديدين من حسنٍ وإحسانٍ
ولا يشاركه في حسنه ثاني
فكيف يصدق ما غالى به ماني
طب بأدواءٍ آمالٍ وأحزانٍ
إنّ الدموعَ على الأحزان أعواني
في أغيدٍ بحياءٍ الوجه غصّان!

الكبر والمجد

أهاب بباغي المجدِ كِبْرَ مضلِّ
وما الكِبْرُ إلَّا ثغرة يلج الأذى
إذا ما رمى الرامي به جنة العدا
وما الكِبْرُ إلَّا صنو كلِّ جريمةٍ
فلما دعاه الكِبْرُ طاح به الهوى
يرود مراد الغيِّ حتى إذا عنا
وما والغُ هاب الرجالِ نيوبه
بأرغدَ عيشاً من كريمِ موادِعِ

وما الكِبْرُ إلَّا داءٌ من يتوقَّلُ
إلى المرءِ منها فهو نصلٌ ومقتلُ
تغلغل في أحشائه منه منصلُ
وداءٌ نبا عنه المداوونَ مُعضلُ
إلى حيث هابَ العاقلُ المتأملُ
له آخر الأهواءِ جُدِّدَ أوَّلُ
يعلُّ من الأهواءِ دهرًا وينهلُ
له من رجيحِ الرأيِ درعٌ ومعقلُ!

إلى صديق

ليس الذي الهجرانُ من هفواتِهِ
أَلْفَيْتُ عَنكَ يا مرادَ كَأَنَّهُ
فإِذا ضَرَبْتَ به أَصَابَكَ نَصْلُهُ
أَصْرِفْتَ عِنا أَمْ عَرَّتْكَ مِلالُهُ
اعْذُرْ أَخاك إِذا تقاربَ خَطُوهُ
ولأنتَ تعلمُ أَنني ذو منطقٍ
بيني وبينك يا مرادُ مِسافَةٌ
إِنِّي يُذَكِّرُنِيكَ خَفَقُ أَضالعي
فأخوك مثلَ أبي عِبادَةَ لم يَجِدْ
بمُعَاتبي يوماً على الهجرانِ
سيفٌ له حدَّانِ مسنونانِ
فمصِيبتي كمصِيبَةِ المِطعانِ
أَمْ أَسَكَّتَكَ طوارِقُ الحدَثانِ؟
في الشعرِ أو أَعيا عَلَيَّ بياني
يأتي السميعَ بأحسنِ التبيانِ
تُنسِي المِلولَ أو اصِرَ البِإخوانِ
إِنَّ الفِؤادَ لِدائِمُ التحنانِ
«قلِّباً يشايِعُه على الهجرانِ»!

الزوجة الغادرة (قصة)

أَيُّ شَيْءٍ يَهْفُو بِلَيْتِكَ عَنْ وَصْدٍ — لِي الْغَوَانِي وَعَيْشِ أَهْلِ الْجُدُودِ؟
قَائِمًا فِي النِّعِيمِ مِثْلَ مَقَامِ — طَالِبِ الرِّيِّ فِي جَوَارِ الْغَدِيرِ؟
لَا تُعِدُّ لِي ذِكْرَ الْغَوَانِي فَإِنِّي — لَمْ أَكُنْ عِنْدَ ذِكْرِهَا بِجَلِيدِ
كُلِّ حَسَنَاءٍ فِي لِحَاطِي عِظَامٍ — عَارِيَاتٍ مِنَ الْبِهَاءِ الْمُنِيرِ
أَيُّ شَيْءٍ أَسْمَى صَبَاكَ بِسَهْمٍ — فَأَرَاكَ الْجَدِيدَ غَيْرَ جَدِيدِ؟
اسْتَبَقَ نَهْزَةَ الْمَجْدِ إِلَى صَفِّ — وَ زَمَانَ فَيَنَانِ رَغْدِ نَضِيرِ
كُلِّ خَلْوٍ مِنَ الْخَطُوبِ مُبْرًا — لَيْسَ يَدْرِي مِضَاضَةَ الْمَكْدُودِ
عَشَّ بِخَيْرٍ وَلَا يَضُرُّكَ يَا سَيِّ — إِنَّ يَأْسِي عَلَى الْحَيَاةِ نَصِيرِي
إِنَّ قَلْبِي مِنْ ذَلِكَ الْيَأْسِ دَامِي — وَ دَمُوعِي أَوْدَى بِهَا مَجْهُودِي
أَنْتَ مَنِي بِمَنْزِلِ الْحَبِّ وَالْوَدِّ — وَمَاوِي سِرِّي وَنَجْوَى ضَمِيرِي

* * *

كُنْتُ فِي صِحَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ دَهْرًا — أَتَمْنَى زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ
لَاعِبًا بِالنِّعِيمِ لِعَبِّ نَسِيمِ — رَوْضِ يَشْدُو فِي الرُّوْضِ شَدْوَ الْخَرِيرِ
فَأَلَّحْتُ لِي الْخَطُوبُ لِحِينِي — بَفَتَاةِ كُبُعِيَّةِ الْمُسْتَجِيدِ
وَلَجْتُ فِي الصَّمِيمِ مَنِي وَنَالَتْ — مَا يَشَاءُ الْهَوَى بَدَلِ غَرِيرِ
فَرَأَيْتُ الْحَيَاةَ بَغِيَّةً مِنْ يَهْ — سَوَى، وَإِنَّ الْهَوَى قَرِينُ الْخُلُودِ

وتمادى بي الغرور فيا لهـ
عَيَّنَتْ موعداً فبِتُّ أناجيـ
فأزحْتُ الرتاجَ أَنْظُرُ ضيفي
فإذا طارقي أخي صِنُو نفسي
جاء يسعى سعيَ اللهيف ويهتُرُ
قالَ والدمعُ ملءُ عينيه واللحـ
إِنَّ «أسماء» لا تحبُّكَ فاستقـ
هي روعي التي أعيشُ بها وهـ
وهي مأواي من مناهضة الدهـ
قلت والدمعُ كاشفُ ما أداريـ
ووجيبُ الضلوعِ يدعو إلى الظنـ
يا ابنَ أُمِّي ومن أُرَجِّي له عيـ
تلك «أسماء» أَقْبَلَتْ تتهادي
إِنَّ حبي لكالرياحِ إذا ها
فاستبيني «أسماء» رأياً رجيحاً
واعلمي أنني خلصت خلوص الـ
نافضاً عني الغرورَ كما ينـ
فرمتني بلحظةٍ هي كالسُهـ
ثم قالت والدمعُ يطرده الدَّمـ

في على نشوة الهوى والغرورِ
هـ إلى أن دعا نذيرُ الوفودِ
وسروري من اللقاءِ سروري
ونصيري على المنى وعقيدي
اهتزازَ المحمومِ والمقرورِ
ظُ شريدٌ في إثرِ دَمْعِ شريدِ
بِلْ بحزمِ فَوَاقِرِ المقدورِ
سي سقائي الذي به زَهُو عودي
رِ ومنجاي من رجامِ القبورِ
هـ وصوتي صوتُ القوي الجليدِ
بما تحتوي ضلوعُ الصدورِ
شنةً مستجمعِ الهوى مجدودِ
في خمارٍ من حسنِها المستنيرِ
جَتَ زماناً فطيشها لركودِ
وأعيني أخي بحبِّ طهورِ
حُرِّ من سرِّ حسنِكَ المعبودِ
فض ليثٌ عنه هباءَ الضفورِ
م إذا ما استوى بقلبِ المصيدِ
عُ على خذِّها طرادَ المغيرِ:

تحسبان العروسَ مثل إماء الـ
أيُّ شيءٍ يجني أخوك إذا زوّ
فدعاني أخي وقال: أقلني
أين كانت رجولتي وإبائي
سفهاً أن أرومَ غيرَ رغيبٍ
قدك إني راجعتُ حلمي ونادا
ثم أهوى إلى الرتاج فأجرا
ومضى يمتطي الطريق بعزمٍ
فبقينا نُجري العتابَ ونستد
وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقاً
ثمَّ جاءت من بعد ذلك أيا
فخلصنا نعيمها كاغتيال الـ
بينما نحن في رواءٍ من العيبِ
جاءنا زائراً أخي مستنيراً الـ
ضاحكاً كالصباحِ ممتلئاً بشـ
فلقيناه بالبشاشة، والترُّ
وأفضنا عليه من كرم العيبِ
ورعيناه أمناً مأموناً
كنتُ يوماً أرقى من السُّلمِّ الأعـ

سُوقِ تُشري بصرّةٍ من نقود!
ج من لا تقرّيه غير النفور؟
إنّ ذنبي ذنبُ اللئيمِ الحسودِ
وامتناعي على بنات الدهور؟
وشجّي أن أحبّ غير ودودِ
ني عزمٌ طب بداءِ الأمورِ
ه قليلاً بهزةٍ بالقليدِ
مسترابٍ الأقدامِ والتشميرِ
فُع صولاته برأيٍ سديدِ
ونعما بيومه المشكورِ
مُ كرامٍ كحلّفنا المعقودِ
طُفلٍ عينَ المولى لقطفِ الزهورِ
شٍ نغطّي بظله المدودِ
وَجِهٍ طلقَ الجمالِ جمَّ النورِ
رًا كريم المرأى نضيرِ العودِ
حيبٌ في طيبه كنفحِ العبيرِ
شٍ نعيمًا ما إن له مِنْ مزيدِ
مستفزّ الضحكاتِ جمَّ السرورِ
لى بقايا إلى مكاني تودي

فإذا خادمٌ صغيرٌ أتى يهـ
ثم قال: استمع حديثي وانظر
قد تسمعتُ خلفَ بابٍ من الأبـ
ربة البيت في يديها سقاء الـ
قالت: اهدأ دعني أدوف له السم
قد أتاني هواك في غفلةٍ عنـ
أنت روعي التي أعيش بها فاسـ
أي شيء هدَّ الأضالع مني
كلما رُمْتُ أن أقول مقالاً
فولجتُ الأبوابَ ممتلئاً السمـ
نحن حول الخوان ننتظر الطعـ
وهي قد أفرغت لي السمَّ في كو
ثم غافلتها وأفرغت كوبي
ثم نلنا من الطعامِ بلاغاً
ثم جاءَ اليومُ الجديدُ فنامت
فعلَّ السمُّ فعله في حشاها
كلما جنَّي الظلامُ أتت تطـ
تترُّ من خوفه اهتزازَ الوكورِ
سيدي ما ترى بخطبٍ جديدِ
وابٍ يا هَوَلٌ ما جرى في الخدورِ!
سُمِّ والضيفُ خلفها كالعقيدِ
وأبغى غفرانَ ربِّ غفورِ
كُ فلم ينعقد له مجلودي
تتبقِ روعي معي وكن لي أميرِ!
ودهاني بهزة الرعيدِ
ضلَّ في منطق الغلام الصغيرِ
ع طنيناً من رعدة المزعودِ
مة مما قد هيأت في القدورِ
بي وقامت تمر غير بعيدِ
فوق ماءٍ بكوبها منزورِ
وشربنا برءاً من التصريدِ
زوجي الرود نومة المقبورِ
ودهاها من الردى بقيودِ
سرق في شملة الظلامِ سريري!

كلمات النفس

وطورًا أكونُ كبعض الهبا
وطورًا أكونُ كذاتِ القلو
وطورًا أكونُ كأرجوحةٍ
وطورًا أكونُ كغصنِ الجنى
وإنَّ الجسمَ غذاءُ النفوسِ
ورُبَّ نفوسٍ تُعنيَّ الجسمَ
وللكونِ روحٌ وهذي النفو
يحللها الموتُ تحليله
فيا عجبًا كيف نرجو الحياةَ
ولو عَرَفَ المرءُ معنى الحياةِ
وما ساءه مثلُ وخزِ الضميرِ
وقد يَخزُ الشرُّ روحَ الغبيِّ
وجهلُ النفوسِ بكنهِ النفوسِ
فهل يَعْرِفُ الغيبَ حيِّ سواه
ء لَجَّ به العاصفُ النَّائرُ
عِ همَّ بها الهائجُ المائرُ
يرجرها طفلها الجامحُ
يميلُ به الثمرُ الصالحُ
وإنَّ النفوسَ حياةٌ لها
وربَّ جسمٍ تُعنيَّ بها
سُ أجزاء من بعض أجزاءها
وتحيا النفوسُ بأزيائها
ولا يعرفُ المرءُ معنى الحياةِ
لما جهلَ المرءُ سرَّ المماتِ
ولا ضرَّه مثلُ موتِ الضميرِ
كما يَخزُ الدودُ أهلَ القبورِ
مبين لها عن وجودِ الإلهِ
وهل يَقْفَهُ الكونَ حيِّ سواه؟

عتاب

سَهَوْتُمْ كَسَهُوِ الْمَوْتِ عَنَّا وَفِيكُمْ
أَحْبَابُنَا لَمْ يَنْقُضِ الدَّهْرُ مَرَّتِي
وَلَكِنْ آمَالًا إِلَيْكُمْ نَوَازِعًا
هَنِيئًا لَكُمْ ذَاكَ التَّقَاطُعِ وَالْجَفَا
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَثُوبَ ضَمِيرَكُمْ
حَبِيبُ إِلَيْنَا مِثْلَهُ وَنُصِيرُ
فَأِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَبُورُ
دَهَتْهَا أُمُورٌ مِنْكُمْ وَأُمُورُ
فَكُلُّ حَبِيبٍ بِالْجَفَاءِ خَبِيرُ
إِلَيْنَا وَكَلَّا لَا يَثُوبُ ضَمِيرُ

النفوس الضئيلة

ضئالِ المنى والسعي في ضعةِ القمْلِ

وهم يهجرون الشرَّ خوفاً من العذلِ

أدور بعيني لا أرى غيرِ أنفسِ

فهم يمدحون الخيرَ من خوفِ سامعِ

مصر مهد العلوم

كنت مهّد العلومِ والذهنُ طفلاً
هل يعودُ الزمانُ بالعزِّ والمُلْـ
نحن نرجو من الحظوظِ معيناً
هل فعّالٌ تجلو عن الهممِ العجـ
كنتِ أمّ النعيمِ وهو وليدُ
كـ وماضي الحياة أننى يعودُ؟
كيف تحنو على الضعيفِ الجدودُ؟
زَ ورأي جم السدادِ حميدُ
دي بضعفٍ في أنفسٍ ما يعيدُ!
كم يعيدُ النصيحُ نصحاً وما يو

عظم الشر وعظم الوجود

كُلُّ ما في الوجودِ مما يريق الـ
كُلُّ غدرٍ وقسوةٍ واحتيالٍ
كُلُّ شرٍّ مهما تعاظَمَ، لو قَبِـ
عِظْمُ للهمومِ غطى عليه
دَمَعٌ أو يستمِيح شَجْوَ الرحيمِ
واجترامٍ ولوعةٍ وهمومِ
سَ بشأنِ الوجودِ غيرِ عظيمِ
عِظْمُ للحياةِ غيرِ ذميمِ

الطبيعة

تعالوا بنا نُعطِ الطبيعةَ حَقَّها
فقد زعموا أَنَّ الحياةَ رزِيئةٌ
وقد حَرَّكَتْ تلكَ العَصافيرُ شَجُونا
من الببِّ والِإِجْلالِ والصلواتِ
إِذا لم تُتَلَّ ساعاتها الحسانِ
بوقعِ غناءِ لِيِنَّ النغماتِ

نصير الظالم

غُلُوا يَدَ الْجَبَارِ فِي غُلُوِّهِ فَبِكُمْ يَصُولُ إِذَا أَرَادَ وَيَظْلِمُ
إِنَّ الَّذِي اتَّخَذَ الظُّلْمَ وَلِيًّا أَطْعَى إِذَا عُدَّ الطَّغَاةَ وَأَظْلَمُ!

المتعصبون في الدين

يتهاشون على العقيدة ضلّة
فعل الكلاب على خبيث المطعم
إنّ العقيدة في الضمير مكانها
ليست بتحريك اللسان ولا الفم!

أسف على الأسف

كم قد أسفْتُ على الدنيا وباطلها
فما أسفْتُ على شيءٍ سوى الأسفِ!
وكم سَخِرْتُ من الأقدار في صلفِ
فما ندمت على شيءٍ سوى الصلفِ!

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسِّ لطيفُ الـ
وكانَّ السوارَ وُكِّلَ بالمعـ
صُنِعَ يحكي لطفَ النسيمِ أصيلاً
صمِ خوفاً عليه من أن يسيلاً!

للکاذب

قد عالج الكذب حتى إنه رجلٌ
لو واقع الصدق يوماً عدّه خطأً
لو عالج الصدق يرجو قوله خاباً!
منه فكان على حاله كذاباً!

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ
وكلما أفصح عن شجوه
يا ضحكة الفاتنِ كوني جوّى
لو ذُقْتَهَا كُنْتَ الغفور الرحيمُ
ضَحِكْتَ سخرًا ودلالًا قديمُ
في الكبدِ الحرّى وشجواً أليمُ!

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا
إذا هو لم يحمله ألمه الطوى
ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ
وفي حملِه جهدُ المجدِّ المسهدِ!

أنين كآنين الريح

رحم الله محبًا والهَّا
إنَّ مما نابهُ مِنْ هَجْرِكُمْ
أنا أهواك فهل ترحمني
لم يَجِدْ عن حَبِّكُمْ وَجْهَ المآبِ
كآنين الريحِ في الربعِ الخرابِ
إنَّما يرحم مذكوُّ التصابي!

الحياء الكاذب

لبسَ الحياءَ مخادعٌ ومنافقٌ
بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما
ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً
عما يحث به الحياءُ الصادقُ!

سوء الظن

لا تعدّ الظن رأياً صادقاً
هو كالأخفش في الحاظه
يفتح الظن مغاليق الحمام
لا يرى الأشياء إلا في الظلام!

القدرة والرجاء

ومن شقوة الإنسان أن اقتداره
فلو كان ما يرجوه دون اقتداره
ضئلاً وما يرجو من العيشِ واسعُ
لهان عليه سؤله والمطامعُ

هائب الموت

متعلقٌ بالعيشِ يَرجو صفوهُ
يخشى مجالدةَ الحوادثِ عزمه
كتعلقِ الطفلِ الرضيعِ بأُمهِ
والخوفُ ينقضُ عقدةً من عزمه!

ربح وخسران

إذا بلغ المرء الغنى كان خاسراً
بنيل الغنى قدر الذي هو كاسبه
فيربح حالاً لدنة الوجه غضة
ويخسر شيئاً خافياً عزاً حاسبه!

دافع الشر بالظن

ومتَّقِ بالظنونِ الشرَّ يكلؤُهُ
دهاهُ بالشرِّ ذاك الظنِّ من أممِ
ومنزلِ الظنِّ في صدقٍ وفي كذبِ
كمطرحِ العينِ بينِ الفجرِ والظلمِ!

السعادة

إنَّ السعادةَ لم تَسَلَسْ لطالِباها
كربَّةِ الديرِ لا تحنو على رجلِ
كَلتاها عَفَّةُ الأذيالِ طاهرةٌ
لكنَّ في المنعِ مزجاةٌ إلى الأملِ!

مالك كفاقد

أيا باكيًا يخشى زوالَ محبِّبٍ من التلذُّ لا تُدنى إليه مسالكُهُ
كأنك لا تبكي لخوفِ افتقادهِ ولكنَّما تبكي لأنك مالِكُهُ

الإحسان

كما يضيئُ الإحسانُ في عالم الشرِّ ضياءَ المصباحِ تحت الظلامِ
فيه برءٌ لكلِّ داءٍ ولو كا ن عقامًا جمَّ الأذى والعرامِ

الود الصحيح

حبيبك حبي للضمير إذا دعا
وإنِّي لأرجو في إخائك لذةً
فؤادي إلى حبِّ الفضيلةِ والخيرِ
كلذة أهل الرأي في حسنِ الفكرِ

هائب الحياة

لا يهابُ الحياةَ إلَّا جبانٌ لم تُعنه على الحياةِ الجدوُ
إن من لا يخشى الحياةَ خليقٌ أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدٌ

رغبة في العيش

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً
تعودُ بخيرٍ أو تُعينَ على شرِّ
لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةً
ولم أحمَدِ الأيامَ أن زيدَ في عمري

غناء يصم

سمِعنا غناءً ما سمعناه رغبةً
ولكن لأمرٍ في الحوادثِ مقدورِ!
تغنيَتَ حتى مادَتِ الأرضُ تحتنا
كأنَّكَ إِسرافيلُ ينفخُ في الصورِ!

إراقه العمر

لو كان عمري كأسَ خمرٍ في يدي ورنت إليّ بطرفها الفتان!
لأرقته طرباً ومن لي أن أرى لحظاً يروح بفضلة النشوانِ

اسم ممزق

إِذَا ذَكَرَ اسْمِي حَسُودٌ لَنِيْمٍ
وَمَزَّقَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ
أَبِي لِي احْتِجَازِي وَكَبْرُ حَمِيْدٍ
هُجُوٌّ أَمْرِي عِنْدَ أَضْغَانِهِ!

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً
لعلك يوماً أن تثوبَ إلى الرضا
فما الذمُّ مما قد كرهت بمانعي
فتعلم أني بالرضا غير قانع!

سلوة في جمال الطبيعة

أليس يُسليكَ عن صدّه ملُّ
هذي الأزاهير أو تلك العصافير؟
يروح كلُّ جليدٍ في تجلده
وأنت في كفن الأحران مقبور!

شفة

شفةٌ تحلَّتْ باللمى
فتبيتُ تحلم بالقُبْلُ!
غالى بها رغد النعي—
م وفوقها هبط الأمل!

إله الرعد في خرافات الوثنية

رَبِّ البوارق تُرْجِيها مَشْفَعَةً
أَنْزَلَ على الزرع ما نرجوه من ديمٍ
إِنِّي لمحتك والأنواء داجيةٌ
فأنت كالناس في حلم وفي غضبٍ
بالرعدِ يضحك ضحك المرء من ألمٍ
واحبس عن الناس ما يُخشى من النقمِ
يُضيء لي فيك سرٌّ غير مكتّمٍ
وأنت كالناس في بخلٍ وفي كرمٍ

لذة الحب

حَرَّمَ النَّاسَ لَذَّةَ الْحُبِّ جَهْلًا وَأَقَامُوا الْعِذَالَ لِلْعَاشِقِينَا
جَهْلُوا أَنَّهُ الْمَعِينُ عَلَى الْعَيْبِ شِ الْمَزِيحُ الْأَسَى عَنِ الْفَاقِدِينَا
مَتَعَةٌ لِلْفُؤَادِ وَالْجِسْمِ فِيهِ مَتَعَةُ الْعَاشِقِينَ وَالْفَاتِنِينَا

حجة المستجدي

شقيتم بإقبالِ النعيمِ وشقوتي
بإدباره إنَّ الشقاءَ فنونُ
شرفتُم بصفوِ العيشِ لو قد تبالَّتْ
لهاتي به كان الشقاءُ يهونُ

عتاب

نَعِمْنَا بِكُمْ حِينًا فَلَمَّا صَدَقْتُمْ تَكَلْنَاكُمْ تَكَلَّ الْفِتَاةُ رَضِيْعَهَا
كَمَا أَفَلَّتْ مِنْ قَانِصِ الدَّرِّ دَرَّةٌ وَقَدْ أَمَنْتَ أَطْمَاعَهُ أَنْ يَضِيْعَهَا

الكسل وصاحبه

يُحْجِمُ حَتَّى كَأَنَّما خَشِيتُ
فِيدْرِكُ الشَّيْءَ غَيْرُ طَالِبِهِ
وَرَاعَهُ أَنْ يَنَالَ ما ضَمَنَ الْـ
يُودُّ أَنْ الْأَقْدَارَ تَسْعُدُهُ
أَعْضَاؤُهُ أَنْ يَمُوتَ فِي غَدِهِ!
وَلَا يَنَالَ الْمَكْسُوبَ فِي يَدِهِ
مَسْعَى فَيَشْقَى بِقَوْلِ حَاسِدِهِ
فَيَغْتَدِي شَاكِرًا لِمَسْعَدِهِ
إِلَّا لَتَجْرِي بِنَسْجِ سُوْدِدِهِ
يَحْسَبُ أَنَّ الْأَقْدَارَ ما خُلِقَتْ

المجد والفخر

يطلب المجد كي يصح به العيبُ — ش وقد يبتغيه للفخر باغي
فإذا ما رآه خلواً من الفخ — ر طواه عنه القلى والتنائي!

الوسائل والغايات

إِنَّ الْوَسَائِلَ وَالْغَايَاتِ مَا اشْتَبَهَتْ
فَإِنَّ مَنْ جَعَلَ الْغَايَاتِ وَاسْطَةً
لَمْ يَسْتَقِمْ سَعْيُهُ مِنْ حَيْثُ يَمَّمُهُ
عَلَى أَمْرٍ فِدْوَاعِي الطَّيِّشِ فِي الْعَمَلِ
أَوْ الْوَسَائِلِ غَايَاتٍ مِنَ الْأَمَلِ
وَعَاقَهُ جَهْلُهُ عَنْ دَقَّةِ الْحَيْلِ

العزيمة المضللة

لَعَزْمُ ذَوِي الْعَزْمِ الْمَضِلِّ بِالْعُ
فَفِي الْعَزْمِ إِصْمَاءٌ وَفِي السَّعْيِ قَدْوَةٌ
فَقَدْ يَخْطِئُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ طَالِبٌ
مَنْ الْحَزْمِ مَا لَا يَبْلُغُ الْمَتَرِدِّدُ
وَلَوْ كَانَ سَعْيًا شَارِدًا لَيْسَ يُحْمَدُ
وَيَصْمِي مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يَقْصَدُ

سبر غور الرأي

من شاء أن يسبر آراءه
فليجعل الفعل لباساً لها
فالرأي مَيِّتٌ والمعاني لَقَى
إذا المساعي عِيفٌ إصدارها

الخرافات

أولع الناس بالخرافات حتى
كُلَّمَا قِيلَ قَد مَضَتْ أَوْشَكَتْ فِي
أَسْكَنُوهَا الْعُقُولَ حَصَنًا حَصِينًا
خَيْرِ آرَاءِ خَيْرِهِمْ أَنْ تَبِينَا

الرحمة تهدي إلى صحة الرأي

وما الرحمةُ الغراءُ إلَّا وسيلةٌ
وما غلظُ الأكبادِ إلَّا نقيصةٌ
يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها
بها يستفادُ الرأيُ والرأيُ ثاقبُ
تُضِلُّ ذكاءَ المرءِ والحقُّ عازبُ
إذا بان منها جانبٌ غاب جانبُ

حجة الأشقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرُّ
هَلَّا شَرِبْتَ مِنَ الكاسِ التي أخذت
كأسٌ مِنَ البؤسِ لم تَرَوْفْ بِشاربها
سود الخلائقِ لَعَانونٍ للقدرِ
منا مآخذٌ مِنْ سَمْعٍ وَمِنْ بَصَرٍ؟
دافت لنا السَمُّ في حالٍ مِنَ الغَيْرِ!

عزم في الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ
أحقُّ بالمدحِ من مستضعفٍ تعسٍ
يرجو الفضيلةَ لكنْ لا يعالجها
في الشرِّ يبلغ منه كلُّ ما بعدًا
مُقلِّلِ العزمِ لا يصمي الذي قصدًا
ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مددًا

العقل والخلد

أَنَّمَا الْعَقْلُ خَالِقُ جَعَلَ الْخُلْدَ
أَبَدًا يَبْرُزُ الَّذِي حَاجَةُ النَّاسِ
دَلَّ لَهُ فِي الْقَضَاءِ أَمْرَ الْحَكِيمِ
سَأَلَ إِلَيْهِ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ

وظيفة الإنسان في الحياة

خُلِقَ الْإِنْسَانُ كِي يَمَهَّدَ مَا
فَهُوَ حَرٌّ مَا سَعَى فِي نَهْجِهِ
وَهُوَ عَبْدٌ مَا ازْدَهَتْهُ حَالُهُ
عَاقَ عَنِ مَسْعَاهُ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ
يَدْرَأُ الْعَائِقَ بِالْفِعْلِ الْحَمِيدِ
فَنَبَأَ عَنِ خَطَةِ الرَّأْيِ السَّيِّدِ

حياة الإنسان

كأنَّ حياةَ المرءِ حسناءُ أرمَلُ
لها شافعٌ يدعو إلى الحزنِ حُكْمُهُ
إذا قيلَ ساءتِ حالُها طابَ حالُها
وآخرُ يخشى أن يزولَ جمالُها!

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعْطِ الفضيلةَ حَقَّهَا
وما كنتَ إلَّا قاذفَ الرِّيحِ بالثرى
ألم ترَ أنَّ الشرَّ مُغْرَى بِرَبِّهِ
أصابك من رجس الرذيلةِ عائبُ
لَوْتَهُ عليه الرِّيحُ والتربُ تاربُ
يغالبه عن نفسه وهو غالبُ؟

الأديب والشقاء

ألا إنّ ألام الأديب لنفسه
صقالٌ وإنّ النارَ صاقلَةُ العصبِ
ألم ترَ أن القرطَ ليس بحليةٍ
على الأذنِ حتى تَأْلَمَ الأذنُ بالثقبِ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورَها سفهاً
الحسنُ فضلٌ، وكلُّ منفردٍ
كلُّ جميلٍ بالعيشِ مغرورُ
بالفضلِ جمُّ الدلالِ مسرورُ

حب القدير للعيش

حَبَّ العيشَ للقديرِ مساعٍ
فَلديه الحياةُ نهزةً نجحٍ
إِنَّ حَبَّ القديرِ للعيشِ جودٌ
سامياتٌ ومطمحٌ واختبارٌ
وابتغاءُ الحمامِ خذلٌ وعارٌ
واصطبارٌ وهمةٌ واقتدارٌ

كاذبان

وَنُبِّئْتُ أَنِي مَادِحٌ غَيْرُ مَادِحِي رَقِيبًا عَلَى الزَّلَّاتِ يَوْسَعُنِي لَوْمًا
لَعَلَّ كَلِينَا كَاذِبٌ فِي مَقَالِهِ أَقْرَضُهُ ظُلْمًا وَيَشْتَمُنِي ظُلْمًا

رباعية من رباعيات عمر الخيام

الشاعر الفارسي

إِرْمٌ قَد عَفَتْ وَصَوَّحَ قَدَمًا فِي رِبَاهَا الرَّبِيعُ وَالزَّهْرُ
كَأْسُ جَمَشِيدٍ قَد مَضَتْ حَيْثُ لَا حَيٍّ بَثَ لَدِينَا مِنْ أَمْرِهَا خَبْرُ
لَكِنِ الْكِرْمُ لَا يَزَالُ جَوَادًا بِرَحِيقِ حَبَابِهِ دُرُّ
وَلَنَا مَنْزَلٌ مِنَ الرُّوضِ فَيَنَّا نُتَرَوِّي أَزْهَارَهُ الْغُدْرُ

رباعية أخرى

هَاجَ لِلْقَلْبِ جِدَةَ الْحَوْلِ أَشْجَا نَا لَدِيهِ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ
تَأْنَسُ النَّفْسُ بِالتَّفَرُّدِ وَالْخُلْ سَوَةٌ فِي ظِلِّ حَالِهِ الرَّغْدِ
حَيْثُ تَحْكِي الْأَزْهَارَ رَاحَةَ مُوسَى فِي بِيَاضِ النُّوَارِ وَالْوَرْدِ
وَلَهَا نَفْحَةٌ كَأَنْفَاسِ عَيْسَى بَاعِثَاتٍ لِلْمَيْتِ مِنْ لَحْدِ

رباعية أخرى

هَاتِ لِي الْكَأْسَ يَا حَبِيبِي دَهَاقًا
إِنَّ ثَوْبَ الْوَقَارِ ثَوْبُ شَتَاءِ
أَنْضُ عَنْكَ الْوَقَارَ وَارْمِ بِهِ فِي
إِنَّمَا الْعَيْشُ طَائِرٌ بَيْنَ غُصْنَيْـِ
لَا تَطْعُ عَائِبًا كَنُوسَ الْعَقَارِ
لَيْسَ يَغْنِي فِي الصَّيْفِ ثَوْبُ الْوَقَارِ
جَمْرَاتٍ لِلْقَيْظِ مِثْلَ النَّارِ
مِنْ فَخْذِهِ مَأْخِذَ الْمَسْتَطَارِ

شكوى

أما ترى البدرَ يا حبيبي
والنجمَ حيران مستفزاً
والسحب تُرْخي عليه سترًا
والليل بالأفقٍ مستقرًا
ما أشبهَ اليأس بالرجاءِ
وأشبهَ السعد بالشقاءِ
وأشبهَ الحب بالعداءِ
مصيبةُ العينِ بالبكاءِ
كأنَّه في الهوى رقيبي؟
يضارع القلبَ في الوجيبِ
كأنَّها هيئَةُ المريبِ
كأنَّه عيشَةُ الأديبِ
لو دام ما كان يا حبيبي
إن لم أجدُ في الهوى نصيبي
إن كنت في الحب كالرقيبِ
مصيبة القلب بالوجيبِ!

الحب والجمال

عندي من الحبِّ يا حبيبي
فالقلبُ أسوان في وجيبِ
ورُبَّ ظمآن من لغوبِ
ورُبَّ ولهان مستثيبِ
قدَّر الذي فيكَ من جمالِ
وأنت جذلان في دلالِ
يغصُّ بالبارد الزلالِ
أصلحه غائضُ النوالِ!

الأديب المتكلف

يببت طوال الليل يقدح رأيه
يعالج في نسج القريض قصيدة
فيأتي بها كالبكر قد طال حبسها
يُقَلِّب فوق الفرش جنباً كأنما
ويزحر كالحبلى إذا آن وَضَعُهَا
كما قدح المقرور صخرَ زناد
كأنَّ له فيها أشدَّ جلاذ
تُحَدِّثُ فينا عن ثمود وعادٍ
يُحْكُ به في الفرش شوك قتادٍ
ولكنَّه زحر بغير ولادٍ!

النار

هل النار يُحيي المَيِّتَ بعد هلاكه
ألا إنه يحيي العداة وَيَعْمُرُ أَلْـ
فلا تحسبنَّ الذنَبَ يمحو أَخاً لَهُ
أم النارُ يشفي غلة المَيِّتِ في القَبْرِ؟
قلوبَ بأضغانٍ عقاربها تسري
ولا تحسبنَّ الشرَّ يُدْفَعُ بالشرِّ

شكوى الزمان

أعيدك من شكوى الزمان فإنها
تُمرُّ حياة المرء وهو طَلُوبُهَا
فأحسن من شكوى الزمانِ احتقاره
إذا عدواتُ الدهرِ غالت خُطوبُهَا!

خلوة

يا خلوة لي بالحسنة أذكرها
وكلما لمست كفاي راحتها
تقول إياك إنَّ البدرَ ثالثنا
بالليل، والليلُ والحسنة من أملي
وقمتُ ظمآنَ أبغي رشفةَ القبلِ
يرنو لنا بلحاظ الشاكِّ والعذل!

العذر في الهجر

لم يَكُنْ عن زهادهِ ذلك الهجـ
تتخطى إليّ من حيث لم أذُ
رُ ولكنْ هي الحوادث تُنسي
نَبْ فأغدو ما بين طرسي ورمسي!

نظرات مسالك

إذا شئت أن أنساك مما رميتني به، كيف أنسى أنني لك عاشق؟
وما نظرات العين إلا مسالك إليك وإن عاقتك عني العوائق!

كاذب أبدًا

للم قومٌ أني وصفتك بالكذب
بِ مرارًا ومرّةً فيك تكفي
ويك لو أنني وصفتك بالكذب
بِ على سبحةٍ لقصرَ وصفي!

الحب والهجر

يا وَصُولًا فِي التَّدَانِي وَمَلُومًا فِي التَّنَائِي
وَحَبِيبًا لَيْسَ يَجْزِي عَنِ إِخَاءٍ بِإِخَاءٍ
وَحَلِيفَ النَّأْيِ وَالْغَدِّ رِ وَدَلِّ وَجَفَاءِ
وَمَطُومًا لِلتَّرَاضِي وَعَدْوًا لِلرَّجَاءِ
لَكَ فِي الْقَلْبِ مَكَانٌ لَيْسَ يُطَوَّى مِنْ عَفَاءِ
غَيْرَ أَنْ الْغَدْرَ دَاءٌ لَا يَدَاوَى بِدَوَاءِ!

ذم الشتاء

جاء الشتاء وجاءتنا غياهبه
كأنَّها نكدٌ في قلبٍ متعوسٍ!
تري المدينةَ لا يمشي الضياءُ بها
كأنَّها قطعة من وجهِ إبليسِ!

عتاب

نَعْمَتُمْ بِهِجْرٍ قَدْ شَقِينَا بِطَوْلِهِ
فَلَا تَحْسِبُونَا فِي الْوُدَادِ سِوَاءَ
هَنِيئًا لَكُمْ هِجْرَانِكُمْ وَنَزَاعِنَا
إِلَيْكُمْ وَإِنْ كَانَ الْمَلَأُ هِبَاءَ

لكل دهر إمام

لكلِّ دهرٍ إمامٌ قائمٌ أبدًا يُبينُ للناسِ معنى الصدقِ والكذبِ
وليس ينسخ ما جاء الأخير به معنَى تمادى على الأيامِ والحقبِ!

صبر في الأمل وصبر في اليأس

طُمُوْحٌ وَيَأْسٌ لَا يَرَى الْمَرْءُ فِيهِمَا سَوَى الصَّبْرِ خَلْقًا كَابِحًا مِنْ جَمُوْحِهِ
فَصَبْرٌ يُعِينُ الْمَرْءَ فِي حَيْنِ يَأْسِهِ وَصَبْرٌ يُعِينُ الْمَرْءَ عِنْدَ طُمُوْحِهِ

إذا أكرمت اللئيم أهنته

إذا أنت أكرمت اللئيم أهنته
يرى الحمد عبثاً لا يقوم بحمله
بفعل حميدٍ ناقدٍ لفعاله!
فكيف يردُّ الحمدَ غدرُ نباله؟

صاحب الغيبة

وأكثرُ الناسِ عيبًا للرجالِ فتى
يظن أن عيوبَ الناسِ ماحيةٌ
جمُّ العيوبِ إذا بيَّنتَ باطنَهُ
محوَ البراءةَ ما قد بات ضامنُهُ!

الوليد

لَكَأَنَّ الْوَلِيدَ عُرْيَانَ عِنْدَ الْـ
تَاجِرٍ عَارَضَتْ مَسَاعِيهِ رِيحٌ
فَهُمَا خَاسِرَانِ قَدْ رَبِحَا الْعَيْـ
وَوَضِعَ تَخْفَى الْأَقْدَارُ عَنْهُ بِضِيرِ
وَرَمَتْهُ الْأَمْوَاجُ فَوْقَ الصَّخُورِ
شَ بَجَاهِ جَدْبٍ وَجَدَّ عَثُورِ!

الدهر بحر

وإنَّما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له
وما أخالُ حياةَ المرءِ فيه سوى
حتى إذا الحدثُ المقدورُ ناهضها
والناسُ غرقاهُ والبؤسى دواهيهِ
سفينةٌ غفلتُ عنها عواديهِ
بارت بوارَ المساعي في طواميهِ!

الحسناء ومرآتها

لا تحسبي أن قد رأيت الذي في صفحة المرآة مطبوع
فالعجبُ قاضٍ والهوى جائرٌ وإنَّ طرفَ العينِ مخدوعٌ

حلم

رأيتُ كأنَّ وسطِ روضٍ وفوقنا
سماءُ هجيرٍ نال منه لهيبُها
خلعنا ثيابًا قد شقينا بلبسها
إذا جمرات الصيفِ غالت كروبُها
وفي ساعدي راوٍ من الحسنِ ناعمٌ
له حركاتٌ أسرٌ لي خلوبُها
أضمُّ إلى نحري محاسنَ جسمه
وفي النفسِ حاجاتٌ بعيدٌ قريبُها
فنمنا على الأزهار جنبًا لجنبٍ
وقد غاب عن عين المشوقِ رقيبُها

الجنة الخراب أو الشام في عهد الاستبداد (من الشعر المرسل)

إنَّ الشَّامَ حَديقَةً فينَانَةٌ تهفو بلبِّ الشاعِرِ الولهانِ
وكأنَّما نَسَجَ الِإلهُ جنَانَهَا شرك النهى وحبالة الأهواءِ
من لي بيومٍ في جنانِكِ صالحِ يفديه عُمرٌ في النعيمِ غيبينُ
مدَّ الظلومُ عليكِ فضلَ عرامه والظلمُ موتٌ للنفوسِ ذليلُ
كالميتةِ الحسناءِ أدركَهَا الردى قبل استنابِ الدهرِ من آياتها
فتكاد تحسب في المماتِ حياتها لولا افتقاد تنفُّسِ الأحياءِ
فإذا رأيتَ رأيتَ ثمَّ محاسنًا نَسَجَ المماتُ لها غطاءً وقارِ!

اللئيم المستنبت

مهما تطاولَ بالنباتِ فروعُهُ
وكذا اللئيمُ إذا ترافَعَ قدرُهُ
ولئن أصيبَ العالمونَ بجاهِهِ
فأصولُهُ في الأرضِ ذاتِ طرائقِ
غالى برأى في الفسولةِ صادقِ
فمصابه بالجاهِ أعظمُ بائقِ!

اليوم وغد

يسوءُك اليومُ فترجو غداً
فانظر إلى أمسٍ مضى واستعنْ
إنَّ غداً ليس بيومٍ جديدٍ
منه على اليومِ برأيٍ سديدٍ

منظر

منظرٌ رائعُ البهاءِ جليلٌ يَطَّيِّبُ الناظرين منه بلحنِ
يحمدُ السمع ما جنته لحاظي فكأني رأيت ذاك بأذني!

كاذب لئيم

حياتك كلها كذبٌ وعمرُك كله ريبٌ
لقد برزت في اللومِ إذا ما برز النُّجْبُ
وودك ملؤه حنقٌ وجدك ملؤه لعبٌ
وفيك عن العلاء جنفٌ وفيك إلى الأذى طربٌ
وفي إibarك الأربُ وفي إقبالك النوبُ
وكلُّ رذيلةٍ فلها إليك من الخنى نسبٌ
وفيك الشرُّ معهودٌ فلا خيرٌ ولا أدبُ!

عتاب الملك حجر لابنه امرئ القيس (من الشعر المرسل)

تريق دماء الخمرِ جُبْنًا وخَسَةً
فإنَّ دماءَ النَّائرينِ كثيرةٌ
فهل تترك المصقولَ يشكو من الصدى
وإنَّ كريمَ الطبعِ ماضٍ بِظْمئِهِ
وكم من كريمٍ بات يعوي من الطوى
وما حُبُّكَ الغاداتِ إلَّا نقيصةٌ
إذا واقعَ المرءُ المَسودُ رذيلةً
فإمَّا أتاها سيد القوم نالهُ
كذلك شهب الطيرِ إنَّ مسَّ ريشها
وإنَّ سوادًا في المدادِ مَبغضًا
ألم ترَ أنَّ الليلَ أسترُ للهوى
وما يُدْرِكُ الشنعاءَ عارٌ إذا زنتُ
وما يحفلُ الرائي إذا غاب كوكبُ
وما الناسُ إلَّا كالملوكِ فلا تعبُ
أنتركني بين الملوكِ كأنني
ولو قد أرقت الماءَ كُنْتَ ظَلومًا!
وهذي السيوف الباترات صوادي
وتهنأ بالدينِ الرويِّ شرابًا؟
ومُنَجِّ أخاه من أوارِ صدهاءُ
وفي داره الضيفُ الذليلُ عزيزُ
أصبت بها جاهي وكان صحيحًا
أتاها ولم يشهد بذاك رقيبُ
من اللومِ لَفَاحٍ بكل حرورِ
مدادُ رمتها بالسهامِ لحاظُ
لصنو سوادٍ في الغرابِ معيب
وليس على وجهِ النهارِ نقابُ؟
كما يُدْرِكُ الحسناءَ وهي كعابُ
كما يحفلُ الرائي لِقَدِّ هلالِ
على القومِ أمرًا أنت فيه ملومُ
جنيتُ الذي تغدو له وتروخُ؟

ومجدُّك من مجدي فكيف أدلته
وكم والدٍ أهدى إلى الذلِّ وُلْدَهُ
وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبِهِ
أليس قنيصَ العرِّ يعدي قرينه
ومن سكن الوادي شكى من أتَيْهِ
ألست تراني بالعطاءِ خليقاً؟
وكم ولدٍ أهدى إلى الذلِّ والدَا
ويشقى بما لم يَجْنِهِ ويصابُ
ومن يَقْرَبُ النيرانَ يَصْلَى لَهَيْبَهَا؟
ومن يصحبُ الولهانَ يشقى بدائِهِ!

واقعة أبي قير (من الشعر المرسل)

ملك البحار أتى يحثُّ سفينههُ
لججٌ على لججٍ يدبر أمرها
حتى إذا بلغت أبو قيرِ اعْتَلَى
وسفائنُ الإفرنس تُتكرُّ أمرها
أنى رمى بلحاظه وجدَّ العدا
حِيلٌ يُدبِّرُها المُعَلَّبُ (نلسنُ)
كالطيرِ تسبُحُ في الفضاءِ الواسعِ
ثبَّتْ وأجبالٌ على أجبالِ
علمٌ على أعوادها خفاقٌ
حتى أفاق أميرها المكدودُ
كالأسدِ حَوْلَ فريسةِ المغوارِ
وكذا العداً خديعةً ودهاءً

* * *

يا مَوْقِظَ النيرانِ من غَفَلاتها
إنِّي سمعتك داعياً في صولةِ
كم من غريقٍ في المياهِ ضريحهُ
قَدَفَتْ به الأمواجُ من أمعائها
كم من جريحٍ زاد في ألامِهِ
حيث الحياةُ حديقةٌ، أحداثها
فيجود بالنفسِ العزيزةِ جوده
يا لهفٍ للرجلِ المفارقِ أهلهُ
ما حلَّ بالأحياءِ بعد مماته
ومحرِّكِ الأقدارِ من سكناتها
فأجابت الأحداثُ في وثباتها
ومقطَّعِ الأوصالِ والأحشاءِ
قَدَفَ المريضِ طعامه المردوداً
ذكرى الزمانِ الناعمِ الفينانِ
نفحاتها، ورياضها الساعاتُ
بالأهلِ والآمالِ والأهواءِ
في غمرةٍ من دونها الغمراتُ
قد حلَّ بالمقتولِ قبل مماته

وكذا الحياة إذا بلوت أمورها
يا ربِّ عيش في الممات منعم
خدع السراب الراقص الخداع
ولربِّ موت في الحياة ذليل!

* * *

لماذا أعدوا للشقاء وحزبه
الفر بين ربوعهم ذو عدوة
تبنى السفين بما يزيل خصاصة
والمال روح الكون حين تصونه
انظر إلى الأسطول بعد بهائه
قاييل في ارواحنا متنكر
ماذا دهى الإنسان حتى إنه
هل بعد ذلك على فساد نفوسنا
لو يعلم المغرور يوم فخاره
لطغى وثار ونال من قواده
ويئ القوي من الضعيف إذا طغى
أولم يخبرك الزمان وصرفه
لما أعدوا للعداء عديهم؟
والجهل في ارواحهم فعال
ويبيد فعل الجهل بالأرواح
إلا عن الوجه السيد الأقوم
قد صار أشلاء على أشلاء
متحكّم متأسّد متماذي
يتطلب الإصلاح بالإفساد؟
نبغي الدليل لمنكر ومماري؟
إنّ الفخار خديعة لإسار
نيل الحديد من الأسير المصفد
ويئ الضعيف من القوي العادي!
أنّ الدليل قنيصة الجبار؟!

نابليون والسّاحر المصري (قصة من الشعر المرسل)

سَدَكْتُ بنابليونَ سَالِبَةً الكرى
في لَيْلَةٍ قَلْبُ اللَّئِيمِ كَقَلْبِهَا
فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْفُ أَنْ يَسْرِي بِهَا
عَبَسَتْ فَخَالَ الْأُفُقَ طَلْعَةَ قَاتِلٍ
وَتَتَفَسَّتْ نَفْسَ الْمُحِبِّ إِذَا قَضَى
هَلْ أَطْفَأَتْكَ يَا كَوَاكِبِ رِيحُهَا
خَرَجَ الْعَظِيمُ يَخْطُ فِي تَرَبِّ الْعَرَا
وَلَوْ أَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ دَهْرٌ وَاسِعٌ
يَمْشِي وَحِيدًا فِي الْخَلَاءِ وَحَوْلِهِ
يَرْمِي بَعِينَ النَّسْرِ أَرْجَاءَ الْعَرَا
فَرَأَى عَلَى بَعْضِ التَّلَالِ بِقَرْبِهِ
مَتَعَمِّمًا بَعْمَامَةٍ مَهْدُولَةٍ
فَكَأَنَّمَا اتَّخَذَ الْهَلَالَ عِمَامَةً
تَجْرِي الرِّيحُ خِلَالَ لِحِيَّتِهِ الَّتِي
وَتَهْزَاهَا حَتَّى لَتَلْطَمَ وَجْهَهُ
وَالنُّومُ لَا يَعْنُو لِكُلِّ عَظِيمٍ
زَنْجِيَّةٍ قَدْ عُرِّيَتْ مِنْ حَلِيهَا
مَنْعَتْ مَهَابَتَهُ الظَّلَامَ مِنَ السَّرَى
جَهْمُ الْمُحْيَا رَائِعَ اللَّحْظَاتِ
وَحَبِيبِهِ بِحَنِينِهِ لَمْ يَعْلَمْ
أَمْ لَمْ تُضِنُّكَ مَلَائِكُ الرَّحْمَنِ!
خَطَّ الْمَدْلِيسِ فِي تَرَابِ الطَّالِعِ
كَانَتْ خَطُوطُ حِذَائِهِ أَحْوَالًا
جَيْشٌ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْعِزْمَاتِ
كَالْقَانِصِ الرَّامِي بِسَهْمِ صَائِبِ
شَبْحًا كَمَا نَظَرَ الْمَرِيضُ الْهَالِكُ
مُتَلَفَعًا بِعِبَاءِ سَوْدَاءِ
ثُمَّ ارْتَدَى قِطْعًا مِنَ الظُّلْمَاءِ
صُبِغَتْ بِلَوْنِ غَدَائِرِ الشَّمْطَاءِ
لَطَمَ الرُّضِيعِ عَوَارِضَ الْأَبَاءِ

النارُ من أَلِحاظِهِ مقدوحةٌ
في كَفِّهِ عودٌ ضئيلٌ، صوتُهُ
يستخرج الأَلحانَ من أضلاعِهِ
يبكي فيهِتاجَ الرياحِ بكاءُهُ
لَمَّا رأى الجبارَ يمشي قُرْبَهُ
رفعَ الغناءَ ومرَّ في إنشادِهِ
يا أيُّها البطلُ العظيمُ الغالبُ
درسَ النجومَ فلم يغادر غامضًا
وله من الجنِّ الكرامِ معاشرٌ
كم قد سقيت من الدماءِ طماعةً
في كلِّ جرحٍ مقولٌ ذو سطوةٍ
ولسوفَ تبلُغُ بالسيوفِ مبالغًا
لكنَّ سيعقبكُ الزمانُ وصرْفُهُ
في صخرةٍ صماءٍ فوق جزيرةٍ
يسعى بكُ الجبارُ سعيَ موكلٍ
فاسنلُ نابلِيونُ سيفًا ماضيًا
لكنَّهُ ضربَ الهواءَ بسيفِهِ
فأعاد في الغمدِ الحسامَ تخوفًا
حتى تكاد تشبُّ فيما ينظرُ
شكوى المريضِ إلى الصديقِ العائدِ
والعودُ في تحنانه يتألمُ
فكأنما ضُمِنَتْ قلوبًا ترحمُ
والليلُ يسجدُ في غلالةِ راهبٍ
مرَّ النسيمُ على الربوعِ الخاليةِ
أرحِ الخطى واسمَعِ نبوءةَ ساحرٍ!
حتى أُتيحَ له الجليلُ الغامضُ!
يأتونه بنفائسِ الأخبارِ!
لك خيرها وعلى سواك خراجها
يدلي عليك بحجةٍ بيضاء
تدعُ الممالكَ في يديك بيادقًا
زمنًا يكونُ به الطليقُ أسيرًا
في البحرِ يضربها العبابُ الأعظمُ
فيظلُّ يأكلُ من حياتك كيدُهُ
لما رأى العوَّادَ ساءَ مقالُهُ
حيث اختفى المتنبئُ السحَّارُ!
ومضى إلى أصحابهِ يتعجبُ!

الدِّيوان الثالث

أناشيد الصبا

وما الشعرُ إِلا القلبُ هاجَ وجيبُهُ وما الشعرُ إِلا أَن يثيرَ مثيرُ
وللريحِ هبَّاتٌ وللنفسِ مثلُها تغني رُخاءَ فيهما ودَبورُ

من قصيدة «الشعر والطبيعة» لصاحب الديوان

إهداء الديوان

صديقي الأعزَّ
الأستاذ الأديب والشاعر الجليل
إبراهيم عبد القادر المازني

أهديك هذا الديوان هدية ود، أنشدك فيه قولَ أبي تمام:

وقلتُ أخُ قالوا أخُ من قرابةٍ فقلتُ لهم إن الشكولَ أقاربُ
نسيبيَ في عزمي ورأيي ومذهبي وإن باعدتُنا في الأصولِ المناسِبُ

كلمة لصاحب الديوان في: العاطفة في الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء، لا بد أن تنتهياً تهيوًا خاصًا لكل نغمة من النغمات فيَقَصِّر بعض الأوتار، ويطال بعضها، ويثدُّ وتر، ويُرَخَى آخر، والشاعر لا يمكنه أن يهَيئ روحه كذلك متى شاء. بل لا بد من أسباب يتوخاها زمنًا، حتى يساعده الطبع فنتهياً نفسه، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألقان. والشاعر الكبير لا يكتفي بإفهام الناس، بل هو الذي يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم. فيخلط شعوره بشعورهم، وعواطفه بعواطفهم. ولشعر العواطف رنةً ونغمةً لا تجدها في غيره من أصناف الشعر. وسيأتي يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره. فالشعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة. وإنما تختلف العواطف التي يعرضها الشاعر. ولا أعني بشعر العواطف رصفَ كلمات ميته تدل على التوجع أو ذرف الدموع. فإن شِعَرَ العواطف يحتاج إلى ذهن خصب، وذكاء، وخيال واسع، لدرُس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها، ودرُس اختلافها وتشابها، وائتلافها وتناكرها، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس. فينبغي للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشعرية. وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته. وينبغي له أن يُعوِّد نفسه على البحث في كل عاطفة من عواطف قلبه، وكل دافع من دوافع نفسه، لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة، فاضلة أو قبيحة مرذولة وضيعة.

والحياة في نظر الشاعر الذي يعيش لِفَنِّه الجليل، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها، ففيها نغمة البؤس والشقاء، وفيها نغمة النعيم والجدل، وفيها أنغام

الحقد واللؤم، والشر والندم، واليأس والكره، والغيرة والحسد، والمكر والقسوة؛ وأنغام الرحمة والجود، والأمل والرضا والحب. فالشاعر الكبير هو الذي يتعرّف كيف يقتبس من هذه الحالات أنغامها، ويصوغها شعراً. وهو الذي عواطفه مثل عواطف الوجود؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء. وهو الذي يحكي قلبه الأركستر الكثير الآلات، الكثير الأنغام، ليس الوجود أيضاً أركستر آتته الناس، وعواطفهم وأعمالهم، والرياح والأمواج، والطيور والحيوانات؟ كذلك قلب الشاعر أركستر آتته العواطف، ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر الكبير إلا في نوبات انفعال عصبي، في أثنائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه، وتتضارب العواطف في قلبه. ولكن تضارباً لا يُزعج نبضه طيور الأنغام الشعرية التي تغرد في ذهنه. ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمدٍ منه لبعضها دون بعضها. أما في غير هذه النوبات، فالشعر الذي يصنعه يأتي فاتر العاطفة، قليل الطلاوة والتأثير. وإدمان الاطلاع أساس في الشعر؛ لأنه هو الذي يهيئ الطبع. أما انتقاء الأساليب عند النظم، فدليل على أن الشاعر غير مهياً الطبع ناضبه؛ ليس في أعصابه نغمة، ولا في قلبه عاطفة.

وإذا نظرت في الشعر العربي، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدّر الإسلام، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم. والسبب في ذلك أن النفوس كانت كبيرة، والعواطف قوية، لم يتلفها بعد الترف والضعف، وغير ذلك من الصفات التي تطرقت إلى الأمة في عهد الدولة العباسية، وما بعدها من العصور، التي أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة، والمغالة الكاذبة، والتلاعب بالألفاظ، والخيالات الفاسدة. وشعر الأمة مرآة حياتها. فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة، كان شعرها شديد التأثير، صادق العاطفة. وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة، كان شعرها ألقاً مرصوفة ميتة، ليس فيها عاطفة. والعواطف هي القوة المحركة في الحياة، وهي للشعر بمكانة النور والنار.

الحب والموت

حنيني إلى وجه الحبيب جنونُ
أحبك لا حبي عليك بسببة
وحسُنك يجلو النفس من كل ريبة
فجد لي بذخر من وداك خالد
وإن ظنوني في الحياة كثيرة
فوا حسرتا لا لي إليك وسيلة
وقربك إشفاق وبر ورحمة
وكيف أرجي منك عطفًا ورحمة
ولم تدر أني منك ضامر لوعة
عسى مخبر عما أعانيه في الهوى
نهاري حنين واشتياق ولوعة
وما الدهر إلا البحر والموت عاصف
فلا تعصفوا بالهجر والبعد والقلبي
تبشرني الآمال بالقرب منكم
ويا ليت لي نهجًا إليك وحيلة
ويا ليت أني مُفعد في دياركم
جنونٌ يهيج القلب وهو شجونُ
ولا أن وجدي في هواك يُشينُ
ويُطهر قلبًا في هواك طعينُ
فكل قليل من هواك ثمينُ
ولكن ظني في هواك يقينُ
ولا أن قربًا في الحياة يحينُ
على مهجة إن لم تبين سببينُ
ولم يُفش سر في الضلوع كمينُ
ولا أن قلبي في هواك رهينُ
فيؤمل خفض من رضاك ولينُ
وليلي حنين في الهوى وأنينُ
عليه وأعمار الأنام سفينُ
فما لي على هذا الشقاء معينُ
فيا ليت آمال النفوس يقينُ
ويا ليت عطفًا من رضاك يكونُ
مقيم على صرف الزمان ركينُ

ويا ليتني شيء إليك محببٌ
ويا ليت أن القرب يُنصفُ والنوى
ويا ليت بي نوعاً من النحسِ واحداً
يُغيِّرُ صرف الدهر ما شاء في الورى
فلا تتخذع بالناس عني فإنهم
أعزُّ صديقٍ في الخفاء يكيدني
وكلُّ فؤادٍ في المحبة كاذبٌ
ومن يصحب الأيام من بعد خبرةٍ
وكيف أضل الحقَّ في العيشِ طرفةً
غداً يكثرُ السالون منا ومنكمُ
ونصبح لا قلبٌ يحنُّ إليكمُ
وكم قبلنا خلقاً حبيبٌ حبيبه
ويفجع ريب الدهرِ بالكف أختها
ونبكي على حُسنِ طوته يدُ البلى
وما كنتُ أدري أن حسنك زائل
فلا يخذعناك الحسنُ فالحسنُ طرفةً
غداً يكثرُ الباكون حولي وحولكمُ
غداً يستذلُّ الموت منا ومنكمُ
فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم

وأنت به طول الحياة ضنينٌ
فيحمدُ عزُّ في هواك وهونٌ
فإن شقائي في هواك فنونٌ
وحبك في القلب اللجوج مكينٌ
كلابٌ ترى أن العواء يزينُ
وأصدقُ صحبي في الودادِ يمينُ
ولكن قلبي في هواك أمينُ
يقُلُّ لديه تافهٌ وثمانُ
ولحظك فيه الحقُّ وهو مبینُ؟
ويرقاً دمعُ بيننا وشئونُ
وتغمضُ عنكم أعينٌ وجفونُ
وكم من قرينٍ بانَ عنه قرينُ
تبين شمال أو تبين يمينُ
ومن بُرَّ عنه الحُسنُ فهو غيبُ
وأن عزاءً عن هواك يكونُ
تمرُّ كحلم العينِ وهو ظنونُ
وما الناسُ إلا هالكٌ وحزينُ
وكلُّ نفيسٍ في الممات يهونُ
وأبي دفينٍ يستبيه دفينُ

ويسعى على قبري وقبرك بعدنا
وتمضي الليالي والشهور وتتقضي
كأن الفتى لم يحي يوماً لحاجة
من الناس خبّ ماكرٌ وخنون
قرونٌ على أعقابهن قرونٌ
إذا ما دهته بالعفاء منون!

بين الحياة والموت

وقفتُ على البحر الخضمِّ عَشِيَّةً
وقد بسَطَ الليلُ البهيمُ جلاله
وللرعدِ ضحكٌ رائعٌ الصوتِ هائلُ
أَقَطَّعُ قلبي بالبكاءِ وبالأسى
بكيْتُ بكاءَ اليأسِ لا يأسَ مثله
أجرني من ظلمِ الحياةِ ولؤمها
أرى كفنًا من نسجِ موجك أبيضًا
وأنتِ مهأدٌ لئِنِ الطيِّ ناعمٌ
فأغرَقَ ضحكُ الرعدِ شكواي ساخرًا
أعالجُ صرفَ الدهرِ في غيرِ مطعمٍ
ولكنني أرجو من الموتِ راحةً
وما العيشُ إلا الذئبُ تُدَمِّي نيوبه
ولكنه كالخمرِ تحلو لشاربٍ
فها أنا بين العيشِ والموتِ واقفٌ
لعلَّ الذي أرجو من الدهرِ واقِعٌ
عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا جمالهُ
وللريحِ فيه والعبابِ بواذرُ
وللسحبِ نوءٌ هاطلُ اللجِّ هامرُ
كأنَّ ضجيجَ الرعدِ بالناسِ ساخرُ
وحبُّ الردى داءٌ دخيلُ مُخامرُ
وقلْتُ وبِي مِنْ سائحِ الموتِ خاطرُ:
فإن شقائي مثلُ لَجِّك زاخرُ
تمزقه الأرواحُ وهي ثوائرُ
ونعشُ لمن يرجو الردى ومقابرُ
وأبْتُ بهذا العيشِ والقلبُ صاغرُ
وأفعلُ ما تُملي عليَّ المقاديرُ
ويُفزعُني وَقَعٌ له وخواطرُ
وللعيشِ نابٌ قاتِلٌ وأظافرُ
وإن سُلِبَتْ منه النهى والسرائرُ
فهل مُخبرٌ يدري متى أنا سائرُ؟
فقد كان ما قد كنتُ دهرًا أحاذرُ
ففي الروضِ فينانٌ وفي الأفقِ زاهرُ

عبد الرحمن شكري

ويكشف صرف الدهر عني غشاوةً
من اليأس لا تُجدي لديها البصائرُ
فلا تعذلاني بارك الله فيكما
فإني بهذا العيش راضٍ وصابرُ!

حكمة التجارب

انضُ عنك الحذار من حدثِ الدهـ
ليس تجدي تجاربُ المرءِ لو شَبَّـ
فأرقُ فوق نارِ قلبِك ما اسطعـ
ودع الناسَ يهذرون بما شا
إنما العيشُ أن تكون جريئاً
وتلين الحياة للثابت الوأ
كن كثيرَ العزاء عن كلِّ ما فا
خذ بنصيحي فقد حبيبتُ كثيراً
عشتُ في كل ساعةٍ أبدَ الدهـ
ورمتني الحياةُ بالحلو والمرِّ
ورفعتُ الستارَ عن خدعة العيـ
وصحبتُ الحياةَ في حالتِها
وأعاد الأناجُ قصةً من ما
فترى الخلقَ في المطامعِ إمأ
ما ترى الناسَ في الحياةِ حيارى
لا تُعني بأمرها النفسَ يوماً

رِ فليس الحذارُ يُغني فتيلأ
ت لها في الفؤادِ داءٌ دخيلأ
ت عزاءَ جمأً وصبراً جميلأ
عوا فلسنا نخافُ قالأً وقيلأ
ليس ترضى الحياةَ غمراً ذليلأ
دع لا من يخافها أن تهولأ
ت ولو كان في الحياةِ جزيلاً
ولو أني لم أمضِ عمراً طويلأ
رِ وعالجتُ نضرةً وذبولأ
فطوراً رغداً وطوراً وبيلأ
شِ وقهقهتِ وانتحبتِ عويلأ
وخبرتِ القنوطَ والتأميلأ
ت فكانوا قابيلَ أو هابيلأ
قاتلاً ظالمأً وإمأً قتيلأ
ضلَّ من كان عالماً أو جهولأ
فتصيرَ الحياةَ فيك كبولأ

ثم لئن للزمان ما اشتدَّ واجعلْ
إن يكن ينفع البكاء فإنا
ورأينا الحياة من كل وجهٍ
ورجعنا إلى الحقائق حتى
ما لهذا الليل البهيم حزينٌ
سلْ عيونَ الظلام أنجمه الغرَّ
أحدادًا على الورى يلبس الحا
أم لأمرٍ مخبأً في حشاه
أم سديلاً يخفي المقادير عنا
ه إذا لان نجعةً ومقيلاً
قد بكينا على الحياة طويلاً
وعشقنا كمالها المستحيلًا
لم نعدْ نحسب الخيالَ جميلًا
مطرقٌ يبحث الحياة طويلاً
أما أن حزنه أن يزولًا
لك من جنحه بيئاً ألياً؟
لم يُدانِ ألبابنا والعقولاً؟
وستارٌ فقد مللنا السديلاً؟

الدفين الحي

أَخْلَايَ لِمَا وَاللَّهِ مَا بِي جَفْوَةٌ
وَأَذْكُرْكُمْ ذِكْرَ النِّعِيمِ وَمَا لَهُ
وَلَكِنَّ هَمًّا فِي الْفَوَادِ مَقْرُّهُ
تَضِيقَ عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنْ جَنَابَاتِهَا
دَفِينٌ طَوَاهِ الْأَقْرَبِينَ بِلِحْدِهِ
رَأَوْا غَفْوَةً مِنْهُ تَغْرُ كَأَنَّمَا
فَدَلَّوْهُ فِي قَبْرِ سَحِيقٍ وَأَطْبَقُوا
أَفَاقَ وَمَا يَدْرِي أَفِي الْحَلْمِ مَا يَرَى
فَهَاجَ هِيَاجَ النَّسْرِ فِي الْأَسْرِ طَرْفُهُ
وَلَا أَنَا أَخْشَى أَنَّهَا سَتَكُونُ
مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا زَفْرَةً وَحَنِينُ
وَفِي الدَّمِ وَالْأَحْشَاءِ لَيْسَ يَهُونُ
كَأَنِّي عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ دَفِينُ
وِظَنُوهُ مَيِّتًا إِنَّهَا لَظَنُونُ
دَهْتُهُ مِنَ الدَّهْرِ الْخَنُونِ مَنْوُنُ
عَلَيْهِ رَجَامُ الْقَبْرِ وَهُوَ رَكِينُ
وَهِيَهَاتَ مِنْهُ إِنَّهُ لَدَفِينُ
وَأَدْرِكُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ جَنُونُ!

الحسن مرآة الطبيعة

قم بنا نعشقُ النجومَ حبيبي
قم بنا نخلس الزهورَ من الحبِّ
وأرى البدرَ فوقَ وجهك يا بدُّ
قم بنا نعشق الحياةَ حبيبي
أنت مرآة ما يجيء به الكوُّ
فأرى في الصباحِ منك ضياءً
وأرى فيك للظهيرة حرًّا
وأرى فيك نسمة كلالي الـ
وأرى منك في الخريف شبيهاً
كم جميلٌ يُزهي بحسنٍ عميمٍ
ذو بهاءٍ ونضرةٍ وضياءٍ
أكلتُه الديدانُ ميتاً وقد كا
هكذا سُنَّةُ الردى وقديماً
أوشك الليل جنحه أن يزولاً
ونسقي الرحيقَ والسلسبيلاً
رُ نعيمًا جمًّا وحسنًا صقيلاً
لا تدعني متيمًا مخذولاً
نُ من الحسنِ بكرةً وأصيلًا
وأرى في المساءِ منك ذبولاً
وفتورًا لذًا وظلاً ظليلًا
صَيَّفِ حيث النسيمُ يسعى علينا
ثمرًا يانعًا وزهرًا جميلًا
حجب الموتُ لحظه أن يصولاً
منع الموتُ أمره أن يطولاً
ن يعافُ العناقَ والتقبيلاً
أهلك الناس نشأهم والكهولاً!

سحر الربيع

أتعرف أنفاسَ النسيمِ المعطَّرِ
وهل قُمتَ في أظلاله بين نسمةٍ
وهل دُقتَ من غدرانه الماءَ صافياً
وهل غرَّدَ الغرَّيدُ في فلقِ الضحى
كأنك منها بين عودٍ وقينةٍ
وهل ألقت الأغصانُ أوراقَ زهرها
وهل واجهتَكَ الشمسُ من كلِّ جهةٍ
ونلتَ من الأزهار ما بين لؤلؤٍ
وهل حرَّكتَ فيك الأزاهيرُ صبوةً
وظلَّ فؤادُ بين جنبيك خافقاً
وإن يك حالُ القلبِ عما عهدتَهُ
وهل مدَّتِ الأشجارُ نحوكَ شرَّعاً
وهل دُقتَ طعمَ الحبِّ تحت ظلِّها
وشاب بياضَ النورِ للشمسِ صفرةً
هناك يلدُّ النفسُ أن تُحدثَ المنى
إذا أنتَ لم تدرِ الربيعَ وسحره

وبهجةَ أزهارِ الربيعِ المبكَّرِ؟
تفوح وغصنٍ ناعمٍ متأطَّرِ؟
فذقتَ به من نشوةٍ كأسَ مُسكرِ؟
ومن تتطاير شجوه الطيرِ يعذرِ
ودفِّ ومزمارٍ وصنجٍ ومزهرِ
عليك سقوط اللؤلؤ المتحدرِ؟
بضوءٍ كألهوب اللظى المُتسعرِ؟
ودرِّ وياقوت يروق وجوهرِ؟
يُشبُّ لظاها بالمنى والتذكرِ؟
خُفوقَ الرياحِ بالرداءِ المنشرِ
فهل دام ذو عهدٍ فلم يتغيَّرِ؟
غصونَ جنى من مُثمرٍ أو منورِ؟
وفُزتَ بيومٍ طيبِ الذكرِ أزهرِ؟
فضل كلَّيلٍ ساطعِ البدرِ مقررِ
وتبصر حلمَ المطلبِ المتوَعِرِ
ومن يلق ما لاقيتَ يا قلبُ يُسحره

ولم تعترف بالحبِّ والوجد والصبأ
ولم تسرِ ليلَ الصيفِ في أخرياته
وإن أنت لم تهوِ النجوم وومضها
ولم تلتمس في كلِّ شيءٍ جماله
فكن حجرًا لا حسَّ فيه للامسِ
ولم ترَ أثناءَ القضاءِ المقدَّرِ
ولم ترَ صبحًا كالغديرِ المفجَّرِ
ولم تدرِ منها مَخبرًا أيَّ مَخبرِ
ولم تهوِ وجهَ الحسنِ في كلِّ منظرِ
عديمِ الحجى ملقى بأكنافِ محجَّرِ!

جنة الحب وجحيمه

ما أحسنَ الحبَّ يا حبيبي
لست أريد الخلودَ دارًا
ما أهونَ البؤسَ حينَ تبدو
متى أراكم فأبيّ عيشٍ
ونظرة منك يا حبيبي
من جنة الخلد فيك حسنٌ
فأنت زهري وأنت خمري
وأنت لي بالنهار شمسٌ
إن غبتَ عني فأبيّ نورٍ
إن غبتَ عن مسمعي وطرفي
وإن تعدّ لي يعدّ نعيمي
وإن تعدّ لي يعدّ سروري
أحبُّ عيشي إذا دنوتُم
فلا رجاء ولا فعال
والعيشُ من حسنكم صحيحٌ
والعيش من لحظكم مضيءٌ
وأحسن الحسن لو يدومُ!
إلا إذا كُنتَ لي نديمٌ
وأهونَ الوجد والهمومُ
أخشاه أو حادثِ أليمٍ
أشهى من الخلدِ والنعيمِ
وفيك من زهرها نسيم
وأنت برقي الذي أشيمُ
وأنت بالليل لي نجومُ
أراه أم مطلبٍ أرومُ؟
فالعيش من بعدكم جحيمٌ
وينجلي الشكُّ والغيومُ
ويُنقِضُ الحزن والوجومُ
والعيش من بعدكم عقيمٌ
ولما مساعٍ ولما مرؤمٌ
وهو إذا غبتُم سقيمٌ
وهو إذا غبتُم بهيمٌ

أنتم دواءً لكل داءٍ
فألقبُ في حُبِّكم كتومُ
غداً ينال الممات منا
فخففوا هجركم قليلاً
فأبرعوا قلبي الكليمُ
لكنّ دمعِي به نَمومُ
فمن دفين ومن رميمُ
فالموتُ من خلفنا غريمُ
وكلنا بالحياة صبُّ
لكننا للردي خصومُ!

حسرة العيد

أعيدُ وقلبي من رضاك بعيدُ
وهل لك في ذا العيد يا قلبُ فرحةٌ
وكيف يسرُّ العيدُ قلبي، وودُّكم
وكيف أرى للعيد طعمًا ولذةً
أرى العيدَ يُذني من حبيبٍ حبيبتهُ
يهنئُ بعضُ الناسِ بالعيدِ بعضَهُم
وينسونَ ماضي البؤسِ أو حاضر الردى
وكلُّ امرئٍ في العيدِ بالعيدِ ناعمٌ
ولكنَّ لي في العيدِ شجواً وحسرةً
حنانيك يا شبه الربيع ويا أبا الـ
وما مرَّ بي يومٌ أودُّ ولم أقلُّ
أظلُّ ولم ينعم بمرآك ناظري
فيا ليبتني طفلٌ يعيش بغفلةٍ
ويا ربَّ طفلٍ في الشقاءِ معذبٍ
فيا ليبتني صخرٌ على الأرضِ هادئٌ
أتونسُ في العيدِ الرياضَ وزهرها
فيا عجباً للدهر كيف يكيذُ؟
أم العيدُ نحسُّ ليس فيه سعودُ؟
وإن قرَّبتُ منا الديار بعيدُ؟
ودون فؤادي من هواك وقودُ؟
وقلبي شقيٌّ من هواك وحيذُ
وتتري وفودٌ بينهم ووفودُ
وتُخفي تراتٍ بينهم وحقوقُ
وكلُّ محبِّ ضاحكٌ وسعيدُ
وإني لمن يَلْتَذُّه لحسودُ
صباحِ فأيامي لبعذكِ سودُ
ألا ليت أيامَ النعيمِ تعودُ
كأنِّي يتيمٌ في الديارِ وحيذُ
يلدُّ صباحِ العمرِ وهو جديدُ
أناخَ عليه الهَمُّ وهو جدودُ
صبورٌ على مرِّ الزمانِ جليدُ
وتوحش قلبي وهو منك عميدُ؟

وما القلبُ إلا روضةِ الوجدِ والهوى
فلحِبِّ أزهارٍ ولكنَّ تحتها
فمنَّ غرَّه زهرُ الغرامِ وحسنه
إذا كنتُ لا أخشى ملامةً لائمٍ
أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم
يرفّ بها زهرُ الهوى ويميدُ
من الحبِّ حياتٍ هناك تروُدُ
أحسَّ دبيبَ السمِّ وهو شديدُ
فكيف أسرُّ الحبَّ وهو جديدُ؟
كلابٌ إذا كسَّفتهمُ وقرودُ!

الخوف والفرع

حَذِرْتُ الَّذِي يُمْنِي لِي الدهرُ من أذى
ويا وَيَحِ نفسي كَلَّمَا لاح بَارِقُ
ويا وَيَحِ نفسي كَلَّمَا جاءَ كارِثُ
وحتَّامَ هذا الخوفِ في كلِّ لحظةٍ
أفي كلِّ يومٍ حادثٍ يستذلني
وفي كلِّ يومٍ خيبةٍ إثرَ خيبةٍ
وفي كلِّ يومٍ لي خليلٌ يخونني
وحتَّامَ أرجو الموتَ لا أستطيعه
أعالجُ في الأحشاءِ يأسًا ومطمعًا
عسى أن يتيحَ الله صبرًا يحوطني
وينقذني من مهلك أيِّ مهلك
أما في ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ
فمن لي بعيشٍ لا أبالي صروفه
نعيشُ بغشٍّ منك يحلو لغافلٍ
فيا وَيَحِ نفسي من عناءِ التفرُّعِ
تطائرِ آمالي ويحتاج مطمعي
ظَلَلْتُ وقلبي كالبناءِ المضضعِ
يدبُّ إلى قلبي وطرفي ومسمعي؟
وفي كلِّ يومٍ لي طماح مودعي؟
ولو عةُ قلبٍ ذي كلومٍ مُفزعٍ؟
وفي كلِّ يومٍ لي حبيبٌ مُفجَّعي؟
وأفرق منه أن يلمَّ بمضجعي؟
فيا بؤسِ أضدادٍ وبؤسِ المجمعِ
فتهدأ أضلاعي وترقأ أدمعي
ويخرجني من مجزع أيِّ مجزعِ
أناخ عليه الهمُّ من كلِّ موضعٍ؟
أقول لدهري: طِرْ بصرفك أو قع!
فأسدِلْ علينا غفلةً ثم فاخذع!

نشوة الحب

نجواك في العيشِ إِسراري وإِعلاني
بَغَضْتَ لي العيشَ حتى ما أُسرُّ به
الموتُ أروحُ لي والقبرُ أرفقُ بي
ونظرة منك أهواها وأملها
جَرَبْتُ فيك شجونَ الحبِّ قاطبةً
فلم أدعُ شجنًا في الحبِّ أَجهله
مِنْ حَبِّكم صرت لا ألوي إِلى أَحِدِ
أَمْشي أُحَدِّثُ نفسي عن محاسنِكُم
نشوان ليس له عقلٌ فَيُسْكِنُهُ
وَأَسأَلُ النجمَ عنكم أين موقعكم
يمر بي الناسُ لا أدري مرورَهُمُ
أَنكرت من حَبِّكم ما كنتُ أعرفه
كأنما كلُّ مخلوقٍ أمرُّ به
فأحسب البدرَ صدًّا بِذِكْرِكُمْ
والريحُ تشدو بكم والشمسُ تعرفكم
أَنتم حياتي وأَنتم مشتكى حزني
وأَنت بئِّي وتهيامي وأشجاني
إِلا بقايا رجاءٍ ليس بالداني
من عيشةٍ بين تحنانٍ وهجرانٍ
تودي بيأسي ولوعاتي وأحزاني
وأَوجُه الحبِّ من قاصٍ ومن داني
ولا رميت بزقٍ منه ملآنٍ
حتى كآني غريبٌ بين أوطاني
حتى يُخَالُ حديثي لَغَوَ نشوانٍ
الحب خمري وليس الخمرُ من شاني
من البلادِ وما للنجم عينانِ
فيستوي فيهمُ جهلي وعرفاني
فطالَ في الحبِّ إنكاري ونسياني
يصيح بِأَسْمِكُمْ في طِيِّ أذاني
والطير من ذكركُمُ والزهر خلاني
والوردُ بالحبِّ ناداني وحيَّاني
وأَنتم في مرآي الحلمِ نُدماني

يا بؤس للحب، إن الحب ذو خُدعٍ
من لي بمن قلبه قلبي فأخبرُهُ
فما اتخذت خليلاً غير مضطغنٍ
والناس في العيش إن كَشَفَتْ أَمْرَهُمْ
إن الحمير — حمير الناس — نهفتها
جهلٌ ولؤمٌ، وأحقاؤٌ ومفسدةٌ
مثل الشرابِ تراءى ثمَّ أظماني
سرِّي وأودعه شجوي وتحناني
ولا مررتُ بخلقٍ غير خوانٍ
أَلْفَيْتَهُمْ بين أضغانٍ وبهتانٍ
أودت برُشدٍ رجيح الرأي غضبانٍ!
والشر يجرع منه كل إنسان!

غاية الحب

أجلُ في نجوم الليل لحظك طرفةً
عسى يلتقي لحظي ولحظك عندها
عسى يلتقي روعي وروح عندها
عسى يشعُر الولهانُ بالقرب منكم
يحدثني عنك الهلال إذا بدا
وإني أحبُّ البدرَ من أجل حبِّكم
عسى تجمع الأحلامُ بيني وبينكم
وتذكرني في الحلم، والحلم باطلٌ
وهيهات لا في يقظة أنت ذاكري
وأهتف طولَ الليل باسمك جاهداً
فتبدو لعيني صورةً منك غضةً
فما لي سوى الأوهامِ منك عُلالة
سيبقى لكم في القلبِ وجدٌ ولو عةً
ويبدو لكم ما كنتُ أخفيه جاهداً
فيا كعبة الحسنِ التي أنا عابدٌ
ويا جنةَ الحسنِ التي أنا آملٌ

فإني إليها في دجى الليلِ ناظرٌ
فتعرفُ ما تُطوى عليه النواظرُ
على لحظةٍ إن اللحاظَ بصائرُ
ويجري بكم منه على البعدِ خاطرُ
وتخبرني عنك النجوم الزواهرُ
وتسعدني حتى أراك الأزاهرُ
ومن لي بها والطرفُ باكٍ وساهرُ
فما لي في غير الكرى منك سامرُ
وما لي في حلم الكرى منك ذاكرُ
وهاجسُ هذا الذكر داءٌ مُخامرُ
ألذُّ بها حتى كأنك حاضرُ
وما لي سواه منك عونٌ وناصرُ
وذخرُ هيامٍ يومَ تُبلى السرائرُ
وفي البعثِ يبدو ما تُكنُّ الضمائرُ
مناسكُ تهيامي بها والمشاعرُ
غديرُك ملآن وزهرُك ناظرُ

أما من سبيلٍ لي إليك ومنهج
أظل إذا ما لحت لي عن فجاءة
فليتك تحلو والحوادثُ مرة
إذا كنت لي خذنا ألوذ بحبه
وإن نلتُ منك الودَّ والعطفَ والرضا
وإن ترَضَ عني فالحياةُ جميلةٌ
وإن حياتي ليلة مدلهمة
وإن تُبدِ لي عطفًا فما الكونُ باطلُ
لقد صدقتُ مني الظواهرُ في الهوى
أناجيك بالسحرِ الحلالِ من الهوى
أتذكر ملقى بالحديقة طيباً
أشرت بتسليم، فسلمت مثله
فإن تهجروا فالقلبُ أسوان بئسُ
وإن تبعدوا فالأرضُ جرداءُ جدبةٌ
وإن تغربوا فالعيشُ أسودُ داجنُ
حياتي إذا ما غبت عني زواجرُ
فأي بقاءٍ بعدَ بُعدك نافعُ
وإن كنتَ عندي جنّت بالعقلِ والحجى
وإنَّ حياتي إن قرُبت خصبيةٌ

أم امتنعتُ مني إليك المصادرُ؟
فؤادي مخمورٌ ولبي طائرُ
وليتك وافٍ والأنامُ غوايرُ
فلسْتُ أبالي ما تُعدُّ المقاديرُ
فلسْتُ أبالي أن تدورَ الدوائرُ
وإن تُبدِ صدًا فالنهارُ دياجرُ
فهل تأتيني عن رضاك البشائرُ؟
ولا العيشُ خوآنٌ ولا الدهرُ جائرُ
إذا كذبت فيما تقول الظواهرُ
وبالسحرِ من شعري فهل أنت شاعرُ؟
فإني له في الدهر ما عشتُ ذاكرُ
فرحت وقلبي من جوى الحبِّ حائرُ
وإن تعطفوا فالقلبُ راضٍ وصابرُ
وإن تقربوا فالدهرُ فينان زاهرُ
وإن تشرقوا فالعيشُ أبلجُ ظاهرُ
تموج وإظلام الدُّجى والأعاصيرُ
وأي رجاءٍ بعد بعدك باهرُ؟
وإن لم تجئ فالقلبُ مجنونُ نائرُ
وإن حياتي إن بُعدت لعاقِرُ

وَأَمَنْتُ أَنْ السِّحْرَ حَقٌّ فَإِنَّمَا
وَأَمَنْتُ أَنْ الْحَسْنَ مُلْكٌ وَدَوْلَةٌ
وَأَمَنْتُ أَنْ الْحَبَّ وَالْوَجْدَ مَيْسِرٌ
إِذَا مِتُّ فَاذْكُرْنِي وَزُرْنِي زُورَةً
وَقِفْ وَتَأْمَلْ مَا بَدَأَ لَكَ طَرْفَةً
عَسَى دَمْعَةٌ حَرَّى عَلَيَّ تُرِيفُهَا
فَلَا تَتَذَعَّرْ فَالْمَوْتُ غَادٍ وَرَائِحٌ
سَيُنْفِذُ فِيكَ الْمَوْتَ أَمْرًا مَقْدَرًا
وَيَأْكُلُ مِنْكَ الدَّوْدُ مَا شَاءَ حَقْبَةً
وَرِيحُكَ رِيحُ النَّتْنِ لَا نَتْنُ مِثْلَهُ
فَلَا تَحْسِبْنِ أَنِي مِنَ الْمَوْتِ ضَاكِكُ
وَلَكِنْ وَجَدِي مِنْكَ جُنَّ جُنُونُهُ
أَمَا رَحْمَةٌ تَرْجِي لَدَيْكُمْ لِبَائِسٍ
وَفِي الْقُرْبِ لَوْ تَدْنُو دَوَاءً لَهُمَّه
فِيَا بؤْسَ نَفْسِي مِنْكَ يَا بؤْسَ عَيْشَتِي
أَمَا أَنْ أَنْ أَلْقَى حِمَامًا يَرِيحُنِي
أَمَا أَنْ أَنْ أَلْقَى قِضَاءً يَمِيتُنِي
وَيَنْسَانِي الْخُلَّ الْوَفِيُّ لِمَيْتِي
وَيَنْسَانِي الْوَعْدُ اللَّئِيمُ لِمَيْتِي

فَوَادِي مَسْحُورٌ وَحَسْنُكَ سَاجِرٌ
فَقَلْبِي مَأْسُورٌ وَحَسْنُكَ آسِرٌ
فَقَلْبِي مَقْمُورٌ وَحَسْنُكَ قَامِرٌ
وَهَلْ عَجَبٌ فِي أَنْ تُزَارَ الْمَقَابِرُ؟
أَلَا كُلُّ حَيٍّ مِثْلُ مَا سَرَتْ سَائِرُ
وَقَدْ يَعِظُ الْمَوْتُ الْفَتَى وَهُوَ سَادِرُ
وَكَلُّ جَمِيلٍ فَهُوَ لَا بَدَّ غَابِرُ
وَتَلْقَى الَّذِي قَدْ كُنْتَ قَدَمًا تَحَازِرُ
وَوَجْهَكَ مَقْبُوحٌ وَعَظْمُكَ نَاجِرُ
تُسَدُّ إِذَا مَا شَمَّ مِنْهُ الْمَنَاخِرُ
وَلَا تَحْسِبْنِ أَنِي بِحَسْنِكَ سَاجِرُ!
فَهَا أَنَا مِنْ حَبِي لِحَسْنِكَ هَاتِرُ!
حَزِينٍ عَلِيلٍ، حَبَهُ لَكَ ظَاهِرُ؟
وَإِنَّكَ إِذَا غَبْتَ فَالْهَمُّ حَاضِرُ
أَمَا أَنْ أَنْ تُغْشَى الْمَنَايَا الْبُؤَاكِرُ؟
فَتَهْدَأُ أَضْلَاعِي وَتَهْدَأُ الْمَحَاجِرُ؟
فَيُرْتَاحُ حُسَّادِي وَتَسْلُو الْعَوَازِرُ؟
كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ وَالْحَيُّ لِلْحَيِّ ذَاكِرُ
وَيَرْتَدُّ عَنِي نَابُهُ وَالْأَظْفَرُ!

أما أن أن أنسى الحياةَ ولؤمها
أما أن أن يبكي لي الأهلُ طرفة
وأصبح لا قلبي يُجن بذكركم
إذا ما الردى بالمرء حلَّ قضاؤه
وإني أحسُّ الموتَ يسري ديبه
نعيت لكم نفسي فلا لومَ بيننا
فإما غداً أو بعد ذلك وإنما
سلامٌ عليكم حيث كنتم فإننا
فلا طمَعٌ يردي ولا اليأس ذاعرُ
وأصبح ممن غيَّبته المقابرُ
ولا أنا مهجورٌ ولا أنت هاجرُ
رويدك لا تغنى لديه المغافرُ
بروحي حتى فيه منه بوادرُ
فوقع المنايا بيننا متواترُ!
تغادي المنايا شملنا وتباكرُ
سيهلك منا أولٌ ثم آخرُ!

الشعر والطبيعة

إذا غنَّتِ الأُطيَّارُ في الأيِّكِ صدَّحًا
وَاللرِّيحُ هبَّاتٌ وللنَّفْسِ مِثْلَهَا
وما الشَّعْرُ إلَّا القَلْبُ هاجَ وجيِّبُهُ
نرى في سماءِ النَّفْسِ ما في سماءِنا
وما النَّفْسُ إلَّا كالطَّبِيعَةِ وجِهها
وَفِيها صرَّاحُ اليمِّ إنَّ ما جَ موجُهُ
وليلٌ وإِصباحٌ لها وكواكِبُ
إذا كنتَ في روضِ قَلْبِي طائرٌ
وإن كنتَ فوقَ البَحْرِ فالقَلْبُ موجَةٌ
وإن كنتَ فوقَ الشَّمِّ فالقَلْبُ نسرُها
وتَنثُرُ أَغصانُ الخَريفِ زهورَها
فيا قومُ ما للجهلِ مَلءُ عيونكم
لبستمَ على الأيامِ ثوبَ مَذَلَّةٍ
إذا صاحَ ذاكَ العَيرُ فيكم صياحه
ويزعجكم أن الطيورَ صوادِحُ
أصابَ ذكائِي منكمُ بردُ طَبَعِكُمْ
تغنَّتْ لأشجانِ الفؤادِ طيورُ
تُغَنِّي رُخاءَ فيهما ودبورُ
وما الشَّعْرُ إلَّا أن يثيرَ مثيرُ
ونبصرَ فيها البدرَ وهو منيرُ
رياضُ وأضواءُ بها وبحورُ
وفِيها خَريفٌ خافِتٌ وغديرُ
تسيرُ بأفاقِ بها وتدورُ
يغَنِّي على أَغصانِهِ وَيطيرُ
تَسرَّبُ في أمواجهِ وتسيرُ
وللنسرِ في شَمِّ الجبالِ وكورُ
كما جادَ بالشَّعْرِ الجليلِ شعورُ
ألستمَ ترونَ الدائِراتِ تدورُ؟
فكيفَ بَنَصو الثوبِ وهو نضيرُ؟
طربتمَ وقلتمَ شاعرٌ وكبيرُ
ويطربكم أن الغناءَ نعيمُ
وأطفأَ مني القَلْبَ وهو قديرُ

ويصدأ طبعي في خبيثِ هوائكم
فلا تحسبوا أنني أقولُ لتسمعوا
وماذا يفيد الشعرُ والقلبُ ميتٌ
إذا كان يُحيي الشعرُ نفساً مريضةً
وجوكمُ بالداهيات يمورُ
ولما أن مثلي بالقنوط جديرُ
وهل للنفوس الهامدات نشورُ؟
فهيهات تحيا النفسُ وهي قَبورُ!

الزاهير السود

قد جنينا من أزاهير الردى
زهرة سوداء لا تعدلها
كيف نهوى زهرة، أوراقها
تشعل الوجدَ ولوعات الغليلِ
ودماء القلب تجري بمسيل
كلما زاد احمراراً لونها
قد جنينا من أزاهير الشقاء
تُبدلُ النفس سواداً من ضياء
تتفح السم أريجاً والبلاء
كم جنينا من أفانين الألم
لونها المأخوذ من لون الظلم
زهرة سوداء من زهر النقم
كم جنينا من أزاهير القدر
زهرة سوداء من زهر الضجر
فهي بالليل سهادٌ وسهر
هذه الأزهارُ سودٌ كالقضاء
زهرة اليأس وأزهار الأسى
زهرة حمراء من زهر الهوى
من دموع الصبّ تندى والدماء؟
وهي مثل الجرح في صدر القليلِ
دمه ري جذور وأصول
راح جسمي بشحوبٍ ونحول
زهرة سوداء من زهر القضاء
ليس تنمو في رجاءٍ أو رخاء
وهي تغذى من زفير وبكاء
زهرة سوداء من زهر الندم
عابسٌ فوق شفاه المبتسم
فهي طيف من مماتٍ قد ألم
وأفانين صروفٍ وغير
وهي من نبتِ همومٍ وكدر
وهي في الصبح الشقاء المنتظر
في رياضٍ من شقاءٍ وعناء

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

ليس لي منها مفرُّ أو نجاء
فهي حولي في صباحٍ ومساءً
إن هذا العيش داءٌ أيُّ دواءٍ
ليس يُمحيَ بشكاةٍ أو بكاءٍ!

طبع الإنسان

إنما المرءُ خيالٌ زائلٌ
مثل قدر الخلدِ أطماع له
ويودُّ المرءُ لو نال السهى
فهو مثلُ الطفلِ في آماله
سفهًا أنظم في وصف الهوى
من ذنوبٍ ما لها من رادعٍ
غاب رشدُ الناسِ عن أنفسهم
يُقتلُ المرءُ على الجرمِ ولا
أسعدُ الناسِ قتيلاً هالكٌ
إنَّ بالمرءِ جنونًا جاعلاً
لا ينال البرءَ من نوبته
هل لنا من كوكبٍ ذي مرّةٍ
فيريح الناسَ من آلامهم
حدّث الدهرُ حديثًا صادقًا
وصفّاتُ الذنوبِ طبعٌ فيهمُ
أين فخرُ الناسِ بالعلمِ وما
سعةُ الآمالِ فيه كالقدمِ
وبه عجزٌ وضيقٌ في الهممِ
وهو فوق الأرضِ لمّا يحتكمُ
يبتغي النجمَ منالًا من أممِ
ولقد أنظر ما تأتي الأممُ
تترك الناسَ على بؤسٍ وهمِ
ضاع منهم تحت أشلاء الرممِ
يُسأل الجبارُ عما يجترمُ
رُبَّ عيشٍ هو شرٌّ من عدَمِ
نوبةٌ للشرِّ فيه تحتدمُ
أو يذيع الشرَّ منه والئمِ
يصدع الأرضَ إذا ما يصطدمُ
ويزيل الشرَّ منا والتُّهمِ
إنما الناسُ قطيعٌ من غنمِ
وصفّاتُ القرودِ والكلبِ النَّهمِ
يردع الأهواء من خيرِ الحكَمِ؟

يبسط العلمُ عليهم جلدَةً
جلدة السخل بها الذئبُ ارتدى
وإذا ما اقتدر المرءُ سطا
وإذا ما ضعف المرءُ حلمُ
لا تُرَجِّى منهمُ مرحمةً
رحمةُ الخب بكي حتى احتكمُ
لو يكون المرءُ فينا أمناً
سطواتِ الشرِّ منا ما رَحِمُ
نحن نبكي رحمةً من خشيةِ
أن نعاني الضيمَ من خطبِ يُلمُ!

الحب واليأس

حجبت عيناك عني نورها
فحياتي كظلامٍ حالِكٍ
كنت أستهدي بمصباحِ الهوى
كنت أستهدي بنورٍ منكمُ
صرت أستهدي بنارٍ للشقاء
تقصر الأشجان فيها وتطول
فهي كالأشباحِ في جنحِ الظلام
راقصاتٍ كشياطينِ الدجى
فاهجروني إن سمعتم من نصيحِ
إنَّ حبيّ مثلُ داءٍ قاتلِ
أنتمُ كالزهرِ تمحو زهوه
إن حبي ريحٍ سوءٍ قتلت
فاحذروه واتقوني جهدكم
وابتسامًا فيهما كان يجول
ونجومي قد تقاضاها الأفول
في طريقِ العيشِ والعيشِ وعر
فحجبتم نورَ قلبي والبصر
في ظلامِ اليأسِ تخبو وتتير
كلما هبَّت بها ريحُ الزفير
راقصاتٍ بين نارٍ ورياح
مُحيياتٍ للدجى حتى الصباح
ما عليكم من ملامٍ في جفاء
فاستجبروا بمفرِّ أو نجاء
ريحُ سوءٍ حملت جرثومَ داءٍ
زهو قلبي من حياةٍ ورجاء
إن في قربي لكم عدوى الشقاء!

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

يحكي فؤادي في هواك الجحيمُ
بالبشرِّ أحاظك مبنوثةٌ
وخذك المشبوبُ في حمرةِ
والريقُ كالمهل شرابُ الردى
وأنت إبليس لذاك الجحيمِ
وبالرزايا والبلاءِ المقيمِ
كالجمرِ يذكو للعذابِ الأليمِ
يُظمي ولا يشفي أوام الكليمِ
وحرُّ أنفساك في مرّها
يا تائها يختال في مشيه
عيناك يغري لحظها بالبغاءِ
أنت إله الشرِّ في حسنه
يلفح لفتحاً مثل لفتح السمومِ
كالصلِّ إذ يعوج أو يستقيمِ
أحب عُشّاك فينا الأثيمِ
وقبحه، ويحِّ لحسنِ ذميم!

مناجاة الحبيب الثاني

يا جنةَ الحبِّ وروضَ النعيمِ
يا جنةً تترك قلبي لها
يا جنةً ما إن بها حياةً
لأنت برءٍ للأسى والهمومِ
كالروضةِ الغنّاءِ ذات الكرومِ
ينفت سماً فمها أو سمومِ

يسعى إليك الكونُ من بدئه
فلفظك العذبُ رحيقُ الهوى
تُبرى أنفاسك في مرّها
وطيُّ أحاظك نورُ الهدى
وأنت كالدمية في شكلها
للخير في الحسنِ خلودٌ فلأ
كما سعى نحو الطبيبِ السقيمِ
ووجهك الزاهر زهر عميمِ
من الجوى والوجد مثل النسيمِ
ودون أضلاعك قلبٌ رحيمِ
وحسنها الخالد خلد النجومِ
يصيبه الدهرُ مصابِ الجسومِ

صداقة الأموات والأحياء

لأَيِّ أَمْرٍ خذلتُموني
يا أَهْلَ وَدِّي وإِخوتي؟
كأنكم ما صحبتُموني
إِلا لنحسي وشقوتي!
أما كفى وَقَع نائباتِ
يَقْرَعَنَّ عودي ومروتي؟
حسبي سقامي وطول همي
وذُلُّ عَدَمي ولوعتي
كلكم كاذبٌ حقودٌ
يُشْعِلُ يَأْسِي وحسرتي
أين الألى قربهم شفاءً
يكشف غمي وكربتي؟
مرأهمُ نشوةٌ وسكرٌ
ونطقهم برءٌ غلتي
أواه من وَقَعَةِ المنايا
يَقَعَنَّ في خيرِ نخبتي
ما العيشُ عيشٌ إِذا تناءوا
وصرت أبكي لوحشتي
كيف أَرَجِّي بكم شفائي
وأنتم أصلُ علتي؟
كأنني بينكم غريبٌ
أندب حظِّي وغربتي
أنتم سهام تهيض عظمي
وهم وقائي وجُنَّتي
لا يرتجى مِنْكُمْ معينٌ
يُغْنِي إِذا النعل زَلَّتِ
غداً ينال الجِمام منا
بكل شملٍ مشتتٍ
حتى كأن لم نكن نرائي
على دهاءٍ وخدعةٍ
نعيشُ بالغشِّ ما حيينا
غش عِدَى أو أحبةٍ

حتى إذا لاحت المنايا
طَهَّرْنَا الموتُ من خطايا
ننسى عدااء الذين ماتوا
فنحسب الميت ذا وفاءٍ
ولو يعود الدفينُ حيًّا
لصار في وِدِّه كذوبًا
ورُبَّ حي كميِّتٍ
بيِّنَةٌ في الأَسِرَّةِ
والحيُّ يقلَى بزلَّةِ
نبي عليه بحُرْقَةٌ
من بعد نشرٍ ورجعةٍ
وعاد يُمنَى بظنَّةِ

شاعر يحتضر

ألقي الموت لم أنبه بشعري
وفي نفسي من الأبد اتساق
فمن للقلب يطربه بلحن
ومن للكون يرمقه بفكر
ومعنى الخلد يصغر عند نفسي
إذا ظمى الفؤاد إلى كمال
رأيت الناس مثل البحر لجًا
هي الأقوام كالأمواج تعلق
صحوت من المعيشة بعد سكر
شربت الحلو من كاسات دهري
وحالات البقاء لها خمائر
فحالات السرور لها عقار
وكان الجهل لي عيدًا فولّي
وأعقت التساؤل والتقصي
فمن لي بالسكينة في حياة
ظمنت إلى الكمال فلم أنله

ولم يعلم سواد الناس أمري؟
تدور الكائناتُ بها وتجري
يحن إليه من نظمٍ ونثرٍ؟
شبيه الكون في سعةٍ وقدرٍ؟
يضلُّ الخلد في أنحاء فكري
رأى طول الخلود كقيّدٍ شبرٍ
وكم في البحر من صدفٍ ودرٍ
كذاك الموج يسفل حين يجري
فيا لهفي على نشوات سكري
كذاك المرُّ من كاسات دهري
على طعميه من حلوٍ ومرٍ
وللأرزاء فينا كأس خمرٍ
فيا شوقي إلى جهلات عمري!
وما في ذلك من غبنٍ وخسرٍ
أعالجها كأني رهن أسرٍ؟
وذقت اليأس في صلةٍ وهجرٍ

وعالجتُ العواطفَ هائجاتٍ
وجملتُ الحياةَ بنظمِ شعرٍ
قصاصدُ نيراتِ خالدياتِ
هياجِ النارِ من لهبٍ وجمرٍ
شبيهِ الضوءِ في الأفقِ الأغرِّ
خلودِ النجمِ من شهبٍ وزهرٍ

أمل قديم

وَتَنْقُلُ الْعَيْشَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَرَأَى بِي الْيَأْسُ بَيْنَ الصَّحْبِ وَالْأَلِ
عَفَّتْ عَلَى أَمَلٍ كَالْمَنْزَلِ الْخَالِي
مَهْدَمٌ بَيْنَ آثَارِ وَأَطْلَالِ
مِنَ الْحَيَاةِ لِبَانَاتِي وَأَمَالِي
مِنَ الْحَيَاةِ سَقِيمِ الْوَجْهِ وَالْحَالِ
تَسْتَنْزِلُ الْبِرَّ فِي دَفْقٍ وَتَهْطَلِ
وَكَنْتُ أَتُّبِي عَلَى مَوْتٍ وَأَجَالِ
جُمُّ الْأَمَانِي رُخِي الْعَيْشِ وَالْبَالِ؟
يَجْلُو هُمُومِي فِي حَلٍّ وَتَرْحَالِ
مِنَ الرَّجَاءِ فَيُذْنِي بَعْضَ أَمَالِي!

ذَكَرَاكَ كَالْغَيْثِ تَحِييَ جَدَبَ أَمَالِي
مِنَ بَعْدِ مَا طُوِيَتْ نَفْسِي عَلَى مَضَضٍ
وَطَالَعَتْنِي خَطُوبٌ كُلَّمَا عَصَفَتْ
حَتَّى كَأَنَّ فُؤَادِي مَنْزَلٌ خَرِبٌ
مِنَ بَعْدِ مَا يَبْسُتُ نَفْسِي وَمَا بَلَّغَتْ
وَوَطَّنْتُ نَفْسِي أَنْ أَحْيَا إِلَى أَمَدٍ
حَتَّى رَأَيْتُ بَرُوقًا مِنْكَ صَادِقَةً
فَصَرْتُ أَتُّبِي عَلَى عَيْشِي وَلَذَّتِيهِ
مَتَى أَرَانِي وَلي مِن رَعِيكُمْ سَبَبٌ
أَضْحَى رَجَائِي مِثْلَ الشَّمْسِ مَنْتَشِرًا
عَلَّ الزَّمَانُ يَرَى مَا لَسْتُ أَكْتُمُهُ

مرآة الضمائر

ضمائرُ هذا الخلق مثلُ طباعه
وكم من ضميرٍ فاسدٍ تستشيرُه
وبعضُ المرائي خادعٌ غيرُ ناصحٍ
ولكنَّ منها صادقًا غيرَ كاذبٍ
فإنَّ ترَ يومًا مثلها من وذيلةٍ
إذا لاحَ يومًا شكلُ وجهك فوقها
ترى فوقها ما بتَّ تخفيه جاهدًا
يرى الناس فيها أوجهًا كلها خنا
وفي كلِّ وجهٍ لو فطنت إشارةً
وفي كل وجهٍ من جنونٍ ومن أذى
وكلُّ ضميرٍ لو فطنت مخادعُ
بني آدمَ لا تذكرُوا العدلَ ذكرةً
إذا ما بدت من مطمح المرء حاجةً
وكلُّ ضميرٍ بالمعاذير مولعُ
وقد يحسبُ الشرَّ الوجيعَ فضيلةً
وقد يحسبُ الشيءَ الحرامَ محللاً
وكم من ضميرٍ لا يُنهنه بالزجر
فتلقاه عند الخير والشرِّ لا يبيري
يواجه وجهًا منك بالحسن والبشرِ
يريكَ الذي قد بتَّ تخفيه في الصدرِ
فليس لها خيرٌ لديك من الكسرِ
تبيت على ذعرٍ وتصحو على ذعرٍ
من السوءِ والأحقادِ واللؤمِ والشرِّ
يلوُّحُ كما تبدو الجمائمُ في القبرِ
تدلُّ على ما في الضميرِ من السرِّ
ملامحُ لا تخفى تناديك بالجهرِ
وكلُّ ضميرٍ لو بدا لك في خسرٍ
فما العدلُ إلا ما ترَوْنَ من الأمرِ
فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسري
إذا ما أتى ذنبًا أحال على العذرِ
إذا خال فيه ما يلذ من الخيرِ
إذا ظن فيه ما يصاب من التجرِ

وقد يحسبُ العدل المبين ظلاماً
إذا ما بدا لي البشرُ في وجهِ صاحبي
يحييكَ من ألحاظه بطلاقةٍ
وكلُّ صديقٍ إن رأى بك حسرةً
هو الصبرُ حلواً للذي لا يذوقه
ولو كان للآثامِ ريحٌ خبيثةٌ
ولو كان سوءُ النفسِ داءً يجلدُهُمُ
فعالُهُمُ حتى الطلاقةُ متجرٌ
هُمُ ساوموا الخلاقَ في كلِّ فعلةٍ
هُمُ يحسبونَ الدينَ رزقاً ومتجرًا
فعدلُهُمُ ظلمٌ وخيرُهُمُ أذى
وصدقُهُمُ كذبٌ وكلُّ فعالِهِمُ

إذا خاف منه ما يعاف من الضرِّ
أظلمُ مرُوعاً خوفَ عاقبةِ البشرِ
ويأكلُ عرضاً منك بالنايبِ والظفرِ
وكان بخيرٍ قال حظُّك في الصبرِ
فإن ذاقه فالصبرُ شرٌّ من المرِّ!
تطيبُّ كلُّ الناسِ بالندِّ والعطرِ
لأصبح كلُّ الناسِ يُوسمُ بالعرِّ
وربح فإنَّ البرَّ يبذل للبرِّ
يبيعون خيراً بالجزاءِ وبالأجرِ
فيا عجباً للدينِ يُخلطُ بالنكرِ
وودُّهُمُ ودُّ ينغص بالغدِرِ
رياءٌ كأن الغشَّ في دمهم يجري!

عناء الطيف

أرْحِنِي يَا طَيْفَ الْحَبِيبِ بِهَجْرَةٍ
وَيَا طَيْفَهُ أَنْتَ السَّرَابُ تَكِيدُنِي
تُرَوِّعُنِي بِالشُّوقِ فِي كُلِّ طَرْفَةٍ
وَيَا طَيْفُ قَدْ قَطَّعْتَ قَلْبِي صَبَابَةً
وَيَا طَيْفُ لِمَا فِي يَقِظَةٍ أَنْتَ تَارِكِي
وَتَشْعَلُ مِنْ شَوْقِي الَّذِي أَنَا مَطْفَى
وَتَبْتَعُثُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ إِلَى الْهَوَى
كَفَاهَا مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ قَدِيمِهَا
حَنَانِيكَ لِمَا حَبِي قَلِيلٌ وَلَا الْهَوَى
وَإِنْ لِنَفْسِي كُلِّ يَوْمٍ شِقَاوَةٌ
أَمَا أَنْ أَنْ تَلْقَى مَمَاتًا يَرِيحُهَا
حَيَاتِي عَلَى الْهَجْرَانِ شَرٌّ مِنَ الرَّدَى
وَيَا طَيْفُ أَنْتَ الْبُؤْسُ فِيكَ مَضَاضَةٌ
أَبَيْتُ طَوَالَ اللَّيْلِ أَبْكِي بِحَرْقَةٍ
فِيَا لَيْتَ أَنْ الْعَمْرَ أَنْعَامُ مَنْشِدٍ
وَلذَاتِ نَفْسِي فِي الْحَيَاةِ قَلِيلَةٌ

فَإِنَّكَ تَوْرِي حَسْرَتِي وَتَزِيدُهَا
وَحَوْلِي صَحْرَاءَ الْغَرَامِ وَبِيدُهَا
إِذَا مَا انْقَضَتْ لَوْعَاتُ شَوْقٍ تَعِيدُهَا
وَعَذَّبَ عَيْنِي دَمْعُهَا وَسَهْوُهَا
وَلَا فِي هَجُودِ الْعَيْنِ يَحْلُو هَجُودُهَا
وَتَحَدِّثُ مِنْهُ لَوْعَةٌ لِمَا أُرِيدُهَا
وَقَدْ شَفَّهَا أَنْ لِمَا حَبِيبٍ يَعُودُهَا
فِيَا بُؤْسَهَا إِنْ لَمْ يَمْتِهَا جَدِيدُهَا
لذَيْدٌ وَلَا الْأَمَالَ يَدْنُو بَعِيدُهَا
حَبِيبٌ يَنَائِيهَا وَخَبٌّ يَكِيدُهَا
فَيُصْدَعُ عَنْهَا كَبْلُهَا وَقِيُودُهَا
فَوَا حَسْرَتَا أَنْ لِمَا حَمَامٍ يَبِيدُهَا!
وَسَخِرَ وَأَمَّ الْبُؤْسُ أَوْدَى وَلِيدُهَا
كَأَنِّي تَكَلَّى قَدْ أَصِيبُ وَحِيدُهَا
إِذَا مَا مَضَتْ لِي لَذَّةُ اسْتَعِيدُهَا
فِيَا وَيَحُهَا إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ يَعِيدُهَا

جدود الهوى والنفس شتّى جدودها

وإن جدودَ الحبِّ فيكم سعودها

وهباتُ شوقي لا يصاب ركودها

لقد صبرتُ لو أنّ ذاك يفيدها!

لقد قُسمتُ في الحبِّ بيني وبينكم

فإن جدودَ الحبِّ عند نحوسها

وللريح هباتٌ وللشوقٍ مثلها

يسومون نفسي الصبرَ والصبرُ قاتلُ

سلوان الجنون

عسى ينعم الولهانُ منك بنظرةٍ
عسى بالضلوعِ الخافقاتِ من الجوى
عسى تُسعدُ الأقدارُ يوماً بوجدكم
عسى أن يعودَ النومُ عيناً كليلَةً
عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا ضياؤه
عسى هجرة تدعو المحبَّ فيرعوي
فلا تحزننِ إن أدركتني سلوةٌ
عسى أن تجنَّ النفسُ فيكم جنونها
فإن جنونَ النفسِ سعدٌ وراحةٌ
فأنساك حتى لستُ أدري أعائش
وأنساك حتى لو عرضت مسلماً
وأنساك حتى لا أريد وصالكم
كأنك ما كنت الضياء لمقلتي
كأنك لم تضحك فتضحك عيشتي
ولم تك لي الماء الزلال على الصدى
كأنني لم أفضِ النهارَ بحسرةٍ
وهل بعدكم في العيشِ حُسْنٌ فيُنظرُ
تقرُّ وبالقلبِ الجريحِ فيجبرُ
فيا طيبها لو أنَّ قرباً يُقدَّرُ
فلا الدمعُ يقذيها ولا النومُ يَنفِرُ
وأحمد من مرآه ما كنتُ أبصرُ
إلى سلوةٍ تنهى الفؤاد فيزجرُ
فأنت الذي علَّمتني كيف أصبرُ
فلا ذكره تصبي ولا فكر يخطرُ
وإن عناءَ الحبِّ ذاك التذکر
على الأرضِ تسعى أم دفين معفرُ!
لما سرتني منكم سلامٌ ومحضرُ
ولا الهجر يُجري دمعتي حين تهجرُ
ولا مسمعٌ فيكم لذيدٍ ومنظرُ
ولم تك غضباناً فتدجو وتكدرُ
إذا ذاقه الظمانُ يُروى ويسكرُ
ولم أك حتى مَطَّلَعِ الفجرِ أسهرُ

ولم يجرِ دمي حرقاً وصبابة
ولم يك لي في كل قولٍ تقوله
كأنّي لم أعشّقك في كل نبضةٍ
كأنّي لم أعشّقك في كل طرفةٍ
ولم أك من خوفي عليكم مروّعاً
ولم أك من شوقي أمرٌ ببيتكم
فإن يبلغ الحبُّ الجنونَ فلا تلمّ
ولم يك قلبي وإلهاً يتسرّعُ
غناءً وألحانٌ تروق وتسرّعُ
لقلبي ولم أعشّقك من حيث أشعرُ
لعيني ولا في خطرةٍ حين تخطرُ
أبيت حذار السوء أبكي وأدعُرُ
وأنتم نياماً، خائفاً أتستّرُ
أما كل مجنونٍ على الهجر يُعذّرُ؟

ليس لي شغل سواك

ليس لي شغلٌ سواكُ
شقيتُ بالناسِ عينُ
أنت خيرُ الناسِ روحًا
لا يطيبُ العيشُ إلَّا
أنت لا تعرف ما قد
أنت معنى كلِّ حُسنٍ
أنت معنى وهو لفظُ
يا نبيَّ الحسنِ إني
إن طرفي في عناءٍ
إن قلبي في عذابٍ
فخرَ الكونِ وأبدى
أظلمَ العيشُ فجُدْ لي
بسلامٍ أو كلامٍ
إن نفسي لك غرسٌ
إن نفسي لك أرضٌ
أنت معنى كلِّ مخلو

فأجزُ عني جفاكُ
لا ترى حتى تراكُ
كلُّ مخلوقٍ فدَاكُ
بالذي فيه رضاكُ
بتُّ أُخفي من هواكُ
فله الله اصطفاكُ
من عناه قد عناكُ
مؤمنٌ يرجو هداكُ
ليت طرفي ما رآكُ
ليت قلبي قد قلاكُ
بهجةً حيث احتواكُ
بضياءٍ من سناكُ
أجتنيه في لقاكُ
كيف لا ترجو جداكُ
وقعت تحت علاكُ
قِ فلا حيَّ سواكُ!

فتعطف يا حبيبي
وابتسم يبتسم الدهـ
وقعت نفسي من حبـ
ليس لي فيه معين
لم لا تُدني محباً
ما درى للعيش معنى
ما رأى للعيش حسناً
كيف تسلو عن محبٍ
لا هناك النوم يا سا
ما هناني النوم مذ لا
أيها القلب اسأل عنه
ناعم البالٍ قريراً
أيها النشوان من خمـ
أيها الوالیه من وجـ
ما نهاك الصدُّ والباعـ
ما أظن الحبَّ يحدو
لا تخيب من دعاك!
رُ ويدجو من جفاك
ك في شرِّ الشباك
لا ولا منه فكاك
كلما حنَّ بكاك؟
قلبه حتى هوأك
لحظه حتى رأك
بك صبب ما سلاك؟
لب نومي لا هناك!
حت لعيني حلاك
فهو لا يدري لظاك
ليته عانى جواك
ر الهوى من ذا سقاك؟
د الهوى ماذا دهاك؟
راض عن قد جفاك؟
بك إيا للهلاك!

حلم بالبعث

رأيتُ في النومُ أني رهنُ مظلمةٍ
ناءٍ عن الناسِ لا صوتٌ فيزعجني
مطهَّرٌ من عيوبِ العيشِ قاطبةٍ
ولست أشقى لأمرٍ لست أعرفهُ
فلا بكاءٌ ولا ضحكٌ ولا أملٌ
والموتُ أظهر من خبثِ الحياةِ وإن
ما زلتُ في اللحدِ مَيِّتًا ليس يلحقني
مرَّت عليَّ قرونٌ لست أحفظها
حتى بُعثتُ على نَفخِ الملائكِ في
وقام حولي من الأمواتِ زعنفَةٌ
فذاك يبحثُ عن عينٍ له فُقدتُ
وذاك يمشي على رجلٍ بلا قدمٍ
ورُبَّ غاصبٍ رأسٍ ليس صاحبه
ويبحثون عن المرأةِ تخبرهم
جاءت ملائكةٌ باللحمِ تعرضه
رقدتُ مستشعرًا نومًا لأوهمهم
من المقابرِ مَيِّتًا حولهُ رممٌ
ولا طموحٌ ولا حلمٌ ولا كلمٌ
فليس يطرقني همٌّ ولا ألمٌ
ولست أسعى لعيشٍ شأنه العدمُ
ولا ضميرٌ ولا يأسٌ ولا ندمٌ
راعت مظاهرهُ الأحداثِ والظلمُ
نبحُ العدوِّ وبي عن نبههِ صممٌ
عدًّا كأنَّ مرَّ بي الأبادُ والقدمُ
أبواقهم وتنادت تلکمُ الرممُ
هو جاءُ كالسَّيلِ جمَّ لجهِ عرمُ
وتلك تعوزها الأصداعُ واللممُ
وذاك غضبانٌ لا ساقٌ ولا قدمُ
وصاحبُ الرأسِ يبكيه ويختصمُ
عن قبحِ ما تتركُ الأجداتُ والعدمُ
ليلبس اللحمِ من أضلاعنا الوضمُ
أنى عن البعثِ بي نومٌ وبي صممُ

فأعجلوني وقالوا: قمّ فلا كَسَلٌ
قد مُتَّ ما مُتَّ في خيرٍ وفي دعةٍ
يُنْجِي من البعث، إن الله مُحتَكِمٌ
أستغفر الله من لغوٍ ومن عبثٍ
وقد بُعِثَتْ فماذا ينفع الندمُ؟
ومن جنايةٍ ما يأتي به الكلمُ!

صنم الملاحه

صنم الملاحه و الرشا
ناجيت قلبك كي يرق
يقسو فؤادك يا صنم
و خدعتي بغدير حس
وتركتني كالمصحر الـ
صنم الملاحه زفرتي
وتبت فيك الحب يا
فتحس فيك شجونه
فدع الجمود لأهله
صنم الملاحه إن حس
فاذا لقيتك أو سمع
تدع الفؤاد كطائر
وتنام ليلك ناعماً
صنم الملاحه إنني
بلغ الغرام إلى الجنو
وملكتني فظلمتني
قه و اللذاذة و الألم!
فما أحسّ و لا رجم
أوليس من حجر أصم؟
نك كالسراب إذا ألم
ظمان يهلكه السقم
تحبيك من سینه و نوم
صنم الملاحه يا صنم!
و تصير من لحم و دم
إن الجمود هو العدم
نك مثل الحان النغم
نك أو رأيتك في الحلم
إن هم بالطيران لم
و أبيت ليلي لم أنم
و هواك في نحس و هم
ن فلا عتاب و لا ندم
و الحسن أظلم من حكم

وحييت بين الناس معـ
والحبُّ حلوُّ ذائبٍ
ومن العجائبِ أنني
فكأن حسنك ما جنى
يا ليت حبك يا صنم
فأفريقُ منه مسلماً
فكأن حسنك لم يكن
وحيات بين الناس معـ
والحبُّ من صابٍ وسم
بسرابِ حسنك معتصم
شراً عليّ ولا اجترم
حلمٌ تجيء به الظلم
مثل الظلام إذا انصرم
وكان حبك لم يلّم!

بين الحقيقة والخيال

أما عَلِمْتَ عيناك أني قَتيلها
فليس عيونُ النرجسِ الغَضِّ مثلها
وليس عيونُ النَّجمِ أبهى إذا بدت
لعينيك سحرٌ ليس للسحرِ فعله
أما عَلِمْتَ عيناك أني عاشق
أما عَلِمْتَ عيناك أن لحاظها
إذا ما كَرَرْتُ اللحظِ نحوك طرفَةً
لقد كثرَ الناعون للودِّ بيننا
حبيبي دعِ الدنيا تجيء بما تشاء
وجذ لي بذخرٍ من ودايك وافرٍ
وإن تَلَقَّ ودًّا مثل ودي فلا تكن
ولا تحسبنَ الناسَ ناسًا فإنهم
وأكثر ما خالوه صدقًا وحِكمةً
وآذانهم مثلُ الحميرِ طويلةً
بني آدم من قبل آدم قد مضت
فإن يكُ فيكم فطنةٌ وضائِرٌ
وكلُّ حبيبٍ بالمحبِّ خبيرٌ؟
ولا القطرُ فوق الوردِ وهو نضيرٌ
وللنَّجمِ لحظٌ في الظلامِ منيرٌ
فليس لها في الفاتناتِ نظيرٌ
وأني غريبٌ في الحياةِ أسيرٌ؟
تثير غرامًا واللحاظُ تثيرُ؟
رجعتُ ولحظي من سناك حسير
فهل يأتيني عن رضاك بشيرٌ؟
فكلُّ فضاءٍ طائرٍ سيطيِرُ
وكلُّ قليلٍ من رضاك كثيرٌ
له عائفًا، أمُّ الودادِ نَزورُ
قروُدٌ إذا كَشَفَتْهُمُ وحميرُ!
نعيقُ إذا بينته ونعيرُ!
وذيلُهُمُ لا كالقروِدِ قصيرُ!
عصورٌ على أعقابهنِ عصور
فللقردِ عقلٌ وافرٌ وضميرُ!

ضمائركم لو تعلمون حبائلُ
حبيبي لا يحدثُ لك الحسنُ غرَّةً
أما أنتَ نسلُ القردِ كالناسِ كلهم
مشابه لا تخفى لديك كثيرةُ
فإن قلتُ أنتَ البدرُ فالقولُ كاذبُ
وما ذاكِ إلا خدعةٌ وتعلُّ
وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ
بلى أنتَ نسلُ البدرِ والشمسِ زوجا

لها من أباطيلِ النفاقِ سيورُ
فكلُّ حياةٍ لو علمتَ غرورُ
وذلك رأيي لو غضبتَ خطيرُ!
تحدثنا أن النظيرَ نظيرُ!
وإن قلتُ أنتَ الشمسُ فهو فجورُ!
وبعض الخداعِ للحياة نصيرُ
وأبي سرورٍ في اليقينِ سرورُ؟
وأنتَ جمالٌ للحياة منيرُ!

الحسود

أخ لي، وإخوان الصفاء قليل
إذا ما بدت لي خصلةٌ يستجيدها
وأدركه مسُّ الجنونِ وأظلمت
تنفَّسَ أنفاسًا سراعًا، وأبرقت
فرائصه مرجوفةً، ودموعه
وإن تبدُّ مني ريبة قال باسمًا
ويشدو بمدحي حاضرًا، ومديحُه
ويبسم للزاري عليَّ كأنما
ويوهم صحبي أنني ذو عداوةٍ
وأنِّي مغتابٌ وأنِّي حاسدٌ
إذا استخبروا عن شيمتي ومحاسني
وإن مدحوني جاهدين وأكثرُوا
يُعيِّن عليَّ شتمي وإن هو لم يُقلْ
ويبغضني سرًّا كأنِّي وترتُّه
ويعتد غنمًا أن تنيخَ مصيبةً
كأنَّ جحيمًا موقدًا في ضلوعه

خليلٌ وهل في الحاسدين خليلٌ؟
طواها عنيفٌ عند ذاك عجولٌ
عليه السماء، والنهارُ جميلٌ
له لحظات كلهن غليلٌ
تَحَيَّرُ في آماقِه وتجولُ
ألا إنها طَبَعٌ لديه دخيلٌ
إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيلٌ
يقولُ له أَحَسَنْتَ حين يقولُ
أجولُ بعيبٍ فيهمُ وأصولُ
أعيبُ عليهم فضلهم وأذيلُ
يجمجم قولًا مشكلًا ويميلُ
تململ حقدًا والحقودُ عليلُ
مقالًا وبعضُ الصامتين يقولُ
بفضلي وما تبغى لديَّ نحولُ
عليَّ وأنِّي في الشقاءِ أقيِلُ
تؤججه ريحٌ عليه تجولُ

ديوان عبد الرحمن شكري، الأعمال الشعرية الكاملة

وفيه شياطين من الحقدِ وجهها
فلا زال مسمومًا من الحقدِ عانيًا
يروغُ إذا أبصرتَه ويهولُ
ولما زال عني من هواه نكولُ

بالله ما تفعل لو بلغوك

بالله ما تفعل لو بلغوك
أنتَ باكٍ للمحبِّ الذي
أم ضاحكٌ لاهٍ به ساخر
بكاكٌ للصدِّ ولوعاته
وكيف لا يُذهب لبي الهوى
أظُلُّ كالأعمى إذا غبتُم
يا نور عيني، غال عيني العمى
والعقلُ لا يعقل إن غبتُم
أبيتُ لا أذكر إلا اسمكُم
حتى متى لا ودَّ لي منكم
مراكَ مراكَ الذي أبتغي
بالله ما تفعل لو بلغوك
وأني قد صرتُ في حفرةٍ
والدودُ لا يُفلت منه الرميم
أنت تبكي للرميمِ الدفينِ
بالله ما تفعل لو بلغوك
أني عَرَّتني جِنَّةٌ من هواك؟
لم يعرف الذلَّةَ حتى رآك؟
والسخر أن تضحك ممن بكاك؟
إذ أظلمت عيشته من جفاك
إذ مضت لي أشهرٌ لا أراك؟
فالعينُ لا تبصر حتى تراك
أغدقُ عليها رحمةً من سناك
والنفسُ لا تأملُ إلا رضاك
فليس لي في العيشِ شغلٌ سواك
حتى متى لا حظُّ لي من لقاك
طوبى لعبدٍ قاطنٍ في ذراك
أن الهوى أورد نفسي الهلاك
قنيسةَ الدودِ ويا بؤس ذاك
والموتُ ما للمرءِ منه فكاك
أم ضاحكٍ مما جنته يداك؟
أني أسعى عامدًا للهلاك!

لما مللتُ العيشَ من بعدكم
سقاني السمَّ الذي لا سقاكُ
جرعتُ منه جرعةً كأسها
يروى صدى القلب الذي قد هواكُ
يا عجباً لو كنتَ لي راحماً
أحرقَ الرحمة تكوي حشاكُ؟
اضحكُ ولا تحزن لما نابني
الجسمُ والروحُ جميعاً فداكُ!

الحب والحياة

إني أحبُّك يا صديقُ
حُبًّا يزيد على الملا
إني أحبُّك ما حبيبُ
وإذا بعثت فأنت شغُ
والحبُّ فيه لذي الصبا
والحبُّ مثل الخمر تشُّ
والحبُّ مثل الحرب إن
لا يسلمنَّ من اللوا
إن السعادة والشقا
فتكاتُ طرفك كالمقا
لحظٌ يطل به الضيا
لحظٌ هو الصدق المبيدُ
لحظٌ به سرُّ الحيا
لا تخجلنَّ إذا وُصفُ
فالحسنُ أعظم ميزة
حدثتُ نفسي أن حُبَّ
والحبُّ أهونهُ شديدُ
م كأنه الطفل العنيدُ
تُ فإن قضيت فلا يبيدُ
لي لا الجزاءُ ولا الوعيدُ
إما الهلاك أو الخلودُ
ربها فيغريك المزيدُ
شَبَّتْ يَشِيْبُ لها الوليدُ
حظٌ لا الجبان ولا الجليدُ
وَة والحمام لها جنودُ
در في المصادر والورودُ
عُ على المباسم والخدودُ
نُ وغيره الكذبُ الرديدُ
ة وسرُّها أبدًا جديدُ
ت بحسنِ طرف أو بجيدُ
والحسنُ كالذخرِ التليدُ
ك لا الرشيد ولا الحميدُ

فإذا عفوت فإنني
لو كان حسنُ العيشِ في الـ
فإذا انقضى عاودته
لقضيتُ منه مَأربي
ليس السعادةُ للمحبِّ
والحبُّ قد يجني على الـ
أوما ترى حسنَ الطيو
تجني المناقبُ والصفَا
فالعيرُ ذلَّه الغبا
تتكسَّب الرزقَ القليـ
حسبوا الأديبَ وقولَه
أوأه من عننِ الجهو
لو كان قلبي كالرما
ولئن ضحكت فإنه
والحبُّ فيه تَعَلَّة
تُلْهي المحبَّ عن الحيا
وتليح بالحلم اللذيـ
فاضرب بسهمك في الحيا
واندسَّ في وسط الزحا
وحياة حبِّك لا أعودُ
صَّبواتِ كالنغمِ السديـ
فأعيده للمستجيدُ
ونعمتُ بالأملِ المديـ
بل الجميلُ هو السعيـ
مَعشوقٍ من شرِّ وكيدِ
رِ يُصاد للريشِ النضيـ
تُ على الذكيِّ أو البليـ
وجنى الذكاءُ على القروـ
لَ لتضحك القومَ الجمودُ
كالقردِ يضحك لا يفيدُ
لِ وما يقولُ وما يكيـ
د لما أَلِمْتُ من الخمودُ
ضحك البوارقِ والرعودُ
تُلْهي الشَّقِيَّ عن الجدودُ
ةٍ أو النحوسِ أو السعودُ
ذِ وتحتَه الأملِ الصِّدودُ
ةٍ فما البكاءُ على فقيدٍ؟
مِ فما الخمولُ وما القُعودُ؟

وارْقُصْ عَلَى نَعْمِ الْحَيَا
وَاضْحَكْ وَكُلْ وَاعْمَلْ وَنَمْ
وَاحْمِلْ حَيَاتَكَ فِي يَدَيْ—
وَاسْتَقْبِلِ الْأَيَّامَ فِي
فَإِذَا دَعَتْكَ مَنِيَّةٌ
فَادْلِفْ لَهَا دَلْفَ الْمَجْرِّ
ةً فَمَا لَهَا أَبَدًا مُعِيدُ
وَإِدَابٌ عَلَى السَّعْيِ الْمَجِيدُ
لَكَ فَإِنْ أَصَبْتَ فَمَا تَمِيدُ
دَعَةً فَمَنْ بِيضٍ وَسَوْدُ
وَالْمَرْءُ كَالزَّرْعِ الْحَصِيدُ
بِ لَأ يَخُورُ وَلَا يَحِيدُ!

سراب الود

ألوي إلى الناس وجهًا غير منبسطٍ
أنّي تلفتُ لم أبصر سوى رجلٍ
هم يحسدوني على عيشي فوا أسفي
تكشّف الناس عن عادٍ له إحنّ
للناس في العيش من بدوٍ وحاضرةٍ
ما كنت أختار هذي الناس منزلةً
الشرُّ والكذبُ والأحقادُ طبعهم
أسقي التصافي خليلاً لا يعاشرنِي
إذا اتخذتُ خليلاً لي أصادقه
فينجلي صرفه عن وائرٍ حنيقٍ
علّلتُ بالودّ قلبي وهو ذو أملٍ
فما طلابي سراّبًا عزّ مطلبه
أمّا حبيبٌ رغيّبٌ ذو مصادقةٍ
إني لأرحم نفسي أنني أبداً
يا ويح نفسي، أما ألقى أخا ثقةً
وأتقيهم بقلبٍ غيرٍ مسرورٍ
بادي العداوةٍ مخضوبٍ الأظفيرِ
عيشي عليلٌ وصنعي غيرُ مشكورٍ
وعن ذليلٍ شديدٍ الغلِّ مقهورٍ
طبعُ العقورِ وإما طَبَعُ معقورٍ
لو أنني كنتُ حرّاً غيرٍ مجبورٍ
والحقْدُ في الطبعِ بادٍ غيرٍ مستورٍ
إلا على رَنَقٍ منه وتكديرٍ
دار الزمانُ علينا بالمقاديرِ
وعن مروّعٍ كثيرٍ الهَمِّ مؤتورٍ
لا الود يصفو ولا قلبي بمغرورٍ
وقد ظفرتُ بحظٍّ منه مقمورٍ
أقضي به العيش محمود المصاديرِ؟
بين البغالِ وأحلام العصافيرِ!
كأنما روحه صيغت من النورِ؟

عبث الحياة

(أرسل إلي صديقي الشاعر العبقري الجليل عباس أفندي محمود العقاد هذه الأبيات الآتية وهو مقيم بأسوان):

هَلَّا اقْتَدَيْتَ بِمَوْجِهِ الْمَتَجَدِّدِ؟	«يَا جَارَ بَحْرِ الرُّومِ مَا لَكَ صَامِتًا
أُمَّةً وَلَكِنْ مَا لَهَا مِنْ سَيِّدٍ	غَضْبَانٍ مِنْ لَوْمِ الْحَيَاةِ وَإِنِهَا
غَضْبَانٍ يَقْدِفُ بِاللِّغَامِ الْمَزِيدِ	إِمَّا غَضِبْتَ فِي جَوَارِكِ خَضْرَمٍ
قَفْرٍ لِأَطْرَبِنِي صَغِيرِ الْفَدْفِدِ	إِنِّي أَلْبُ بِمَوْطِنٍ لَوْ أَنَّهُ
تَمْشِي عَلَى كَبْدِي كَحَزِّ الْمَبْرَدِ	تَمْضِي الشُّهُورِ وَفِي الْجَوَانِحِ لَوْعَةً
أَشْكُو الْقَرِيضَ إِلَى الزَّمَانِ الْمَعْتَدِي	أَشْكُو الزَّمَانَ إِلَى الْقَرِيضِ وَتَارَةً
إِنَّا نَوَجِّلُهُ الْحِسَابَ إِلَى الْغَدِ	فَاكْتَبَ عَلَى هَذَا الزَّمَانِ ذُنُوبَهُ
فَاضْرِبْ لَهُمْ مِثْلَ الْغَمَامِ الْمَرْعَدِ	وَاضْحَكْ فَإِنْ قَالُوا تَضَاحَكَ قَانِطٌ
فِيهِمْ أَعَزُّ، وَكَيْفَ عِلْمُ الْمُقْتَدِي»	تَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا لَكَانَ مَكَانَنَا

(فأجبت به هذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق):

فِي مَسَلِكِ الْعَيْشِ غَيْرِ مَمَهَّدِ؟	مَاذَا يَفِيدُ تَصَوُّبِي وَتَصْعَدِي
عَبَثًا يَضْجُ بِمَوْجِهِ الْمَتَجَدِّدِ	كَالْبَحْرِ فِي أَحْوَالِهِ مُتَغَيِّرًا
كَالْحَادِثَاتِ إِذَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي	عَبَثًا تَعِيثُ الرِّيحُ فِي هَبَاتِهَا

عبثاً يسير النجمُ في أبراجه
عبثاً تضيء الشمسُ وجهَ مسالكِ
لو كان يدري المرءُ قدرَ شقائه
والناسُ غرقى في الشقاءِ ولؤمِهِ
ومن البليةِ أني بشقائهم
إن التبدلَ والبلادةَ والغبا
ولرُبَّ صحوٍ للخمارِ مبعَّضٍ
من لي بعيشٍ لا أحسُ صروفه
ماذا يفيدُ تضاحكُ من قانطٍ
ضحكُ يهدُّ القلبَ وقُوعُ رعوده
ماذا على الإنسانِ لولا نسله
متنقلاً في سيره عن موعِدِ
للعيشِ تزخرُ بالشقاءِ المزبدِ
في العيشِ ودَّ لو أنه لم يُولدِ
من ناغمٍ يشكو ومن متبلِّدٍ
وشقاوتي أمحو لذيذ تجلُّدي
مثلُ الخمورِ لذيدة والمرقدِ!
يأتي بهمَّ للحياة مجدِّدٍ!
كالماءِ أو كالنارِ أو كالجمدِ!
نار الجحيمِ بقلبه المتوقِّدِ؟
ولرُبَّ ضحكٍ في النعيمِ مغردٍ!
إن باع دنياه بموتٍ سرمدٍ!

الحياة والفنون

جَمَلِكِ اللهُ يَا حَيَاةُ كَمَا
حَدِيقَةُ لِلنَّفُوسِ زَاهِيَةٌ
تَجْلُو لَكَ الْعَيْشَ مِنْ غِيَاهِبِهِ
تَنْوِّرُ النَّفْسَ نَوْرَهَا أَبَدًا
وَالْحَسَنُ ضَوْءُ النَّفُوسِ يَظْهَرُهَا
وَالْحَسَنُ ثَوْبُ النَّفُوسِ تَلْبَسُهُ
وَكُلُّ فَنٍّ إِلَى الْجَمَالِ لَهُ
مَنْ عَلَّمَ الْمَرْءَ فِي بَدَايَتِهِ
مَنْ عَلَّمَ الْمَرْءَ أَنْ يَقِيمَ عَلَى الْـ
مَنْ عَلَّمَ الْمَرْءَ أَنْ يِنَالَ مِنَ الْـ
يَحْكِي بِهَا ضَرْبَهُ مُعَازَلَةَ الْـ
وَاللَّحْنُ خَمْرُ النَّفُوسِ تَشْرِبُهُ
يَحْكِي بِهِ مَوْقِعَ الْحَوَادِثِ وَالْـ
يَحْكِي بِهِ الْجَدَّ إِذْ يَجِدُ بِهِ الْـ
يَحْكِي بِهِ السَّعْدَ وَالشَّقَاءَ وَمَا
يَحْكِي بِهِ خَفَقَةَ الْفُؤَادِ عَلَى

جَمَلٌ وَجَهَ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ
بِبِدَائِعِ فِي الْفُنُونِ وَالْأَدَبِ
مَسْتَخْلَصًا مِنْ شَوَائِبِ الرِّيبِ
فِي مَشْرِقٍ مِنْ ضِيَائِهَا الذَّهَبِيِّ
غُرَّاءَ فِي حُلَّةٍ مِنَ اللَّهَبِ
وَالنَّفْسُ تُزْهِى بِثَوْبِهَا الْقَشْبِ
مَنْ مُحْكَمِ الصَّنْعِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
صَنَعَ مَفِيدِ الْآلَاتِ وَالْقَضْبِ؟
أَرْضِ بِيوتًا مَرْفُوعَةَ الطُّنْبِ؟
مَزْمَارِ وَالصَّنْجِ لَذَّةِ الطَّرْبِ؟
عَاشِقِ لِينًا وَسُورَةَ الْغَضْبِ
وَاللَّحْنِ سَكْرٍ مِثْلَ ابْنَةِ الْعَنْبِ
أَقْدَارِ مِنْ مَغْنَمٍ وَمِنْ سَلْبِ
دَّهْرٍ وَطُورًا كَرَقِصَةِ اللَّعْبِ
نُصَيْبٍ مِنْ نِعْمَةٍ وَمِنْ كَرْبِ
حَالِيهِ مِنْ رَاحَةٍ وَمِنْ تَعَبِ

من علم المرء أن يخط على الـ
يحكي به الضوء والدياجير والـ
يحكي به الجلد في نعمته
يحكي به أوجه الحياة وما
كأنما يقبس الضياء من الـ
من علم المرء أن يقد من الـ
تلك مثال الكمال صوره
أو في ثياب كأنما يبرز الـ
تحسبها في الحياة ماثلة
تحسب فيها القلوب نابضة
من علم المرء أن يقول من الـ
يعلم الناس في سرورهم
وأن هذي الفنون قاطبة
والفن جم والعيش آخره
وفي صروف القضاء عرقله
وتبعث اليأس والملاة والـ

قرطاس لونا من أعجب العجب؟
أجسام من ناضر ومن شحب
وما يليه من الدم السرب
نراه في بدئها وفي العقب
شمس ويأتي بظلمة السحب
صخر دمي في وضاعة الشهب؟
يظل عريان غير محتجب
ريح بها الجسم ليس في حجب
تفكر فيما تريد من أرب
خافقة بالشعور والنصب
شعر مقالا كاللحن في الطرب؟
حكمة هذي الصروف والنوب
جماعها في القريض والأدب
دان دلوفاً بالحادث الأثيب
تقتل روح الذكاء بالريب
شك وتودي بهمة الطلب

مناجاة الأرواح

بحقِّ مَنْ خلقَ الأرواحَ ذاكِيةً
وخالقَ الحبِّ والأرواحِ تألفه
وجاعِلِ رسلاً في القلبِ يرسلها
وباعثِ من ضميرِ الصبِّ خاطرةً
تلكِ المناجاةِ تدني الروحَ عن شحطِ
بحقِّ من أنتِ من آياتِ صنْعَتِهِ
لو شاءَ بزكِ ثوبِ الحسنِ أجمعه
ألا بعثتَ خيالاً منك في صلاةٍ
وما انتقاعي بطيفِ كله خدعُ
أو زرتني زورةً في الدهرِ واحدة
كم قد دعوتك في الظلماءِ منفرداً
أبيتُ سهرانَ مشغوفاً بذكركمُ
هيهات هيهات ما للقلبِ من رسلِ
لو أن للقلبِ ما خالوه من رسلِ
بل أنتِ لاهِ قريِرُ اللعينِ ذو سنةٍ
وأودعَ الروحَ طولَ العمرِ في الجسدِ
فيمنعُ المرءَ من صبرٍ ومن جلدِ
للقلبِ عن كذبِ تسعى وعن بعدِ
مثلِ الفراشةِ حامتِ حولَ ذي غيدِ
وتستقيذك في دلٍّ وفي ميدِ
صنعاً يلوح بحسنِ الواحدِ الصمدِ
فصرتِ عريانَ من أثوابهِ الجددِ
يزورُ بالليلِ في نومٍ وفي سهدِ؟
يا لبيته كان ذا روحٍ وذا جسدِ!
تجيءُ عفواً فلم تخلف ولم تعدِ
وكم صدحتُ كصدحِ الطائرِ الغردِ
وليس يدنيك لا شوقي ولا سهدي
إن الدعاءَ شفيحٌ غيرِ ذي سدِ
لكنتِ تعرفِ ما وجدِي؟ وما كمدِي؟
في حينِ وجدِي شديدٌ غيرِ متئدِ!

أنا مجنون بحبك

أنا مجنونٌ بحبِّكُ
ليتني بالسحرِ معرو
ليتكم كأس عقارٍ
أيها الظالمُ رفقاً
إن يكن في البعدِ موتٌ
أنت كالدهرِ مريبٌ
ليتني طولَ حياتي
ليتني في الموتِ طولَ الـ
سلمك المأمولِ فردو
ودُّكم كالسحبِ وعدُّ
عتبكم عتبَ الليالي
أنا أهواك وما لي
ألهدِّي ضوءَ عينكُ
أنت بستانٌ أنيقٌ
أتعدُّ الذنبَ ذنبي
ذنبي الحبُّ لديكم

فأزل غُلةَ صباكُ
فأبغني خلس لُبِّكُ
وأنا مُغرِّى بشربكُ
ليس قلبي مثلَ قلبكُ
فادنني أحيَ بقربكُ
نَجني من سوءِ ريبكُ
أحمد العيشَ بجنبكُ
دَّهرٍ مدفونٌ بترككُ
س فأخمد نارَ حربكُ
ووعيدٌ طي سحباكُ
لم أجد عتبا كعتبكُ
منك إلا سوءَ غيبكُ
أم لرجمٍ لحظٍ شُهبكُ
نضجت أثمارَ رطبكُ
ليت لي قلباً كقلبكُ
ليت ذنبي مثلُ ذنبكُ

يا طبيبَ الحبِّ ليس الـ
إنَّ قلبي طولَ دهري
كلُّ خيرٍ دونِ شرِّك
كلُّ عذبٍ دونِ مُرِّك
كلُّ صعبٍ دونِ سهلك
هجرٌ من ناجعِ طبِّك
ناظرٌ يرنو لصوبك
كلُّ صدقٍ دونِ كذبك
كلُّ جدِّ دونِ لعبك
كلُّ فضلٍ دونِ عيبك!

ظالمي ما عدلك

ظالمي ما عدلك
ليت روعي طرفة
متُّ من داءِ الهوى
لا يغرَّنكَ أن الـ
كم جميل ما بدا
أيُّ ذنبٍ جنَّته
أي أمرٍ طارقٍ
قد بدا لي يا حبيبي
إن يكن فيك جمالٌ
كل حُسنٍ شمته
ليت لي يا قلب قلباً
قد دعا داعي الهوى
لتموتنَّ ولا تبَّـ
ما أظنَّ الحبَّ إلَّا

فأقْضِ إنَّ الحكم لكُ
وجده عنك ملكُ
ليت حبًّا قتلكُ
قلْبَ عبدٍ ذلَّ لكُ
فاتنَّا حتى هلكُ
عن ودادي نفاكُ؟
عن دعائي شغلكُ؟
منك أن لا قلب لكُ
إنَّ شعري جمالكُ
فيك روعي حاك لكُ
طائعا لي بدلكُ
فاتنِّدُ ما أعجلكُ
لُعُ منه أملاكُ
بالعا بي أجلك!

ليتني وليتك

ألا يا ليتني نسمة
فأهواك وتهواني
وكنتُ الروضَ ممطورًا
وكنتَ الغيثَ لي مطرًا
ألا يا ليتني ماءً
فأحويك وتحويني
ألا يا ليتني ليلٌ
ألست الليلَ أحويك
ألا يا ليتني طرفٌ
فألقاك وتلقاني
ألا يا ليتني بحرٌ
ألا يا ليتني أفقٌ
ألا يا ليتني معنى
ألا يا ليتني ميثٌ
فلا شوقٌ ولا يأسٌ
ويا ليتك لي زهرة
فلا عتب ولا هجرة
وكنتَ الدهرَ لي بدرًا
وأنتَ البدرَ لي غرة؟
وكنتَ الدهرَ لي نظرة
فلا بعد ولا ذكره
ويا ليتك لي قطرة
وكنتَ النجمةَ الزهرة
وكنتَ الدهرَ لي سرَّة
ويا ليتك لي حُفرة
ولا نهْيٌ ولا زجرة!

لولاك

لولاك ما ذقتُ طعمَ العيشِ لولاك
لولاك ما بتُّ طولَ الليلِ مكتئبًا
تصيحُ بي الطيرُ إني عاشقٌ لكمُ
والزهرُ يعذرنِي فيكمُ وييسم لي
يهبُ شوقي لريحِ الوردِ أنشقه
أهوى النسيمَ الذي من نحو بيتكمُ
أحببتُ من حبِّكم من كان يعرفكم
فإن في عينه عن حسنكم خبرًا
حبيبُ يا زهرةَ الدنيا وبهجتها
أمشي أحدثُ نفسي عنكمُ أبدًا
اختارني الحبُّ دون الناسِ كلهمُ
كم يخلقُ القلبُ من نجواكمُ رسلاً
يطيفُ بي هاتفٍ من طيفكمُ أبدًا
من حبِّكم صرتُ أبغي عنكمُ بدلًا
أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبِّكمُ

فالحلوُ والمرُّ معقودٌ بجذواكا
ولا حننت لبرقٍ من ثناياكا
من علمَ الطيرَ أنَّ القلبَ يهواكا؟
هل يعلمُ الزهرُ ما تجنيه عيناكا
كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراكا
يا طيبه حينَ يأتينا بريাকা
كأنما قربه من طيبِ رؤياكا
ونظرةَ سُرقَت من حسنِ مرآكا
هل من ودادٍ فتلقاني وألقاكا؟
لعلَّ قلبي يسعى بي لمتواكا
فهبَّ قلبي ولباه ولباكا
هل جاءكم هاتفٌ منه فحياكا؟
يا ما أميلحه لو كان إياكا!
أقول يا ليت أن القلبَ يقلاكا
يا قلبُ صبرًا فما تجديك شكاكا؟!

الربيع والصبا

يا قلبُ ما لك كالشتاءِ وبؤسه
قد كانت الآمال فيك صوادحًا
وتليح لي بمطامعٍ مرجوةٍ
يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته
ذهب الهوى بزهوره وطهوره
من لي بأيامٍ له محمودةٍ
نستقبل الأقدارَ وهي كوالح
ذهب الربيع أخو الصبا بذهابه
أين السبيل إلى معاودة الصبا؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى
والمرءُ يحيا بعد فَقْدِ شجونِه
أيعودُ شجوك في الربيعِ الآتي؟
تهفو بسمع أحبتي ولداتي
إذ أنت تدعو والحبیبُ يؤاتي
أفهل نسيتَ محاسنَ اللذاتِ؟
أفلا يصيخُ لدعوتي وشكاتي؟
ذهبية الأشواق والصبواتِ؟
فنعيدها مبيضة الصفحاتِ
فالطيرُ خرسٌ ميتةُ النغماتِ
أيعودُ شجوك القلبِ بعد فواتِ؟
يومًا ويدركه الأسى بمماتِ
ليست حياةً بعدها بحياةٍ
ذكرى تليح بحفرتي ورفاتي!

ليلة القدر

أماناً ليلةَ العمرِ	أماناً ليلةَ الدهرِ
شبيهةَ الوجهِ بالبدرِ	فقد أبصرتُ مَنْ أهوى
أنادي اللهَ بالجرِ	فبتُّ الليلَ سهراناً
شقيُّ فيك بالهجرِ	عسى يدني مني قلب
وأستدنيك بالسحرِ	وأستدنيك بالنجوى
وولتُ ليلةَ القدرِ	فلم أظفر بمأمولٍ
من الإساءة للفجرِ	عناءً كلها كانت

الرحمة (منقولة عن شكبير)

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تُجْتَدَى
تجود كما جادت سماءٌ بغيثها
أليستُ كقطرِ الغيثِ رِيًّا ونعمة
وتبدرُ من قلبِ العظيمِ عزيمةً
فطوبى لذي همٍّ ينالُ شفاءها
تظهرُ قلبَ المرءِ لو يستطيعها
هو الرفقُ تاجٌ للملوكِ يزينهم
وفي صولجانِ الملكِ روعٌ لناظرٍ
ويملاً قلبَ المرءِ خوفًا وهيبةً
ولكن مُلْكَ الرفقِ أعلى مكانةً
فإني رأيتُ الرفقَ كالخالدِ ملكه
وما نعتَ الرحمنُ إلا بنعته
إذا ما مزجتَ العدلَ بالرفقِ جاهداً
بلغتَ رضاءَ الله في خيرِ نعتِهِ
ولا يستقيدُ القسرُ أفضلَ راحمٍ
فتجدي كما يجدي سخيُّ الغمامِ
تعيد وجوهَ الروضِ غرَّ المباسمِ؟
وأعظمُ نفعًا في فعالِ الأعظمِ؟
وطوبى لذي فضلٍ كثيرٍ المكارمِ
وتكسرُ من شرِّ الخطوبِ الهواجمِ
بأحسن من تيجانهم والصوارمِ
يدل على بطشِ الملوكِ القماقمِ
فيفرق من سطوِ الطغاةِ الغواشمِ
تبوئهم ملكًا رفيعَ الدعائمِ
ولكن ملكِ السيفِ ليس بدائمِ
فطوبى لجمِّ الرفقِ جمِّ المراحمِ
وإني رأيتُ الرفقَ خيرَ المطاعمِ
وسرتَ على نهجِ النفوسِ الكرائمِ

غروب الشباب

يموتُ شبابُ المرءِ والمرءُ غافلٌ
ويمضي شبابُ العاشقين وما انقضى
شبابُ أضيء لي العيش كالشمس كلما
طلعت طلوعَ الشمسِ والعمرُ واضحٌ
وتغرب عنا مغربَ الشمسِ رائعاً
تضيء بحارَ العمرِ كالشمسِ حقة
لك الشفقُ المشبوبُ كالنارِ كلما
وتتدبك الأشجانُ وهي سحائبٌ
فقم يا مشيبي واملأ العيشَ وحشةً
وما الشعرُ المشبوبُ في الرأسِ حليةً
وما الشعراتُ البيضُ فيك مضيئةً
ويعقبه بعد الشبابِ مشيبٌ
لهم أربُّ من عيشهم ونصيبٌ
حداها إلى باب السماءِ غروبٌ
شهبي، وأثمار الحياةِ تطيبُ
وأنت على ما كان فيك حبيبٌ
وتطفئك الأحداثُ وهي خطوبٌ
تأجج في صمِّ الضلوعِ لهيبٌ
لها منظرٌ عند الغروبِ مهيبٌ
لها من دياجير الظلامِ ضروبٌ
ولكن رمادٌ للحياةِ يريبُ
وليس لها في الزاهراتِ ضريبُ

الحب القديم والجديد

ذهب الحبُّ فلا تحزن له
كنت تسقيني من كأسِ الهوى
فإذا الحبُّ نعيمٌ ينقضي
لا يحلُّ البغضُ فينا منزلًا
كلُّ شيءٍ لبلاغٍ ومدى
فابتدره وهو في إبانه
أولُ الحبِّ عابٌ زاهرٌ
لا أريدُ الحبَّ إلا رائعا
ليس للعتبى مجالٌ بيننا
إن نحاولُ رجعَ وصلِ دارسِ
لذة الذكرى إذا ما لم يكن
لك في الناسِ أليفٌ عاشقٌ
قد بلوناك حميدًا في الهوى
لك من ودي نصيبٌ وافرٌ
ليس للحبِّ قيودٌ أو إسارٌ
أنت عندي مثلُ حلمٍ رائقٍ
ومضى الوصلُ فلا يُغني الندمُ
جرعاتٍ هي من خير النِّعمِ
وإذا حُسْنُكَ طيفٌ في الحلمِ
حلَّه فينا الغرامُ المنصرمُ
ومدى الحبِّ ملالٌ وسأمٌ
واسألُ عنه وهو نضوٌ منثلمُ
وبقاياه كموجٍ منهزمُ
مالئًا للنفسِ كالسيلِ العَرمِ
فبنا عن رجعة العتبي صممُ
لا يعود الذكرُ إلا بالألمِ
كلف يجلبُ للقلبِ السقمُ
ولنا في الناسِ عشقٌ مكتتمُ
وبلوناه حميدًا لا يُذمُ
حافظُ عهدِ الزمانِ المنصرمِ
إنما الودُّ كفيلٌ بالذممِ
أو خيالٍ يطرق النومَ مُلمِ

أو كنور البدر فضياً له
غير أن الشمس يوري نورها
يبعث الرغبة فينا حرُّها
ولنا في الناس إلف حسنة
أنا منه كلَّ يومٍ في جوى
ومن العشق جنونٌ خابلٌ
ما على العاشق من لوعاته
وحبيبٌ باسمٍ مثل الضحى
جاهلٌ بالعيش لا يعرف ما
يحسب الحبَّ كحلِّي زائنٍ
إنما الحبُّ جنونٌ وجوى
وبه للنفس مَحياً أو ممات
يرفع الحبُّ ذليلاً خاملاً
كما محبِّ هالكٍ من لوعةٍ
ولقد يجني على الحسن الهوى
وترُّ في القلب فضيُّ النغم
في نواحي القلب حبًّا كالضرم
إنما الرغبة نار تضطرم
مثلُ حسن الشمسِ جالٍ للظلم
يستبيح القلب من لحمٍ ودم
يزدري المرء له وقع التُّهم
ما يرى في الحبِّ من عذلٍ وذم
وإذا فاتحته الحبُّ وجَم
تخبأ الأيام من صرفِ القسم
لابساً من درّه ما ينتظم
ورجاء واجترامٍ وندم
وبه للقلب غنمٌ أو نقم
ويذلُّ الحبُّ شهماً لم يُضم
وحبيبٌ بات كالصخر الأصم
مثلما يجني على العيش العدم!

مواطن الحب

الحبُّ طلائعُ الثنايا له
وفي الجبالِ الشمِّ وكرُّ له
وفي الكوخِ نزالٌ وفي الروضةِ الـ
تراه في الصحراءِ في ظعنه
لا في المكانِ الجذبِ مستوحشاً
له على الأمواجِ مسعى وفي الـ
فراشه الأرضُ على رحبها
بين القبورِ ضاحكٌ تارة
أما ترى العشاقَ في خلوةٍ
فلم يبالِ الميتُ في قبره
إن لهم في عيشهم فسحةً
فدعهمُ الآن على غرّة
يلعبُ بالأرواحِ هذا الهوى
ليس فقيراً جاهلاً أمره
كلاهما طبُّ بأمر الهوى

في كلِّ وادٍ جيئةٌ أو ذهوبٌ
كأنه النسرُ إليها يئوبُ
غنائٌ نزالٌ بها لا يريبُ
وفي القصورِ البيضِ إلفِ ربيبُ
وليس يزهوة المكانُ الخصبُ
رياحِ مسعى رائعٌ لا يخيبُ
وسقفه وجهُ السماءِ الرحيبُ
ونائحٌ طوراً وطوراً قطوبُ
وطاؤهم قبرٌ وروضٌ قشيبُ؟
ما دام يخلو بالحبيبِ الحبيبُ؟
للفكرِ يحدوه الأسي والمشيبي
فإنما الغرّةُ عيشٌ خلوبُ
كالطفلِ يلهيه الذبابُ الصخوبُ
ولا غني خاليًا لا يريبُ
فإنما دارُ الغرامِ القلوبُ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

في كلّ أرضٍ منه إثر له
وكلّ ریحٍ من شذاه تطيبُ
في كلّ دارٍ من جواه مريض
وكلُّ قلبٍ فيه جرحٌ رغيبُ

جنون الحياة

لا تُرْعُ فالدهرُ مجنونُ
جنٌّ من حولٍ ومقدرةٍ
كلُّ ثبت الجأشِ في دعةٍ
إنما الدنيا لذي خلدٍ
هذه الأقدارُ محدقةٌ
نحن في أقدامها كرةٌ
لا تفكر في مصادرها
لا تفكر في مصائبها
فعلامَ الخوف من غيرِ
أحسُّ كأسَ العيشِ في دعةٍ
كسرابِ البئدِ عيشتنا
صورٌ للدهرِ يعرضها
كم ترى في العيشِ ذا وجلٍ
لو يفيد الخوفُ صاحبه
وتتاجي ما مضى أبدًا
إن أتاكَ الهمُّ مشتملاً
كلُّ حيٍّ فيه مغبونُ
وكذا ذو الحولِ مجنونُ
وقليلُ الصبرِ محزونُ
رأيه بالعزمِ مقرونُ
غرَّ منها الضيقُ واللينُ
ما لنا في العيشِ تأمينُ
كلُّ هذا الفكرِ مظنونُ
أيُّ ما أملت ميقونُ
للعوادي شرها الحينُ
لا يرْعك العزُّ والهونُ
ما لنا في الدهرِ تمكينُ
ثم تخفى وهو مدجونُ
أي شيءٍ فيه مأمونُ
صحَّ أن السعدَ مضمونُ
أيجيب الحيَّ مدفونُ؟
سيفه والسيفُ مسنونُ

ورأيت القلب منك جرى
دار عنه الناس كلهم
ثم قهقه في وجوههم
فتضاحك، ثم قل أبدا
دهرنا دار المجانين
دمه والقلب مطعون
إن برّ الناس مظنون
وإذا ما لام محزون
إن هذا الدهر مجنون!
كل حي فيه مسجون!

فراشة الحب

شَرِبْتُ بلحظك كأسًا تلذُّ
فأنت نعيمي وأنت شقائي
وبعدك عني موتٌ كريهٌ
فحتّامٌ أدعوك لا تستجيب
أحوم عليه وفيه الهلاكُ
أظلُّ إذا لحتَ ذا لوعةٍ
أموتُ من الحبِّ يومًا فيومًا
وهيهات أسلو وحسنك ريُّ
وفي الحسنِ حاجةٌ نفسِ الأديبِ
فلا تأخذنَّ بقولِ العدوِّ
فخيرهُمُ فيه طبعُ الجحاشِ!

فأسكرتني يا مليحَ الهشاشِ!
وأنت هلاكي وأنت معاشي!
وقربك بعثٌ يجد انتعاشي
وطرفي إلى نور وجهك عاشي
كما حامَ بالضوءِ طيرُ الفَراشِ
كذي القرِّ في هزةٍ وارتعاشِ
وحبُّك في القلبِ نامٍ وناشي
أيسلو عن الري سربُ العطاشِ
هي الطيرُ وهو لها كعشاشِ
فالكذبُ في الناسِ بادٍ وفاشي
وشرهُمُ فيه طبعُ الخشاشِ!

عصفور الجنة

ألا يا طائر الفردو سِ قلبي لك بستانُ
ففيه الزهر والماء وفيه الغصن فينانُ
فغرّد فيه ما شئتَ فإنّ الحبّ مرنانُ
وفيه منك أنعامُ وفيه منك ألحانُ
وللأشجان أوتارُ وناياتٌ وعيدانُ
ألا يا طائر الفردو سِ إن الشعر وجدانُ
وفي شدوك شِعْرَ النّفـ سِ لا زورٌ وبهتانُ
فلا تعتدّ بالناسِ فما في الخلق إنسانُ
وجد لي منك بالشعرِ فإننا فيه إخوانُ
ألا يا طائر الفردو سِ قلبي منك ولهانُ
فهل تأنف من روضي وما في الروضِ ثعبانُ؟
وهل تفرق من جوي وما في الجوّ عقبانُ؟
وهل تنفر من قلبي كأن القلبَ خوانُ؟
فما لي منك إسعادُ ولما لي منك لقيانُ
ألا يا طائر الفردو سِ إن الدهر ألوانُ
وللأقدارِ أحكامُ وللمخلوقِ إذعانُ

أرى الأحداثِ إسرارًا
ويهفو بك ريبُ الدهـ
فلا حسنٌ ولا شدوُ
سبقي لك في قلبي
فإن ملكَ أحبابٍ
وإن رابك من عيـ
وإن باعدك الحسن
فجرّب عندها قلبي
إذن تعرّف أن القلبـ
فعرّش فيه في أمنٍ
وأسمعني من الشعرِ
وهل تفهم ما أعني

ستمسي وهي إعلانُ
ر إن الدهر طعانُ
ولا زهرٌ وأغصانُ
موداتٌ وتحنانُ
وإن عقك إخوانُ
شكّ لوغات وأحزانُ
وثوبُ الحسنِ خلاقانُ
فقلبي منك ملآنُ
ب من حبك نشوانُ
فقلبي بك جذلانُ
فإننا فيه خلانُ
وهل للطيرِ أذهانُ!؟

إلى الروح التي أهوى

إلى الروح التي أهوى
حياءٌ صدّها عنا
فهل من عطفةٍ تُرجى
وروحٍ نحوها تهفو
لعلّ الموتَ يدنيننا
أجوبُ العالمِ المجهو
إلى الروح التي أهوى
لقد أفسدت العيشَ
ونعم العيش لو تدنو
وكان العيشُ محمودًا
فليت الحبُّ أصماها
فتدري لوعةَ الأشوا
لعلّ الله يرعاهَا
فهل من مبلغٍ قولي
أعزّ الله مأواها
وسوءُ الظنِّ أقصاها
فإنّا نتمناها
فليت الحبُّ أدناها
ويؤينا وإياها
لَ جذلانا بلقياها
أطابَ اللهُ مثواها
فليت القلبَ يقلاها
وبئس العيش لولاها
بمقاها ورؤياها
وليت الحبُّ أعداها
قِ واليأسِ وحاشاها
فإن القلبَ يهواها
إلى الروح التي أهوى؟

بعد الحسن

عتبتُ فلم ينفع لديك عتابُ
وكننت أعد الحسنَ فيك فطانةً
سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنكم
وكيف يتيه المرءُ من حسن وجهه
سأصبر حتى تنقضي منه دولةٌ
فجرب ودادي تلقني لك حافظاً
تجدني أخاك الصادق الودِّ لم أخنُ
وتعلم ما ودي وما كان حسنكم
وأبصر فيك الحسن من بعدِ عهده
وليست حياة المرءِ إلا سحابةً
وتبكي على العهد القديم الذي مضى
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكأوه
ستصبح يوماً في التراب مجندلاً
وتمسي رفاتاً في التراب ذليلةً
فخفف قليلاً من جفائك واتعظُ
وقلتُ وما لي في هواك جوابُ
وإن جنوني في هواك صوابُ
وكلُّ بناء لو علمت خرابُ
وعقبى جمال الفاتنين ذهابُ؟
وتصبح تُقلَى تارةً وتعابُ
وإني أرضى والأنام غضابُ
إذا خان من فوتِ الجمال صحابُ
وتعرف أي الباقيين سرابُ
وأي وداٍ بعد ذاك يصابُ
تمر وما غرَّ اللبيب سحابُ
وليس لحسنٍ فات عنك إيابُ
إذا صال ظفرٌ للزمان ونابُ
بفيك وفي العينين منك ترابُ
يقيء الفتى من مسيها ويصابُ
فما ينفع الوجه الأغر شبابُ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

أَخِيَّ أَمَا مِنْ عَطْفَةٍ أَسْتَفِيدُهَا
وَلَا تَحْسِبُنْ أَنِّي سَكْتُ مَالَةً
لَدَيْكَ فَإِنَّ الْبَعْدَ عَنْكَ عِقَابُ؟
فَإِنَّ سَكُوتِي فِي هَوَاكَ خَطَابُ!

الحب والخلود أو وحي الشعر

قد سقاني هواك كأسَ الخلود
وسما بي فوق السموات حتى
وجرى بي شوطاً بعيداً فخلَّفَ
صرت كالبدر في السماء منيراً
حدَّثتني عنك النجوم حديثاً
أنت وحيي ومنطقي وخيالي
شاعرَ الحسنِ إنَّ حسنَكَ والخلدُ
ظماً دائماً وريُّ سرابٍ
رُبَّ شعرٍ كالداءِ مُرٍّ وشعرٍ
منه ما يجلب بالزمانَةَ والسقـ
إن تكن وحيَ شاعرٍ يبلغ الشمـ
أنت كالشمسِ في نهاري مضى
وملأت الفؤادَ نوراً وناراً
وجعلت الفؤادَ بحرًا خضماً
كنت لي ناظرًا يرى بلحاظ الـ
وجلوت الحياةَ غراء تزهو
وحدا بي للعزة القعساءِ
صرتُ مثل السماءِ فوق السماءِ
تُ ورائي نوابغ الشعراءِ
في دجى من جهالة الجهلاءِ
وحديثُ النجومِ ومضُ الضياءِ
وبياني وهمتي وذكائي
د وشعري ربيُّ النفوس الظماءِ
أم زلال ذو نشوة وصفاء؟
صادق الفعلِ ناجعٍ كالدواءِ
مَ ومنه مستجلبٌ للشفاءِ
سَ ويربو على مدى الجوزاءِ
ومنيرٌ في الليلةِ القمراءِ
فانمَحَتْ منه آيةُ الظلماءِ
وشعورًا يجيش كالهيجاءِ
ظنَّ ما لا يلوح للبُصراءِ
فألاحت بالحجة البيضاءِ

وجعلت الفؤاد كالطير يشدو
وجعلت الفؤاد زهراً زكياً
أنت أفهمتني الملالة والياً
أنت أنبت لي جناحاً وأرهف
لك في النفس منزلٌ ومسيرٌ
وخلقت الحياة خلقاً جديداً
وجعلت الفؤاد ينبض نبضاً
أه ما أتعس المعاش والأَيِّـ
كجنون النعيم والبؤس فيهم
كنت لي نجمة تلوح لهديي
كنت نحسي وشقوتي ورخائي
كنت آتي بالشعر مما أراه
صرت لي في اللحاظ ضوءاً وفي السمِّـ
ونسيماً في الأنف رطباً زكياً
وجعلت الكمال فيك مثالاً
وقبست الأشعار من حسنك الغضِّـ
فلئن كنت قد أصبت وأبدعـ
ولئن كنت قد عجزت وقصّرـ
عبث نسبة الغناء إلى الروـ

أو فصيح مجوّد الغناء
وجنّاناً فسيحة الأرجاء
سَ وعَلَّمْتِي صنوف الرجاء
ت سهاماً كثيرة الإصماء
كمسير الدماء في الأعضاء
ثم أبديت لي كنوز البقاء
ذا وثيد كالضربة الهوجاء
سام لولا عواطف الشعراء
وهي تبدو لغيرهم كذكاء
ورشادي في العيشة الكدراء
وعنائي ولذتي وثرائي
من ضياءٍ وروضة وهواء
ع غناءً يطير بالأهواء
وعُقاري وموردي وغذائي
ووصفت الكمال للأحياء
وحكت القريضَ للفطناء
تُ فانت الخليقُ بالباطراء
ت فحكّمَ مقدرٌ في القضاء
ض فليس الغرابُ كالورقاء!

الحب والود

ألا إن أشقى الناس من لا تقاربُهُ
وكيف أُرَجِّي للملَمَّاتِ صاحبًا
وليس لقلبي جرأة فأؤمِّه
وأقسم لو أني عليه مملكٌ
فكيف وما لي قدرة فأقيدَه
فيا آفةَ القلبِ الطموحِ إلى الهوى
أتهجر خلًا وافيًا أنت هممه
أراني إذا ما غبت عني كأنني
طرقت بيوتَ الناسِ أبغي مودةً
فلما بدا لي منكما ما أعزه
وهل عجبٌ أن يعشقَ الفضلَ والحجى
وهل من جناح أن أكون أخاكما
وما لي في حسن الحسانِ مآربٌ
وما الحسنُ إلا زينةَ الفضلِ والنهى
وما كلُّ حبٍّ لاعجٍ بمحرَّمٍ
أما أنتما حبٌّ قديمٌ كتمته

وإن سعيد الناس من أنت صاحبه!
أفاته ودي فيزورُ جانبُهُ؟
وليس لقلبي سلوة فأجانبُهُ
لما كنتُ أفشي ذنبَهُ أو أعاقبُهُ
ولا لي منه عطفة فأعاتبُهُ
غَلَبتِ فرِّقًا بالذي أنت غالبُهُ
وتترك قلبًا والهَّا أنت شاعبُهُ؟
خميص قد استعصت عليه مكاسبُهُ
وكلُّ خليلٍ ماذقِ الودِّ كاذبُهُ
هويتكما والحبُّ شتَّى معاطبُهُ
أديبٌ يرى في الفضلِ قرناً يقاربُهُ؟
فتزهر من ليل الحياة كواكبُهُ؟
إذا أَرَدتِ المرءَ اللئيمِ مآربُهُ
وكلُّ لئيمٍ أسودِ الروحِ شاحبُهُ
ولا كل من يهوى هوى هو شائبُهُ
سنين وحبُّ لا أزال أحاربُهُ

فيا أخويّ استيقنا وتبصّرا
وإن خليلَ الفضلِ ريّ ونعمة
فمن لي بمن ألقى إليه سريرتي
فما أنا ممن يعشق الغيدَ قلبه
ولكنّ قلبي يعشق الحسنَ والحبي
مَنَحْتُكُمَا قلبي فهل ذاك ناعفي؟
أحبكما للحسن والحسنُ باهرُ
وأحسن فضلٍ في الوري فضلُ باسمٍ
بربكما لا تتركاني كغارقٍ
ولا تتركاني فارغَ العيشِ خائبًا
ولا تتركاني في الحياة كذي ضنّى
ولا تحسبا أن السكوتَ جلادة
وإن غبتما فالعيشُ كالليلِ مظلمٌ
وإن تهجراني فالسلامُ عليكما
ولن تجدا ودًا كودي فجربًا
خليليَّ إن الدهرَ ما تعلّمانيه
رويدكما فالدهرُ شتى عجائبه
وإن خليلَ السوءِ تسري عقاربُه
وأفضي إليه بالأسى وأصاحبُه؟
وتسكب من هجر الحسان سواكبُه
إذا اقترنا والخلق شتى مطالبُه
أيرتجع الموهوب من هو واهبُه؟
وأهواكما للفضلِ شتى غرائبُه
جميل المحيا لا تصاب معايبُه
يغالب لجّ اليأسِ واليأسُ غالبُه
وكلُّ حزينٍ فارغ العيشِ خائبُه
تعدّته عوادٌ وملّت أقاربُه
فما كل صمتٍ يحمّد العيشَ صاحبه
تعبٌ طواميه وتدجو غياهبُه
سيصدع قلبي منكما ما أغالبُه
هل العيشُ إلا طعمه وتجاربُه
وإنّ مريرَ الموتِ ما الخلق شاربُه!

وعظ القدر

على الدهرِ والدينيا، على العيش والردى
وتهلك هاتيك الشعوبُ وتتطوي
فرائضُ لا تبلى ولا تتحولُ
كما يهلك المرءُ الضعيفُ المقتلُ

* * *

فقم واستمع خطوَ الحوادثِ بيننا
تري سيرها سيرَ الجيوشِ مهيبَةً
فكلُّ ضعيفٍ عاجزٍ ليس يسمعُ
منظمةَ الأقدامِ تعدو وتُسرعُ

* * *

لعل لها صوتًا ينبه غافلاً
فإن تكن الأقدارُ كالسحبِ إنها
فينشط مكسألٌ ويفهم أخرقُ
يضجُّ ضجيجُ الرعدِ فيها وتبرقُ

* * *

أما في رعودِ الحادثاتِ مواعظُ
نصحتكم لو تسمعون نصيحةً
أما في بروقِ للمقاديرِ زاجرُ؟
نعم تسمع المرءُ الضعيفُ الأوامرُ

* * *

سلسلُ للأحداثِ فيكم قيودها
وفيكم بقايا الحياة قليلة
فليس بكم قيدُ الحوادثِ منبتًا
فلا تحسبوا يا قومُ أنكم موتى

* * *

إذا رضيتُ نفسي بحالٍ رغيدةٍ
وما هذه الحالاتُ إلا كسُلمٍ
فقد خنتُ آمالي وخنت عقيدي
فلا تقنعوا منها بحال حميدةٍ

* * *

فما أفسدَ الحالاتُ كالدهرِ مفسدُ
وكلُّ قديمٍ للبلَى غير أنه
ولما جدد الحالاتُ كالفكرِ مصلحُ
سيعقبه أمرٌ به النفس تفلحُ

* * *

فقمُ عاونِ الأحداثِ في وصفِ سيرها
وعشْ مع هذا الكونِ كونًا معظمًا
وألهبْ بسوطِ الجدِّ خيلَ المقادرِ
وكنْ في قواه بين ناهٍ وأمرٍ

* * *

فإني رأيتُ النفسَ كالأفقِ بهوها
هي النفسُ دنيا لا يقام نظامها
تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكبِ
إذا اختل في الأفاق سير الرغائبِ

مشتري الأحلام

يا مشتري الأحلام يرغبُ في الكرى
عندي من الأحلام كلُّ بضاعةٍ
حلمٌ يروع ولا يسرُّ وغيره
حلم يزيل عن الفقير خصاصةً
حلم ترى فيه العزيز مرجماً
خذ مني الآمالَ حلماً رائعاً
صداع قيد المستحيل سرا به
وفضائل ممدوحة وردائل
والنورُ حلمٌ والظلام وكلما
إن الحياة إذا اختبرتَ أمرها
حلمٌ على حلمٍ يغرُّ وقد ترى
وأزاهرُ الأحلام مثل نعيمها
لا تحسب الأعمال تنفي أنها
فالمرء يطمع في المنام مطامعاً
يا مشتري الأحلام لا تزهي بها
يا غُبنتا للمرء في أحلامه

كيما ينالُ من الكرى ما يطلبُ
ومتاجر غبانة لا تُكسبُ
حلم يسر إذا يجيء ويعجبُ
حتى يبيتَ على الدسوت يعصبُ
مستجدياً خلفاً يذلُّ ويضربُ
شرق النواحي بالضياء يذهبُ
ووميضه البرق الكذبُ الخلبُ
مقبوحة أحلامها لا تنضبُ
يبدو لعينك ظاهراً أو يُحجبُ
وبلوت من لذاتها ما يطربُ
حلماً على حلمٍ يغرُّ ويعجبُ
وشقاؤها حلمٌ يروع ويرهبُ
حلمٌ يجيء به الخيال فيكذبُ
ويبيت يعمل جاهداً أو يلعبُ
فتعود تبكي للصروف وتتدبُ
إن أيقظته الحادثات الغلبُ

لو يستحيل المستحيلُ على الورى
لجِنِنْتُ جِنَّةً قَادِرٍ مَتَحَكِمِ
وأخذتُ من هذي الحياة لُبَابَهَا
والكونُ فكرُ الله ينظر في الذي
إن راقه خلق الوجودِ مثاله
أو لم يَرُقُّهُ فَهُوَ ليس بصانعِ
فالكون لم يُخَلِّقْ ونحن نظنه

وأنال من أحلامه ما أطلبُ
يرضى على هذا الأنام ويغضبُ
وشربتُ من أكوابها ما يُشْرَبُ
يرضيه من خلق الوجودِ ويعجبُ
كيما يجيء على الكمالِ فيغربُ
دنيا تهون على هواه وتجذبُ
خلقاً يجيء به الزمانُ ويذهبُ

جنة الحسن

أيا جنة العشاق هل لي وقفة
وأبصرُ منك الزهرَ والزهرُ باسمٍ
وأعبدُ فيك الحسنَ شتى صفاته
ففيك معاني الخلدِ والخلدُ فاتنٌ
أما أنت دنيا الحسن والحسنُ باهرٌ
ويا جنة الفردوس ماؤك خمرةٌ
ويا جنة الفردوس هل أنا آثمٌ
ويا فتنة العشاق هل من وذيلةٍ
ويا بهجة الطاوس حسنك زائلٌ
ويا زينة الدنيا التي أنا عاشقٌ
فهل زورة تشفي الفؤادَ من الجوى
وإن تبتغي بالذلِّ موتي فأبشري
فيا ليتني فكرٌ يكون ببالك

أرفه قلبى ساعةً في ظلالك
وأسمعُ منك الطيرَ تشدو هنالك
وكلُّ جمالٍ خالدٍ في خالك
هل الخلدُ إلّا حلية من جالك؟
وما لي منها غير مكدوب آلك
فهل أنا أسقى جرعة من زلالك؟
فبحرمٍ قلبي حظُّه من نوالك؟
فتشقيك فيها فتنةً من جمالك؟
رويدك فينا واسألني من مالك
حناناً لعيش من جفائك حالك
فليس دوائي زورةً من خيالك
هنيئاً مريباً قد ظفرت بذلك
وهل ناعني أني أكونُ ببالك؟

صوت النذير

(هذه قصيدة في وَصْف أخلاق المصريين، وإظهار أماكن النقص فيها، وحضهم على مزاولة الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم. والعلم والمال أصل القوة، والقوة أساس الحياة.)

خَلَّ الهوينى فهذا أمرنا جَلُّ
ولا ح لي بيننا في عيشنا ظَلَمٌ
بوادٍ يعرفُ التاريخُ فعلتها
كم أُمَّةٍ هَلَكْتَ من قبل ما عَرَفَتْ
تعلل النفس بالأحلام تنظرها
تظن أن طريقَ العزِّ مسلكتها
لا الدهرُ غرٌّ ولا الأيامُ ظالمةٌ
كلُّ له أجلٌ يسعى لِيَبْلُغَهُ
لولا التنافس في الدنيا لما صلحت
وا حسرتاه لقومٍ ليس ينفعهم
مستتبتين بأرض العجزِ ليس لهم
تسعى بهم غيرُ الأيامِ واعظةٌ
زاوين إلَّا عن الفحشاء أنفسهم
لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ
فانظر بعينيك أي الأمرِ مقتبلُ
تدعو إلى الموت لا شكُّ ولا جدلُ
أن الهلاكَ إليها عامدٌ عجلُ
والهلك حتمٌ ويخفى سيره المهلُ
والموتُ من حولها كالنقعِ ينسدلُ
وإنما العيشُ فينا والردى عللُ
وليس يُفَلتُ إمَّا جاءه الأجلُ
ولا الحضارةُ والأيامُ والدولُ
نصحُ النصيحِ ولا الوعَّاطُ والرسُلُ!
عنه ولا عن فناءِ الجهلِ مرتحلُ
والقومُ صمٌّ كما لا تُشْتَهَى هملُ
وفوقهم من بوادي خزيهم حللُ

فتطهر الأرض لا رجسٌ ولا خطلٌ
نفعٌ يجيء به قوم إذا غفلوا؟
فكُذِّبَ الأصدقانِ: القول والعملُ
وإن أصابوا منالاً هيئاً جذلوا
فما يشجعه في السعي محتفلٌ
فما يثبطه ردعٌ ولا عدلٌ
ولا عظيمٌ ولا ثبتٌ ولا بطلٌ
ألهاكم العجزُ والزلاتُ والمللُ
ضاققت لديكم به الغايات والسبلُ
وصاحبُ العقلِ فيكم حاذرٌ وجلُ
والبطلُ مبتدرٌ منكم ومرتلُ
وليس تصحو لكم روحٌ ولا مقلُ
وما لكم إن غفلتم عنهما نُقلُ
جمعٌ كثيرٌ فخيرٌ منكم رجلُ
مثل الذبابِ على الأذناسِ ينتقلُ
حام الفراشِ على المصباحِ يشتعلُ
حكيتم البُهْمَ لا عقلٌ ولا حيلُ
إِلا الهلاكُ وهذا ريثه عجلُ
فخرًا فنحسب أن الفضلَ متصلُ

يا بارك الله مقدورًا يعاجلهم
بأي حقٍ يعيش الغافلون ولا
ما باشروا الصدق في قول ولا عملٍ
إذا أصيبوا بشرٍ هيئ خنعوا
ويغضبون على من رام نفعهم
ويُحْسِنُونَ إلى من رام ضرَّهم
فلا حكيمٌ ولا ندبٌ ولا فطنٌ
إذا همتم بأمرٍ نفعه عمم
وإن بُدِهُتُمْ بخطبِ ضرِّه أَمَمٌ
وصاحبُ الجهلِ فيكم آمن فرحٌ
إذا نطقتم بحقٍ فيكم حصرٌ
فإن رقدتم فإن النومَ عادتكم
والعجزُ مهلكةٌ والضعفُ مضيعةٌ
هل خدعةٌ أو همتمكم أن جمعكمُ
تهافتون على الأذناسِ ما نتنت
أفهامكم مثلُ أفهامِ الفراشِ إذا
فإن دعيتم إلى خيرٍ ومكرمةٍ
فما طبيبٌ يداوي داءكم أبدًا
ومن دلائلِ هذا الهلكِ أن لنا

إذا خُشيتُم فأنتم معشرٌ جبن
كم من نصيحٍ لكم بالرشد ينصحكم
كلوا وناموا ونالوا حظكم أبدًا
وعاقروا الخمرَ والأفيون في دعةٍ
واستخبروا عن هوى اللذات قاطبةً
وملءُ أشداقكم ضحكاً أسكركم
أم ضحكةَ الرجلِ المجنونِ من حزنٍ
أم ضحكةَ الخنثِ الموهون أضحكه
أنا النذيرُ إليكم والنصيحُ لكم
يمضي الزمانُ فلا عزمٌ فيسعدكم
وفيكُم من صفاتِ السوءِ أخبثها
أشعلتُم نارَ يَأسي وهي خابية
هيهاتَ هيهاتَ إني مقولُ أبدًا
أنتم بفيِّ كطعمِ المرِّ أمضغهُ
فإن فهمتم فما لي فيكمُ أربُّ
إذا هجوتُ فما أهجوكمُ أبدًا
أنتم أحقُّ بتأبينٍ ومرثيةٍ
أنتم عليَّ وإن طالت مهانتكم
فنحن في أمرنا طرًّا سواسيةً

وإن رُجيتُم فأنتم معشرٌ خذلُ
كأنما حظه من نصحه الصحلُ
من التثاؤبِ لا لومٌ ولا عدلُ
فعيشكم مثلُ ظلٍ سوف يرتحلُ
أما عن العزِّ والعليا فلا تسلُّوا
من حسن حالِكُمُ خمرٌ هي الجذلُ؟
لشدَّ ما نالَ منك البؤسُ يا رجلُ؟
أمرٌ معيبٌ فلا تقوى ولا خجلُ؟
وليس يؤثُرُ نصحًا عاجزٌ مذلُ
وليس يزدادُ إلا العجزُ والخيلُ
حتى لقد صار فيكم يُضربُ المثلُ
وقد قتلتم ذكائي وهو مشتعلُ
حلق الزمانِ به في الناس يرتجلُ
حتى تساوى لديَّ الصابُ والعسلُ
وإن جهلتم فشرُّ العادةِ الجهلُ
إلا ودمعٌ على الخدين ينهملُ
والزرءُ بالحيِّ جرحٌ ليس يندملُ
أعزُّ ذي قدمٍ يسعى وينتعلُ
وإن تفاوتتِ الأخلاقُ والنحلُ

وليس لي في الورى من دونكم بدلُ
يدعو لآخر ما يأتي ويقتبلُ
مُورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعلُ
إنّا ورتنا عن الأسلاف ما فعلوا
وأعظم الخطبِ ما يأتي به الكسلُ
حتى يصحّ وحتى يصدق العملُ
ونشربُ العيش رِيًّا كله جذلُ
في القلبِ منزلها مستمراً خضلُ
فبَلَّغَتْهُمْ إلى عليائها القلُ
لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبلُ
ما أضيع المرء لولا السعي والاملُ
وأحسن العلم ما يجدي به العملُ
في مجدهم لا القنا الخطية الذبلُ
فيه الحياة لأقوامٍ إذا عقلوا
إما الحياة وإما الموت والأجلُ
لا يكره الحق إلا من به دَخَلُ
فأين شؤبوبه لا ينفع البللُ
فكلُّ فردٍ كعضوٍ ما به شلُ
إن العزيز لدى الأوطانِ مبتدلُ

وليس لي فيكم حظّ ولا أملُ
إنّي رأيتُ حياةَ الناس أولها
لقد ورتنا قرونًا كلها كمدُ
فنحصد الشوك مما ذرّ أولنا
فمن خمولٌ ومن جهلٍ ومن كسلٍ
ثقلٌ على النفسِ نمضيه ونصرفه
ونَجَّتِي العمر غصًّا كله ثمرُ
إن الأمانِيّ دون القلبِ ما برحت
نستخبر القوم أنى وجهة سلکوا
هم زاولوا الجدّ قد دانت تجاربه
قوموا اجعلوا السعي في الأطماع رائدكمُ
بعضُ العلومِ إلى الأعمالِ منتسبُ
هذا السلاحُ الذي يدحو لهم سبلاً
يا قومُ هذا سبيلٌ لا خفاءَ به
إنّا بمنزلةِ الفصلِ يتبعها
حتّامٌ ننكر حقاً غير مشتبهِ
لا يصلح العلمُ مضموناً به أبداً
هذا الذي يدع الأقوامَ قادرة
أذلك المال مضمون به أبداً

والعلمُ مثل عصا السحّارِ يبسطها
والعلمُ والمال مقرونان في قرَنِ
وإنما لغةُ الأَقوامِ ميزتهم
قد أصبح العلمُ والآداب ضائعةً
يرقى الوجودُ بعيش الصالحين له
وما الحياةُ بمستشفى لمن سدكت
بل الحياةُ جهادٌ لا خفاءَ به
إن الحياةَ كتثورٍ ومعركةٍ
وكلُّ الدهرِ لا يُبقي على ضرعٍ
نلهو عن العيشِ، والأقدارُ نافذةٌ
إن المقاديرَ أجنادٌ مجندةٌ
لا رحمةَ عندها تُرجى ولا مقةٌ
كم أعصرُ قَبَلنا بادت وكم دُولِ
كم معشرٍ مثلكم ليمُوا فما انتفعوا
فبادرتُهُم يدُ الأقدارِ حاصدةٌ
إذا ابتلى الله قومًا بالهلاكِ فلا
ليس التوكُّلُ في نومٍ وفي كسلٍ

فيصبح المالُ قد ضاقت به السبلُ
لا نجتني المالُ حتى يصدق العملُ
فإن تولت فمجذُ القومِ مرتحلُ
وأصبحَ الشعرُ فوضى كلُّه زَلُّ
من ليس يدركهم عجزٌ ولا كلُّ
به الزماناتُ والأمراضُ والعللُ
فليس يُفلاحُ إلا الأغلبُ البطلُ
يصلى الشجاعُ ويصلى العاجزُ الوكلُ
وليس يخدعه جودٌ ولا بخلُ
كأنهن مطايا تحتنا ذُلُّ
تصولُ بالحقِّ لا ظلمٌ ولا خطلُ
ولا الشفاعةُ تقصيتها ولا الخولُ
حتى كأن لم يكن عصرٌ ولا دُولُ
وأشعروا النقصَ فيهم ثم ما حفلوا
فما وقى جمعهم سهلٌ ولا جبلُ
سمِعُ لديهم ولا عزمٌ ولا حيلُ!
فهو المعينُ لمن يسعى ويختلُ!

بين الحب والبغض

رمى الله في عينيك بالسهد والعمى
وعلمك السهد الطويل على الأسي
وعلمك الأحزان والبث والجوى
وأودعك الليل البهيم همومه
وأثلف طول الهَمِّ عينيك بالبكا
وخلف فيك اليأس كالمسمِّ في الحشا
أنسى بكائي والعيونُ هواجعُ
أنسى انفرادي والتياحي ولو عةً
أنسى عذاب القلب هاج وجيبه
لقد كنت في عيني أذ من الكرى
وجودتُ فيك الشعر والشعرُ ساحرُ
فما ازددت إلا قسوةً وتباعداً
فعلمت قلبي كيف يقسو وإنه
جنيتُ على نفسي فليس بنافعي
ولو كان في نفسي وقاءٌ يصونكم
وخطتُ عليك النفسُ خوفاً من الردى

ولقّاك من دنياك صاباً وعلقماً!
إذا حلَّ همٌّ في الفؤادِ وخيمًا!
وما نُكِبَ المغرورُ إلا ليعلماً!
وأصبحت حرّانَ الفؤادِ متيمًا
إذا ما مضى دمعٌ بكيت له دماً
تعالج داءً من جواه مكتماً
أراقب ليلاً غائرَ النجمِ مظلمًا؟
كأن لها بين الأضالعِ أرقماً؟
كأنّ جحيمًا دونه وجهنماً؟
وأطيب من طيبِ الحياةِ وأكرمًا
وهل تسحر الأشعارُ غرّاً وأعجمًا؟
وما ازددت إلا غلظةً وتجهماً
ليحزن أن تلقى هواناً وتألماً
إذا صالَ خطبٌ أن تصابَ وأندماً
لأنزلتُ من نفسي المكانَ المكرماً
فكانت مجناً صادق الصنعِ مُحكماً

وليت لسانِي سُلَّ مني ولم أَقُلْ
سَلِمْتَ، وما حيَّ على الدهرِ سالمًا
لقد سمْتُ نفسي عنك صبرًا وسلوةً
ووالله ما لي عنك صبرٌ أطيَّقه
وإني لتعروني إذا لحت هزةً
وإن بقلبي من جفائك جنةً
فأسقي جنوني من دماءك جرعةً
وأنفع منها غلتي وصاباتي
أأنت زهاك الحسن والحسنُ فتنةً
فأصبحت مغرورًا تنتيه وتنثني
كأنني بصرفِ الدهرِ حلَّ وعيدُه
ولم يُبقِ إلَّا منظرًا لك شائنًا
وهل تترك الأقدارَ يومًا إذا سَطَّتْ

رمى الله في عينيك بالسهد والعمى!
وعِشْتَ سعيدًا بالحياة مُنعمًا!
وجشمتُ قلبي صبره فتجشمتُ
فقد ودَّع الصبر القديم وسلَّمًا
كما ارتعش المصروع حينًا وجمجمًا
فإن رامَ يومًا قتلَكُم ما تأثمتُ!
وهيهات يجدي القتلُ قلبًا مُكلَّمًا!
لعمرك إن الجرم لا ينقع الظمًّا!
لصاحبه حتى يرى الظلمَ مغنمًا
رويدك هل تبغي إلى الشمس سلَّمًا!؟
فلم يُبقِ لي في حسنكم متوسمًا
ووجهًا صفيقًا في التراب مهدمًا
على حسنٍ إلَّا رفاتًا وأعظمًا!؟

الدِّيوان الرابع

ديوان زهر الربيع

كحنين المزاميرِ	إنما الشعرُ نعمةٌ
عن وهادِ الحقائقِ	يرفع النفسَ سحرُهُ
كجناحِ لطائرِ	يُبلغ النفسَ أفاقها
مثل ضوءِ التباشيرِ	يفتح النفسَ ضوءه
حُ زَهْيِ الأزاهرِ	مثلما يفتحُ الصَّبَا

من قصيدة «أغاريد شاعر» لصاحب الديوان

مقدمة فى الشعر لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر فى الببابة عن الصلوات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره. والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق. ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظر، غير آخذٍ رواء المظاهر، مأخذه نور الحق. فىمىز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة. وبين معانى الحياة التى يوحى إليه بها الأبد. وكل شاعر عبقرى، خلىق بأن يُدعى متنبئاً، ألىس هو الذى ىرمى جاهل الأبد بعين الصقر، فىكشف عنها غطاء الظلام، وىرنا من الأسرار الجلىلة ما يهابها الناس، فتغرى به أهل القسوة والجهل؟

كل شىء فى الوجود قصيدة من قصائد الله. والشاعر أبلغ قصائده.

الشاعر هو الذى لا يعىش مثل أكثر الناس، مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه، هو الذى إذا عاش، كان له من شاعرىته وقاء من عداء قتلى المظاهر. فإذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره. فإذا لم تسعده الشهرة، هبطت روح الطبيعة على قبره، تظللّه بجناحها، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء. تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه، وتسقىه من دموع الرحمة والحب والحنان.

ولىس الشاعر الكبىر من يُعنى بصغىرات الأمور. ولكنه الذى يُخلق، فوق ذلك الیوم الذى يعىش فىه، ثم ینظر فى أعماق الزمن أخذاً بأطراف ما مضى وما يُستقبل. فىجىء شعره أبدياً مثل نظرتة. وهو الذى ىلج إلى صمىم النفس فىنزع عنها غطاءها. وهو الذى إذا قذف بأشعاره فى حلق الأبد ساغها. فعىب شعرائنا جهلهم جلاله وظففة الشاعر. لقد كان بالأمس ندىم الملوك، وحلىة فى بیوت الأمراء. ولكنه الیوم رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنعماة العذاب، كى ىصقل بها النفوس وىحركها، وىزىدها نوراً وناراً، فعظم الشاعر فى عظم إحساسه بالحياة، وفى صدق

السريرة الذي هو سبب إحساسه بالحياة. وإذا رأيت شاعرًا يأخذ الحقيِر مأخذ الجليل من الأمور، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة، فاعلم أنه ضئيل الشعر. فإنَّ ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث.

سُئِلَ وردزورث الشاعر الإنكليزي عن شعر شاعر، فقال: إنه ليس من الحتم في شيء. فكأنه يقول: إنَّ أَجَلَ الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء، لا بد من حدوثها. فإذا أردت أن تميِّزَ بين جلالة الشعر وحقارته، فخذ ديوانًا واقراه. فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة، مثل النجم أو السماء أو البحر، فاعلم أنه خير الشعر. وأما إذا رأيتَه وأكثره صنعة كاذبة. فاعلم أنه شر الشعر، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر أيضًا لكلمات النفس وتفسيرًا لها.

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم. فأصوله ثلاثة متزاوجة، فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره ضئيل الشأن. ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتًا لا حياة له. فإن حياة الشعر في البإانة عن حركات تلك العواطف. وقوته مستخرجة من قوتها، وجلاله من جلالها. ومن كان سقيم الذوق، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقه. غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق في رصف الكلمات؛ كأنما الشعر عنده جلبة وقَعَقَعَة بلا طائل معنى. أو كأنما هو طنين الذباب. ولا يكون الشعر سائرًا إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى. ولست أعجب من أحدٍ عجبني من الأدباء الذين ينظمون الشعر في مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها. فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك. كأنما الشاعر آلة وزن. ولكن الشاعر هو الذي لا ينظم حتى تتوبه تلك النوبة التي تدفعه إلى قول الشعر، بالرغم منه، في الأمر الذي تنهيا له نفسه.

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة، ليس تحتها طائل معنى. يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية، وأصاب من طرف الشعر غاية؛ فقد أجاده. وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة. وكما أن العاطفة تُنطق

الشاعر، كذلك قد تُخسِرُهُ شِدَّتُهَا. ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها شعراً. وإنما نعني الذكرى التي تعيد العاطفة، والتفكير الذي يحييها. وليس شعر العاطفة باباً جديداً من أبواب الشعر، كما ظن بعض الناس، فإنه يشمل كل أبواب الشعر. وبعض الناس يُقسِّم الشعر إلى أبواب منفردة. فيقول: باب الحكم، وباب الغزل، وباب الوصف ... إلخ. ولكن النفس إذا فاضت بالشعر أخرجت ما تُكِنُّه من الصفات والعواطف المختلفة في القصيدة الواحدة. فإن منزلة أقسام الشعر في النفس كمنزلة المعاني من العقل. فليس لكل معنى منها حُجْرَةٌ من العقل منفردة، بل تتزاح وتتوالد فيه. فلا رأي لمن يريد أن يجعل كل عاطفة من عواطف النفس في قفص وحدها.

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم، وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم. كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار. وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والناقة! وبعض القراء يهذي بذكر الشعر الاجتماعي، ويعني شعر الحوادث اليومية، مثل: افتتاح خزان، أو بناء مدرسة، أو حملة جراد، أو حريق، أو زيارة ملك، أو حفلة في نادي الألعاب، أو مجيء طيار؛ فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية، قالوا: ما له؟ هل نضب ذهنه، أم حَبَّتْ عاطفته، أم دجا خياله؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده في تلك الحوادث! فإذا نظم أحدهم قصيدتين في الجراد، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء. كأنما الشعر جريدة منظومة، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان. وإنما الشاعر هو الذي يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها، والذي تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته، ويسمعها من ألحانه، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة.

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفاً للحكمة. فيأتي بأمثال من بطون الكتب، وأفواه العامة، نصفها حق ونصفها باطل. ثم يصوغها شعراً من غير

أن يكون قد أحس لذعها في ذهنه، ولما شعر بقيمتها. وشرُّ الحكمة التي يتكلفها الوزانون. وإنما حكمة الشاعر تبدو في كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والثناء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير. وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره في الحياة. تلك الخواطر التي ينضجها الشعور والتفكير. والشاعر لا يسير على رأي واحد لا يتعداه. فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتي وتروح مثل أزياء باريس. والنفس أعظم من أزيائها. ولكل حالة زِيّ والشاعر لا يعبر عن عاطفة واحدة، أو نفس واحدة، بل يعبر عن عواطف متغايرة، ونفوس متباينة. فلا رأي لمن يريد أن يقيدَه بمذهب من مذاهب الفلاسفة يزود عنه ويتعصب له. فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب، ويعبر عن كل نفس.

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل في الشعر. إن مزية الغزل سببها أن حبَّ الجمال حبُّ الحياة. وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر، كان نصيبه من حب الحياة أعظم. وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التي تزجي الأمم إلى التفوق والاستعلاء. ولا أعني بالغزل غزل الشهوان، بل الغزل الروحاني الذي تَرَفَّعَ عن أوصاف الجسم. إلا ما بدا للروح أثر فيه. والحب أعلق العواطف بالنفس. ومنه تنشأ عواطف كثيرة، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس، أو الحسد أو الندم، أو الشجاعة أو حب العلاء، أو الجود أو البخل. ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة في الشعر، من حيث هو جماع العواطف، ومظهر دروسها. فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية. ومن حيث إنَّ حب الجمال حب للحياة ترى فيه آراء الشاعر، وكل ما يعتوره في الحياة من الخواطر، ويصيبه من التجارب. وكل ما يسمو إليه فكْرُه أو يحنُّ إليه قلبه، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة، وهذا الغزل الذي هو واسطة القلادة، وسلك العقد، وروح الشعر، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس، وقصرها عليه. وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها. فإن الغزل الذي نعينه سببه العاطفة التي تجعل المرء يحس الجمال إحساسًا شديدًا في جميع مظاهره، سواء جمال الوجوه والأجسام، أو

جمال الأزهار والأشجار، أو جمال البرق في السحاب، أو جمال الليل ونجومه، أو الصباح ونسيمه، أو جمال النفوس والأخلاق، أو جمال الصفات، أو الحوادث والوقائع، أو جمال الخيالات التي يخلقها الذهن. وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهرًا من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يُستجلى في الحياة. وهذه العاطفة الشعرية تُفيضُ ضياءها على كل شيء، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة. فتحبوها جمالًا فنيًا؛ مثل جمال الصورة البديعة التي يُعجبُ المرءَ جمالها الفني، حتى ولو كانت صورة مذبحة، أو جمال الأنغام الحزينة التي تذيب القلب. والشاعر المناسب مثل المصور. إنما يستملي من صور الملاحظة التي في ذهنه، ولقد سئل جيدو ربنى المصور الإيطالي: من أين لك هذه الخلق المليحة التي تُودعها صورك؟ فقال لسائله: انظر! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجًا، ورسم صورة فتاة مليحة، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور. ثم قال: «أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال؟ نحن أصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا.» وما يُدْرِينَا لعل قيسًا بن الملوح كان يشبب بليلي التي في الدنيا التي في نفسه، لا بليلي العامرية.

كان جيتي الشاعر يقدر الأشياء والناس، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه، وعواطفه وقصصه وبواعثه. فإذا رأى عجوزًا تسعى، أو شيخًا هرمًا أو فتاة أو طفلًا أو فقيرًا أو غنيًا ... إلخ. عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر، مهما اختلفت صفاتهم. وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والبالهامة. فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية؛ أو كأنما رؤيتهم ريحٌ تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درُّها وأصدافها، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه. فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم.

الباحث الأزلي

مقدمة

قد صَوَّرَ كثيرٌ من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصرًا بعد عصر، كأنها حياة إنسان واحد، أو كأنها بحثٌ مُتَّصِلٌ دهرًا بعد دهر. وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان، وما يعذرون به شقاءها وآلامها، ويأملون آمالًا كبارًا من وراء تقلب الإنسانية في بحث الحياة. ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدها، من البغضاء والشرور والحروب، والآلام والجشع، وأن يؤدي إلى التعاون على الحياة، بدل التقاتل عليها. وهذا البحث الإنساني المستفيض دهرًا بعد دهر للحياة، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات، كي يعم مبدأ وحدة الإنسانية، هو الذي دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرًا بعد دهر في كل حال وفي كل مكان، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة. وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير في أن يعم، فإن بقاءه كَمَثَلٍ أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه.

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون في تحقيق وحدة الإنسانية، ففي القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التي ينبغي أن يربعاها الفرد، وأن ترعاها الإنسانية عامة.

ذو سكونٍ ونظرةٍ هوجاءٍ

بينما كنتُ سائرًا لاح شيخُ

فهو بين الأنامِ صنوُ الهواءِ

ويكاد الضياءُ ينفذُ منهُ

باحثٌ في السماء يطلب شيئاً
وهو فينا جزء من الزمن الأوَّ
وجهه رائعٌ كوجه أبي الهُو
قلتُ: يا شيخ ما دهاك وما شأ
قال: مَنْ يدرس الحياة طويلاً
كنت والكونُ في الطفولة أغدو
وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا
دُولٌ قد أتت وأخرى تقصَّتْ
وشهدتُ الصروفَ من قبل عادٍ
أنشدُ الحقَّ لست أُلوي إلى الباء
عشتُ دهري بالبحث والأمل الخُلـ
من سهام المنون إن سهام الـ
هَمْتُ يوماً من قرיתי أنشد الحقَّ
عَفْتُ بيتي وبلدتي وهجرت الـ
ظماً النفس مثله ظماً الجسد
زعمَ الناس بي الجنونَ وخالوا
كلما لاح شامخٌ قلت إن الـ
ورَعَيْتِ الظماء عَلِيَّ أراه
وجزعتُ الصحراء أرجو لقاءً

غاب عن عين غيره في السماء
ل ذكرى لسالف الآباء
ل رأى ما مضى على الغبراء
نُك بين الأموات والأحياء؟
لَخَلِيقٌ بضحكة الجهلاء
وشبابُ الأيام في الغلواء
ني طولَ الحياة حُكْمَ الفناء
وبقائي بين الأنام بقائي
والمنايا تجرُّ ذيلَ العفَاء
طل فالحق يُطبِّي بالرجاء
و لولواه لم أفزُ بالنجاء
موت فينا كثيرة الباصماء
لعلي أراه في الدهماء
أهل أبغي ريَّ النفوس الظماء
م وداءُ النفوس كالأدواء
طالبَ الحق أخرق الأحياء
حقٌّ يغدو من خلفه بإزائي
خارجاً من سائر الظلماء
منه يُرجى في وحدة الصحراء

ولكم غُصْتُ في العُبابِ عليه
وَأَثَرْتُ الأصداءِ أبغي جوابًا
وسألتُ الرياحِ فصُمَّتْ
وسألتُ السماءَ تبرزُ وجهًا
وأعارتني الطيورُ جناحًا
طالما خاب ناشد الحق لكنَّ
قد يجيء الصباح منه بوجهٍ
أو تُبينُ الأحلام منه ضياءً
قد صحبت الأنام طرًّا كأنِّي
كان لي نوح في السفينة خدنا
وحباني أشورُ في نينوى العُظْـ
ورآني فرعون أقدم في الجيبِ
وتجلَّى آمون في معبد الأقب
ولكم جُلْتُ في أثينا وأفلا
ورأيتُ الرومان في رومة العُظْـ
وصحبتُ المسيح في القدس دهرًا
وعبدت النيران قديمًا ولكنَّ
وَحَمَدت النعيم والترف الوَا
وَحسوتُ النعيم والبؤس حتى
إنما الدرُّ منه في الأحشاءِ
لسؤالي في منطق الأصداءِ
عن دعائي فلا تُجيبُ دعائي
منه يبْهَى في الأفق جَمَّ الضياءِ
أرتجي منه لُقيةً في الفضاءِ
رجائي كما عهدتُ رجائي
طالما كان مُضمَّرًا في الخفاءِ
في سماءِ الأحلام مثل ذكاءِ
بينهم في تلونِ الحرباءِ
فنجونا من مُهلكِ الأنواءِ
مى بسَيْبٍ من جوده وثناءِ
ش مُشيجًا ورافعًا للواءِ
صر يقضي في شَعْبِهِ بالقضاءِ
طون يتلو فصاحةَ الحكماءِ
مى عظام الأعمالِ والأهواءِ
وحباني من رُوحِهِ بالصفاءِ
قد سما بي الإيمان للسمحاءِ
فر قدمًا في صحبة الخلفاءِ
لم أدع كأسَ لذةٍ أو شقاءِ

وصحبتُ العبيد في ظلمات الـ
وأملتُ الآلام طرًّا وأقيبـ
وصحبتُ الوحوش في البيدِ حتى
وأرقتُ الدماء في الحرب حتى
لم أدعُ خطرةً أتاحتُ ولا معـ
أو شعورًا أو هاجسًا أو طموحًا
أنشد الحق بالتقلب في العيـ
أنت أيضًا شهدت هذا جميعا
قال ما قال ثم غاب عن العيـ
عَيشٍ حتى جُننتُ بالضراءِ
تُ عذابًا أتيح للتعساءِ
أُنسِتُ بي الوحوش في البيداءِ
جُنَّ قلبي من نشوة الهيجاءِ
ننى ولا فكرة من الآراءِ
لا ولا مشهدًا تركتُ لرائي
شٍ وأبغى سريرة الأشياءِ
غير أن لا تُعدَّ في الفتناءِ
من كما يخفت الصدى في الهواء!

سمو النفس

أهبتُ بحزمي فلم تسمعي
فيا نفس حَتَّامَ هذا الطموح
فإن عزاءً يريح النفوس
يعفُّ الأبِّي وليست تعفُّ
ولو قد زهدت طلاب الحطام
هممت بكسب فلم تبلغي
وخفت المقادير في ظلمها
وأشقاك أن قيود المقابـ
فأصبحت فيها كطير الحبائـ
وحرَّ أوام لورد الفضائـ
ردي العيش يا نفس لا تأنفي
فكلُّ حياةٍ إلى منتهى

وعفتُ الطماح فلم تردعي
وخيرُ المكاسب أن تقنعي
سَ خيرٌ من الأملِ المطمعِ
ذواتُ المخالبِ والأربعِ
لأشقاك حبُّ العلاءِ الأرفعِ
ورُمتِ الكمالَ فلم ينفعِ
وأشقاك يا نفسُ أن تخضعي
حِ غُلَّتْ عليك فلم تُصدعِ
ل رمت الخالصَ فلم تُرفعي
لِ باقٍ على الدهرِ لم ينفعِ
وجوبي المقاديرَ لا تخشعي
وكلُّ شقاءٍ إلى منزعِ

حديقة الصيف

هي برءٌ من العشى
وهي للشيخ مبعثٌ
وهي للطفل ملعبٌ
وهي للبائس الحزيبُ
وهي للعاشقين ظُ
في رياضٍ من المنى
حيثُ تلهو العيونُ في
قم بنا ننثر الزهو
هذه الغيد في الغديـ
غردَ الطيرُ قائلاً:
وثمارٌ قطوفُها
والغواني حديقةٌ
وهجيرٌ كأنه
يدعُ المرءَ ناعساً
يدعُ المرءَ ناعماً
إنما الصيفُ زينةٌ
وشفاء من الكبرُ
للأمانيّ والذكرُ
فيه ملهى على غررُ
من ملاذٍ من الفكرُ
لظليلٍ ومُستترُ
وأمانٍ من الزهرُ
نزهة النفس والبصرُ
ر على صفحة الغدُرُ
ر جات صفحة القمرُ
فازَ بالحسنِ مَنْ نظَرَ
تتدلى من الشجرُ
ملؤها الزهر والثمرُ
لهبُ النارِ يَسْتَعِرُ
فاتِرَ النَّطِقِ والنَّظَرُ
نائمِ الهَمِّ والفكرُ
غضةُ الحسنِ والأثرُ

تلبس الأرض حسنها
وتراءى لعاشق
ينتشي المرء كلما
ينال من نشرها العطر
بعد ما غاب واستتر
عبد الحسن ما ظهر

مصارع النجباء

لو كنتَ ذا روحٍ عظيمٍ همُّهُ
تغدو وهمك في الحياة حطامها
ليس السعادةُ كنزَ كلِّ فضيلةٍ
للمالِ والجاهِ العريضِ عصابةٌ
ففتىٌ وحيدٌ لا أنيسَ لنفسِهِ
وفتىٌ له عيشُ الغريبِ وحالُهُ
وفتىٌ يجود بماله وبنفسه
شوقاً إلى المجدِ العزيزِ منالُهُ
يقضي الغبي حياته في غفلةٍ
إن الحياةَ جمالُها وبهاؤها
لولا طمأخُ الحالمينِ وهمهم
الحالمونَ بكلِّ مجدٍ خالدٍ
الغاضبونَ الناقمونَ على الورى
الشائدونَ الهادمونَ ذوو النهى
الخالقونَ المهلكونَ الشارعو
آي الجلالةِ والذكاءِ جميعها
لَعَذَرْتَنِي في لوعتي وبكائي
إنَّ النفوسَ قرارةُ الأدواءِ
فاذهب لشأنك لا يصبك شقائي
وعصابةٌ لمصارعِ النجباءِ
فردٌ من الخلصانِ والقرناءِ
وأخو الذكاءِ يُعدُّ في الغرباءِ
وفتىٌ تذوب حشاه في الظلماءِ
مجدِ النفوسِ أحقُّ بالبرحاءِ
عن نفسه ويُعدُّ في الأحياءِ
هبةٌ من النجباءِ والشهداءِ
بقي الورى كالتربةِ الغبراءِ
سامي المنالِ كمنزلِ الجوزاءِ
هَبُّوا هبوبَ الصرصرِ الهوجاءِ
والعقلُ أعظمُ هادمِ بنائِ
ن المرسلونَ بأيةِ غراءِ
فيهم على السراءِ والضراءِ

فلئن أصابهمُ الزمانُ بمهلكٍ
فحياتهمُ وفعالهمُ ودمائهمُ
قبل ابتناء منازل العلياء
مثل الهدى وكواكب الإسراءِ

المجاهد الجريح

هو العيش حربٌ والحياةُ جهادُ
ولا أشتكى أنِّي جرعتُ مريرها
فأجرع منه الحلو والمرَّ إنما
وليست نفوسُ الناسِ إلا أسنَّةُ
وليست نفوسُ الناسِ إلا سيوفهم
ويصدأ وجهُ السيفِ والسيفُ قاطعُ
وليست حياةُ المرءِ إلا كشعلةُ
وفي العيشِ مسعى للبيبِ ومطلبُ
وهبُ أن ما يأتي الفتى غير مقنعٍ
ويحصدُ سعي المرءِ ما شاء عزمه
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكأوه
ولولا خضوعُ النفسِ للجسمِ ما بكى
فلا تعذلوني إن أَلِمْتُ فإنني
ولا تعذلوني إن حزنتُ فطالما
ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتي
فإن متُّ فاسعوا فوق قبوري وباشروا

وإنَّ حياةَ العالمين سهادُ
فيا ليت عُمرًا في الحياة يعادُ
مشارب من يهوى الحياة برادُ
لها كل يومٍ مطعنٌ وجلادُ
سيوف ولكن ما لهن غمادُ
إذا كان سيفًا ليس فيه مذاذُ
وآخر ذِيَاك الضرام رمادُ
هل العيشُ إلا مطمحٌ ومرادُ
أليست لَذَاذَاتُ الطرادِ ترادُ؟
وللمرءِ يومٌ ليس فيه حصادُ
إذا ظلَّ ورد المرءِ وهو ثمادُ
جريحٌ ولم يعزز عليه تلاءُ
جريحٌ من الأحداثِ وهي صعادُ
أصبْتُ ولي بين الكمأة فوادُ
رجاءٌ أَلَا إنَّ الرجاءَ جوادُ
جلادكمُ إنَّ الحياةَ جلاءُ

ولا تحسبوا أنني جبنيت لمييتي
وقلنتُ لنفسي إنما الموتُ سنةٌ
وقدماً مَضَتْ تلك العصور وأهلها
جهلنا فما ندري على العيشِ ما الذي
سوى أنَّ عيش المرء بالشك فاسدٌ
يقيناً بأن العيش نشوة صائلٌ

ولي عزمات كلهن صِلاؤُ
هُمُ الناس ركبٌ والمطامع زادُ
وبادت بلادٌ بعدها وبلادُ
يراد بعيشٍ نحن فيه نقادُ
وأنَّ يقيناً في الحياة رشادُ
له عزماتُ في الحياة جدادُ!

عبث الشكوى

يا صاحبَ العقلِ يقضي العيشَ في حَزَنٍ
وتحسب الناسَ بُهْمًا لا عقولَ لها
وأنت في الناسِ قُطْرٌ ضاعَ قاطرُه
وما أَحَسُّوا بِهِمْ من حاجةٍ لهمُ
ملأكَ اللهُ إنِ أَرْضُوكَ بَيْنَهُمْ
للنفسِ أَفْقٌ مضيءٌ نورُه عَمَمُ
وراعك اليأسُ حتى خَلْتَ من جزعِ
وكِدْتَ تتسى حياةً أنتِ صاحبها
حتى إذا بلغتِ شكواك غايتها
وما ضرارك نفسًا بعدما علمتِ
وكم تريد حياةً كلها جَذْلُ
الناسِ والبُهْمِ تدري أن ذا عنتِ

يشقى بك الناس أم تشقى من الناسِ؟
وأنت فيهم كمصباحٍ ونبراسِ
في لُجَّةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حاسي
إليك، كلاً، ولا جاعوا بمقياسِ
وإن غضبت فهم من نسلِ نسناسِ!
وأرضها النتن من رجبٍ وأدناسِ
أنَّ الفضائلَ من أحلامِ وسواسِ
بين الأنامِ فأنتِ الذَاكرِ الناسِ
علمت كيف تداوي اليأسَ باليأسِ
أن الرخاءَ قنوعُ الطاعمِ الكاسي
غيرَ الحياةِ وناسًا غيرَ ذا الناسِ
يُعْطِلُ العيشَ من بشرٍ وإيناسِ!

الطائر الحبيس

(وهي قصة جرت للشاعر، وهو غلام صغير، مع عصفور في قفص اتخذه لعبة له.)

أذْكَرُ فيما مضى من العُمُرِ
وكنْتُ ألهو في غفلةِ الصِّغْرِ
مرتجل للغناءِ مبتدِرِ
والشدوُ شعرٌ لعاشقِ الزهرِ
بل كان يشدو الحبيسُ في قفصِ
شدوَ حزينِ الفؤادِ منظرِ
وكنت غفلانَ عن لواعجه
وكيف يرثي الجذنانُ للكدرِ؟
قد كنت كالطائرِ الطليقِ فلا
شجُو يروع الفؤادَ بالفكرِ
قدْ كانَ قلبي لقلبه حجرًا
وكيف يجدي الغناءُ للحجرِ؟
قدْ كانَ لي لعبةٌ أعبثها
ما كان سرُّ الغناءِ من وطري
قدْ قمتُ ألهو بجانبِ القفصِ
في صخبِ رائعِ بلا حذرِ
وأقرع الأرضَ صارخًا جدلاً
وضجة الصوتِ شيمَةُ الصغرِ
والطيرُ مِنْ رعبِ قلبه حذرٌ
يهتز مثل المقرورِ من خصرِ
حتى إذا ما سكتُ من كلِّ
قعدتُ ألهو عنه على غررِ
إذا به صادقًا ينوح من الـ
رعبِ بلحنٍ يقدر في المررِ
قد جمعَ اللحنَ من لواعجه
لم يُبقِ من نغمةٍ ولم يَدِرِ

لا ما لشدو من بعده أثر
ناح على نفسه وما فقدت
لم أك أدري ما هاج لوعته
حتى رأيت العصفور منجدلاً
نسيته والسنون منسية
حتى عرتني الخطوب في عمري
ذكرته والخطوب مذكرة
نفسى كالتائر الحبيس فلا
قد شق صدري ناب الحياة فأم
يا طير لو كنت حاضري ألفت
وأي خلق يُلام في خور
لا يعرف الحزن غير ذائقه
اقتص مني لك الزمان وقد
في القلب باق كذلك الأثر
بين ثمار الرياض من وطر
والقلب من شدوه على كدر
قد مات من لوعة ومن حذر
وكل ما فات ميّت الخبر
وروعتني الحياة بالغير
وصاحب همّ حاضر الذكر
مفر من جور سطوة القدر
سيت بقلب خفاق منذر
نفسك نفسي من رحمة الخور
والمرء فينا فريسة الخطر
فليس حزن العيان كالخبر
أصبحت مني في السمع والبصر!

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامٌ
تعاودني ذكرى الربيع الذي مضى
وأحسبُ أنّ الزهر يزهو لكي أرى
وأحسبُ أنّ الماء كالخمر سلسلاً
وأحسبُ أنّ الشمسَ ترنو بلحظها
وأحسبُ أنّ النجمَ حلّي لناظري
وأحسبُ أنّ الكونَ بيتي وأنني
وأعلم أنّي هالكٌ غير خالدٍ
وأنّي لا طيرٌ ينوح لميتتي
ولا النور يدجو لا ولا الماء غائضٌ
كذلك لا يبكي على الحبّ طائرٌ
ولا الزهرُ يأسى للفؤاد وشجوه
لقد جفّ قلبي والزهور نضيرةٌ
سلامٌ وهل يدني البعيدَ سلامٌ؟
كأنّ حبيباً قد طواه حمامٌ
محاسنَ منه في الرياضِ تُرامُ
لأجرعَ منه والنمير جِمامُ
إليّ وأنّ الليلَ منه خيامُ
وبرق الغواصي للضياءِ يشامُ
أميرٌ على عليائه وإمامُ
وأنّي رفاتٌ للثرى وعظامُ
ولا الزهو شجواً إن هلكت يسامُ
وليس على وجه الهلالِ سقامُ
وليس على نقض العهودِ يُلَامُ
وليس بكاء ما يريق غمامُ
وقد شاب قلبي والزمانُ غلامُ!

وعظ الموت

تذكر شجّي القلب أنا جميعنا
هل العيشُ إلّا ساعة ثم تنقضي
نرى حولنا الهلاك في كل منزلٍ
ونعلمُ علمًا ليس بالظنِّ أننا
وهونَ عندي الموتُ ما الدهرُ صانعُ
وليست مساعي المرءِ إلّا جنازةُ
وما عرف الأيامِ إلّا مجربُ
ونبكي لموتانا لأن حياتهم
يخلفنا الأحباب كالدوح هزه
أنشقى بفقدِ الميتِ والميتِ ناعمُ
وما الموتُ إلّا الأمنُ والخلدُ صنوهُ
خليقُ بنا أن نغبطَ الميتَ حاله
نئولُ إلى ورد الردى ونصيرُ
هل الدهرُ إلّا أشهرٌ وعصورُ؟
كأنَّ بيوتَ العالمين قبورُ
سنمضي على آثارهم فنحورُ
فلست من الخطب العظيمِ أخورُ
تخبُّ به نحو الردى وتسيرُ
لبيبٌ بأحداثِ الزمانِ خبيرُ
منافع تُغني في الخطوبِ وخيرُ
شتاءٌ يعرّي غصنه ودبورُ
سعيدٌ بما جرَّ الحمامِ قريرُ؟
ألا إن فقدانَ الحياةِ حبورُ
فإن حياة العالمين غرورُ

أبناء الشمال (الآريون)

إِنَّ أَبْنَاءَ الشَّمَالِ
وَرِثُوا الْمَلِكَ جَمِيعًا
إِنَّ لِلْمَلِكِ اعْتِزَاذًا
فَلَهُمْ فِيهِ فَلَاحٌ
عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَنَمْنَا
وَلَهُمْ فِي الْكُونِ عَرْشٌ
كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ فِي الْـ
حُرِّمَ الْأَمْرُ عَلَى الْعَا
إِنَّمَا الْقُدْرَةُ إِيْمَا
إِنَّ أَبْنَاءَ الشَّمَالِ
وَرِثُوا الْعِزْمَ جَمِيعًا
هُمْ لِدَاعِي السَّعْيِ وَالْآ
تَعْرِفُ الْبِيدَاءُ مَسْعَا
وَبِطْنِ الْأَرْضِ مَسْعَى
سَلُّ أَقَاصِي الْأَرْضِ تُخْبِرُ
هِيَ تَنْبِي عَنْ جَلَالِ الْـ

عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَصَالُوا
كُلُّ مَنْ يَسْعَى يِنَالُ
لَيْسَ يَدِينِيهِ اتِّكَالُ
وَلَهُمْ فِيهِ مَجَالُ
دَاوْنَا الدَّاءَ الْعِضَالُ
قِيَمَةُ الْعَرْشِ الرِّجَالُ
عَيْشٌ مَبذُولٌ حَالُ
جَزٍ لَّا يَخْدَعُكَ آلُ
نُ وَآمَالُ وَمَالُ
عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَصَالُوا
مَا عَرَا الْقَوْمَ مَلَالُ
مَالُ عَمَالُ عَجَالُ
هُمْ وَتُنْبِيكَ الْجِبَالُ
وَلَدَى الْجَوِّ مَنَالُ
عُظِّمَتْ تِلْكَ الْفَعَالُ
نَفْسٌ لِلنَّفْسِ جَلَالُ

بيديهم لُجْمُ الأَقْـ
يركضُ الدهرُ لديهم
من ثمار القدرة العِلْـ
عيشهم كالنهرِ يجري
كلُّ يومٍ في جديدٍ
وجديدُ المرءِ يُبْلِيـ
ويكادُ الغيبُ يبدو
عرفوا العيشَ ففازوا
إنما العيشُ طموحٌ
بيِّنَ عجزٍ واقتدارٍ
إنما العجزُ هو الذلُّ
قيمة المرءِ مساعبـ
إنَّ أبناءَ الشمالِ
لم يرُعْهُمُ فشلٌ إن
بذلوا النفسَ ليحْظَوْا
قد بروا أهلَ الجمودِ
ويل أبناءَ الجنوبِ اعـ

دارِ يُجْرِيها الصيالُ
مثلما شاءَ الرجالُ
م وفي العجزِ الضلالُ
فهو حالٌ ثم حالُ
كشفت عنه الفعالُ
ه ويفنيه ابتذالُ
لهمُ منه المألُ
إنما العيشُ قتالُ
واعترامٌ واحتيالُ
ضاقَ بالعجزِ المجالُ
إذا اشتدَّ النضالُ
ه إذا عزَّ المنالُ
عمَّروا الأرضَ وصالوا
تَبَطَّ الغرَّ المطالُ
إنما البذلُ نوالُ
مثلما تُبرى النعالُ
تتر بالملكِ الشمالُ

توأم النفس

(الفكرة الأساسية التي بُنيت عليها هذه القصيدة، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية، فيُخَيِّلُ لك كأنك رأيتَهُ وصحبته في حياة قبل هذه الحياة. فتكاد تصدق قول من يقول: إن الروح لا تُخَلَقُ منفردة ولكن يُخَلَقُ معها توأم لها!)

أُخِيَّ وَكُلُّ النَّاسِ صَحْبٌ وَإِخْوَةٌ وَكُلُّ أَمْرِي تَلْقَاهُ فَهُوَ قَرِيبٌ
أَتَذَكِّرُنِي بَلْ لَأَخَالِكُ ذَاكِرًا أَتُذَكِّرُ مَجْهُولٌ لَدَيْكَ غَرِيبٌ؟
جَلَسْتُ عَلَى قَرَبٍ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا إِخَاءٌ وَلَا عَهْدٌ إِلَيْهِ نَوْبٌ
تَحَدَّثْتِي نَفْسِي بِأَنَّكَ خَدْنَهَا وَلِلنَّفْسِ مِنْ وَدِّ النَّفُوسِ نَصِيبٌ
وَأَحْسَبُ أَنِّي قَدْ صَحَبْتُكَ حَقَبَةً مِنْ الدَّهْرِ ذَكَرَاهَا لَدِي تَطِيبٌ
حَيَاةً لَنَا قَبْلَ الْحَيَاةِ رَغِيدَةً إِذِ الْعَيْشُ صَفْوٌ وَالزَّمَانُ أَرِيبٌ
فَنَفْسُ الْفَتَى فِي مَسَلِكِ الْعَيْشِ تَوَامٌ لَهَا فِي الْأَدَانِي تَوَامٌ وَحَبِيبٌ
وَكُلُّ أَمْرِي فِي الْعَيْشِ يَبْغِي قَرِينَهُ وَكُلُّ ضَرْبٍ يَنْتَحِيهِ ضَرْبٌ
فَوَيْحٌ لِنَفْسٍ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَحُبُّهَا وَلِلْقَلْبِ لَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ قَلُوبٌ
جَلَسْنَا وَمَنَا مُرْسِلٌ لِحَظِّ عَيْنِهِ وَآخِرُ مَحْمُودِ اللَّحَاطِ هَيُوبٌ
نَظَرْتُ وَكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ لَكَ سَرُّهَا جَلِيٌّ وَفِي لِحَظِّ الْعَيْونِ خَطِيبٌ
جَلُوتَ لِي النَّفْسَ الَّتِي أَنْتَ رَبُّهَا فَإِنِّي بِأَسْرَارِ اللَّحَاطِ لَبِيبٌ
وَلِحَظِّ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَخِصَالِهِ إِذَا طَابَ نَفْسًا فَالْحَاطِ تَطِيبٌ

وفي لحظِ أهلِ اللؤمِ لؤمٌ وقسوةٌ
وفي لحظِ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقةٌ
فقلتُ لعلَّ القربَ يُدني نفوسنا
وما هي إلا لفتةٌ وبشاشةٌ
فينشأ عطفٌ بيننا وتعارفٌ
وكلُّ وداد لو فطنت تجاربٌ
وما هي إلا لُقيةٌ بعد لُقيةٍ
فنجيا ودوح الودِّ سامٍ وظلُّهُ
يقرُّ بعيني أن أرى الضوءَ والدجى
وهيئاتَ حالتٍ دون ذلك وحشةٌ
فوا حسرتا من نُهزةٍ ما انتهزتها
أسائلُ عنك الدهرَ في كل ذكرَةٍ
أعلل نفسي أن قلبك ذاكري
وأنت بعيدٌ لست تعرف ذُكرتي
وأعجب من هذا اللقاءِ وأمرِهِ
فيا ويح هذا الخلق من كل وحشةٍ
يعيشون كالأشباح في العيشِ حقبةً
وكلُّ لكلِّ لو يفيقون جُنةً
فيا توأمَ النفس الذي أنا ناشدٌ

وفي لحظِ أهلِ المكرماتِ طيبٌ
وعطفٌ وفي لحظِ العدوِّ قطوبٌ
وكلُّ جليس للجليس طروبٌ
تروح رسولاً بيننا وتتوبٌ
ويورق غصنٌ للودادِ رطيبٌ
فمنها مضيءٌ مغدقٌ وخبوبٌ
يظل لها القلبُ الطروبُ يذوبُ
ظليلٌ وروضُ المكرماتِ قشيبٌ
إذا نظرت عيني وأنت قريبٌ
فقمنا وكلُّ عن أخيه غريبٌ
ورحتُ وعيشي من هواك جديبٌ
يكادُ لها عهدُ اللقاءِ يثوبُ
فيكذب ظني والرجاءُ كذوبٌ
ولا أن قلبي من نواك كئيبٌ
وكلُّ لقاءٍ في الحياةِ عجيبٌ
ومن فرصات في الحياةِ تخبِيبُ
لهم كلُّ يومٍ إحنةٌ وحروبُ
وكلُّ لكلِّ منهلٌ وقليبُ
دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيبُ؟

يقنُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ
فيرجى لنا في عيشةٍ بعد هذه
لعل لقاءً يا حبيب يئوبُ
من الحبِّ والودِّ المكينِ نصيبُ!

حلم النفس

ألا يا طلل القلب
لججتُ بحب خوانٍ
ذكيُّ الحسنِ فتانٌ
هو الحلمُ الذي تبغي
فدع حلمًا مضى أبدًا
سرابٌ كان فانقشعت
فهذا الطير صداحُ
ألا يا طائرًا يهوى
لقلبي فيك تحنانٌ
فجددِ دارسَ العهدِ
وأطربني بأحانٍ
وداؤِ غلَّةِ النفسِ
لكي يصبح قلبي منـ
فما بالقلب من كلمٍ
وأغدو بك جدلانا
وأنسى حلم الجذبِ
وقبرَ الودِّ والحبِّ
وفي الوافين من يصبي
فتون الوجهِ واللُّبِّ
فما بالعيشِ من عتبٍ
أُروى القلبُ بالكذبِ؟
خلابة نبتة الجذبِ
شدا في الغصنِ الرطبِ
نضير الروض والعشبِ
يُنير القلبَ أو يُخبي
وجُد لي منك بالقربِ
كفيض الطاهر العذبِ
بما في الحُسن من طِبِّ
ك روض الودِّ والحبِّ
ولما في القلب من ندبِ
خصيب الروض والتربِ
بما في حلم الخصبِ

فإن الحب أحلام
وبعضُ الحلم جلابُ
ألا يا حلم النفسِ
فما في الحبِّ من عيبِ
ألا يا طائرَ الحسنِ
فؤادي لك فردوسِ
وصنُّ لي حسنك الباهِـ
وكن لي خيرَ مصحوبِ
وخيرُ الحلم ما يُصبي
مريرُ الهمِّ والكربِ
أتروي غلةَ الصبِّ؟
ولا بالقلب من ريبِ
أليفَ الروضِ والعشبِ
فطرُّ في جوه الرطبِ
ر من شئِنٍ ومن عيبِ
أكن من خيرة الصحبِ!

زهر الهوى ونبت الفيافي

بين زهر الهوى ونبت الفيافي
جاء نجوى بمن أعز وأهوى
واقفاً بين من أحب وبينني
وزهورٍ من النجوم رواني
ملكٌ من ملائك الرحمن
بيدينا يداه معقودتان

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

ثم خلّى بيني وبين حبيبي
وعقدنا من العناق نطاقاً
ورويانا بالدمع غلّة نفسٍ
كيف يُروى الجوى بدمع صبيبٍ
فاقتربنا اقتراب غير مريبٍ
ما دُهِينا باللوم والتشريبٍ

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

قال لي الناصح الكريم مقالاً
كن أميناً على الفؤاد الأمين
هل جزاء الحبيب إلا وفاءً
خالص من شوائبٍ أو ظنونٍ
في خفوت ورقةٍ وسكونٍ
إنما الحسنُ نهزةٌ للخئونِ

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

ثم ألقى إلى الحبيب مقالاً
كن رعوفاً ووافياً ومنيلاً
إنما المرء ساعة ثم يمضي
وإني خير المقال نصحُ القلوبِ
وطروباً إلى المحب الطروبِ
فاجعلنها في خلوةٍ بحبيبٍ!

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

جنون الأمانى

أيا روضةً الريحانِ مَنْ لي بنفحةٍ
ويا نفحةً الريحانِ هبي مع الصبا
وإنِ بقلبي لوعةً أنتِ هجتها
وما ظمئي للماءِ والقيظِ لافحُ
فيا ظمأً القلبِ الجريحِ وريه
ويا منهلاً الحسنِ الذي أنا حائمُ
ويا واحةً العيشِ الجديبِ أحبُّه
لقد جبتُ هذا العيشَ والعيشُ بلقعُ
وأبصرتُ فيك الماءَ كالخمرِ سلسلاً
وأبصرتُ أثماراً هناكِ وموردًا
فقلتُ لقلبي: إنما العيشُ في الهوى
وقلتُ لقلبي: إنما العيشُ خلسةُ
لئنِ خانني العيشُ الذي كنتُ أرتجي
وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها
فمن لي بماءِ الخلدِ أروي به الصدى
وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ

تخفّفُ من همّي وتشفي فؤادياً؟
فإنِ بقلبي لوعةً هي ما هيا
فقد كنتِ دائي في الهوى ودوائياً
بأوجع من شوقي وحرّ غرامياً
أما جرعة تظفي لهيبَ أوامياً
عليه ولم أروِ الغليلِ الذي بيا
على جذبهِ لو أنّ فيك مقامياً
وأبتُ وما أعقبتُ إلا كلالياً
وأبصرتُ فيك الغصنَ فينانِ زاهياً
لذيذاً فلم أملكِ عليه طماجياً
ولا عيشَ إلا أن تتالَ الأمانياً
من الموتِ لا تبلغه يا قلبُ صادياً
فيا بؤسِ آمالي وطولِ بلائياً
من العيشِ ما يدنو وإنِ كان شافياً
فما الخلدُ إلا نجعتي وشفائياً
فكيف أرى في العيشِ جذلانَ راضياً

وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة
ولو كنتُ ربًّا نافذَ الأمرِ قادرًا
وأفسحتُ في الآبادِ للنفسِ منزلًا
فمن لي بها أمنية ما أجلُّها
حبيبي، لا والله ما الكفر شائقي
ولو أنني ربُّ لما نالك الردى
جمالُك مكلوئٌ بعينِ رعايتي
أزيدُك من زهرِ الصبا وثماره
جنون الأمانِي فيك أحلى من الحجي

ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجياً
لأعطيتُ نفسي سُؤلها وعبادياً
وأثملتُ بالآلاءِ منها الأمانيا
تجيء بأحلامي وترضي خيالياً!
ولكنَّ قولَ النفسِ: يا لَيْتَ ذا لِيَا
ولا قلتُ يوماً: أين مني جماليا
فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشياً
فتزهي بحسنِ فيك كالخلد نامياً
أذُّ الأمانِي ما يجن فؤادياً!

هذا الحبيب

هذا الحبيبُ الذي قد لُمَّتني فيه
فانظر محاسنَه واحذر لواظنَه
وارفق بلبِّك لا تودي اللحاظُ به
هذا الذي يدرك الأعمى محاسنَه
هذا الذي إن رآه الشيخُ عاوده
هذا الذي ضحكات في مباسمِه
تكاد طلعتُه من نورِ بهجتِه
ونعمةُ الحسنِ تهفو في معاطفِه
وظلعةُ الحسنِ فيها قسوةُ جَلُّ
هذا الذي جَمَل الله الحياةَ به
هذا الذي نبضاتُ القلبِ تتبعه
هذا الذي خطرات القلبِ صادحة
فانظرُ لعلَّكَ أن تحظى بنظرتهِ
وربما نظرةُ للمرءِ تسعدهُ
هل الحياةُ سوى مسعىِ تعانيه

يردد اللحظُ بين الدلِّ والنتيه
واحبس فؤادك لا تجري أمانيه
واستبق دمعك لا تهمي هواميه
ويلمس الهالك المودي فيحييه
شرخُ الشبابِ الذي قد راق ماضيه
أحلا لدى القلبِ من دهري وما فيه
إذا رآها مشوقُ الطرفِ تُعشيه
وقسوةُ الحسنِ تبدو في مآقيه
تلوح للعاشقِ العاني فترديه
وعلمَ الروحِ ما تحوي مراقيه
ومهجةُ المرءِ تسعى في مساعيه
مثل الطيورِ إذا غنَّت تناجيه
فربما نظرةُ للمرءِ تشفيه
وربما نظرةُ للمرءِ تشقيه
ومطمحُ النفسِ تبغيه وتدنيه

أحلام الصيف

إذا ما دعنتي النفسُ يوماً لريبةٍ
ذكرتُك كيما تحدث النفس عفةً
وذكرك يثني ناظريّ عن الخنا
فأنت سميري في صحابي وخلوتي
فلا تبتعد عني فبعدك فتنةٌ
فأنت جميلٌ كالنهار وضاءةٌ
وأنت جميل كالزهور نضارةٌ
فيا آية الكون الذي أنت عطره
أظن نجوم الليل تزهو لكي ترى
وعذبت قلبي في يديك ضلالةً
فجد لي بيومٍ من لقائك صالح
تعال أعلمك الهوى ما فعاله
ولكنني أخشى عليك من الهوى
فإن الهوى مثل المدامة مُسكرٌ
وأخشى عليك العيش فالعيش فتنةٌ
فما أنت معصوماً من الشرِّ والأذى

تراودني حتى تلجّ وتستشري
فذكرك يثني النفس مني عن الشرِّ
ويسعد نفسي بالفضيلة والطهر
وأنت هدى نفسي على السرِّ والجهر
وقربك قربٌ للمكارم والخير
وأنت جميلٌ كالكوكب والبدر
وفيك جمال الأفق في وضح الفجر
كذاك جمال الروض يُحمد في العطر
محاسن من مرآك في الأنجم الزهر
كما يلعبُ الطفل المدلل بالطير
فقد ضاع عمري في القطيعة والهجر
لكيما ترى السرَّ الجليل من الأمر
إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمر
وإن الهوى كأسٌ أمرٌ من الصبر
وأخشى عليك الشرَّ يطرق بالضرِّ
ولا أنت معصوماً من السوء والمكر

من الشرِّ أمرًا كان منه على قدرِ
فإني سمعتُ الحبَّ يخفق في صدري
تزول ويبقى منه حسنك في شعري
وما كنت تبديه من الصّدِّ والغدرِ
إذا صرتَ منسيًّا كأمسِكَ في العمرِ
أراها على وجه الخليفة كالسترِ
لتجمع ما بيني وبينك في السرِّ
دعاءً لهيفِ ذي لواحج مضطرِّ
فينسأكِ إلا أن يغيبَ في القبرِ
عسى تلتقي روعي وروحك بالذكرِ
لوجهك إن الزهرَ يُعرفُ بالزهرِ
فوجهك مثلُ الزهرِ يضحك من بشرِ
فكل ضئيلِ النفسِ يفخر بالشرِّ
وأخفِ جنوني فيك بالصبرِ والكبرِ
ولكنما الذكرى أمرٌ من الصبرِ
لديك فإنَّ الشوقَ ضربٌ من السحرِ
فإنك مقدود الفؤادِ من الصخرِ
أرقت كئوسَ العمرِ من طرب السكرِ
سواسية ما يأكل الدود في القبرِ

وكل امرئٍ في العيش لا بد فاعلٌ
لقد خلتُ أنَّ الحبَّ طيرٌ مغرِّدٌ
إذا زال عنك الحسنُ والحسنُ دولةٌ
ندمت على الهجران في غير علةٍ
وهيهات أن تسري لحاظك بالهوى
كأنَّ على الأفاق بعدك وحشةٌ
أبيتُ أنادي الجنَّ في مستقرها
دعاءً الفتى سحرٌ وأبلغ دعوةٍ
دعاءً الذي ما من نزوع لقلبه
فلا تتسَّ ذكري مثلما أنا ذاكر
أحبُّ من الأشياءِ ما كان مشبهًا
فأرسل إليَّ الزهرَ منك علامةً
ولا تفخرنِ إنِّي جُننتُ محبةً
ودعني أمنَّ النفسَ عطفًا ورحمةً
فليبتك حلم الصيفِ يحلو لحالم
أعللُ نفسي أن شوقي نافعِي
وهيهات لا تجدي لديك شفاعة
حسوتُ كئوسَ الحبِّ طرًّا وإنني
فلا تعذلا قلبي لاسراف نشوة

سيذكر هذا الدهر أمري وأمركم
لقد كان قلبي عاطلاً فحبوته
وقد كان قلبي أخرسَ الفم أبكما
فمن لي بأسماع تعي ما يقوله
ألا إن هذا الدهر أوتارُ شاعرٍ
ألا إن قلبي روضة الشعر والهوى
يحرِّك أغصان الخميعة مرّة
فقد خُطَّ شعري في الصميم من الدهرِ
عقود معانٍ لا تطوّقُ بالنشرِ
فأصبح يشدو بالجليل من الشعرِ
فحولي أناس كالجماد من الوقرِ!
وشعري أحلى للنفوس من الخمرِ
ومنك نسيم الحبِّ يعبث في صدري
فيوقظ أنغامي ويحمل من نشري!

فتنة الظهر

يا غلة القلب المشوق الصادي
سل عني الليل البهيم وطوله
أتخال أنك قد كشفت سرائري
أو ما علمت بأن طهرك باعث
يوم يخال الظن فيك نقيصة
لا بل يجيء بحسرة وندامة
لست الخليق بأن تُنال محبتي
النفس أعظم أن تحب نوي الخنا
إني أريدك كعبة لا حانة
طهر الحبيب يزيل هم محبه
السعد أظهر أن ينال بخسة
خير الهوى حب الفضائل والنهي
ظن الفتى كفعاله ومقاله
لا ترميني بالدنية باطلا
حب النقيصة إثر مذمومة
وهي المحاسن ألفة ومودة

كم ذا البعاد فقد أطلت بعادي
وسل الوساد فما قربت وسادي
وتظن أنك قد سبرت فؤادي
شوقي ومور من هواك زنادي
يوم يجيء براحتي ورقادي
ويزيد من غصص الزمان العادي
إن لم تُنل من عفة ورشاد
أو أن تجل مظنة لفساد
إن الدنيا جمة الوراد
فكأنه القمر المنير الهادي
شوهاء رهن حوائج الأجساد
ومودة الأمثال والأنداد
وخصاله من مضمرة أو بادي
فتكون أنت مظنة الحساد
يغدو لها الخلان كالأضداد
وتناصر كتناصر الأجناد

انظر لِنفسي في خِصالك صادقاً
فاذهب كما ذهب الوباء مُبَغَّضاً
وَإِذَا وَجَدتَ محامداً ومحاسناً
أقبلُ كإقبال الربيعِ محبباً
الطيرُ تشدو في الرياضِ محبةً
والغصنُ كالنشوانِ مِنْ ولِهِ بِكُمْ
والريحُ تبكي شجوها بأنينها
والنجمُ يومضُ عاشقاً لجمالكم
وكواكبُ الفلكِ المدارِ رواقصُ
والشمسُ صفراءُ الجبينِ مريضةُ
أنت الذي فتنَ الوجودَ جماله

فإذا وَجَدتَ مغامزاً لأعادي
نكب الأنامَ وفَتَّ في الأعضاءِ
خلصتَ من الأُدناسِ والأحقادِ
تتني عليه ألسنُ الحَصَّادِ
تدعوك بالتغريدِ والِنشادِ
هزَّ الزهورَ بقَدِّهِ الميَّادِ
حتى الرياحِ عليكِ من حسادي
نظر المحبِّ إلى الحبيبِ البادي
طرباً فحبُّكَ زادها والحادي
والبدرِ شيبَ بياضه بسوادِ
يا غلَّةَ القلبِ المشوقِ الصادي!

في الفردوس

شريد اللبِّ هامِي الدمع عاني
تُرْتَلُّ حوله الأملأكُ أَيَا
ونورُ الخلدِ وضاءً عليه
تظَلُّ النفسُ منه في ربيعٍ
تظَلُّ النفسُ تمرُّحُ في رباه
تجلله ثمارٌ في غصونٍ
بأية شقوةٍ قد رُعَتَ حتى
يظَلُّ الناسُ حولك في نعيمٍ
نفوسُ الناسِ في دعةٍ وأمنٍ
فيا بؤسًا ويا تعسًا لصدِّ
دماؤك في العروق لها لهيبٌ
وأنفاسٌ تصعدها طوال
تمدُّ إلى وجوه القومِ لحظًا
وليس الحب إلا حب صب
وليس الخلدُ إلا قرب خلٍ
ستصبر منه في الفردوس وجهًا

نَبَتَ عيناه عن زهرِ الجنانِ
وطيرُ الأيكِ تصدح بالأغاني
ينير الزهر من حدق الحسانِ
مذاع العطر محمود الزمانِ
وتبصرُ حولها حلمَ الأمانِ
قطوف بين قاصيه وداني
فؤادك ليس ينعمُ بالأمانِ
وقلبك كالكليمِ من الطعانِ
ونفسك بين حلقك واللسانِ
شقيِّ في الفراوسِ والجنانِ
كأنَّ دماك ريقة أفعوان!
ووجهك شاحبٌ والدمع قاني
وتتشدُّ صنوَ نفسك والجنانِ
يحن على القطيعة والليانِ
جميل النفسِ محمود العيانِ
عميمًا حُسْنُهُ جَمَّ المعاني

يسلّ الضغن لا واشٍ فيخشى
فطرفُ منك معقودٌ بلحظٍ
يدُ بيدٍ وقلبٌ قرب قلبٍ
تحبيك الملائكُ بابتسامٍ
فقلْ للطير تصدح في رباها
ولا صبّ يروّع بالشنانِ
وطرف منه معهود البيانِ
وسرُّ النفس ما توحى اليدانِ
وتطربك المثالث والمثاني
فطيبُ اللحن في طيب الزمانِ!

حلم الفردوس

أبحرم حتى نظرتي وسلامي
أقيموا كما شئتم على الصدد والجفا
أعلل نفسي باقتراب ولقبة
فإن طرقتك الريح يوماً بأنة
ولو أنني في القبر ميت وزرتي
وإني إذا ما اعتادني الهم والأسى
وأشعرت ذل العيش حتى قليته
وأصبحت أرجو الموت من سورة الأسي
أبين لنفسي صورة منك غضة
ويفرح قلبي بعد يأس وحسرة
وفي ذكركم روح الحياة وطيبها
قنعت بذكراكم وبالطيف منكم
لقد كنت أشكو الحب حتى رأيتنه
فيا حلم الفردوس حبك ذكرة
ورثنا ولو عا بالنعيم وطيبه
وكل مرام نرتجيه تذكر

وحتى حنيني نحوكم وهيامي!
فإنكم لا تصرفون غرامي
وليس اقترابي منكمو بحرام
فقد سار في ذلك النسيم سلامي
لحيثك من تحت الرجام عظامي
وأبغضت في هذي الحياة مقامي
وقد بان حتى راحتي ومنامي
ولم تشف من داء الهموم مداми
فأنقع من ذلك الخيال أوامي
فقربك فيه راحتي وجمامي
ومراك فيه نهلتي وطعامي
إذا جاد طيف منكم بلام
دواء همومي كلها وسقامي
لأيام عيش في الجنان وسام
وعيش قديم قد مضى بسلام
لعهد جنان قد مضى ومرام

أكاد أرى الفردوسَ خضرًا غصونه
وأبصر فيه الضوءَ لا ضوء مثله
وأسمع فيها الطيرَ تشدو فأنتني
فأوي إلي عهدٍ مضى ثم أنتني
وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبه
سراب طماح المرء في غير كنهه
فيا ليتني في الريف لا شيء شاغلي
ولو أنني في الريف ما فاتني الأسي
حبيبي إن خُبرتَ أني بحسرة
فأرسلُ خيالًا منك يأسو لواعجي
معيني على الأحزان لا مسك الأسي
أريد على الأيام عونًا من الهوى
أجلُّ مرامٍ في هواك أرومه
وإنَّ هيامَ المرءِ فضلٌ وفطنةٌ
فيا حُلْمَ الأحلام هل لك عطفة
وأحيا حياةً من هواك سعيدةً
ولو ردَّ هذا الموت شيء لرده
فحبُّك حلمٌ بالخلود لعاشقٍ

فليت مقامًا في الجنانِ مقامي
له بهجةٌ في زهرها المتسامي
وقلبي من ذكرى الفرادس دامي
إلى مقبلٍ من دهرنا المترامي
فيا ليت أوراق النعيم خيامي
وما هو إلا مثل حلم نيامٍ
من العيش إلا غلتي وسوامي
ولا برئت نفسي وطاب منامي
وأنِّي في أيدي الخطوبِ زمامي
كما لاح صبحٌ من وراء ظلامٍ
ولا نالك الدهرُ الخئون بذامٍ
فأي مرامٍ يا حبيب مرامي
وأعظمُ سُكرَ العاشقين هيامي
إذا كانت الأخلاق غير لئامٍ
فتروى لحاظٌ من جفاك ظوامي؟
وأقضي وهل حبُّ يردُّ حمامي؟
تصرمُ عامٍ في هواك وعامٍ
فلولا الردى بشرته بدوامٍ

الجمال المنشود

رأيتُ في الحلم وجهًا منك أعبدهُ
توجت نفسك بالأفلاك مكرمةً
فإنَّ وجهك بدرٌ يستضاء به
فقتت أملًا عيني من محاسنكم
إن راقب الناس في الأفلاك طالعهم
وإن طرفك نجم الحظ أرقبه
وقمتُ في الحلم أسعى نحو حالية
لنور وجهك فيها بهجة أبدًا
يا جنةَ الحلم كم لي فيك من أرب
أصفيت قلبي فلا والله ما سكنت
ويا هلالًا أرى في النفس طلعتة
وكيف يقبح عيشٌ أنت بهجتته
يا بدر إن أخاك البدر يؤنسني
البدرُ في أفقه أدنى لناظره
يلقي إليَّ بنور من أشعته
وأنت في العيش حلمٌ لست أدركه
وفوقه من نجوم الليل تيجانُ
كما يُتَوَجُّ بالأزهار جذلانُ
إذا بدوت ووجه الأفق غيمانُ
وأنهل القلب منكم وهو صديانُ
فإن عينيك لي سحرٌ وتبيانُ
سعدٌ ونحسٌ وإحسانٌ وحرمانُ
من الخمائل فيها الغصنُ فينانُ
فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدانُ
يا طيبه لو دنا والدهر نيسانُ
بين الأضالع أحقادٌ وأضغانُ
أضئُ حياتي فوجه العيش طحيانُ
وكيف يدجو ولم يدركك نقصانُ
فالصبُّ والبدر والظلماء خلانُ
منكم فما لكم عطفٌ ولُقيانُ
حتى أبيت وضوء البدر ندمانُ
لم يدنني منه تطلاب ونشدانُ

وأنتَ للحسنِ جَنِيٍّ فَتَيْهِ مَرَحًا
يا غَايَةَ العَيْشِ وَالآمَالِ قَاطِبَةً
ما كُنْتُ أَحْسَبُ حَسَنًا أَنْتَ لِابِسِهِ
فذاك حَسَنٌ عَزِيزٌ مَعْجَزٌ أَبَدًا
هل أَنْتِ طَيْفٌ خِيَالٍ زَارٍ فِي سِنَةِ
أَمْ كُنْتَ مِنْ جَنَةِ الفَرْدُوسِ فِي وَطَنِ
أَيُّ الكَوَاكِبِ قَدَمًا كُنْتَ سَاكِنَهُ
أَمْ كُنْتَ فِي الأفقِ نَجْمًا لَمْ أَقُولْ لَهُ
وَكَيْفَ أَجِدُ هَذَا الكونَ خَالِقَهُ
أذْكَرُ حَبِيبِي أَنْ المَوْتَ غَايَتُنَا
لَمْ لَقِيَهُ بَعْدَهُ تُرْجَى وَلَمْ صَلَّةً
أَلَمْ يَعْلَمْكَ وَقَعُ الخُطْبِ مَرْحَمَةَ
هِيَهَاتَ لَمْ يَرْحَمِ المَسْكِينِ ذُو تَرْفِ
يَا نَاعِمَ البَالِ مَا لِي رَاحَةَ أَبَدًا
وَرَاقدِ اللَّيْلِ لَيْلِي لَسْتُ أَرْقَدُهُ
اسْتَجِدْ لِي رَحْمَةً وَانظُرْ إِلَيَّ بِهَا
لَمْ تَحْسَبِنِ قُلُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً
لَمْ عَيْبَ فِي الطَّيْرِ لَمْ يَأْنَسْ بِعَاشِقِهِ
لَمْ عَيْبَ فِي الزَّهْرِ إِنْ أَرْدَى بِنَكْهَتِهِ
وَأَنْتَ لِحَسَنِ جَنِيٍّ فَتَيْهِ مَرَحًا
وَمَطْلَبًا لَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِهِ شَأْنٌ
يُنَالُهُ بَيْنَ هَذَا الخَلْقِ إِنْسَانٌ
صَنَعَ المَخِيلَةَ لَمْ يَحْوِيهِ جِثْمَانٌ
فإِنَّمَا المَرْءُ فِي دُنْيَاهُ وَسُنَانٌ؟
لَكَ المَلَائِكُ إِخْوَانٌ وَخُلَصَانٌ؟
قَدْ نَابَهُ مِنْكَ هَجْرَانٌ وَفَقْدَانٌ؟
إِنْ السَّمَاءُ لَزَهْرِ النَّجْمِ بَسْتَانٌ؟
وَفِيكَ لِلَّهِ آيَاتٌ وَبِرْهَانٌ؟
وَأَفَةُ الحَسَنِ أَكْفَانٌ وَدِيدَانٌ
وَلَمْ دَلَالٌ وَلَمْ لَطْفٌ وَتَحْنَانٌ
أَمْ كُلُّ عَيْشِيكَ أَزْهَارٌ وَأَغْصَانٌ؟
مَنْعَمَ البَالِ لَمْ يُوْذِيهِ حِدْثَانٌ
وَفَارِغَ القَلْبِ قَلْبِي مِنْكَ مَلَأْنُ
فَالقَلْبُ مِنْ حُبِّكَمُ وَالطَّرْفُ سَهْرَانُ
أَلَيْسَ فِي النَّاسِ حُسْنَانٌ وَحُنَّانُ؟
أَشْبَاهَ قَلْبِكَ أَحْجَارٌ وَصَوَانُ!
وَأَنْتِ كَالطَّيْرِ جَذْلَانٌ وَغَفْلَانُ
وَأَنْتِ زَهْرٌ وَبَعْضُ الحَبِّ ذَيْفَانُ

لا عيب في الماء لم يبلغه طالبة
لا عيب في الضوء أعمى مقلة نظرت
لا عيب في النار أن النار محرقة
إني أعلمك الأعدار من سفه
بالله لا تتخذ حُبِّيك معذرة
النار ليس لها قلبٌ فنعدلها
لو تشعر النار لم تعنف بلامسها
لولا المصائب والآلام قاطبة
وليس نظمي للأشعار من عبث
وإن شعري نفسُ فيك هالكة
فارحم شجونَ فؤادِ طالما صدحت
يا نائي الروحِ رُوحِ منك دانية

فأنت ربي وقد أخطاك ظمانُ
فأنت نورٌ وطرفي منك عشوانُ
الحسن نارٌ وقلبي منه حرَّانُ
يا بؤس نفسي إن أقصاك هجرانُ
في الهجر ما لي على الهجران أعوان
لكن نصيبك وجدان وأشجانُ
أو تألم النار لم تحرقك نيرانُ
ما كان في الناس إشفاق وإحسانُ
فإن شعري قلبٌ منك ولهانُ
وإن شعري أشواقٌ وتحنانُ
فالقلب طيرٌ له في الحسن أوكانُ
وصاحي القلب قلبي منك نشوانُ

(أرسل حضرة الأستاذ الجليل حسن أفندي فهمي المحامي هذه الأبيات الرائقة إلى صاحب الديوان):

أنظلم أيامي ووجهك شمسها
هجرت قلبي قلب تكلى حزينة
وأظمأت زهراً للمودة ناضراً
وحدتني عنك الفؤاد بسلوة

وتجذب آمالي وأنت تليها؟
أصاب الردى يوماً جميع بنيتها
سأروي بدمعي زهرها وأقيها
فأضحى فؤادي للفؤاد كريها

فما سَمِعْتُ أُنْذِي لَشُكْرِي بِسَابِقِ
إِذَا قَالَ شَعْرًا خَلْتَهُ قَالَ آيَةَ
إِذَا أَنْزَلَ الْأَشْعَارَ فَالْدَهْرَ سَاجِدِ
لِيَالِيكَ أَشْهَى لِلنَّفُوسِ مِنَ الْمُنَى
وَلَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ قَطَّ شَبِيهَا
هِيَ السَّحْرُ فِي الْأَبَابِ مُسْتَمْعِيهَا
لَمَنْزِلِهَا جَآثٍ لِمَتَّبِعِيهَا
أَلْذُ اللَّيَالِي مَا رَأَيْتَكَ فِيهَا

(فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة):

منى النفس

مُنَى النَّفْسِ أَنْ تَحْيَا وَأَنْتَ هَوَاهَا
وَإِنَّ مَمَاتِي فِي هَوَاكَ حَيَاتِهَا
فِيَا مَطْمَحِ الْقَلْبِ الطُّلُوبِ مَوْدَةَ
كَأَنِّي إِذَا مَا غَبْتَ أَضَلَلْتُ هَادِيًا
فَأَطْلُبُ نَهْجَ الرَّشْدِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَإِنْ لَحْتَ لِحَاكِ الرَّشْدِ حَتَّى كَأَنَّنِي
لَقَدْ عُلِّقْتُ نَفْسِي بِكُمْ قَبْلَ قُرْبِكُمْ
فَكَنْتُ كِرَاءٍ فِي الْكُرَى زَهْرِ جَنَّةٍ
فَكَانَ عَلَيَّ وَعْدٌ مِنَ الْحَلْمِ مَا أَتَى
وَيَا جَنَّةَ الْأَحْلَامِ طَالَتْ فِرْعَوْنَهَا
فَأَنْتَ حَبِيبِي مَا حَبِيبٌ وَإِنَّمَا
فَإِنَّ جَنُونِي فِي هَوَاكَ هَدَاهَا
وَإِنَّ سَلْوِيَّ عَنِ هَوَاكَ رَدَاهَا
سَلَاهَا فَلَمَّا أَنْ رَأَى بَغَاهَا
رَشِيدًا وَعَيْنِي مَا يَزُولُ عَمَاهَا
وَأَنْكُتُ فِي أَرْضِ الْعِرَاءِ ثَرَاهَا
بَصِيرٌ دَرَى الْأَشْيَاءِ حِينَ رَأَاهَا
فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِ اللَّقَاءِ مَنَاهَا
فَلَمَّا تَمَشَّى فِي الصَّبَاحِ أَتَاهَا
فِيَا حَلْمِ نَفْسِي هَلْ تَزِيلُ صَدَاهَا؟
حَبِيبَ لِقَلْبِي مَاؤَهَا وَشَذَاهَا
مُنَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ هَوَاهَا

فواهاً على العهد القديم الذي مضى
وخيرُ لياليّ التي أنت حلمها
وخيرُ لياليّ التي أنا ذاكر
وخيرُ لياليّ التي أنت بدرها
وخيرُ لياليّ القصار بقربكم
فيا بدر إنَّ الليلَ بعدك مظلمٌ
فربَّ ليالٍ هُنَّ ذات قرابة
بكاهها فلما لم يرَ الدمع نافعاً
أريد من الأيام ما لستُ مُدرِكاً
فقل لطموح النفس حتّام نحسها
أحبُّك يا دنيا على البعد مثلما
ألا فاسقني الأيام إنَّ كنوسها
لعمرك إنَّ العقلَ يُفضي إلى الأسي
وكيف ترجّي العدلَ في قول حالمٍ
عسى أن يصيبَ النفسَ صبرٌ يحوطها
أخشى طروقَ الحادثات ولبثها
شقيتُ بنفسي شقوةً لا أطيقها
سلاها علام الخوف من كل حادثٍ

وواهاً على عهد الأحبّة واهّا
وما زان طيف من لُدُنك كراها
وشرُ الليالي ما أبيت أراها
وقد شُقَّ عن وجه السماءِ دجاها
أرى بدأها يهدي إليّ ضحاها
فهل ليلة لي من سناك خلّاهها
لقلب شجيّ إن عدته بكّاهّا
تأسى وفي النفس اللجوج شجاها
هوى كل نفسٍ أن تتال مداها
كفاها من العيش القليلُ كفاها
أحبُّ هلوگًا قاربت فقلّاهّا
تقرّب من نفس التعيسِ رداها
فمن لي بنفس ما يبين حجاها؟
تطلب دنيا حلمه فشكاها؟
وتهدأ من نحس الحياة عساها
كأن الليالي لا تدور رحاها؟
فمن لي بنفس في الحياة سواها؟
وحتّام يضيئها الرجاء سلاها

* * *

ولولا نميرٌ من وداك طاهرٌ
لمتٌ ولم أظفر بخلٍ مصادقٍ
أبا الفهم أن السحرَ ما أنت قائلٌ
إذا قيلت النكباءُ كنتَ جلاءها
فيا مدرها لا مدره اليوم مثله
خصيمي دهر ليس يرضى خصيمه
ولي عند هذا الدهر حق أضاعه
وكم موقفٍ تقري به كل بطلّة
فقم هاتِ لي حقي من الدهر إنما
فإنك يوم الحشر لو قمت دافعاً
فإن بياناً منك يقصي جهنماً
تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ
أدُنْ هذه الدنيا بما أنت ربه
أما إنها لو ألحقت بمسامع

مزجت بنفسي ماءه فشفاهها
يعلل نفساً قد أطيل صداها
فهبيّ لنفسي من لدنك رقاها
وان قيلت الجلى فأنت فتاها
أتحتَ لقلبي نهلةً فحساها
وكم حادثات لا تسوغ قضاها
وكم من ديونٍ لي عليه لواها
كأنّ خميساً من لدنك غزاها
حقوقى أمانيّ لديه حماها
جنايةً جانٍ ما يخال جناها
عن المرء حتى ما يخاف لظاها
وأفحش ما تقلى النفوس رباها
فأنت خليق أن تزريح خناها
لأدركها مما تقول هداها!

قريب بعيد

لقد عاود الطيرُ المغرُدُ روضَه
وهل عادَه زهُوُ الحِياةِ وطيبها
إذا الطير لم يأنس ولم يبِدِ عطفَه
ولما خيرَ في نيلِ الودادِ بشافعٍ
لقد كنتُ أبغي منك أنسا وألفَه
وجئتَ فلم تظهرِ إخاءً وعطفَه
ولحظُ العيونِ الفاتناتِ بشاشَه
وزرتَ فلم تأنس كأنك لم تَزُرْ
ولم أرَ في عينيكِ إغراءَ عاطفٍ
لقد كان في عينيكِ شكٌّ ووحشة
ولم تتبسطِ بالمزاحِ توددًا
فكلُّ مزاحٍ منك أنسٌ أحبُّه
فلا أنتِ مشتاقٌ ولا أنا شائقٌ
فاينِ ابتسامِ كنتِ أهوى وميضه
تحدثني عيناكِ أنكِ مبغضِي
أحبُّكِ حبًّا لستِ أهلاً لمثله
فهل هو مخضِرُ النباتِ قشيبُ؟
وكلُّ حِياةٍ بالحبيبِ تطيبُ؟
فما بينِ أغصانِ الرياضِ رطيبُ
إذا أنتِ لم يطربِ إليكِ حبيبُ
وكلُّ أديبٍ للأديبِ طروبُ
فإنِ بشاشاتِ الوجوهِ تصوبُ
ولحظِ العيونِ العاشقاتِ نسيبُ
ورُبَّ بعيدٍ وهو منك قريبُ
ويا رُبَّ لحظٍ للمحبِّ طبيبُ
ألا إنَّ الحاظِ العيونِ خطيبُ
وما كلُّ مزحٍ في الودادِ يريبُ
وماءٌ طهورٍ لا يعافِ شروبُ
وكيف يشوقُ القلبُ وهو كئيبُ
وأين ضياءُ في اللحاظِ خلوبُ
فكلُّ ودادٍ بعدِ ذاكِ كذوبُ
وما كلُّ حبٍّ للجمالِ يطيبُ

فإنك لا برُّ لديك لآملِ
فنفسك مثلُ القبرِ قبْحٌ وظلمةٌ
فلا تتركني بين يأسٍ ومطمعٍ
ودعني أمت أو أحيَ دهرًا كميتٍ
وإني خليق أن أبوءَ بسلوّةِ
رضاك ولاءٍ ودًا لديك أصيبُ
وحسنك غصنٌ في القبورِ جديبُ
إذا لم يكن لي من هواك نصيبُ
تعدته عوَادَ ومَلَّ طيبُ
إذا أنا لم يعطف عليَّ ضريبُ

* * *

وأهوى رقيقًا ذاكِ الروحِ والنهى
فيا خالقَ الألحانِ جدُّ لي بمنطقِ
لأطرب قلبًا لا يلين لمطربِ
أظلُّ إذا ما غبت عني كأنني
شفيعي إليكم في المحبة أننا
ولو كنتَ تدري كنه حسنك كله
وعربت من سكر الجمالِ وإنه
ولو جنَّ إنسانٌ من الحسنِ كُنَّته
ولو كنتَ تدري سرَّ حبيّ كله
وما في الورى مثلي عليهم بحسنكم
أبيتُ أناجيكم على بعد داركم
وأطعمه زادي وأسقيه خمرتي
وأجلسه جنبًا لجنبي وإنني
وما لي سواكم في الحياة طليبُ
وجدُّ لي بلحنٍ من لدنك يذيبُ
ألا كل شادٍ للجمادِ يخيبُ
يتيمٌ غريب في الحياة سليبُ
كلانا يتيمٌ في الحياة غريبُ
عذرتَ ولم يعنف عليك رقيبُ
لسكرٌ إذا فكَّرتَ فيه يطيبُ
فأنت فريدٌ في الجمالِ عجيبُ
لما خلت أني في هواك مريبُ
فإني بأسرارِ الجمالِ لبيبُ
وأدعو خيالًا منكم فيجيبُ
وأبغيه في الظلماءِ وهو قريبُ
إليه وإن طال البعادُ أعوبُ

وأسأله عن حاله كيف حاله
نظمتُ معاني الحبِّ فيكم جميعها
ولم يَبْقَ إلَّا أَنْ أُجَنِّ بحبكم
كأنكم طيفٌ لَطِيفٌ يزورني
ولي منه إلفٌ شائقٌ وجنِيبُ
فلم يَبْقَ منها شاردٌ وغريبُ
وتُهلك قلبي زفرةٌ ونحيبُ
فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تتوبُ!؟

عشيق القمر

(وهي أنشودة من أناشيد الصيف والليل والقمر.)

نشر البدرُ على داركمو	خلعًا والدارُ تزهو بالضياء
في ليالي الصيفِ حيث القلب من	شجوه بين التمني والرجاء
إن بيئًا أنتمُ سكانه	لخليق ببهاءٍ وسناء
لخليق أن يبيت البدر فيه	ساطعًا بين عراص وفناء
أحسن الضوء على داركمُ	ما ديار الحي عندي بسواء
يخشع الطاووس من حسنكمُ	ويبيت البدر مسلوب العزاء
فكانَ البدرَ من حُبِّكمُ	حائرٌ يقطع أرجاء السماء
فهو مثلي هالكٌ من حُبِّكمُ	وهو مثلي بين يأسٍ ورجاء
ويطلُّ البدرُ من طاقاتكم	ويحييكم بالأحاط بطاء
بسَطَ البدرُ على فرشِكُمُ	حُلَّةً فضيةً شتى الرِّواء
وعلا وجهكم منه ضياءُ	كضياءِ الظهر محمود الوضاء
وهو في أحلامكم آفاقه	وجهه في حلمكم جمُّ السناء
وهو في أحضانكم ذو سِنَّةٍ	ليس يشقى فيكمُ بالرقباء
ليتني يا بدر ضوءٍ ساطعُ	منك في دارِ ضنين باللقاء
فأراه وهو عني غافلُ	ليس يلقاني بعذلٍ أو عداء

أَقْضِي العَمْرَ فِي هَجْرِكُمْ
يا دواءِ القَلْبِ مِنْ أَسْقَامِهِ
خائِبًا بَيْنَ صَباحٍ وَمَساءٍ؟
يا لِيالي الصيفِ عودي بالهوى
كيف ترمي القَلْبَ بالذَّاءِ العِياءِ!
يا لِيالي السعدِ عودي بالمنى
كم عدتتا عنك أيامَ الشتاء
قد تمادى حكم أيامَ الشقاء!

الحب والرحمة

لما رأيتم حياتي في اقترابكم
بننمُ فلا رحمة فيكم أو ملها
فادعوا لي الله أن أنساكم أبدا
حسبي الذي قد عناني من جفائكم
والله لو متُّ من شوقٍ ومن كمدٍ
ولا عناكم مماتي في محبتكم
ولو جُننتُ لما اهتاجتُ لواعجكم
أبعد ما قد بدا لي من عداوتكم
يا طارقَ الموتِ فيك الأمن أنشدُهُ
وأن بُعدكمو والموتِ سياتِ
ولا تحسُّون ما بثي وتحناني
وأن أبيتَ على صبرٍ وسلوانِ!
وقسوة كمننتُ في صخر صوان
لما بللتُم بماءِ الدمعِ أكفاني
بل كان حظي من سخرٍ ونسيانِ
ورحمتُ بين مزهوّ وجذلانِ
تبدون للناس من صحبي وإخواني؟
فأنت أرحمُ من صحبي وخلاني!

أملح الناس

ألا يا أملح الناسِ
لقد حلَّلتَ إِيحاشي
ألا يا أملح الناسِ
وهل تزهد في حبي
أما يقدر أن يرحـ
أبيتُ الليلَ سهراناً
وأقضي اليوم في همِّ
وقد حبَّبتَ لي الموتَ
سينعاني لك الموتُ
فهل يهنيكم موتي
وأن أدرج في قبري
فمن يصدح بالشعر
ولو أني دعوت البذ
لحيَّاني ولبَّاني
وأدعوك فلا تدنو
ألا يا أملح الناسِ
وطاق الوردِ والآسِ
وقد حرَّمتَ إِيناسي
أما لي فيك من آسي؟
وما بالحبِّ من باسِ!
مَ قلبي قلبك القاسي
على همِّ ووسواسِ
أريق الهمَّ في الكاسِ
فهل يهنيكم ياسي
وأحسوه مع الحاسي
وأن تركد أنفاسي؟
قتيل الحب والياسِ؟
ومن يسخر بالناسِ؟
رَ جهراً غير إِيلاسِ
على العينين والراسِ!
وأنت الغافل الناسي
وطاق الورد والآسِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

لقد خلفني الحبُّ
وقد مزقني الحبُّ
صموتًا بين جُلّاسي
بأنيابٍ وأضراسٍ!

ذكرى الحبيب الأول

ذكرى الحبيب الأول
أورى هيامك يا فؤا
فدع الشجون لأهلها
أصبحت ربعا دارسا
ولقد عهدتك أهلا
وعهدتُ فيك الحب بيـ
يا قلبُ هل من مرجعٍ
هيهات ليس بعائدٍ
أصبحت كالقبر الذليـ
من بعد ما قد كان حبُّـ
فثملت من شجوٍ ومن
وتقول إن أملٌ بدَا
قد كان يعجبك الدلا
أصبحتَ لا أملاً ترَا
كأسُ الحياة تمجُّها
في كل يومٍ لوعةٌ
أم لحنُ شدو البلبِلِ؟
دُ وكنت عنه بمعزلِ
ليس الزمانُ بمقبِلِ
بين الصبا والشمالِ
بالحبِّ غيرَ مُعدَّلِ
من مُنورٍ ومكَلِّ
ذاك الزمان المنجلي
عهد الهوى المتحملِ
لـ وكالظلام الأليلِ
كـ كالرحيقِ السلسلِ
يعشَقُ كعشَقك يثملِ
يا لبيت ذلك كان لي
ل وعزة المتدلِّ
هـ ولما رضا المتجملِ
كالشهد شيبَ بحنظلِ
بين الضلوع كمرجلِ

ترضى بعيش مذل	حتام أنت معذب
بِ فَعِشْ كَقَفْرٍ مَمَحِلِ	ولقد ظمئت إلى السرا
يرضى بحبٍ مضلل	هذا جزاء معاند
من بلهفة المتعجل	ويذوب إثر الغادريـ
حظ قلبه كالجنديل	ويحبُّ سحار اللوا
د فما السراب بمنهل	فاكتم حنينك يا فؤا
أعياك من متغزل	ودع النسيب فسحره
ينأى بقلب معضل	إن الذي أحببته
أشجاك شدو البلبل؟	يا قلب ما لك خافاً

(أرسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادي هذه الأبيات البديعة إلى صاحب الديوان):

دامي الفؤاد أحان أنت أم جان؟	يا شاعر القلب رفقا انني وصب
فقد غدت أشبه الأشياء بالفاني	رفقا فلي مهجة إن لم تكن فنيت
والشعر خير دواء المدنف العاني	قرأت شعرك كي آسو به حزني
مصدوعة وفؤادٍ جدّ حران	فهاج شعرك ما بي اليوم من كبد
تبدي خفيّ مشوق القلب ولهان	لله أنت أقوال بالسننا
فما لنا قد حننا كل تحنان!	إلا تكن عارفا نجوى ضمائرنا
هوى دخيل وقلب غير معوان	كم ذا أريد لأنساه فيخذلني

سأقرأ الشعر يا «شكري» تبعته
قد يعشق المرء ما يبلى حشاشته
وإن أثار عليّ الشعر أشجاني
كأنما موتها محيا لها ثان!

(فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة):

الشعر

طرب الفؤاد فهاتها
«عبد الحميد» جلوتها
فألخمر في أبياتها!
إن النفوس صحائفُ
كالكأس في لمعاتها
الشعر من آياتها
والنفس طيرٌ صادقٌ
والسحر في نغماتها
لو راع كسر الدهر شيءٌ
ربيع من نبراتها
ففي الشعر من عقاداتها
فترى الحياة قنيصة
يقترض من فلتاتها
والعيش نهضة شاعرٍ
س ومعلمٌ لحياتها
والشعر تاريخُ النفوس
س حذارٍ من نشواتها
والشعر كأسٌ للنفوس
غرسه في جناتها
والشعر ورد يانعٌ
بالشعر من نفحاتها
والنفس ربيعٌ قد هفتُ
م تزوع في لفحاتها
والنفس طوراً كالسمو
والشعر من موجاتها

والنفس طيرٌ في الحيا
في أرضها وسمائها
إن القلوبَ خوافقُ
فترى الحياةَ جميعها
والشعرُ مرآة الحيا
تجلو أساليب الحيا
فتراه في آلامها
والشعرُ في عبراتها
وهو المعينُ على الحيا
والشعرُ نورٌ ساطعُ
ويصيغُ من ألم النفوسِ
ويضيء كلَّ جريمةٍ
فهو الخبيرُ بما يحدثُ
للنفسِ نشوةً راقصِ
للنفسِ همّةً ساحرِ
في كلِّ نفسٍ منزلُ
في الطفل والرجل الكبيرِ
وتراه في فتيانها
في حزنها وسرورها

ة يطير في روضاتها
غرد وفي جنباتها
والشعرُ من نبضاتها
منشورةً بصفاتها
ة تطل في مرآتها
ة تلوح في صفحاتها
وتراه في لذاتها
والشعرُ في ضحكاتها
ة يغضُّ من نكباتها
عادٍ على ظلماتها
سِ اللحن في أناتها
فبيبين عن غاياتها
النفسَ في فعلاتها
والشعرُ من رقصاتها
والشعرُ من نقاتها
للشعرِ من حركاتها
رِ يجول في حالاتها
وتراه في فتياتها
وطموحها وشكاتها

والشعرُ نعمةٌ صادق
أشجانها أوتارها
ولكلِّ شيءٍ مبعثٌ
والشعرُ كالإلهامِ يأ
والكونِ آيةٌ شاعرٍ
والنفسُ من آلاتها
والشعرُ من رناتها
للنفس من رقداتها
تي النفس في يقظاتها
يأتي بمبتكراتها!

بين العذر واللوم

ألا عللوني بالظنونِ الكواذبِ
ولا تسألوني كيفَ أنتِ فإنني
بخلتُ به بخلَ الشحيحِ بماله
فلا تحسبوا حبي غرورًا وزهوةً
وإنني لأدري أنني لستُ للهوى
لذاك أذود القلبَ عنكم فينثني
فلا تعجبوا أني لججت بحبكم
وكنتُ أظنُّ الحبَّ أمانًا ولذةً
وكنتُ أظنُّ الحبَّ في العيشِ بلسمًا
ومن لي بنزع السهمِ والسهمِ قاتلٌ
أحبابنا رفقًا بقلبٍ مولاهُ
جعلتُ لكم عذرًا على الصدِّ واسعًا
وما كان لي في حبِّكم وجهٌ حيلةً
وخلفتموني أحسُدُ الناسَ حبَّهم
وخلفتموني إن مررتُ برفقةٍ
وما لي حقٌّ عندكم فألومكم
ولا تتركوا قلبي لنهْبِ النواهبِ
أرى الموتَ في هجر الحبيبِ المجانبِ
وكان جوادًا بي على كل عائبِ
كأنني خليقٌ باقترابِ الحبابِ
وأنِّي مشنوءٌ كثيرُ المعائبِ
إليكم فقلبي عندكم غير آيبِ
فإن عزاء النفسِ شرُّ العجائبِ
فجار عليَّ الحبُّ بين النوائبِ
فكان كريشٍ في سهام المصائبِ
إذا ولغت أطرافه كالمخالبِ
كثير الجوى عَفَّ الهوى والرغائبِ
فإن فؤادي عاذرٌ غيرُ عائبِ
وكيف وقد سُدَّتْ وجوهُ المذاهبِ
وأوحشتموني من حبيبٍ وصاحبِ
بكيثٌ على فقد اللدات الأصاحبِ
على الهجر إن أدلى مُحِبُّ بواجبِ

قبلتم غرامي رحمةً وتطولاً
وحسبي في حُبِّكمو أن علمتم
فيا نشوة الحبّ الذي أنا شارِبُ
ومن لو رأني هالكاً من صبايةِ
أضئ لي وجوه العيش منك بعطفةِ
وأنت جميلٌ كالحياةِ محببُ
أبيت وطرفي بالنجوم مقيدُ
فيا نجمي النحس الذي أنا ناشد
فليت حياتي غالها الموتُ غولةً
أدلى بمهواةٍ سحيقٍ قرارها
فإن متُّ لا تبكوا عليّ بلهفةِ
فإن نفاقاً ما يكون بكاؤكم
ويا قلبُ كم تبغي مصادقاً
فتغفى قليلاً بين وافٍ وصادقِ
وإن غروراً بغيةٍ قد بغيتها
أما أنت مثل الناس خباً وكاذباً
وكلُّ امرئٍ في العيش للعيش خادمٌ

فإن ارتضاءً الحبّ جهدُ المناقب
بأنكم في النفس خير الحبايبِ
هو الحبُّ مثلُ الخمر مرّ العواقبِ
لخال فؤادي نهزةً للوابع
فقد ضلّ قلبي في سواد الغياهبِ
وإن كنتَ مثلَ العيش مرّ التجاربِ
أرددُ لحظي في عيون الكواكبِ
أراك ضئيلاً أفلاً غير ثاقبِ
وأصحت في قبرٍ نليل الترائبِ
ويحني عليّ الترب من كل جانبِ
ولا تُسمِعُوا روعي نواح النوادبِ
وخشية لوم ما نواح الأقاربِ
وتبصرُ في الأطلام صفو المشاربِ
وتصحو طويلاً بين خبٍ وكاذبِ
فلا تأس إن أمسيت في عيش خائبِ
صميم الخنى جم الأذى والمثالبِ
يقاد الفتى في العيش قود الجنائبِ

نجوى

أسارقه الألاحاظ والناسُ بيننا
وينفر من قلبي وقلبي روضه
وهل أنت إلا كعبةُ أنا عابد
وإن كنت في الصحراء فهي خميلةُ
وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً
ألا إن روضي صوّحت شجراته
وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجتُ
وأصبح مهجوراً خراباً تروده
وقد كان كالفردوسِ حسناً وبهجةً
وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره
وكيف يعيشُ النباتُ والغيثُ باخلُ
وما الحسنُ إلا روضة النفس، والهوى
وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أصب
وحبيّ فضلٌ للذي أنا عاشقُ
وأحببتُ من قد كان مثلك بهجة
يذكرنيهِ كلُّ قولٍ تقوله
فترجني عنه العيونُ النواظرُ
ويزهدي في حبيّي وحبّي طاهرُ
وهل أنت إلا منسك ومشاعرُ!
وإن كنت بين الزهر فالروض باكرُ
إذا لم يكن في أيكهِ منك طائرُ!
فلا النباتُ مخضراً ولا الزهرُ زاهرُ
عليه أكاثيبُ الترابِ الأعاصِرُ
وحوشُ الفيافي والطيورُ الكواسِرُ
فأهلكه صرفٌ من الدهرِ غادرُ
فلا الطير تهواه ولا الغيثُ ماطرُ
وكيف يُسرُّ القلبُ والحسنُ هاجرُ؟
علالة نحس الجِدِّ، والجُدُّ عائرُ
فلست أبالي الدهرَ، والدهرُ غادرُ
وما كلُّ حبِّ فخرٌ مَنْ هو فاجرُ
فشطّتْ به عني المنايا البواكرُ
وهيهات لا تجدي الحزينَ الخواطرُ

وكنْتُ وإياه كعينٍ وأختها
وكننا نجوب الليلَ، والليلُ فاتنٌ
وكان على رغم الحسودِ ودادنا
سلامٌ على البدر الذي غيَّب الردى
فيا بدر إنَّ العيشَ بعدك مظلمٌ
ويا بدر طهَّر بؤسَ عيشي ونحسه
ففيك معاني الحسنِ والشعرِ والهوى
فيا بؤسٍ للحيِّ الذي ليس فاتنًا
وكنا كسرٍ غيَّبته الضمائرُ
وكننا نوْمُ الفجرِ، والفجرُ حاسرُ
هيامًا وتحنانًا تجن السرائرُ
وليس على البدرِ الذي هو هاجرُ
ويا بدر إنَّ الطرفَ بعدك ساهرُ
بضوءك إنَّ الضوءَ كالماءِ مائرُ
وأنت كما تهوى النهى والبصائرُ
ينوح على مَنْ غيَّبته المقابرُ!

عقوق الغدر

محضتُكَ النصَحَ في سرِّي وإِعلاني
قد كان لي حلمٌ في الناس أنشده
حلم من الصدق والإِخلاص تتسجبه
وشمتُ فيكَ خصال النفس زاهيةً
حسبت نفسك نورًا ما به ظلم
قوارِصُ عنك تأتيني وأكتمها
تذيع أن ودادي فيَّ منقصةٌ
حسبيكَ الله ليس السوءُ من شيمي
في أي شرع يجوز الغدرُ عندكمُ
تقول بالظن قولًا لست صادقهُ
أحسنْتُ ظني وحسنُ الظن تجهله
أستودع الله ما قد خلته زمانًا
ما أنت أول من خانت أو اصره
أعيا على الناس أمرُ الناسِ كلهمُ
ليت الزمان عداني عن لقائكمُ
لولا خيانتكم ما خلتُ من شجنٍ
كأنما النصَحُ من ديني وإيماني!
يجلو همومي ويأسو كَلَمَ أحزاني
أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانِ
والنفس تُجلى بأوصافٍ وعنوانِ
فما اعتذاري إذا ما طاش حسباني؟
بأي وجهيك بين الناسِ تلقاني؟
حسبيكَ الله من عادٍ ومن جاني
ولا الخيانة والإِسفاف من شاني
حتى تقابل تحنانًا بعدوانِ؟
يا بُعدَ ما بين ذي صدقٍ وظنانِ
فسوءُ ظنِّكَ فيه شكُّ حيرانِ
فيكم وأبرأ من ودٍٍ وتحنانِ
وراح ينقض بين الناسِ بنياني
فالخلقُ للخلقِ شيطانٌ لشيطانِ
كي لا ألام على سخرٍ وأحزانِ
إن الفضائل من أحلامِ غفلانِ

تغتابني ثم تلقاني وتضحك لي
كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه
يا رَبِّ شاكٍ شكاه الناسُ قاطبةً
بيننا أُنوّه في أمنٍ بذكركمُ
هذا جزاءِ امرئٍ بالناسِ منخدعٍ
أقولُ علَّ الذي بُلِّغَتْهُ كذِبٌ
فقد أتى بدليلٍ لست تدفعه
يا رَبِّ لا يُرتجى في الأرضِ ذو ثقةٍ
لأي أمرٍ يعيش الغادرون بها
من صح نفساً فلا يزري به صغر
بعضُ القلوبِ قلوبٌ قال بارئها
بعضُ النفوسِ نفوسٌ كلها جيفٌ
وكن كما خَلْتُ فيكَ الفضلُ أجمعه
اعتدت من أهلِ دهري كلَّ منقصةٍ
وما عتابيك في طبعِ بُلِيَّتٍ به
والقلب ملآن من سوءٍ وأضغانٍ
وفيه حتفك من سمِّ وذيفانٍ
فراح يقدح في صحبٍ وخلانٍ
إذ أنت تنقص من قدري ومن شاني
فالغافل الغرُّ فينا فرصةُ الجاني
هيهات ما هو من إفكٍ وبهتانٍ
وهل يكذب من يسعى ببرهانٍ؟
عَفَّ اللسان على صحبٍ وخلصانٍ
أما تضيق على خبٍ وخوانٍ
إن الكبيرَ كبيرُ النفسِ والشانِ
كوني عن الصدقِ والإخلاصِ في شانٍ
فاربأ بنفسك عن نتنٍ وديدانٍ
وحسب نفسك من لبِّ وأذهانٍ
فلا ألومك في مكرٍ وعدوانٍ
الطبع أغلب من نصحٍ وعرفانٍ!

بعد الود

سلامٌ عليكم يا أخاي أنتم
فأصبحتم في العين كالناس كلهم
وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكم
فخلتم ودادي خلة العبد ضلةً
فما كان من فضلٍ لديكم وددتكم
خلعت عليكم نورَ حبي وخلتكم
فكنتم لدى نفسي كما النفسُ تشتهي
فأصبحتم ذكرى كأمس الذي مضى
فكونوا كما شئتم جفاةً فإنني
وهونتُ من وجدى وكفكفتُ عبرتي
فإن غبتُم ما حنَّ قلبي لذكرِكُم
لقد هنتُم إذ هان حبي لديكم
وكنتم مكان النجمِ عندي عزةً
دعوتكم للودِّ حين وددتكم
ورتلتُ آياتِ الإخاءِ عليكم
وأنتم وجدتم قسوةَ الغدرِ لذةً

لقد طالَ هجرٌ منكم فنسيتم
وقد كان قدماً مطمح العين فيكم
وأسمع شدوَ الطيرِ إما نطقتم
فراح بنا عنكم عزاء ورحتم
ولم ترَ نفسي الودَّ برًّا لديكم
كما يخلع القلبُ المحبُّ عليكم
يلوحُ لعيني مطمحُ النفس منكم
وغضتُ لحاظَ العينِ والقلبُ عنكم
عرفتُ عزاءَ الصبرِ حين غدرتُم
ونامَ على السلوانِ طرفي ونمتُم
ولا أنتم منا ولا نحن منكم
ولو صنتُم ودي لكانا وكنتم
فأطغاكمُ ذاك المكانُ فهنتُم
فكان بكمُ وقرُّ إذا ما دُعيتُم
فهل كان ذنبي أنكم ما فهمتُم
فلما بلونا راحةَ الصبرِ لمتُم

قسوتم علينا إذ حننا إليكم
فلما أردنا هجركم ما رحمتكم
نزعنا نزع اليأس عنكم فلمتم
فإن شئتم عدنا إليكم وعدتكم

الحب والطبيعة

رحمَ الله محبًّا والهَّا
إنَّ مما نابِه من هجرِكُمْ
وهو كالعصفورِ غرِيْدًا على
وترى العاشقَ في لوعاته
وهو كالبحرِ وللحبِّ جلالٌ
وقطوبٌ كقطوبِ الليلِ إنِ
ولهُ بشرٌ كبشرِ الفجرِ إنِ
وهجيرٌ كهجيرِ القيظِ إذُ
وهو أَنَا عزَّةٌ مثلِ السهَى
وهو مثلُ النارِ من أشجانه
يحسبُ الكونَ إِطارًا دونه
أو كتابًا فُصِّلَتْ آياته
الهوى والمالُ والجاهُ سِوَاءُ
فهى تُلهي المرءَ في دنياه عن
لا ترُحُ بالصحو من كاساتها
اسقني خمراً المساعي والهوى

لم يَجِدْ من حبِّكُم وجهَ المآبِ
كأنينِ الرِيحِ في الربعِ الخرابِ
غصنِه والغصنُ يزهُو كالشبابِ
أبدًا بينِ سكونٍ واصخطابِ
كجبالِ البحرِ مخشيِّ العبابِ
أقبلَ الليلُ كإقبالِ السحابِ
سرَّه وعدُّ حبيبٍ باقترابِ
غلواءِ الصيفِ ريعانِ التصابي
وهو أَنَا ذلَّةٌ مثلُ الترابِ
أبدًا بينِ اضطرَامٍ والتَّهابِ
رسمٌ من يهوى مضيئًا كالشهابِ
وحبيبِ النفسِ معنَى للكتابِ
نشوة العيشِ وغاياتِ الطلابِ
عبثٌ للعيشِ خدَّاعِ السرابِ
فترى العيشَ بأحاطِ غضابِ
فجمالُ العيشِ في ذاكِ الشرابِ

نرجس

نَرْجَسُ أَنْتِ الْحَسَنُ يَا نَرْجَسُ
تَرْضَعُكَ الشَّمْسُ بِأَضْوَائِهَا
تَحْنُو عَلَى الْغَدْرَانِ مَسْتَأْنَسًا
تَبْصُرُ وَجْهَ الْحَسَنِ فِي مَائِهَا
حَتَّى إِذَا الْبَدْرُ بَدَأَ ضَوْؤَهُ
أَفْقَتِ فِي جِسْمِ كَجِسْمِ الدَّمِيِّ
كَالدَّرِّ مِنْ أَصْدَافِهِ خَارِجًا
عِنْدَ غَدِيرِ شَبِيمِ مَاؤُهُ
لَكِي تَرَى حَسَنَكَ فِي مَائِهِ
تَدُلُّ بِالْحَسَنِ عَلَى بَدْرِهِ
فَأَنْتِ وَالْبَدْرُ عَلَى مَائِهِ
وَتَسْتَحْمَانِ عَلَى مَائِهِ
تَقُومُ قَرِبَ الْبَدْرِ فِي مَائِهِ
تَعُومُ كَالنَّشْوَانِ مِنْ حُسْنِهِ
نَرْجَسُ أَنْتِ الْحَسَنُ يَا نَرْجَسُ
تَشْتَاقُكَ الْأَبْصَارُ وَالْأَنْفُسُ
وَالْيَوْمَ صَحُو أَفْقَهُ مُشْمِسُ
يَا زَهْرَةَ فِي رَوْضِهَا تَغْرَسُ
بِحَسَنِهِ كُلُّ أَمْرِي يَأْنَسُ
يَزِينُهُ فِي ثَوْبِهِ الْحَنْدَسُ
يُلْتَدُّ مِنْهُ الشَّمُّ وَالْمَلْمَسُ
وَالدَّرُّ فِي أَصْدَافِهِ يُحْرَسُ
خَلَعْتَ مِنْ ثَوْبِكَ مَا يَلْبَسُ
تَخْلَسُ مِنْهُ الْعَيْنُ مَا تَخْلَسُ
وَالْبَدْرُ دَانٍ فَوْقَهُ يَلْمَسُ
بَدْرَانِ قَدْ حَفَّهُمَا الْحَنْدَسُ
وَأَنْتِ مِنْ بَدْرِيكَمَا الْأَنْفُسُ
لَكِي تَرَى أَيْكَمَا الْأَمْلَسُ
تُسْكِرُ مِنْ خَمْرَتِهِ الْأَكْوَسُ
يَقْبَسُ مِنْكَ الطَّرْفُ مَا يَقْبَسُ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

أشهى من الروضة إذ تنتهي
وطرفك الأدعج يا نرجسُ
قدّك من أغصانها أبيضُ
يشوق فيه الحسن إذ ينعسُ!

الخطاب والحشرة أو دين الكون

خَرَجَتْ مِنْ حُجْرَاتِ الْـ
ذَاتِ ذُلٍّ وَخَشْوَعٍ
دَاسَهَا الْعَابِرُ قَدَمًا
فَرَأَاهَا حَاطِبٌ يَسُـ
قَالَ بِالظَّنِّ وَقَدَمًا
قَالَ لَا يَسْعَى إِلَى الشَّرِّ
بَلَغَ الْإِشْفَاقَ مِنْهُ
قَالَتِ الْحَيَّةُ قَوْلًا
إِنَّمَا الْحَمْدُ قَبِيذُ الْـ
بُنَى الْكَوْنِ عَلَى الْخُدْ
كُلُّ نَفْسٍ ذَاتِ مَكْرٍ
كَمْ مُدَاجٍ وَجَدَ الشَّرَّ
بَلَغَ الْقَصْدَ وَلَمَّا
بَلَغَ النَّجْحَ وَلَمَّا
لَذَعْتَهُ لَذْعَةَ الْخَبِّ
فَرَمَاهَا تَحْتَ رِجْلَيْـ

أَرْضِ وَالْعَيْنُ تَرَاهَا
تَحْسِبُ الْخَيْرَ نَمَاهَا
فَهِيَ لَا يُخْشَى أَذَاهَا
عَى لِحَاجٍ قَدْ بَغَاهَا
كَانَ مَا ظَنَّ سَفَاهَا
ضَعِيفٌ قَدْ تَنَاهَى
مَبْلَغًا حَتَّى حَمَاهَا
حِجَّةٌ فِيهَا عَرَاهَا
بُلْهُ مَفْكُوكَ عَرَاهَا
عَةٍ لَا دِينَ سِوَاهَا
حِينَ تَسْتَدْنِي مَنَاهَا
مَطَايَا فَامْتَطَاهَا
يَعْبُدُ التَّقْوَى إِلَهَا
يَبْلُغُ الْحَسَنَى رِضَاهَا
فَأُخْطِئُ أَذَاهَا
هُ هَوَانًا وَقَلَاهَا

أبت طرفاً ما رأها	أبت وطناً ما عداها
تحت أرض قد حشاها	ربّ خبّ دفنوه
أبس للخير هواها	لا تُصب بالخير نفساً
تبلغ النفس عماها	قد يُضلُّ السوء حتى
في الذي فيه رداها	فترجّي كل خير
إن تُصب مَنْ لا يراها!	إنما الرحمة ضعفٌ

الوتر المفقود

أَحْسَسْتُ أَنَّ نَفْسِي من شجوها كعودٍ
أوتارها مليئةٌ بالنغم السديدِ
تخلق من ألقانها روحًا لذي الجمودِ
ألقانها معانٍ من محكمِ القصيدِ
لكل معنَى وترٌ في عودها المشدودِ
فللشقاءِ وترٌ ووتر المسعودِ
ووتر يشدو لها بالمطلبِ البعيدِ
كَأَنَّ رِيحًا إِن شَدَّتْ تُطَلِّقُ من ركودِ
ووترُ الحزينِ ووترُ السعيدِ
ووترٌ مَقْتَبَسٌ من جنةِ الخلودِ
قد وقعت عليه الـ ألقانُ بالترديدِ
كَأَنَّهَا مِنْ لَحْنِهِ في فرحٍ وعيدِ
تسمع في ألقانه بلابلِ التغريدِ
يا نَفْسُ ما دهاكِ من شقوةِ الجدودِ؟
فوقَّعي عليه وغرَّدي وعودي
واحسي الغناءَ وانتشي من طربِ النشيدِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

هيهات أين مني
ذو الوتر المنشود
قد كان في فؤادي
كجنة الخلود
لشدّ ما أعاني
للوتر المفقود!

أغاريد شاعر

نغماتُ البلبابلِ أم أغاريد شاعرِ
لعبت بالسرائرِ واستبدتْ بخاطري
نقعت غلةَ الفؤا دِ برِّي الهوامرِ
وغيوث مواطر من غيوث البصائرِ
أخصب القلب بعدها من صنوف الأزاهرِ
بعدما كان مجدبًا من قشيبٍ وناصرِ
إنما الشعرُ نغمةٌ كحنينِ المزامرِ
أو رعود الرواعد أو أنينِ الأعاصرِ
ومعانِ خوالدٍ كالنجومِ الزواهرِ
إنما المرءُ ذرةٌ في رياحِ المقادرِ
إنما العيشُ نغمةٌ في زفيرِ الزوافرِ
نغمةُ الخفيضِ والنعيِّ م ونحسِ مخامرِ
إنما العيشُ قصةٌ أو أحاديثُ سامرِ
فأجز عنيَ الهمو مَ بالحنِ شاعرِ
نغماتُ شجيرةٌ هي خمرةُ المشاعرِ
كل أمرٍ نُحسُهُ فرصاتٍ لشاعرِ

ة كمنظارٍ ناظرٍ	إنما الشعر في الحيا
من تقِيّ وفاجرٍ	يصف الناسَ كلهم
من صروفِ المقادرِ	يُشعر المرءَ حالهم
عن وهادِ الحقائقِ	يرفع النفسَ سحره
عن حضيض الصغائرِ	لسماءِ العظامِ
من مصيبٍ وعائرٍ	فهو دينٌ لطامحٍ
لِ عديم المحاذيرِ	يصف العيشَ في الكما
له حنينَ المسافرِ	فيحنُّ الورى إليـ
وبه حتُّ صادرٍ	فيه إغراءٌ وارِدِ
ح دواء المغامرِ	يجعل اليأسَ والطمو
لِ لورد المآثرِ	يدفع النفسَ بالخيا
كجناحٍ لطائرٍ	يُبلغ النفسَ أفاقها
مالٍ في دُخْرٍ ذاخرِ	لا تُقاس النفوسُ بألـ
لا مقال المنابرِ	وهو دينُ الضمائرِ
مثل ضوءِ التباشيرِ	يفتح النفسَ ضوءه
حُ زهْيِّ الأزاهرِ	مثلما يفتح الصِّبَا
ربَّ نفس كعافرِ	يلقح النفسَ وقَّعه

صوت الله نجوى المؤمن

أَنْصِتْ فِي الْإِنصَاتِ نَجْوَى النّفوسِ
وَكُنَّا مُوسَى لَدَى رَبِّهِ
وَإِنَّمَا نَفْسُ الْفَتَى مَعْبُدٌ
وَالنّفْسُ بَيْتُ اللَّهِ إِنْ طَهَّرَتْ
فَإِنَّ صَوْتَ اللَّهِ دَانَ كَلِيمٍ
وَكُلَّ رُوحٍ حِينَ يَصْفُو عَظِيمٍ
يُضِيئُهَا اللَّهُ بِنُورٍ عَمِيمٍ
وَالنّفْسُ إِنْ لَمْ تَصْفُ مِثْلَ الْجَحِيمِ

* * *

أَنْصِتْ أَمَا تَسْمَعُ ذَاكَ الدَّعَاءَ
مَنْ ذَا الَّذِي أُوْدِعَ فِيكَ الرِّجَاءَ
يَا هَاتِفًا فِي جُنْحِ لَيْلٍ بِهِيمٍ
أَنْتِ رِجَاءُ النّفْسِ فِي أَسْرِهَا
وَأَنْتِ صَحْوُ الرُّوحِ فِي بَحْثِهَا
صَدَاهُ فِي الْأَنْفُسِ صَوْتُ الضَّمِيرِ؟
وَمَطْلَبَ الْخَيْرِ وَكَرِهَ الشَّرُورِ؟
لَبِيكَ فَالْقَلْبُ كَعَبْدٍ أَسِيرٍ
تَضِيءُ فِي الْعَيْشِ ظِلَامَ الْأُمُورِ
مِنْ نَشْوَةِ الْفِكْرِ وَسُكْرِ الْغُرُورِ

* * *

إِنْ كَرِهْتَ الْخَطْبُ وَعَمَّ الْبَلَاءُ
فَفِي الْأَسَى يَبْدُو ضِيَاءُ الْمَنَى
وَالوَقْرُ عَنِ نَجْوَاهُ وَهِنَ النّفُوسِ
نَجْوَاكَ نَجْوَاكَ دَوَاءَ الْأَنَامِ
فَقُرْبُهُ لِلنّفْسِ قَرَبَ الرِّجَاءِ
وَفِي الْأَسَى نُبْصِرُ مِنْهُ الضِّيَاءَ
وَالوَهْنُ فِي الْأَنْفُسِ دَاءٌ عِيَاءُ
مِنْ عَنَتِ الْعَيْشِ وَوَقَعَ الشَّقَاءُ

* * *

تسكب منك الضوء في الأنفس
يَعْبُدُكَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ
وبالأسى في عيشتهم والندم
طوبى لمن رَوَّضَ من نفسه
فيرفلُ العيشُ ببردِ قشيبِ
وما يعانون لوقعِ الخطوبِ
عبادةِ الذنبِ الجليدِ المصيبِ
فإنَّ صَوْتَ اللَّهِ منه قريبِ

وا رحمة للناس

تُعَلِّمَنِي الْأَقْدَارُ أَنْ أَرْحَمَ الْوَرَى
وَأَنْظُرُ فِي نَفْسِي وَأَعْرِفُ عُذْرَهُمْ
وَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ أَهْلِي وَإِخْوَتِي
فِيَا وَيْحَ هَذَا الْخَلْقِ مِمَّا يَصِيبُهُمْ
وَلَيْسَ خَصِيمِي مَنْ يَرِيدُ شِقَاوَتِي
أَلَيْسَ أَسِيرَ الشَّرِّ أَوْلَى بِرَحْمَةٍ
أَلَيْسَ أَسِيرُ السُّوءِ يَغْدُو مَعْدَبًا
وَأَحْسَنُ مَا فَاتَ امْرَأًا حُسْنُ نَفْسِهِ
وَلَيْسَ شِقَاءُ الْمَرْءِ رَهْنًا بِشَرِّهِ
فَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ حَتَّى حَيَاتِهِ
وَإِنْ أَشَدَّ اللَّؤْمُ لَوْمُ ابْنِ طَعْمَةٍ
وَلَيْسَ بِيَالِي النَّاسِ هَلْكَ نَفْسِهِمْ
فَنُونٌَ وَآدَابٌ وَفَقْهٌُ وَصَنَعَةٌ
وَسَائِلُ يَسْتَنْدِي بِهَا رِزْقَ يَوْمِهِ
فَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ مِنْ سُقْمِ نَفْسِهِ
وَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ مِنْ عَجْزِ نَفْسِهِ

فَقَلْبِي لِكُلِّ الْعَالَمِينَ رَحِيمٌ
عَلَى شَرِّهِمْ دَاءُ النَّفُوسِ قَدِيمٌ
وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ جَارِمٌ وَذَمِيمٌ
مَقَادِيرُ يَتْلُوهَا أَذَى وَهَمُومٌ
فَأِنَّا جَمِيعًا لِلْقَضَاءِ خَصُومٌ
وَأَيُّ امْرَأٍ مِمَّا يُدَمُّ سَلِيمٌ
بِهِ مِنْ حَزَازَاتِ النَّفُوسِ كُلُومٌ
وَإِنْ خَفِيَتْ عَمَّنْ يَوْمٌ وَصُومٌ
وَلَيْسَ عَلَى قَدْرِ الْعُقُولِ نَعِيمٌ
تَنَاهَبُ قَوْتِ إِيَّاهُ لِلنَّيْمِ
يَبِيعُ بِهَا مِنْ نَفْسِهِ وَيَسُومُ
إِذَا سَلِمَتْ طُولَ الْحَيَاةِ جَسُومُ
وَفَضْلٌ وَجَاءٌ وَاسِعٌ وَعِلْمٌ
يَرِيمُ بِهِ فِي عَيْشِهِ وَيَقِيمُ
وَكُلُّ الَّذِي يَبْغِي الشَّرَّ سَقِيمٌ
هُوَ الْعِزْمُ إِنْ حَالَ الْقَضَاءُ عَقِيمٌ

ووا رحمة للمرء إن بات عانياً
ووا رحمة للناس من سخر عيشتهم
حياةً كمستشفى السقام أليمة
خليق بنا أن يرحم المرء صنوه
يحنُّ إلى ورد المنى ويحومُ
وسيان فيهم واجدٌ وعديمُ
فيسقم فيها أشيبٌ وفطيمُ
فكلُّ لكلِّ عاذرٌ ورحيمُ

جهاد المصلحين

أسائلُ عن هذا الورى ومآله
أفي كلِّ يومٍ معركٍ بعد معركٍ
ولو كان يجدي أن تطيح ضحية
خليليّ هذا الكون من أولياته
وكَم من نفوسٍ سامياتٍ أدلّها
ترى دَنَسَ الأشياءِ رويةَ ألف
يظن جهاد المرء في العيش ضلة
يرى أن خيرَ الكونِ ما هو كائنٌ
ويحسب أن الشرَّ ضربةٌ لازبٍ
ويصبح في مجرى الحوادثِ ريشةً
ويطفئ نور النفس حتى كأنما
ويحسب نشدانَ الكمالِ حماقةً
لئن فشلت للعاملين أولي النهي
فإن شرورَ العالمين كثيرةٌ
وهمةٌ باغي الخيرِ كالدهرِ صبرُها
وإن أمانِيَّ النفوسِ كثيرةٌ
فيخرس داعِ بيننا ومجيبُ
حروبٍ على آثارهن حروبُ
فإن شقاءَ العاملين حبيبُ
أصلحَهُ في العاملين طبيبُ؟
فعدت بأدناس الحياة تطيبُ
يرى أن أحلامَ النفوس لغوبُ
وأن مساعي المصلحين تخبُّ
ووحِي النفوس السامياتِ مريبُ
وأن أساليب الحياةِ ضروبُ
تجوب به الأيام حيث تجوبُ
دواعي النفوس السامياتِ عيوبُ
وأن دعاءَ المصلحين ذنوبُ
مساعٍ وذلتُ أنفسٌ وقلوبُ
وإن الخطوبَ العائقات تتوبُ
وقلبُ الذي يبغي الكمالَ رحيبُ
تُريك ضياءَ النجاحِ وهو قريبُ

وكيف يرى ساري الحياة سبيله
ولولا ضحايا العاملين لأرهقت
فلا تعجبين أنّ الشرورَ كثيرةٌ
ولكنّ بأسَ العاملين عجيبٌ!
إذا حان من نجم الرجاءِ غروبُ
شرور على إثر الشرورِ تصيبُ

الروح السوداء

يا سواة ما مثلها سواة
يا سواة كالدهر في وسعه
تنقص من خيرٍ ومن عَفَّةٍ
لو أُطْلِقَتْ روحك وسط الضحى
كأنما ينسابُ منها الدجى
ما خلقَ الرحمنُ من خصلةٍ
إلا على وجهك مكتوبة
خاتم إبليس على جلده
روحك كانت قبل في ناهقِ
فلسفة لا شك في صدقها
في كلِّ فضلٍ قادح واقع
وذاك برهانٌ على صدقها
ما بك من حقدٍ وأوغامِ
تتمو بمرِّ العامِ والعامِ
وعيبك المستنبت النامي
لألبيسته ثوب إظلامِ
يزخرُ في ديجوره الطامي
يطير فيها لوم لَوَّامِ
كأنها من خطِّ أقلامِ
بيِّنَةٌ فيه لأفهامِ
ريض بأسراجِ وألجامِ
فلم تكن أضغاثَ أحلامِ!
تنهشه في نابك الدامي
والصدقُ ذو وقعٍ وإحكامِ!

سنة العيش التنافس أم التعاون

إني لأفكرُ، والأيام موعظةٌ
من عهد آدم كم من أنفسٍ شقيتْ
في النور قومٌ، ضياءُ العيشِ خمرتْهم
ظنُّ السعيدِ شقاءَ النحسِ مُتَّهَمًا
فإنما طعمة المسعودِ يمزجها
ما نالَ طعمة قوت ساغها سغبٌ
لا تسمعنَّ مقالًا قال قائلُهُ
اضحك ولذَّ فإن العيشَ منتهبٌ
فذلك القول حربٌ للنهي أبدًا
ظنوا الحياةَ محالًا أمرها أبدًا
وإنما ملجأ النفسِ التي كرهت
إنَّ المحالَ لديها كل ما كرهت
هذي المقابح طرًّا في تنافسهم
طبعٌ قديمٌ سينضو المرء خلعتَه
لا بد من فشلٍ من بعده فَشَلُّ
انظر إلى الناس ما في عيشهم أربُّ

في السابقين وفي التاليين من أممٍ
وكم عيونٍ بكت من شجوها بدمٍ
وكم أناسٍ شقوا بالعيشِ في الظلمِ
مرأى الشقاءِ لدى المحدود كالتهمِ
عيش المناكيدِ بالأسقامِ والألمِ
إلا كأن مُزجتْ في صنعها بدمٍ
وما أصاب صوابَ الرأي في الكَلِمِ:
وأضيعُ الأمرِ عيشٌ حيطَ بالعدمِ
قد صيرَّ الناسَ للذاتِ كالخدمِ
إلا على الحقدِ والبغضاءِ والنقمِ
عزو الأمورِ إلى الأقدارِ والقسمِ
ليس المحالُ محالَ السعيِ والهممِ
إنَّ التنافسَ داءُ الجائعِ النهيمِ
مثل الأديمِ نضته صِمة الصممِ
حتى يفيقَ سوادُ الناسِ من صممِ
داء الخماصِ وداء الهمِّ والتخمِ

فعل الوحوش على الأدناس والرمم
غير التباغض والأوجالِ والسأمِ
قالوا هو الغرُّ يرعى روضةَ الحلمِ
حرب الطبيعة حرب الخير والحكمِ
حسب العقولِ وحسب العزمِ والهممِ
فأحسن الداءِ داء العقمِ في الرحمِ!
بين المصانعِ والأسيافِ والسقمِ!
حتى يُطَهَّرَ داءُ الحرصِ بالندمِ!

ظنوا التقاتلَ فيه سنةً أبدًا
انظر إلى الناسِ هل بيدي تنافسُهم
وكلما قام فيهم ناصحٌ وجِلُّ
العيشُ حربٌ ولكن في عدوهم
حربُ الطبيعة حربٌ لا انتهاء لها
إن كان يُخشى على الأرزاق أن كثروا
أتحمل الزوجُ كي يفنى الألى حملت
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم

الكونان

قلب اليائس

ضاق قلبي بما يجنُّ ونفسي بما تشا
فهي كالبيت مغلقٌ نازح الأهل قد خوى
راكذُ الجوّ قاتمٌ فاسدُ الماءِ والهوا
يُفزع المرء من صدا ه إذا رددَ الصدى
يحسب الجنّ قد ثوى جمعها فيه ما ثوى
أغبرُ اللون عابسٌ مُظلمُ الأرض والسما
ضاق صدري بما يجنُّ ونفسي بما تشا
فهي كالبيت مفزعٌ يُفزع الطرف بالديما
أهلكَ النفسَ جارمٌ فاتكُ النفسِ ما ارعوى
أصبحَ البيتُ خاليًا مسكن البوم والدجى
يُسمع العابرَ المجدَّ صراخًا إذا دنا
أسكتَ القلبَ وقعه روعَ الأيمن والكرى
ضاق صدري بما يجنُّ وروحي بما يشا
فهو قبرٌ لعالمٍ قبل ذا الكون قد مضى

كلّ روحٍ وذيلةً
فترى العينَ ما يجيء
كان كالكونِ واسعاً
قُضِيَ الأمرُ فانقضى
ضاق قلبي بما يجنُّ
تهب العينَ ما يرى
ويبدو الذي انقضى
لا يرى بعده مدى
بَقِيَ السعيَ والمنى
ونفسي بما تشا

قلب الأمل

فمتى يصبحُ الخرا
ومتى تبلغُ النفو
ومتى ينزُعُ الورى
ومتى ينجلي الظلا
ومتى تطهرُ النفو
ضاق صدري بما يجنُّ
تبتغي عالماً جديـ
خارجاً منه مثلما
حدّثَ الناسُ أنه
قَبْرُ ذَا الكونِ مَهْدُ كَو
حدّثَ الناسُ أنه
بُ جناناً كما مضى؟
س مَدَاهَا من الحجى؟
قسوةَ السوءِ والخنى؟
مُ عن الفجرِ والضحى؟
سُ من الشرِّ والأذى؟
ونفسي بما تشا
دًا من الكونِ قد نشا
تُخْرِجُ الليلةُ الضحى
حُلْمُ النفسِ في الكرى
ن جنينٍ ما إنْ بدا
قَوْلِ غرٍّ قد انتشى

ضاق صدري بما يجنُّ
أيظل الوري كذا
عبثاً يحلم الوري
أم لأمرٍ مقَدَّرٍ
حلمُ الخيرِ مُبلغُ الـ
فلئن كان خدعةً
ضاق صدري بما يجنُّ
ونفسي بما تشا
بئسَ ما يفعل الوري!
حلمَ الخيرِ والنهي
فهو للكونِ كالحدا
كونِ ما ينقع الظما
عبثاً ننقل الخطى
ونفسي بما تشا!

نظرتان في النفس

إذا جعل الإنسان نصبَ لحاظه
فبيأس حتى يحسبَ الخيرَ خدعةً
ويصبح لا يرجو صلاحًا لنفسه
ويحسب كلَّ الناسِ خبًا وماكرًا
ويحسب أن الخيرَ والشرَ كذبة
فيلتذ ما قد كان بالأمسِ كارهاً
وإن جعل الإنسان نصبَ لحاظه
فيصبح مغرورًا يتيه بخيره
وإن صفات السوء ما ليس ربها
كأنَّ محالاً أن يجيءَ برييةً
وإنَّ هوانَ الفضلِ ينأى بلبه
وإنَّ هوانَ اللائمِ يسعى بعزمه
وكم مغرمٌ للمرءِ في بعضِ غنمه
مآثمه هانت عليه مكارمه
وينحلُّ عنه صبرُه وعزائمُه
كأنَّ سرابَ الخيرِ ما هو شائمه
يداريه عن آثامه ويكاتمُه
وأنَّ خيالَ الحقِّ ما هو حالمه
فتعدو عواديهِ وتسري أراقمه
مكارمه هانت عليه مآثمُه
يرى أنَّ كلَّ الخيرِ ما هو عالمُه
وإن فتكت أسيافه ولهادمُه
وإن لامة في الخلق من هو لائمه
عن الفضلِ حتى يغرم الفضلِ غارمه
إلى اللائمِ حتى يأتيَ الجرمَ جارمه
وكم مَعْنَمٌ تزجى إليه مغارمه

الديوان الخامس

الخطرات

إن القلوبَ خوافقُ	والشعرُ من نبضاتها
والشعرُ مرآةَ الحيا	ة تطلُّ في مرآتها
فتراه في آلامها	وتراه في لذاتها
والشعرُ في عبراتها	والشعرُ في ضحكاتِها
والشعرُ كالإلهامِ يأ	تي النفسَ في يقظاتها
والكونُ آيةُ شاعرٍ	يأتي بمبتكراتها

من قصيدة «الشعر» في الجزء الرابع لصاحب الديوان

مقدمة لصاحب الديوان (في الشعر ومذاهبه)

يقولون: إن الشعر ليس من لوازم الحياة. ولو جاز لنا أن نَعُدَّ الإحساس غير لازم للنفس، أو التفكير غير لازم للعقل، لجاز لنا أن نَعُدَّ الشعر غير لازم للحياة. أليس مجال الشعر الإحساس بخوارج النفس وشرح ما يعتورها؟ ويقولون: إن الشاعر ينبغي أن لا يجعل الشعر مألئاً لحياته. كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه. فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجلُّ عملٍ يعملُه في حياته، وأنه خُلِقَ للشعر، فليس الشعر متمماً لحياته بل هو أساسها. هل العطر كمالٌ متممٌ للزهر، أم العذوبة كمالية للماء؟! كلا. فإن الزهر يراد لعطره، والماء لعذوبته، والنحل لشهده، والشاعر لشعره.

ولو جنّت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر، ما أفلحت. ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب، بقي كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها. وينبغي للشاعر أن يتذكر كي يجيء شعره عظيمًا أنه لا يكتب للعامة، ولا لقرية، ولا لأمة، وإنما يكتب للعقل البشري، ونفس الإنسان، أين كان. وهو لا يكتب لليوم الذي يعيش فيه، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر. وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولًا لأمته، المتأثر بحالتها، والمتهيئ ببيئتها. ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة، ولكنه باعث من البواعث التي تجعل شعره أشبه بالمحيط — إن لم يكن محيطًا — منه بالبركة العظيمة في المستقبل الوبيء.

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبًا في أن يفكر كلَّ فكر، وأن يحس كل إحساس. وهذا هو الدافع الذي يدفعه — بالرغم منه — إلى أداء ما

قد خُلِقَ له من التعبير عن حقائق هَيَّأَتْهُ لها الطبيعة. فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذي يفهمه ويهيئه لفهم شعره. ويُعِين الشاعر العبقرى في أداء ما فرضته عليه الطبيعة ثِقَتَهُ من شعره بالرغم من كثرة إساءة ظنه به. فإن إساءة ظنه بشعره، إنما سببها رغبته في الكمال. وهي سائقة به إلى منازلها. والشاعر العبقرى يعلم أن حياة الشاعر حرب أدبية ينجلي بعدها النقع، فيعرف الظافر والمنهزم.

ولقد فسد ذوق المتأخرين في الحكم على الشعر. حتى صار الشعر كله عبثًا لا طائل تحته. فإذا تغزلوا جعلوا حبيبهم مصنوعًا من قمر، وغصن، وتل، وعين من عيون البقر، ولؤلؤ، وبرد، وعنب، ورجس ... إلخ، ومثل ذلك قول الواواء الدمشقى، وهو البيت الذي يُنسبُ ظلمًا إلى يزيد بن معاوية:

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَّتْ وردًا وَعَضَتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ

وذوق الأمويين بريء من أمثال هذا القول. ولا أريد أن أجمع على يزيد جُرْمَيْنِ: قتل الحسين، وقول هذا الشعر الذي لا بأس به، إذا أريد للفكاهة والعبث، لا للغزل الذي يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها. وإذا أراد المتأخرون وَصْفَ الحب، أكثروا مِنْ ذِكْرِ الدموع، وقالوا: إن دموعهم تُغْنِي عن المطر، وإن البحر قطرة إذا قيس بها، وإنهم سلخوا عامًا لم يذوقوا فيه النوم، وإن جسمهم صار أقل من القليل، حتى إنهم يَخْشَوْنَ أن يطيروا مع الهواء لنحولهم. وإنهم لا يريدون أن يروا حبيبهم بالليل؛ لأن طلعتة تجعل الليل نهارًا فيفتضحون، ولكنهم يريدون أن يروه نهارًا؛ لأن طلعتة من نورها تجعل ضوء النهار ظلامًا، فيخفون عن العذار، إلى آخر ما ذكروا من هرائهم. وإذا رثوا قالوا: إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثي. وإن الليالي لابسة حدادًا عليه. وإنه قد شاعت تعازي الشهب باللمح بينها حزنًا على النير الهاوي إلى الفلوات. وإن القمر به كلف حزنًا عليه. وإن الرياح تتوح أسفًا على موته. وإن الملائكة لبست السواد حدادًا عليه. وإن القبر لا يسعه لأنه بحر. وإذا

صُلبَ أحدُ الأُمراءِ، قالوا: إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر. وينشدون أبيات الأنباري التي يقول فيها:

ولما ضاق بطن الأرض عن أن يَضُمُّ علاك من بَعْدِ المماتِ
أصاروا الجو قبرك

... إلخ

ويقولون: انظر إلى مهارة الشاعر في قلب الحقائق، وإظهار الذميمة مظهر الحسن. وإذا مدحوا قالوا لمدوحهم: إن وجهك قمر، ولحيتك ذهب يطرز هذا القمر. وأنت بحر، وأسد، وغمام، وإن الدنيا لو دخلت في صدرك لوسعها لأنه رحيب، وأنشدوه قول المتنبي:

وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا وبالجن فيه ما دَرَّتْ كيف ترجعُ

وقالوا له: إنك لو غضبت على النجوم، لأنطفت من غضبك. وإنك لولا انقطاع الوحي لنزلت فيك الآيات والسور. وإذا مات للمدوح قريب، لم يكن في بيته حينما أدركته المنية، قالوا: إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائباً عنك.

وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالاً يفسر حقيقة، لم تتملكهم هزة الطرب التي تنويهم عند قراءة الخيال الفاسد، إنما يعجبهم من الخيال استحالته وبُعْدُهُ عن المألوف عقلاً. وإذا وضح لهم فسادهم قالوا: إذن كل خيال فاسد. وزعموا أن حلاوة الشعر في قلب الحقائق! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل. عالم يُرَخِّص المرء لعقله أن يتتزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب. كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة. ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب، وليس أدل على جهلهم وظيفة الشعر من قرْنهم الشعر إلى الكذب.

فليس الشعر كذبًا، بل هو منظار الحقائق المقلوبة، ووَضَع كل واحدة منها في مكانها. ولئن كان بعض الشعر نزهة، فإن بعض النزهة فرض. ولئن كان بعض الشعر رحلة، فهي رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم. رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير، أكثر مما يحسها في هذا العالم الأرضي.

وإذا تدبَّرتَ ما ذَكَرْتُهُ، عَرَفْتَ فساد ذوق الجمهور في حُكْمه على الشعر، وكيف أنه يُقْبَل على الشعر المرذول وَيَعُدُّه جَيِّدًا. ويعاف الشعر الجليل، الصادق الخيال، الكثير الحقائق، وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه، مهما كان الشبه الذي فيه متوهَّمًا. ومثل الشاعر الذي يرمي بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذي تغره مظاهر الألوان، فيملأ بها رسمه من غير حساب. وليس الخيال مقصورًا على التشبيه، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات، وهي بالرغم من ذلك تدل على ضالة خيال الشاعر، وقد تكون خالية من التشبيهات، وهي تدل على عظم خياله. وقيمة التشبيهات في إثارة الذكرى أو الأمل، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس، أو إظهار حقيقة. ولا يراد التشبيه لنفسه، كما أن الوصف الذي استُخِدم التشبيه من أجله لا يُطَلَب لذاته، وإنما يُطَلَب لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان. وكلما كان الشيء الموصوف ألصق بالنفس، وأقرب إلى العقل، كان حقيقًا بالوصف. وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى، لا لسبب آخر. وهذا الوصف خليق بأن يُسَمَّى الوصف الميكانيكي. فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقرونًا بعواطف الإنسان وخواطره، وذِكْره وأمانيه وصلات نفسه.

فالخيال ليس مقصورًا على التشبيهات. والشاعر الكبير، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة، الذي يُكثِر من مثل وكأن. ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل، والصورة المضطربة غير المتجانسة الأجزاء. فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة. وشرح عواطف النفس وحالاتها، والفكر وتقلباته،

والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية. وهذا يُحتاج فيه إلى خيال واسع. والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير. وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة. وإن أُجِّلَّ الشعر هو ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية. انظر مثلاً إلى قول مويك يرثي امرأته وقد خلفت له بنتاً صغيرة، فقال يصف حالها بعد موت أمها:

فلقد تَرَكْتَ صغيرةً مرحومةً لم تَدْرِ ما جَزَعُ عليكِ فتجزعُ
فَقَدَّتْ شمائلَ من لزامكِ حلوةً فَنَبَيْتُ تُسَهِّرُ أهلَهَا وتُفَجِّعُ
وإذا سمعت أنينها في ليلها طففت عليكِ شئون عيني تدمعُ

فهو لم يُعَلِّمَكَ شيئاً جديداً لم تكن تعرفه. ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة، والمغالطات المعنوية، ولكنه ذكر حقيقة، ومهارته في تخيُّل هذه الحالة ووصفها بدقة. وهذا أُجِّلُ التخيل. وأجِّلُ المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم. ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينة في وصف حياء الحبيب:

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يجيبُ
ولم يعتذر عُذْرَ البريء ولم تَزَلْ به سكتة حتى يقال مريبُ

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزاً. والشعر ما أشعَرَكَ وجعلك تُحسُّ عواطف النفس إحساساً شديداً، لا ما كان لغزاً منطقيّاً، أو خيالاً من خيالات مُعَاقِرِي الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وآراؤه، وتجاربه وأحوال نفسه، وعبارات عواطفه. وليست المعاني الشعرية — كما يتوهم بعض الناس — التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح. فإذا لم يجد هؤلاء في الشعر مغالاة سخيفة، أو مغالطة معنوية، أو العوبة

منطقية، أو تشبيهاً بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان. وبين رسم تشييانو ومهارته في استخدام الألوان. أقول: إذا لم يجدوا ذلك في الشعر قالوا: إنه ليس فيه معنى، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب، وعقل راجح كبير، ونفس عظيمة. وأنه جعلها ذخيرة الحقائق، والآراء السامية الشريفة. ولكن الأمر ليس كذلك، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة، وأن خيال صاحبها بهلوان شعري، أو مشعوذ يغرك بحركاته. فينبغي أن نميز، في معاني الشعر وصوره بين نوعين: نسبي أحدهما التخيل والآخر التوهم. فالتخيل هو أن يُظهِر الشاعر الصلات التي بين الأشياء والحقائق. ويُشترط في هذا النوع أن يُعبر عن حق. والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلةً ليس لها وجود، وهذا النوع الثاني يُغري به الشعراء الصغار، ولم يسلم منه الشعراء الكبار، ومثله قول أبي العلاء المعري:

واهجم على جناح الدجى ولو أنه أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة التي بين المشبه والمشبه به، صلة توهم، ليس لها وجود. وكذلك قول أبي العلاء في سهيل النجوم:

ضرجته دماً سيوف الأعادي فبكت رحمةً له الشعريان

أي أعادي، وأي سيوف؟ في مثل هذا البيت ترى الفرق واضحاً بين التخيل والتوهم. أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل: إن ضياء الأمل يظهر في ظلمة الشقاء، كما يقول البحري:

كالكوكب الدرّي أخلص ضوءه حلك الدجى حتى تألق وانجلي

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها. وكذلك قول الشريف:

ما للزمان رمى قومي فزعزعهم تطاير القعب لما صكّه الحجرُ

فهو يُشَبَّهُ تفرُّقُ قومه بتطاير أجزاء البناء المكسور. وهذا أيضًا توضيح لصورة حقيقة من الحقائق، وهي تفرُّق قومه.

فتكلّف الخيال أن تجيء به كأنه السراب الخادع، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب. وبينه وبين الخيال الصحيح، مثل ما بين الماس الصناعي وماس كمبرلي. وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب، التأليف بين شيئين لا يصح التأليف بينهما. ثم إنَّ بُعْدَ وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحًا صادقًا، وكانت الصلة التي بينهما متينة. فليس ظهور الصلة لكل قارئ دليلًا على متانتها. فقد تكون ظاهرة ضعيفة، وقد تكون خفية سليمة صادقة. فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقًا صحيحًا. وهذا سببٌ من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضئيل. وعجز الناس عن التمييز بينهما. فإنَّ العبقرى قد يُغْرَى باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء. فتقتصر أذهان العامة عن إدراكها. وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذي يولع بأن يوجدَ صلات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة. ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إنَّ الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته. وكذلك الشاعر العبقرى يعرف أنه عبقرى بحسناته، كما يعرف أنه عبقرى بسيئاته؛ لأنَّ سيئاته سببها أنه واسع النفس، حرّ الذهن، غير مقيد بقيود المحاكاة في فن الشعر.

إنَّ القراء من الجمهور إذا قرءوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم، ثم ينبذون ما بقي من غير أن يبحثوا عن السبب الذي جعل الشاعر ينظم في قصيدته هذه المعاني، فهم كالمرضى الذي فقد شهوة الطعام، يأخذه متكرِّهًا. فهم لا يفتقرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحًا، وأسلم ذوقًا، وأكبر عقلًا. ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم. ويحكمون على قصيدته بأبيات منها

تستهوي أنفسهم إما بحق وإما بباطل، لأنهم يَعُدُّون كل بيت وحدةً تامة. وهذا خطأ؛ فإن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة؛ لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذًا خارجًا عن مكانه من القصيدة، بعيدًا عن موضوعها. وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهينًا بتفهم الصلة التي بينه وبين موضوع القصيدة. ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة، بل بالنظرة المتأملة الفنية. فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل، لا من حيث هي أبيات مستقلة؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارئ لغرابته، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة. ومثل الشاعر الذي لا يُعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيبًا واحدًا.

وكما أنه ينبغي للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، كذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير. وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع. فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل. وهي مغالطة غريبة؛ إذ إن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعًا ومقدارًا خاصًا من العاطفة والتفكير. فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم؛ وفي بعضه تكون أقل وضوحًا. ولا ريب في ذلك؛ إذ إن الغزل مثلًا يستلزم نوعًا خاصًا من العاطفة غير العاطفة التي تبعث على خواطر الحكم والوعظ.

والأدباء في مصر يخلطون في الكلام عن الأساليب خلطًا كثيرًا؛ فهم يتناسون أن أجل الشعر العربي وأفخمه، وأجزله وأسبره، وأكثره نفعًا وتوكيدًا لبقاء اللغة، هو الشعر الذي لم تُتكلّف فيه الغرابة. فإن المعلمات أسلس وأجزل شعر الجاهليين (ما عدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيدًا. وشعر الشريف أجله وأفخمه ما لم يتكلف فيه الغرابة، إن في شعر الشريف صفتين؛ حسن الديباجة والفخامة، والسلامة في أكثر

شعره، وتكَلَّفَ الغريبَ في بعضه، فصار الأدياء يخلطون بين الصفتين، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة، ولو قرأت شعر الشريف لعلمت كذب ذلك.

وإذا نظرتَ في شعر الحريري، وجدت أنه مُتَرَعَّعٌ بالغريب، ولكنه بالرغم من ذلك، ليس من حسن الشعر. وهذه قصيدة ابن زريق، ليس فيها شيء من الغريب، ولكنها من أجل الشعر وأفخمه. وإذا شئتَ فقل وأضخمه؛ لأن الضخامة صفة في الأسلوب الملتهب الذي يُشبه الصخور الذائبة، التي تسيل من فم البركان. ذلك الأسلوب الذي تؤججه العواطف القوية. وهذا الأبيوردي مغرَى بالأساليب الغريبة، ولكن شعره ليس عليه طلاوة، وليس فيه مجتئى. فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح، سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً. وليس له أن يتكلف بعض الأساليب. ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس. وعاطفة الغريب، الذائعة بين فئة خاصة منّا هي ردُّ فعلٍ سببه ولوعُ شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب. وقد وَجَدْتُ بعض الأدياء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة. ويحسب أن كل كلمة كَثُرَ استعمالها صارتَ وضيعة. وكل كلمة قَلَّ استعمالها صارتَ شريفة! وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق، وفوضى الآراء في الأدب. قرأ أحد الأدياء قول الشريف:

إن غداً مجدوعة أشرافه فالبنى وافية والمجد عالي

فقال: المجد عالي، عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها. ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر، سواء كان الشريف الرضي أو امرأ القيس، العبارات الكثيرة الاستعمال، لحذفنا أكثر شعره!

إذن فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأي غير رجيح. فإننا نجد أجل الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها. أفتريد أن نحذف ونمتهن كل ما كان من نوع قول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أو قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

أو قول أبي العلاء:

خفف الوطأ ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

أو قول ابن زريق:

لا تعذليه فإن العذل يولعه

إلى آخر القصيدة ...

أو غزل جميل، وكثير، وابن الدمينه، وغيرهم ...

هل يرى القارئ في أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً؟ كلا، ولكنه بالرغم من ذلك أجل وأفخم وأروع الأساليب. فإذن قولهم الروعة في الغريب هراء المتكلمين الوزانين، الذين يسرقون معانيهم. وجعلهم حسن الديباجة في الغريب مغالطة تُكذِّبها كل دواوين أشعار العرب. فإن الشاعر الكبير يأتي بالأسلوب رائعاً جليلاً من غير تكلف للغريب. أما المبتدئ فهو الذي يتكلف الغريب، كي يُخفي به ركاكة عبارته. وكذلك الوزان يتكلف الغريب، كي يخفي به جمود طبعه وقلة معانيه. وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطي في وصف العامل: «كأنه الآلة في المعمل.» وهذا وصف بديع لبؤس الصانع. فقال: الآلة من الكلمات الوضيعة؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة! ولو أخذنا برأي أمثال هذا لقضينا العمر في مجادلات لفظية ليس تحتها طائل، فإن

الغرابية لا تستعصي على أحد. وإنما الصعوبة في الجمع بين المتانة والسهولة. وليس لشاعر بدُّ من استعمال الكلمات المستعملة؛ إذ إن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل.

وقد تكون العبارة المأى بالكلمات الغريبة أحسَّ أسلوبًا وديباجة، وأقل متانة من العبارة السهلة، التي ليس بها غير المألوف من الكلمات. فينبغي للشاعر المتبدئ أن يتطلب المتانة، وأن لا يخلط بينها وبين الغرابية؛ كي لا تُضلَّه الغرابية عن المتانة فيقع بها. انظر مثلا إلى قول المتنبي:

عرَفْتُ اللَّيالي قبل ما صنَعْتُ بنا فلما دَهَتَّتِي لم تزدني بها عِلْمًا

هذا أسلوب فخم جزل، رائع متين. ولكن ليس به غريب. ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئا غريبا، ولكنه يأتي أحيانا في بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابية كي تجيز له ادعاء الغرابية. كأن الغرابية تستعصي على أقل الناس ذهنا واطلاعا! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه استعمال الغريب؛ لأن المتانة تستلزم درس آداب كل العصور التي مرت على اللغة العربية حتى يكون ذوق الشاعر واسعا صحيحا. ولو فرضنا أن في الكلمات؛ الوضيعة والشريفة، لكان للكلمة الوضيعة منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة. وإنما العيب في استعمال الكلمات في غير مواضعها. فينبغي للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التي يريد وصفها أتم تعبير. فالكلمة قد تكون شريفة أو وضيعة حسب الاستعمال. فشرف الكلمة في دلالتها على المعنى، وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر، لا في غرابيتها. فلو كانت الكلمات وضيعة تلوكها الألسن فيزري بها ذلك، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة. فضعة الكلمة إذا هي غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضا، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه.

والذي يجني على بعض شعرائنا تعصُّبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر. في حين ينبغي تطلب صحة الذوق التي أساسها سعة الاطلاع. فإن الشاعر ينبغي أن يتميزز الأساليب كما يتميزز الخمر المعتقة، ويطرشفها كما يترشف الكئوس، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غربتها. فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت في غرابتها وسهولتها، من قماش واحد وذات لون واحد، هذه حقيقة يعرفها الطبع، وإن كان ينكرها التصنع.

والاطلاع شراب روح الشاعر. وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها، ويلقح ذهنه، ونفس الشاعر ينبوع، والاطلاع هو الآلة التي يرفع بها ماء ذلك الينبوع إلى الأماكن العالية. والشاعر في حاجة إلى محرّكات وبواعث. والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث. والأديب الذي لا يغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن. الذي لا يحركه محرّك. وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل في قول أبي العلاء المعري:

والنحل يجني المر من نور الربى فيصير شهداً في طريق رضابه

فالعالم الماهر يُخرج من الجيد جيّداً، ولكن العبقري يخرج أيضاً من الرديء جيّداً، ولكن بعض القراء يقيء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً. وهذا هو الفرق بين العبقري وغيره من الناس. نعم إن المطلع بآداب لغة من اللغات، لا بد أن يجتني بعض ما يقرأ من المعاني والخيالات من غير أن يشعر. وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبّي مثلاً عَلِقَتْ بذهنك بعض معانيه. وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً. أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان؛ فمن مظاهر تعمّد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد. فإن المشابهة والتوليد لا تُعدُّ سرقة. ومنها تسلسل المعاني كما في الأصل. وكثرة المتشابهة وعجز الشاعر عن الابتداء والتوليد.

وشعراء العرب لم يكونوا جهالاً بآداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم. فليس كل التربية مدرسية. انظر إلى زهير بن أبي سلمى وحكمه، وانظر إلى امرئ القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية، وعدي بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية. وانظر إلى رواج العلوم في أيام الدولة العباسية، وتأثر أبي العتاهية وابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي وأبي العلاء المعري بهذه العلوم. فإن هذا التأثر واضح في أشعارهم كل الوضوح، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل في الممالك العربية في العصور الأخيرة. فإن سُنَّةَ التقدم تقتضي الاطلاع بما يُسْتَحَدَّثُ في الآداب والعلوم. وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً، كان أغزر اطلاعاً؛ فلما يُقَصِّرُ همته على درس شيء قليل من شعر أمة من الأمم. فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشري والنفس البشرية، وأن يكون خلاصة زمنه. وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس، ومظهر ما بَلَغَتْهُ النفوس في عصره، وما عَجِبْتُ من شيء عجبني من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حدًّا فاصلاً بين آداب الغرب وآداب العرب؛ زاعمين أن هناك خيالاً غريباً وخيالاً عربياً.

نعم، إن كل لغة لها خصائص وذوق. ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محموداً حيث كان. إذ إنه ليس رهناً بخصائص اللغات؛ وإنما مرجعه العقل البشري والنفس الإنسانية. إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات. وتختلف في كلِّ حسب ذوق الجماهير فيها. وإذا قرأ الشاعر العربي آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة في معانيه، وفتحت له أبواب التوليد. فإن الشاعر الكبير، كي يعبر عما في نفسه من العبقورية تمام التعبير حتى لا يبقى بعضها مكتوماً مجهولاً، لا بد أن يجدد ذهنه دائماً بالاطلاع. وأن يحرك به نفسه، وأن ينوع من ذلك الاطلاع. فإن شَرَهَ الإحساس والتفكير هو ميزة العبقري. فإن مذاهب القول التي تستلزمها حياتنا تقتضي درس آداب العناصر الأخرى التي عمرت العالم، وأنشأت لها حضارة وعلومًا وفنوناً. فإن درسها يوسع عقولنا، ويجدد آمالنا وقوانا، ويهيئ وحي ذكائنا ويعطي خيالنا، ولكن ينبغي أن لا نكون ناقلين، بل ينبغي أن نكون مفكرين باحثين فيها. ومن دلائل هلاك الأمم نظرُها

دائمًا إلى حياة أجدادها واحتذاؤهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه، ولا نكاء ولا فطنة. ولقد بدأ الناس يتهمون نوي الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقة. وهذا الاتهام شيء لا غرابة فيه؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأغراض والمسالك الشعرية الحديثة، واتخاذ الآداب شكلاً غير شكلها المعهود، يدعو إلى الظنة والاتهام.

ولكن مما زاد الطين بلة، أن بعض الأدباء لا يرفع حُرمة، ولا يردعه ضميره عن السرقة الفظيعة. وأمثال هذه الأفعال قد بثت في أذهان كثير من القراء أن كل شيء جليل معناه، غريب موضوعه، مسروق لا محالة. وروَّج هذا الرأي طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون في ظلامها مَرَحَ الخفافيش في الظلام، وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء، وأهل الحسد والحقد والكذب، ومُغْلَقُو الأذهان، ممن يكره كل جديد ويتهمه، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم، وفسدت معانيهم، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة. ولكني أعتقد أن الشاعر العبقرى الكبير يُخْرِسُ هؤلاء — حتى ولو بعد موته — بكثرة ما يجيد، ويزيحهم من طريقه كما يزيح الخنفساء بنعله عن قارعة الطريق، وهو يعلم أن عداؤهم له سُنَّةٌ طبيعية لا مناص منها، كانت لها مظاهر في كل عصر من عصور الآداب في الأمم كلها. ولكن — بالرغم من ذلك — ينبغي للقراء أن يميزوا ما يقال. فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق. فإن هذه الزحمة فرصة السارق. فيزاول مهنته في خفاء وأمان. فالاتهام الذي أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل. والذي ينادى بالمتهم عن البحث والتدقيق، يؤدي إلى الفوضى التي هي فرصة ينتهزها اللص. ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نَظَمَ قصيدة بديعة فاتهم أنه سارقها، بأي شيء كان يحارب المتهم؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع؟ إنه قد يكون جاهلاً، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة.

وقد لفتني أديب إلى قصيدة المازنى التي عنوانها «الشاعر المحتضر» اليايئة التي نُشِرَتْ في عكاظ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدوني للشاعر شلى

الإنكليزي. كما لفتني أديب آخر إلى قصيدة المازني التي عنوانها «قبر الشعر»، وهي منقولة عن هيني الشاعر الألماني. ولفنتي آخر إلى قصيدة المازني «فتى في سياق الموت»، وهي للشاعر هود الإنكليزي. ولفنتي أيضاً أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها «الراعي المعبود»، وهي منقولة عن الشاعر لويل الأمريكي. وقصيدة المازني التي عنوانها «الوردة الرسول»، وهي للشاعر ولر الإنكليزي، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها. وقرأت له في مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهي من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزي. ومن مقالاته في ابن الرومي التي نُشِرَتْ في البيان، قِطْعَ طويلة عن العظماء، وهي مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو. ومن مقالات كارليل الأدبية، وقد ذاعت هذه الأشياء. ولو كُنْتُ أعرف أن المازني تعمَّد أخذها، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال، ولكني لا أصدق تعمَّد أخذها. ولو أنني رأيت عفریتاً لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ما عراني لرؤية هذه الأشياء! ولا أظن أنني أبرأ من دهشتي طول عمري. وفي أقل من ذلك مبرر لمروجي الإشاعات والتهم. ولا أظن أن أحداً يجهل مدحي المازني، وإيثاري إياه، وإهدائي الجزء الثاني من ديواني إليه، وصادقتي له، ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرتُ، ومعاتبته في عمله؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنَع في ماضيه. حتى يداوي ما فعَلَ ويرد كل شيء إلى أصله، وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء. ولسنا في قرية من قرى النمل حتى تخفى!

الصنع والكسب

قد حدّثوا عن صانعٍ حاذقٍ
يرى من الحسنِ الذي لا يرى
كأنما ينظر في عالمٍ
والحسنُ في الصنعة طيرٌ بدأ
يا راقِيَ الصنعِ إلى منزلٍ
يحارُّ لبُّ المرءِ في أمره
الناسُ في السهلِ يرون الذرى
ويحمدون العقلَ في جزره
كلُّ امرئٍ يبغى هوى نفسه
فاصنع له إن شئتَ ما يبتغي
إن كان هذا الصنعُ قد صيغتهُ
فالصنعُ وادٍ أنتَ أجرتهُ
ولا تشكُّ الدَّهرُ في فعله
ما حيرةُ المرءِ دليلاً على
يا شاكياً من قومه جهلهمُ
واستنزل الأرزاقَ من أفقها
قد فاق كلَّ الناسِ في صنعه
سواه مما جلَّ من بدعه
يحسر طرفِ الناسِ عن علمه
إن يرّمه عن عزمه يُصمّه
يرتدُّ لحظِ الناسِ عن سمّته
ويعجز الناعتُ عن نعتِه
كما يرون الأُفقَ في بُعدِه
ويكرهون العقلَ في مدّه
وإن أصاب القبحَ من نفسه
تستهوِّ لبَّ المرءِ في حسّه
كيما تنالَ الخيرَ من بيعه
للناسِ ما يخرجُ من ريعه
قد حارَ كلُّ الناسِ في فعله
فسادِ هذا الكونِ في عقله
اعذُرُ سوادَ الناسِ في جهله
كالغيثِ يحيي الأرضَ من وبله

فقد يحبُّ الصنع من حسنه
وقد يُرادُ الحقُّ من نفعه
قد عَنَّفَتْه نفسه مرةً
وعنكبوت من خمول به
فمَوَّه الصنع وجارى الورى
فازدحم الناسُ على بابهِ
باللَوِّ والليِّتِ رموا صنعه
لكنه باتَ على لوعةٍ
أثرى فلم ينفعه إثراؤه
وعادَ يبكي صنعه خائبًا
وكان ذاك الصنع ربًّا له
فنال ما قد نالَ من رزقه
وصار عبد الوفرِ في خفضه
وخَفَّضت من قدره نفسه

وقد يحبُّ الصنع من كسبه
وقد يُرادُ الحقُّ من حُبِّهِ
لما رأى الفقرَ على بابهِ
قد تعبت في نسج جلبابه
وراحَ يبغى الصيتَ في فنه
وقيل هذا الصنع في حسنه
قدمًا فلجُّوا الآن في مدحه
يعافُ ذاك المدح من قدحه
وأخلف المأمول من عمره
يبكي على ما فات من سرِّهِ
هواه دين كهوى عرسه
وباع ما قد باعَ من نفسه
وكان عبد الصنعِ في سخرهِ
ورَفَّعَ الجهال من قدرهِ!

نجي النجوم

رأيتُ عقودًا أم رأيتُ الدراريًا
كأنِّي في بحرٍ من الليلِ غارقٌ
وإني إذا ما طار بالنفسِ طيرُها
أبيتُ فلا أدري أتلكَ أزاهرُ
ويبعثنَ نحوي باللحاظِ كأنما
فغصبي عيون الليلِ لحظًا بعثته
أذاك بريقَ اللحظِ لحظَ رأى الأذى
ولا عجبٌ أن صار لحظك قاسيًا
أم اقتدحتُ فيك الحوادثُ رحمةً
وقد كنتِ ندمان الحزين وراحة الـ
وكم كنتِ هديًا للرجاءِ وللمنى
وكم عشقتُ نفسي النجومَ لأنها
وكم كُنتِ نجوى عاشقٍ وسميره
وكم لُحنتِ لي والدمع في العين حائرُ
وقبّة رمسٍ في السّماءِ نجومها
أزهر آمالٍ مضت لا يعيدها
أم الزهر منثورًا على الأفقِ زاهيًا
طفّت فوقه زهُرُ النجومِ لآليًا
وحلّق في أفقِ السماءِ خياليا
مفتحةً أم قد رأيتُ الدراريًا
يردّنَ ليعرفن الذي في فؤاديا
فإن بريقَ اللحظِ أصمى جنانيا
وعودَ حتى صار كالصخرِ قاسيا
فقدما رأيت الشرَّ في الناس فاشيا
فعاطى حنانًا قد أصبت حنانيا
ووحيد فسلي خائب القلب عانيا
إذا صار عيش المرء كالليلِ داجيا
إذا أبصرتها العينُ تحيي الأمانيا
إذا غاب صبُّ عن حبيبٍ لياليا
أودّع آمالي وأندبُ حاليا
نثرنَ على قبري الزهور الزواهيا
بكائي وهل يُغني لديها بكائيا

وَمَنْ لِي بِمَيِّتٍ طَامِعٍ فِي حَيَاتِيَا
وَإِنْ كَانَ قَلْبِي عَاطِلَ الْعَرْشِ خَالِيَا
وَخَلْفَ أَطْلَالَا لَدَيْكَ بَوَالِيَا
حَنَانِكَ خَلَّ الِهْمَّ أَسْوَدَ خَافِيَا
وَأَخْشَى بَرِيْقًا يَتْرِكُ الِهْمَّ بَادِيَا
وَضَوْءَكَ يَفْشِي سَرَّهَا فِي الدَّجَى لِيَا
فَإِنْ شَقَاءَ الْعَيْشِ أَصْمَى حَيَاتِيَا
وَلَيْسَ شَقَاءُ النَّحْسِ لِلنَّحْسِ شَافِيَا
فِيَا بَوْسَ أَيَّامِي وَطَوَّلَ مَلَائِيَا
وَمَاذَا يَقُولُ النَّجْمُ لَوْ كَانَ وَاعِيَا؟
فِيَا رُبَّ ذَكَرَى هُنَّ قَدْ هَجَنَهَا لِيَا
إِذَا كَانَ مَنْ أَهْوَاهُ أَصْبَحَ نَائِيَا
وَأَبْصُرُنَّ مَغْبُوطًا مِنَ الْعَيْشِ حَالِيَا
سِوَى أَنْجَمِ زَنْ السَّنِينِ الْخَوْلِيَا
وَهِيَهَاتَ لَيْسَ النَّحْسُ حَلْمًا بَدَا لِيَا
إِذِ الْقَلْبُ لَا يَلْقَى عَلَى الْحَبِّ عَادِيَا
كَأَنِّي مَا كُنْتُ السَّمِيرَ الْمَدَانِيَا
بِهَا كُنْتُ أَرَعَى الْحَسْنَ فَيَنْانُ زَاهِيَا
وَيِرْتَاخُ قَلْبِي أَنْ سَهِيْلُ رَنَا لِيَا

فِيَا مَنْ لَمِيَّتِ بِالْحَيَاةِ مَعْدَبٍ
وَيَا تَاجَ مُلْكِ اللَّيْلِ تَهْنِيكَ نِعْمَةً
كَأَنَّكَ فَرْدَوْسُ تَقْضَى نَعِيمِهِ
تَضِيءُ هُمُومًا فِي الضَّلُوعِ مَقِيْمَةً
فَإِنِّي أَدَارِي النَّفْسَ عَمَا تَكُنُّهُ
أَبِيْتُ كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْلٌ وَظَلْمَةٌ
أَفِيكَ أَنَاسٌ لِلشَّقَاءِ حَيَاتِهِمْ
لَعَلَّ حَزِينًا فِيكَ يَرِثِي لِشَقَوْتِي
أَبِيْتُ فَلَا أَدْرِي لِعَيْشِي عِلَّةٌ
أَسْأَلُ هَذَا النَّجْمَ وَالنَّجْمُ لَا يَعِي
فِيَا عَيْنُ مَا لَحْظَ النَّجُومِ بِنَافِعِ
وَمَا فِي مَرِيرِ الذِّكْرِ أَنَسٌ وَلَذَّةٌ
أَتَلُّكَ نَجُومٌ كُنْ أَبْصُرْنَهُ مَعِي
أَمْ اسْتَحَدَّثْتُ بَعْدِي السَّمَاءَ دَرَارِيَا
أَمْ الْعَيْنُ غَيْرَ الْعَيْنِ أَمْ أَنَا حَالِمٌ
فَمَا لَحْظُهَا مِثْلَ اللَّحَاطِ الَّتِي مَضَتْ
وَتَلَحَّظُنِي لَحْظَ الْغَرِيبِ جَلِيْسِهِ
كَأَنِّي لَمْ أَرَعْ النَّجُومَ بِمَقْلَةٍ
وَقَدْ كَانَ يَصْبِيْنِي الْهَلَالُ إِذَا بَدَا

وَأَنَاتِ قَلْبٍ تَتْرِكُ اللَّيْلَ شَادِيَا
وَأَصْبَحْتُ مِنْبُوذًا عَنِ النَّاسِ سَالِيَا
لِيَالٍ وَأَيَّامٍ تَخَالُ لِيَالِيَا
وَلَذَّاتٍ عَيْشِي وَالْحَبِيبَ الْمَصَافِيَا
وَتَذَبُلُ حَتَّى يَصْبَحَ الْكُونُ ذَاوِيَا؟
وَأَصْبَحَ نُورُ الْحَسَنِ فِي الْعَيْنِ دَاجِيَا

وَكَمْ لِي مِنْ نَجْوَى لَدِيهَا أُسْرُهَا
وَلَمْ أَعْرِفِ الْأَحْبَابَ حَتَّى فَقَدْتُهُمْ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي الْحَبَّ حَتَّى بَدَتْ لَهُ
وَوَدَّعْتُ آمَالِي وَوَدَّعْتُ عَزْمَتِي
فَهَلْ تَنْضُرُ الْأَفْلَاكُ كَالزَّهْرِ حَقْبَةً
وَهِيَهَاتَ! إِنَّ الْقَلْبَ أَصْبَحَ ذَاوِيَا

سحر اللحاظ

أَسْرَتْنَا مِنْكَ بِسِحْرِ حَلَالٍ
أَمْ تِلْكَ خَمْرٌ مِنْ عَصِيرِ النَّهْيِ
يَا هَلْ لَطْرَفِي مِنْكَ مِنْ نَظْرَةٍ
يَقُولُ قَلْبٌ قَدْ رَمَاهُ الْهَوَى
يَا عَيْنِ رَفَقًا بِفؤَادِ عَلِيلِ
قَدْ عَشِقَ الْحَسَنَ فَلَمْ يُجِدْهُ
قَدْ لَجَّ هَذَا الْقَلْبُ فِي خَفَقِهِ
فَالْحَسَنُ فِي الْعَيْنِ طَرِيرٌ غَرِيرِ
أَهْ عَلَى خَيْبَةِ قَلْبٍ طَرُوبِ
أَتُعَبِّتِي يَا قَلْبُ، يَا طَائِرًا
يَا طَائِرًا بَيْنَ ضُلُوعِي ثَوَى
هَذَا جَنَاحُكَ مِنْكَ أَدْمِيَّتُهُ
هِيَهَاتَ أَنْ تُفْلَتَ مِنْ أُسْرَاهَا
وَأَنْتِ يَا عَيْنُ عِدَاكَ الْكُرَى
يَا حَسْرَةً مَا مِثْلَهَا حَسْرَةٌ
يَا عَيْنِ مِنْ أَهْوَى رِعَاكَ الْكُرَى
أَمْ ذَاكَ لِحْظٍ نَافِذٍ كَالنَّبَالِ؟
أَمْ ذَاكَ النُّجْمُ الْبَعِيدُ الْمَنَالِ؟
فَرُبَّ لِحْظٍ فِيهِ رَجْعُ السُّؤَالِ
يَا عَيْنُ مَا أَقْتَلَ هَذَا النَّضَالَ
تَكَسَّرَتْ فِيهِ صُدُورُ النَّصَالِ
غَيْرُ عَالَمَاتٍ حَكَاهَا الْخِيَالِ
يَا لَيْتَهُ يَجْهَلُ سِحْرَ الْجَمَالِ
وَالْحُبُّ فِي الْأَحْشَاءِ دَاءٌ عَضَالِ
شَقَاؤُهُ فِي الْحَبِّ حَالُ فَحَالِ
يَحْسِبُ أَنْ الْحَسْنَ مَاءً زَلَالِ
يَحْلُمُ بِالْغَصَنِ وَبِرْدِ الظَّلَالِ
عَلَى ضُلُوعٍ نَصَبْتَ كَالْحَجَالِ
يَا قَلْبُ كَمْ تَبْغِي سِرَابَ الْمَحَالِ
شَوْقًا إِلَى طَلْعَةِ ذَاكَ الْجَمَالِ
نَهْوَى عَيْونًا لِحْظَهَا كَالنِّصَالِ
فَلَيْتِي مِنْكَ لِيَالٍ طَوَالِ

يا نجمة الآمال قد أشرقت
عُودِي بلحظٍ صادق ضوءه
يا طاقة أبصرُ منها النعيم
كأنَّها بابٌ إلى جنَّةٍ
عُودِي بلحظٍ أحتسي خمره
ولا يَكُنْ برقك لي خلبًا
مهما تناءت بك عنَّا الديار
فأنتِ أدنى من نجِّي الرجاء
فإنَّ في ذكراك برء العليل
في لحظٍ عينيك عقالُ الهوى
تطلُّ في العين معاني النفوس.

أبصرها في اللحم مثل الذبَّال
يجلو دجى العيش وليل الخبال
في جنَّةِ الخلدِ وريف الظلال
ليس بها من شقوةٍ أو ملال
فالكوثرُ العذبُ شهِّي المنال
أهكذا حظِّي آل فال!
وطال من ذاك العشيرِ احتمال
وأنتِ أحلى من كئوس الثُّمَال
وربَّ ذكري مثل شوكِ السلال
نفوسنا في أسرِ ذاك العقال
والنفسُ أسمى ما يحبُّ الرجال

قوة الفكر

أسري من العقل إلى القلوب
أبتُ فيها الهمم الصليبه
كالكهرباء فعلها يبين
لكنها عن العيون خافيه
ألوي برب الفكر عن ذويه
طوراً وطوراً راحة وسلماً
وأرخص العزيز والكبيراً
أليح بالمطامع البعيده
وربّ غرّ كان عبد عمره
كان صغيراً فغدا عظيماً
رفعته عن لذة وألم
مشهراً بين الأنام معلماً
حملته مئونة العظام
الكون بردي والزمان داري
والكون كالنّشوان من كئوسي
آمالها من طرب الخمار
أكاد أن أعرف في الوجيب
وأنزع العزيمة المغلوبة
يخبر أين سرها المصون
ساكنة طوراً وطوراً عادية
وأذهل العازم عن أخيه
أجبر عظماً وأهيض عظماً
حتى يصير هيناً حقيراً
وأهلك الجحافل العديده
زودته من خيره وشره
كان يرى عيش النهى أليماً
فصار ناراً أضرمت في علم
مبغضاً طوراً وطوراً مكرماً
حتى استبان صابر وناديم
أكتب فيها سير الدراري
ألا ترى تطرب النفوس؟
فلذة الحياة من عقاري

كم حقبةٍ قد اختمرت فيها
أقوى على الأيام والدُّهور
والناسُ قد غرَّهُمُ خمودي
نَبَّهْتُهُمُ للحادث العظيم
فأشعلُ النيرانَ واللهيبا
طَوَيْتُ جَيْلاً ونشرتُ جَيْلاً
وكم رماني الجورُ في الأخدودِ
واستبشروا بمقتلي وهُلْكي
وأوسَعُوا مَنْ نالني عذاباً
فصار لي في قتله انتشارُ
وصار لي من دمه مداد
الفكرُ عدوى ما لها من راقِي
يذرُّ ذرّاً البذرِ في الرياح
سأغمرُ الأنامَ من مياهي
إن الخطوبَ سنةُ التجددِ
وأولُ الفكرِ الكبيرِ خطب
وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفاً
يوسعُ مَنْ جالدهُ عناداً
يا برما بالفكرِ يبغى خنقه

وكان كأسِي قبلها كريها
كما صَفَتْ عتيقةُ الخمرِ
وهُمُ على غرَّتْهم وَقودي
كما تشبُّ النارُ في الهشيمِ
وأشغلُ الأحمقَ واللبيبا
وكم بعثتُ فيهمُ رسولاً
وقيدوني فوهت قيودي
وبينهم لو يفتنون مُلْكي
وقطَّعُوا مِنْ لَحْمِهِ عقاباً
يقام لي من قبره منارُ
يخطُ في الدهرِ به السداد
وليس منها حافظٌ وواقِي
فيسعدُ النفوسَ باللقاح
فلا تُرَعُ أن صلت بالدواهي
فلا تُرَعُ من سهمها المسدد
ثم يظلُّ خيرُه يرب
ثم اغتدى مجالداً عنيفاً
مضرباً من عزمه جهاداً
أأنت تدري سره وخلقَه؟

الفكرُ نورُ الله في الوجود
يلبسُ بُردًا ثم ينضو بُردًا
فهو كثيرُ اللونِ كالحرباءِ
إنَّ حَقَّقُوا بالفعلِ منه جانبًا
فكن كسيفٍ في يديه ماضٍ
فعمرُه كخلده المديد
إن لكل زيٍّ منه حدًّا
وهو كثيرُ اللونِ كالضياءِ
أجدُّ من أعماقه مطالبًا
فهو علينا حاكمٌ وقاضٍ!

الذكر

قد يفعلُ الذكرُ بالنفوسِ
يعيدُ لي الذكرُ ما تقضى
فيقدح الشوقَ في فؤادي
فإنَّ ذكراك في فؤادي
راحةٌ عيشي ونومُ عيني
والحسنُ كالنَّارِ في ضياءِ
فالذكرُ رمزٌ إلى حبيبِ
أُصغي إلى الذكرِ في فؤادي
كأنما شدَّوه خريزُ
كأنما شدَّوه أتيُّ
كأنه الريح حين هبَّتْ
والذكر كالريح في شذاها
كم قرَّب الصبِّ من حبيبِ
فينشق العطرَ من حبيبِ
حتى كأن لم يكن بعيداً
كأنه ساحرٌ قديرٌ
ما تفعل الخمرُ بالرعوسِ
من الهوى مُترَع الكئوسِ
كالنَّارِ في عودها اليبسِ
كالنَّارِ في معبدِ المجوسِ
خُصَّا لقربانها النفيسِ
والحبُّ من جَمَرِه القبيسِ
والنارُ رمزٌ إلى الشموسِ
وأحسبُ الذكرَ كالهسيسِ
أو نعمة المطرب الأنيسِ
قد غمر اليأسَ بالطموسِ
بالروضة الغضة الميوسِ
وعطره نشوةُ النفوسِ
حتى يُرى دانيَ الحسيسِ
يكاد ينقاد للموسِ
ولم يكن طعمةَ الرموسِ
يدوف من نعمة وبوسِ

يُليحُ للعين ما تقضى
يمزقُ السترَ عن خفيِّ
ويُرجعُ الدهرَ عن فريسِ
وإنه خُطَّ في الطروسِ
ويصدعُ القيدَ عن حبيسِ
والناسُ للدهرِ كالفريسِ!

المجرم

يرى الناس أنَّ النومَ أمُّ رحيمَةٍ
يسلُّ عليَّ الحُلمَ أسيافَ نعمةٍ
وكم هَدَّ من عزمٍ صليبٍ عذابها
فيا بلسمَ الأحزانِ أصبحتَ عونها
أما يهربُ المسكينُ فيك من الأذى
شرابٌ من النسيانِ يخلو لذائق
يبببُ فلا وَقَع الصروفُ بكارثِ
وما العيشُ إلا نومةٌ راعَ حُلْمها
وغيرني عما عهدتَ جرئري
فلا تحسبن الشرَّ يُمَحَى بتوبةٍ
كذلك فَعَلُ الطَّبِّ يشفي دواؤه
ولكنَّ بعضَ الضعفِ في المرءِ كامنٌ
ورَوَّعَ عني الوزرُ كلَّ محبِّبِ
وقد غابَ بشرُ الناسِ عني وأنسُهُمُ
ألوحَ فيبدو الخوفُ في وجهِ مبصري
أو أنَّ دماءَ الهالكينَ جَعَلَتْهَا
ولكنَّ نومَ الجارمينَ عقابُ
فأحلامُ نومي كالجحيمِ عذابُ
وشيبَّ ورَّادَ الذنوبِ فشابوا
عليَّ فَبُطِّلُ ما وَعَدْتَ كِذابُ
فيسكره مما تدوف شرابُ
له من وميضِ النيرِاتِ حبابُ
ولا تزدهيه عزيمةٌ وطلابُ
ووقع سؤالٍ ما عليه جوابُ
فليس إلى الحالِ القديمِ إيابُ
وإنَّ غَفَرَ الجرمَ العظيمَ متابُ
فيحْمَدُ من مرأى السقامِ ذهابُ
وإنَّ حَسُنَتْ حالُ وراقِ إهابُ
فقد بانَ أحبابُ وفاتَ شبابُ
كأنِّي على ضوءِ النهارِ سحابُ
كأنِّي سيفٌ والرقابُ قرابُ
على راحتي مما سفكتُ خصابُ

ويسكت عني الناسُ سكتةً مبغض
ولما أنس إلا أن يكونَ مخافهً
فبيني وبين الخوفِ ودُّ وألفة
ويلحظني المغرورُ لحظةً جاهلٍ
رجوتُ من الإِجرامِ نفعًا وإنما
ولو لم يجد في الخيرِ نفعًا لعافه
وإن رواءَ الطُّهرِ حيلةٌ ماكرٍ
وإن يلقُ ما لاقيتُ أصبحَ خيرُهُ
يُواقع كلُّ الناسِ بالفكرِ شرهم
وكم حدّثتُ بالشرِّ ذا الخيرِ نفسهُ
ولكنّه في النفسِ إثرٌ يشوبها
ظمئنا فخلنا الشرَّ في العيشِ منهلاً

فما لي لديهم إن دعوتُ جوابُ
على أنهم مما يخافُ غضابُ
وبيني وبين العالمين حجابُ
يُسرُّ بما أرمى به وأعابُ
هواه من الفعلِ الحميدِ ثوابُ
وأصبحَ يُخشى شره ويُهَابُ
يُصيب بها من عيشه ويثابُ
ضئلاً وقال القائلون وعابوا
وقد عابني أني جرؤت وهابوا
وذاك حديثٌ ما عليه عقابُ
وكلُّ ضميرٍ بالمعيب يشابُ
ولكنَّ وردَ الجارمين سرابُ

ليلة الحسن

أحيا اللواعج ماضٍ من أمانينا
وكان عهدُ الهوى يا حُسْنُ يُضْحِكُنَا
ما لي وللحُسنِ لا أمري بمقتبلٍ
ما العيشُ إلا ليالٍ في الهوى سلفت
فعاوَدَ القلبُ عهدًا كان مدفونًا
فصار عهدُ الهوى يا حُسْنُ يُبْكِينَا
ولستُ بالعيشِ واللذاتِ مفتونًا
واهاً لها حسناتٍ لا تواتينا
تهفو علينا فتصبينا وتحيينا
إذ أنت حُلْمٌ لذيذٌ في ليالينا
نسعى إليه ويسعى في مساعينا
وإن يُمَسَّ فلا تخطيه أيدينا
راضَ الفنونَ فلبتته أفانينا
يا فتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا
ومرمرٍ ناصعٍ باللونِ يسبينَا
فالعيشُ يظمننا والحسنُ يروينا
فكنتَ في جنةٍ وردًا ونسرينَا
إن القطوفِ إلى الفردوسِ تشهينَا
وأنَّ رؤيتكم كالشَّهدِ تشفينَا
يكاد يأكلها لحظُ المحبينَا
أحيا اللواعج ماضٍ من أمانينا
وكان عهدُ الهوى يا حُسْنُ يُضْحِكُنَا
ما لي وللحُسنِ لا أمري بمقتبلٍ
ما العيشُ إلا ليالٍ في الهوى سلفت
فعاوَدَ القلبُ عهدًا كان مدفونًا
فصار عهدُ الهوى يا حُسْنُ يُبْكِينَا
ولستُ بالعيشِ واللذاتِ مفتونًا
واهاً لها حسناتٍ لا تواتينا
تهفو علينا فتصبينا وتحيينا
إذ أنت حُلْمٌ لذيذٌ في ليالينا
نسعى إليه ويسعى في مساعينا
وإن يُمَسَّ فلا تخطيه أيدينا
راضَ الفنونَ فلبتته أفانينا
يا فتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا
ومرمرٍ ناصعٍ باللونِ يسبينَا
فالعيشُ يظمننا والحسنُ يروينا
فكنتَ في جنةٍ وردًا ونسرينَا
إن القطوفِ إلى الفردوسِ تشهينَا
وأنَّ رؤيتكم كالشَّهدِ تشفينَا
يكاد يأكلها لحظُ المحبينَا

تعيي ذوي الفن خير الحسن يعيينا
ودمية بثَّ فيها الحسن واللينا
فصار حسنك بالأرواح مقرونا
حتى يبيت تقى النفس مفتونا
أنت الحبيب إلى كل المحبين
فأنت كعبة أرواح الملبين
بالقلب مني قد داويتها حيناً
كالخمر تصرعنا حيناً وتحيينا
سحر العيون الذي قد بات يبلينا
فالحسن يسحرنا والسحر يرقينا
طاف الغرام بها يا حسن يسقينا
وخمرة الكرم تروينا وتصيبنا
تهفو وللليل أذن فيه تبغينا
فإنما الحب ضرب من تغينا
حتى كأن سناه من تصافينا
حتى كأن ضياء البدر واشينا
وفوق وجهك ضوء الحسن يُشجينا
فغار حتى لكاد البدر يأتينا
وفتر اللحظ، لحظ الحسن يسبينا

هل أنت من فلتات الخلق معجزة
يا صورة صاغها ذو الصنع متددا
وبثَّ فيها معاني الخلد أجمعها
تسمو إليك نفوس الناس كلهم
ففيك من كل نفس خير ما ضمنت
تدعو النفوس فتأتي غير كارهة
يا حسن كيف سرت بي نشوة لعبت
في بعض سكر الهوى عن بعضه عوض
يا حسن من لي بسحر مثل سحركم
يا حسن من لي بسحر أتقيك به
يا حسن هل أنت ناس ليلة سلفت
خمر الغرام وخمر الحسن تُسكرنا
كأننا نعمة في الليل سارية
كأننا نعمة بالنفس آخذة
ورق فيه أديم البدر مؤتلقا
قد بات يلحظنا ريباً ونلحظه
وبثَّ ألحظكم طورا وألحظه
أبديت أحسن منه صفحة وسنا
وصار يصقل وجهاً منه ذا كلف

وصار يغمرنا باللحظ في مهلٍ
هيهات يا بدرُ إنّ الحسنَ أجمعه
يا حُسنُ لا تحسبنَ البدرَ يشغلنا
لم أنسَ قولي له يوماً أمارحُه
مُدُّ أَلْفِ جِيلٍ مَضَتْ قَد كُنْتُ أَعْرِفُكُمْ
لا تُخَفِ عَنَّا الَّذِي نَدْرِي فَإِنَّ لَكُمْ
فَأَنْتِ أَنْتِ إِلَهُ الْحَسَنِ كَمْ سَجَدْتُ
جاذبته كفه كي لا يفارقني
وقوله لي في دلٍّ ومعتبةٍ
فصيفٌ لنا ليلنا شعراً تَقُلُّ عَجَبًا
هذا قليلٌ مقالٍ أنتَ باعته

فَعَلَ الْحَسَانَ بِسَهْمِ الْحِظِّ تَصْمِينًا
يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا
يا حُسنَ لولائكَ ما ابيضَّت ليالينا
كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا
ولم أدنُ غيرَ حَبِّي حُسنكم دِينًا
سِيمًا تعزُّ وأوصافًا أفانينا
لك النفوسُ ولَبَّأكَ المحبونَا
فمنهلُ العيشِ حلوٌّ في تدانينا
أظمأتنا من قريضٍ منك يروينا
فإنما الشعرُ إلهامٌ يناجينا
إن شئتَ زدْتُكَ منه لو تواتينا!

البطل المنتظر

عليهم بأسرارِ القلوبِ خبيرُ
فيحكمها حكم المطرِّبِ عوده
وقد كان سرًّا في الطبيعة كامنًا
وهل مخبرٌ عن نابغٍ كيف خلقه
تمرُّ دهورٌ والحياةُ كآجنٍ
إلى أن يحلَّ الغيثُ حبوةً مائه
كذلك حالُ الناسِ فالناسُ آجنٌ
وبارقة تجلو الظلامَ وصاعق
فيضطرُّ القلبُ الذي كان خامدًا
لذاك يُرجى بينهم كلَّ حقبةٍ
ليصبح عزمُ الناسِ وهنا بعزمه
وقد كان مزجُ النفسِ بالنفسِ باعثًا
كأنَّ نفوسَ الناسِ طيرٌ تشرَّدتْ
فيا ساكنًا في الغيب هل أنت مسعد
فإن نفوسَ الناسِ قد مات جدُّها
وصارت حياةُ القومِ مزحةً عابثٍ

تتاجيه منَّا أنفسٌ وضميرُ
أمينٌ على وحي النفوسِ أميرُ
فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ
فذلك سرٌّ في الوجودِ ستيرُ
أمرٌ وقدمًا كان وهو طهورُ
فيترع منه جدولٌ وغديرُ
مريرٌ، وماءُ النابغينِ نميرُ
يشبُّ لهيبًا، والأنامِ قشورُ
ويصبحُ روضُ النفسِ وهو نضيرُ
بشيرٌ لمن يبغي العلى ونذيرُ
فيحمد منهم أسرٌ وأسيرُ
يجدُّ بها نحو العلى ويسيرُ
وللطيرِ من نفسِ العظيمِ وكورُ
أما أن من خلفِ الغيوبِ سفورُ؟
وليس لها إلا لديكِ نشورُ!
وقولك طبُّ للنفوسِ قديرُ!

خميلة الحب

تمهّل رعاكَ اللهُ أَقْضِ لبانتي
فإني تعلّمتُ الهوى في ظلّالها
تمهّل خليلي في رباها فعندها
نظرتُ إلى زهرين، زهر نباتها
هنا قد عرفتُ العيشَ جمًّا ضياؤه
هنا نالني سحرُ الهوى في نسيمها
هنا مهّدُ آمالي، هنا حُلم يقظتي
هنا قد جرعتُ الحبَّ حتى كأنني
هنا زادَ هذا القلبُ خفقًا كأنه
وكم ليَ فيها من أمانٍ لذيذة
وناجيتُ فيها كلّ غصنٍ لعله
وساءلتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه
وناجيتُ فيها كلّ شادٍ وأعجمٍ
وهل تتفَعُ النَّجوى وقلبك صخرة
نعم يسمع النجوى الذي طاب روحه
وتُدني أليفًا من أليفٍ موافقٍ
وأتلُ على تلك الرياضِ تحيّي
وفيهما رأيتُ الحسنَ أول رؤية
نظرتُ فلم أملك على الحبِّ نظرتي
وزهرة حسنٍ ناضرٍ أيّ زهرة
وقد كان قدمًا في سوادِ الدجنة
هنا كان بدءُ الحبِّ قدمًا ونشوتي
هنا سكرتُ نفسي غرامًا وجنّيتُ
جرعتُ به من خمرةٍ أيّ خمرة
جناحُ قِطاةٍ في الضلوعِ أجنّت
وكم ليَ فيها من لقاءٍ ونظرة
رأى خطرةً من شبهةٍ أيّ خطرة
فغنّى مغني الطير في كلّ أيكّة
وأنت بعيدٌ لستَ تحنو للقيّتي
ألا خابت النّجوى لدى كلّ صخرة
فتُعدي على بعدٍ يروع وغيبية
كأن لم يُرِعْ قلبيهما شحطُ غربة

ويا دعوة بالليل، يا طول دعوتي!

وحتى متى يحنو على غير مُنصِتٍ؟

وبعد مضيٍّ من جمالٍ ونضرةٍ

لَوْجِهَكَ إِنَّ الحسَنَ يُجَلَى بذكره

وحسُنكَ فيه خالدٌ غير مفلتٍ

وهل نافعِي حبي هناك ولو عتي؟

وأنك سحري يا حبيبُ ورُقيتي؟

وإن كنتُ قد أحببتُ كلَّ محبةٍ

فتضحك جذلانا ببثِّي وعبرتي

فتمسح أجفاني وتوقِفَ دمعتي

أحبُّك أم تقري الهوى كلَّ بغضةٍ

من أجلك حبي يا حبيبُ ومُهجتِي

فإن تمقت النفس المشوقة أمقت

فأتلو عليها نغمةً أيَّ نغمةٍ

فيسعد قلبي في حنينٍ وأناةٍ

أعيذك من صدِّ يروع وجفوةٍ

فأقطفُ من أثمار عيش جنيةٍ

وأبصر فيه جنةً أيَّ جنةٍ

فيا دعوةً بالروضِ لم تلقَ سامعًا

إِلَّامَ يُحِبُّ القلبُ من لا يحبه

لعلك يومًا بعد شحطٍ من الصبا

ترى في قريضي ما مضى من نضارةٍ

فإنَّ قريضي جنةُ الخلدِ حُسْنُهُ

فلا تتنسَ حبيَّ عندها ولو اعجي

أيرضيك شعري فيك أنك وحيه

فمُرني أن أهواك أزددَ محبةً

فإن نعيمًا أن أبثُّك لو عتي

وإن نعيمًا أن تراني باكيًا

فيا ليت شعري هل يروقك أنني

فإن تكن الأخرى فإنني مُهلكٌ

فإن هلاكَ الحبِّ حبُّ لكارهٍ

فيا ليت لي من صخرِ قلبك آلةٌ

يئنُّ أنينَ العودِ من شجْوِ ضاربٍ

فيا صبوةَ القلبِ العفيفِ وهمةً

بك العيشِ حلوً والحياةُ شهيةٌ

وأنهلُ فيه من رحيقٍ وسلسلٍ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

وأنت جنانٌ أنبتَ الحسنُ زهرَها
وأنت ربيعٌ ليس يُخشى انقضاؤه
وأنهلها من كوثرٍ فتروّتِ
فأين ربيعُ القلبِ، يا طول حسرتي!؟

علافة العيش

أيا طالبًا من عيشه ما يؤدُّه
سفاه سؤال المرء لو قدَّرت له
ولو شاءت الأقدار لم يشكَّ خطبها
وهل يَحْمَدُ الأقدار من كلِّ عيشه
فلا تحزننَّ من ضجة العيش، إنها
لعلَّك بعد الموت تبغي ضجيجها
ستسكن بعد الموت حتى تملَّه
وإنَّ ضياءَ العيش يزهو رواؤه
ظلامٌ من الأحداث والخطب والردى
وما العيش إلا خمرة أنا شاربٌ
وهل يفرق النشوان من صرف دهره
وما لي لا أرضى وفي الخوف لذة
مغالبة الأخطار سكرٌ ولذة
وقد لا يزيل الهمَّ إلا تعتُّبٌ
وإنَّ صروفَ الدهر تأسو جراحها
ومن رحمة الأقدار كرُّ خطوبها
أحقُّ ومَلِكٌ يُبتغى ويُرَامُ
خطوب فما يجدي لديه ملأمُ
ولكنَّ أطماع النفوس قوامُ
أمانِيٍّ تدعو للكمالِ عظامُ؟
سيخرسها مما يُتأخَّ حِمَامُ
وهيئات لا يصبي الرميمَ مرَامُ
وليس بمن تطوي المنونُ سَامُ
لأنَّ حاطه بين الأنام ظلامُ
يبيت ضياءَ العيش فيه يشامُ
فهل رائعي أن الخطوبَ أَمَامُ
ويشقيه من وقع الخطوبِ لَمَامُ
وليس لأدواءِ الكلومِ دوامُ
وإنَّ شُبَّ منها في الضلوعِ ضرامُ
فلا تنك من ذاقوا الصروفِ فلاموا
وتُظمي فيروى بالأوامِ أوامُ
ومن عادةٍ ضيمٌ فليس يضامُ

فيسرُ في غمار العيشِ تَعْتَدُ خطوبَه
ولما تحسبنَ الحزنَ تبقى قروحه
كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلمٌ إذا مضى
وإنْ شقيتُ بالعيشِ نفسٌ كليلَةٌ
ولولا الأذى ما دُقْتُ في العيشِ لذةً
ولما شرَّ إلا فيه للخيرِ مألَفٌ
لقد وَسَعَتْنَا الحادثاتُ إِرَاحَةً
فمن ضلَّ في خرقٍ من العيشِ لبَّه
وهوَّانَ وَقَعَ الخطبُ أَنَا ذرائعُ الـ

ويسهلُ بميدانِ الحياةِ مقامُ
فليسَ لحزنٍ ما بقيتَ دوامُ
ونكزى دموعِ البائسينَ غمامُ
فللرُّمدِ من لونِ المنونِ جمامُ
فكلُّ نقيضٍ بالنقيضِ يُشامُ
كما تألفَ الماءَ الطهورَ مداً
لأنَّ قادننا مما تريد زمام
هداه زمامٌ جاذبٌ وخطام
قضاءٍ فلا صونٌ لديه يرامُ

لص أم أديب

كذلك لصوص الشّعْر في مسلكٍ وعرٍ؟

وراكبها من خفة اللصِّ لا يدري

إذا لم تُهَيِّئْهُ النوافخُ للزَّمْرِ

إذا لم تهَيِّئِكَ الأصابعُ بالنَّقْرِ

فربَّ وعيدٍ في التواضعِ والصبرِ

ولو شئتُ لم تُحمد على السِّرِّ والجهرِ

فمن منصفٍ يا قوم من ورمٍ وعرٍ؟

إذا كان مطبوعاً على اللؤمِ والغدرِ

إذا ما غباءٌ فيه قَصْرٌ عن شعري!

أتسرقُ من شعري وتقذُحُ في شعري

كمن يسرقُ الدهماءَ من تحت ركبٍ

وإنَّكَ كالمزمارِ أخرسُ أبكمٍ

وإنَّكَ كالمزمارِ ما لكَ منطقٌ

فلا تحسبنَّ الصبرَ في استكانةٍ

خَلَقْتُكَ من لا شيءٍ لو شئتُ لم تكن

ورمتَ غروراً كنتُ فيك نَفْتَهُ

وهل يُصلحُ الإنسانَ لومٌ يصيبه

يظن غبي جهلهُ في سبِّةٍ

تزاوج النفوس

إن النفوس لأسرارٍ مخبَّاءةٍ
وكلُّ روحٍ على الأيام منفردٌ
إن كان روحك لغزاً أنت باحثه
مجاهل النفس هل من كاشف فطنٍ
مجاهل النفس هل من باحثٍ يقظٍ
والحبُّ تكشفُ بعضَ النفسِ هبَّته
كأنما النفسُ تبدو خلفَ كلته
لنفسٍ بالنفسِ تلقيحٌ يطيبها
وفي النفوسِ دروعٌ للنفوسِ فلا
أهوت إلى النفسِ نفسٌ تبتغي سكناً
يولِّدُ الحبُّ نفساً غير ما ضمنا
وكلُّ قلبٍ يعيش الدهر منفرداً
والحبُّ كالنَّارِ زانِ النفسِ صيقله
كم خائفٍ جاءه من حيث يدفعه
الخلد في وحشةٍ كالموت نجبه
لا يُبتغي الخلد إلا والهوى سكنٌ
فكلُّ روحٍ عن الأذنين مستترٌ
إنَّ النفوسَ لدى أسرارها جُزُرٌ
فكيف تعرف نفساً دأبها الحذرُ
لقد بعدتِ فلا ركب ولا سفرُ
طال التساؤلُ لا راوٍ ولا خبرُ
وأكثر النفسِ كنزٌ صانه المدرُ
سحابةُ الصيفِ فيها البدرُ يستترُ
كما يلقحُ في بستانه الشجرُ
ترقى إلى كيدِها الأقدارُ والغيرُ
حتى تطايرَ من حُبَّيهما الشرُّ
فالوالمقون بما قد عالجوا كثرُوا
كالبيدِ والبيدُ لا ماءٌ ولا شجرُ
والحبُّ كالنَّارِ لا يُبقي ولا يذرُ
خوفاً وكم حاذرٍ لم يُجديه الحذرُ
فكلُّ روحٍ إلى الأرواحِ مُفتقرُ
فالخلدُ لو لا الهوى الزقومُ والصبرُ

ويبتغي المرءُ وردًا في الهوى أبدًا
والنفسُ للنفسِ زَوْجٌ طاب عرسهما
من لي بنفسٍ أرى نفسي بها مُزِجَتْ
والنفسُ في عيشها شتَّى منافذها
والحبُّ في الناسِ ذنبٌ لا اغتفار له
يثير في النفسِ ما قد كان ذا سِنَّةٍ
والحبُّ كالنهرِ يُغري الروحَ رونقه
والنفسُ كالركبِ في الصحراءِ سيرتها
هذي العظامُ على الصحراءِ قد نخرتْ
ورُبَّ نفسينِ مثل اللُّجَّتَيْنِ إذا
أو مثل قطر الحيا قد ضمَّ شملهما
تسرَّبت أنفُسٌ في أنفُسٍ فمضتْ
ورُبَّ نفسينِ حال الدهرِ بينهما
كصخرةٍ هدَّ منها اليمُّ فانشطرتْ
وإنَّ أوجعَ ما تُمنى النفوسُ به
والنفوسِ مطافٌ بالنفوسِ كما
والدهرُ للنفسِ بحرٌ زاخرٌ أبدًا
فما تألَّفَ منها فهو منتظمٌ

وقلبه جاهلٌ لم يدْرِ ما الصَّدْرُ
ومهرُها الحبُّ لا يغلو لها المهرُ
كما تمازج في وديانها الغُدْرُ
منها القلوبُ ومنها السمعُ والبصرُ
لكنه في صميمِ النفسِ مغتفرُ
تبدو اللآلي ويبدو ماؤها العكرُ
روح المحبِّ به عريان منحسرُ
تمضي الشجونُ ويبقى بعدها الأثرُ
والحبُّ آثاره الآمالُ والذِّكرُ
تهاوتا نحو شطِّ اليمِّ يبتدرُ
ودُّ كما ضمَّ قطرَ المزنَةِ الزهرُ
آمالها أملٌ أوطارُها وطرُ
كما يدين لصدع اللُّجَّةِ الحجرُ
شطرينِ والنفسُ دون النفسِ تنتشرُ
صدعُ الزمانِ وسوءُ الظنِّ والضجرُ
تدورُ حول النُّجومِ الأَنجُمِ الزهرُ
بحرُ النفوسِ ومنها العُشبُ والدُّررُ
وما تتاكرَ منها فهو مُنْتَشِرُ

عيش الأدباء

أخشى عليك مصارع الأدباء
لا بل وُقيتَ من الصروفِ وغَدْرِها
فالشَّعْرُ ينفثُ في ذويه سُومَه
لا نتحتنَّ من الفؤادِ قصيده
واجعلْ لنفسك ساعةً مِنْ لَهْوِه
والصيتُ وهُمَّ في الحياةِ مخادِعُ
هيهاتَ ما هجرَ القريضَ مطوَعًا
يتهافتون على المحاسنِ كلِّها
ذهبَ الخيالُ بحزْمِهِم وحلومِهِم
يستخلصُ الألمُ الوجيعُ نضارهم
فإذا خَبَرْتَهُمْ وجدتَ لديهمُ
لفتتْ دراريُّ النجومِ عيونَهُم
فُتِنُوا بلذاتِ الحياةِ فعَيْشُهُم
يا ويحُ من حسبِ الحياةِ ذخيرةً
فمخيبٌ مَحَتِ العقارُ ذكاءه
وأخو هوى فتكِ الغرامِ بليِّه

فالنحسُ رهْنُ معيشةِ الأدباءِ
ونعمتَ في حرزٍ من الأرزاءِ
ويسعِرُ النَّيرانَ في الأحشاءِ
فالشَّعْرُ يأكلُ جدةَ الأحياءِ
وارفُقْ بنفسك إنَّه كالداءِ
مثلُ التَّماعِ اللَّالِ في الصَّحراءِ
إِلا امرؤُ ما كان في الشعراءِ
والنَّحْلُ لَصُ الروضةِ الغنَّاءِ
فحلومُهُم رهْنٌ لدى العلياءِ
كالنَّارِ تذكى العودَ بالإصلاءِ
شيمَ الملوكِ وحالةِ الفقراءِ
فتعثروا بمعاولِ الغبراءِ
مهْدُ الردى وقرارةُ الأدواءِ
تنمو على الإسرافِ والإمضاءِ
مَنْ ذا يُعِينُ ذكاءه بذكاءِ
ورماه حيثُ تتازعُ الأهواءِ

لا عزم يهدي في المسالك خطوه
متواضعون فإن ألمت ذلّة
ويرون وحي الشعرِ فرضاً واجباً
وكانّ فيه غذاءهم وشرابهم
بل ليت في نشق الهواءِ غذاءهم
إنّ الذي حلّى الحياةَ بشعره
عرفوا الحياةَ نعيمها وشقاءها
جرعوا الحياةَ وليس يسأر جارِعُ
كم ماتَ منهم حاملٌ ذو شقوة
فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم
وإذا استطعتَ فداوِ نفسك وانتبذْ
كالذرِّ دان لعصفةِ الهوجاءِ
ألفينهم في منزلِ الجوزاءِ
فرض يئود وليُّه بأداءِ
يا ليتهم لم يُخلَقوا لغذاءِ
وشرابهم من خمرة الأضواءِ
أحرى بحلي محاسنِ النعماءِ
فمضوا بكلِّ لذازةٍ وشقاءِ
منهم فإن ماتوا فموتُ ظمأِ
عيش الأديب وموتُه كالداءِ
عدوى تجيء بشقوةٍ وعناءِ
خلق الأديب وخلّة الأديباءِ

إلى المجهول

مقدمة

الوُلُوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون. والشغف باستطلاعاه وكشفه هو الذي أخرج الإنسان من المعيشة في الكهوف، ومن حضارة العصر الحجري من عصور الحضارة، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر ... وهو الذي أدى إلى كشف القارات والبحار، وزاد علمه بالسماء، وعلمه ركوب الهواء في الطائرات، حتى طمع في الوصول إلى الأفلاك. وذلك الوُلُوع بالمجهول هو الذي جعله يخترع مخترعات الحضارة التي زادت حياته بهاء ومرتعة وراحة ولذة، وجعله يجد لذة حتى في ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك، في أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون.

والوُلُوع بالمجهول هو الذي أدى إلى سيطرة الأمم القوية التي تمكَّنت من كشف المخترعات التي زادت قوتها واستعلاء. وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التي تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة، عن أبناء الأمم المتأخرة التي لا تزال تعيش في الكهوف أو الغابات، أو في المدن، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة، المربوذة بالأسقام والأقذار، المغلوبة على أمرها، لرأيت أن صفة النفس التي ميَّزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسطيرة على الحياة والناس، هي الصفة التي تجعلهم يجدون لذتهم في كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة، والأمة التي تريد أن تعلق وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس، ينبغي أن تهيب لأبنائها نوعاً من التربية والتعليم يبيت في نفوسهم حبَّ استطلاع المجهول وكشف مغاليقه. أما التعليم الذي لا يبيت هذه الصفة في النفوس، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم في حياة الخمول من

المألوف الذي أصبح كالمخدرات. وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم، وإلى اتخاذ التربية التي تزيل هذه المؤثرات. والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول في نفوس النشء؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها. وترى لذاتها في ذلك قبل أن تُعَلِّمَهَا التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف. ومن الخطأ أن يظنَّ أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تُتَمَّى بالتربية، وأنها قوة طبيعية في الأمم القوية فحسب ... لا ... بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يُقَوِّي هذه العاطفة التي هي أساس الرقي العلمي والاجتماعي الصحيح، وهذا الأسلوب من التربية ألزم في الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه.

الخطاب موجّه إلى المجهول

يحوطني منك بحرٌ لستُ أعرفه
أقضي حياتي بنفسٍ لستُ أعرفها
يا ليتَ لي نظرةٌ في الغيبِ تسعدني
أخالُ أنّي غريبٌ وهو لي وطنٌ
أو ليتَ لي خطوةٌ تدحو مجاهلَهُ
كأنَّ رُوحِي عودٌ أنتَ تُحكِمُهُ
والروحُ كالكونِ لا تبدو أسافلُهُ
وأكبرُ الظنِّ أنّي هالكٌ أبداً
ومَهْمَةٌ لستُ أدري ما أقاصيه
وحَوَلي الكونُ لم تُدرِكْ مجالِيهِ
لعلَّ فيه ضياءُ الحقِّ يُبديهِ
خابَ الغريبُ الذي يَرجو مُقاصِيهِ
وتكشِفُ السِّتَرَ عن خافي مساعِيهِ
فابسطُ يديكَ وأطلقْ من أغانِيهِ
عند اللِّيبِ ولا تبدو أعاليهِ
شوقاً إليكَ وقلبي فيه ما فيه

من حسرةٍ وإياءٍ لستُ أملكه
وأنت في الكون من قاصٍ ومقترِبٍ
كأنتي منك في نابٍ لمفتَرِسٍ
كم تجعل العقل طفلاً حار حائرُهُ
لو النِّبالُ نبالُ القوسِ مُضْمِيَّةٌ
أو كان للسحر سهمٌ نافذٌ أبداً
يا مُصَلَّتِ السِّيفِ قد فُلَّتْ مضاربه
قلبي يحدثني أن لا يليق به
قد نثارَ نائرُ نفسٍ عزَّ مَطْلَبُهَا
كالنِّسرِ لا حاجِبٌ للشمسِ يحرقه
وأنت كالليلِ والأفهامِ حائرة
ليل مهيبِ كليلِ البحرِ حِنْدِسُهُ
فليت لي فكرة كالكونِ واسعة
ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهِ
إن لم أُنَلْ منه ما أروي الغليل به
والقانعون بما قد دانَ عيشُهُمُ
يا قلبُ يهنيك نبضُ كلِّ حُرَقٍ
فالعيش حُبٌّ لما استعصت مسالكه
كم ليلةٍ بَتُّها وَلَهَانَ ذا أملٍ

يأبى لي العيش لم تُدرِك معانيه
قد استوى فيك قاصيه ودانيه
المرء يسعى ولُغزُ العيش يذميه
وربَّ مُطَلَّبٍ قد خاب باغيه
كنتُ الدَّرِيْتُ بسهمِ القوسِ أرميه
لكان لي منه سهمٌ صالَ راميهِ
ورامي السَّهمِ قد خابت مراميهِ
رضاً بجهل ذليل اللُّبِّ يُرضيه
وطار طائرُ لُبِّ في مراقيه
ولا الصواعق والأرواح تثنيه
مثل العيون علاها منك داجيه
تكاد تسمع منه صوتَ طاميه
أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه
ولا السموُّ إلى حقِّ بمكروه
قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه
موت فإنَّ خضوعَ اللُّبِّ يُرديه
إلى الغرائب ممَّا عزَّ ساميه
تجارب المرء تُذميه وتُعليه
لم يُسلِ قلبي أن غابت أمانيه

يدنو بما أنا طولَ العمر أبغيه
وأفهم العيشَ تستهوي بواديه

لعلَّ خاطر فُكّر طارقي عرضًا
يوضح الغامض المستور عن فِطْنِ

إلى ماضٍ من العمر

شكا قلبي إلى يَوْمٍ — سي ما ألقاه من دهري
وقال: لقد تركت هواي في ماضٍ من العمرِ
فدعني أقتفيه عسى أقاد إليه بالإنثر
وإن سبيل ما يمضي سبيلُ المسلكِ الوعرِ
فراح القلبُ ولهائنا وظلَّ بحفقه يجري

إلى ماضٍ من العمر!

فقال اليوم يا قلبُ عَلامَ تروغ من أسري؟
وما لك غير ساعتك الـتـي تلقاك في الدَّهرِ
لأمسِكَ قلبك الماضي وما للأمس من كرِّ
لقد جشمتَ نفسك ما عييت به من الضرِّ
غدوت تقاد بالذِّكرِ وفي التذكارِ ما يغري

بما قد فات من عمر!

فيا ماضيَّ دَع قلبي فما لي عنه من صبرِ
وإنك قبرٌ آمالي فهل لي فيك من قبرِ؟
فأه لو يجول المرءُ فيما شاء من دَهرِ
لطار القلبُ كالعصفورِ عافَ تريثَ السَّيرِ

عبد الرحمن شكري

وحنَّ لِرِوضِهِ النُّضْرِ وما آواه من وكرِ
لدى ماضٍ من العمرِ!

إلى الريح

يا ريحُ هَيَّجْتِ قَلْبًا شَجْوَهُ وَاِرِي
يا ريحُ رَفَقًا بِقَلْبٍ هَجَتْ لَوْعَتُهُ
كم قد نسيت شجونًا نارها خمدت
يا ريح أَيُّ زَيْبٍ فِيكَ يُفْزِعُنِي
يا ريح أَيُّ أُنِينٍ حَنَّ سَامِعَهُ
يا ريح ما لك بين الخلقِ موحشة
أم أنتِ تكلِّي أَسَابِ الموتِ واحدها
يا ريحُ ما لَكَ مِنْ إِلْفٍ فَجِغَتْ بِهِ
يا ريح كم لك من نَفْعٍ يَجِيءُ بِهِ
وهبّة منك تحيي النفس من عُرْضِ
يا ريح فيك جنونُ النفسِ يَفْزِعُنِي
يا ليت نفسيَ رِيحٌ لَفَحَ لَافِحِهَا
وتنشر الخيرَ نثرَ البذرِ يحمله
أو ليت لي فيك نفسًا حرةً أبدًا
هيهات ما لك فيما شئتَ مُنْطَلَقَ
أو ليت أنَّ جَنَاحًا مِنْكَ يَسْعِدُنِي

كما تُهَيِّجِينَ عودَ الغابِ بالنارِ
يا ريحِ أَفْشَيْتِ أَشْجَانِي وَأَسْرَارِي
فهجت قلبي باغراءٍ وإِذْكَارِ
كما يروع زَيْبُ الفاتكِ الضاري
فهل بليت بِفَقْدِ الصَّحْبِ وَالْجَارِ؟
مثل الغريب غريب الأهل والدارِ!
تظَلُّ تَبْغِي يَدَ الأَقْدَارِ بِالنَّارِ؟
متلي وِلا لك آمالي وأوطاري
حدو السحابِ بصوبِ منه مدرارِ
بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطارِ
إذا سَطَوْتَ بعصفِ منك إِعْصارِ
يطهّر الكونَ من شرٍّ وأشرارِ
نسمُ الرِّياحِ على زهرٍ وأثمارِ
الكونُ بيّتي وما أهفو به داري
تجري الرِّياحُ بأحكامٍ ومقدارِ
كما أَطِيرُ إلى أفنانِ أشجارِ

فأنشد الشَّعر كالغَرِيدِ في فنِّ
يا رِيحُ هل أنتِ طَيرٌ طائرٌ أبداً
يا رِيحُ يا صنو نفسِ طالما شَقِيتِ
فليتها مَلِكٌ في الجَوِّ دولتُه
أشكو إِلَيْكَ همومَ العيشِ قاطبةً
يا رِيح ما لك من عطفٍ ولا مقَّةِ
لا تسألين عن الحادي وحكمته
وليس يعنِيكَ لا سُؤْلٌ ولا سببٌ
وتحملين أغارِيدِي وأشعاري
أما تقرين في روضِ وأوكارِ؟
قد خان نفسيَ أحبابي وأنصاري
في جحفلٍ من جنودِ الرِيحِ جرَّارِ
شكوى الضعيفِ لبادي البطشِ مغوارِ
فما حُنُوِّي لقاسي القلبِ جبارِ
ولا تتوحين من صولاتِ أقدارِ
فليتَ مثلكِ إِرادي وإِصداري

طيف الجنون

أُقلِّبُ طرفيَ في وجوهٍ كثيرةٍ
وأبغى بديلاً من هواك يتاح لي
وكيف وعندي من خيالك حارسٌ
فيهمسُ في أذني ويسري بخاطري
ويشغلني عمّا سواه فإن أردُ
كأنّي أسيرُ وهو في السجن حارسُ
وأفزعُ حتى تشعرَ النفسُ جنّةً
وأعجبُ من أمري وكيف عَشِقْتُكُمْ
وأرخصني حبيك من طول هجرةٍ
فأبكي على نفسي وليس بنافعي
وأبكي على العزمِ الذي أنا ناشدُ
أناديه هل من سلوةٍ فتريحني
فيا جنّةَ العشاقِ ظلُّك وارفُ
لئن لم يُرحني الطيفُ منه بهجرةٍ
فإنّ اقترابَ الطيفِ سخرٌ وشقوةٌ
تملِّكَ أرضي رحبها وفضاءها
وأكثرُ من تلاحظها وأطيلُ
وهيهاتَ ما لي من هواك بديلُ
تجسّمَ حتى ما يكادُ يزولُ
ويسمعُ ما أشدو به ويقولُ
سُلوًا تصدّى دونه فيحولُ
فما لي إلى وجهِ الخلاصِ سبيلُ
وأرجو مُجيرًا في المماتِ يغولُ
وقد كنتُ لا يقوى عليّ غليلُ
فإنّ عزيزَ العاشقين ذليلُ
إذا تَلَفْتَ نفسي لديك عويلُ
فعزّمي شريد في هواك ضئيلُ
وقد صمَّ عزم من هواك قتيلُ؟
وإنّي في حرِّ الغرامِ أقيّلُ
جُنِنْتُ فهل يبكي عليّ خليلُ؟
وخبل أليم في الفؤادِ دخيلُ
وأصبحَ في أفق السَّماءِ يجولُ

ويسخر بي طورًا وطورًا يهشّ لي
وأحسب شيطانًا من الجنِّ آثمًا
وكيف يفرُّ المرءُ من ظلِّ جسمه
وأستعطفُ النّسيانَ في الحبِّ إنّه
فمن لي بكأسٍ منه تمحو لواعجي
فأنتَ قَطوعُ والخيالُ وَصُولُ
يُليح بحسنٍ منكمُ ويصُولُ
فطيفُك لي ظلٌّ لديّ ظليلُ
طبيبٌ وقلبي من هواك عليلُ
فحبُّك داءٌ للضلوعِ أكلُ؟

المموه

شهادة للكريم يبغضه الـ
ولستُ أخشى زورَ المقالِ إذا
يحزنني المرءُ ذو الفطنة والـ
قد تسفلُ النفسُ والحجى سعد
وأنت لا فطنة ولا أدب
إن أبا اللؤمِ ينتشي بأذى الـ
يغالط الناسَ عن مقابحه
يحسبُ خفزي لشأنه عِظَمًا
لستُ ملومًا إذا علوتُ وأخـ
يحسبُ قدرِي رهنا بسببته
هيهات ما سبة الحقيرِ أذى
وليس قولُ السبابِ معجزةً
وغادرٌ قد غفرتُ زلته
وعادَ يبغي بشتمه ألمي
ويوهم الناسَ أنه مَلَكٌ
بحسبُ رَأْيِ الأنامِ نهبة خدَّ

وغدُ صيال اللئامِ بالتُّهمِ
أودتُ بما يخلقونه شيمي
لُبُّ بنفسٍ شنعاء كالظلمِ
في راجح العقلِ ساقطِ الهممِ
يكبح شين الخصالِ باللجمِ
سَتَمٌ ويبغي الخليلَ بالآلمِ
وهو كَنابٍ مخضَّبٍ بدمِ
هيهات ما كان ذاك من عِظَمِ
طاكِ علاء فالذنبُ للقِسمِ
هيهات ليس الحضيضُ كالعلمِ
كلُّ امرئٍ قادرٌ على التهمِ
حتى تباهي بالهَجْرِ في الكَلِمِ
فما رعى لي فضيلة الكرمِ
يا خبُّ، ماذا تلذُّ في ألمي؟
وأني لست راعي الذمِ
اعِ وأنَّ الصوابَ كالخلمِ

يزعمُ ما سطرُ الوري كذبًا
بل في ادعاءِ اللبيبِ إن خدع الـ
يحوكُ من نسجِ كذبه كفنًا
أو عنكبوتِ زميمةٍ سكنتُ
الكذبُ أحبولةٌ يصاد بها الـ
لتقضمُ البنانَ من ندمِ
والشرُّ قد تجتويه من ندمِ
لا يندم المرءُ نفسه خبثت
تحملَ الناسُ وزرها أبدًا

والفضل والنقص ليس في الشيمِ
نَّاسٌ جميعًا بباطلِ الكَلِمِ
للنفسِ، والنفسُ منه كالرَّمِ
بيتًا من الكذبِ حياك في الظلمِ
قانس فيها عدلٌ من النقمِ
لو كنت تدري فضيلةَ الندمِ
يدعو نفوسًا لأحسن الشيمِ
فأنكرت خُبثها من السقمِ
وذاك يغري بزلة القدمِ

شِقْوَةُ الْعَيْشِ

حياتي! أمّا للنحس حدٌ و لا مدى
حياتي! إنّ الجسم يبلى ودونه
إلّامَ حياتي أذرف الدمعَ حسرةً
وبين ضلوعي للتصبرِ لوعةً
وحتى متى أبلو نفوسًا ضئيلةً
وحتى متى ييغون ضرّي وشفوتي
يهيجون أقدارَ النفوسِ بشرّهم
فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلٌ
وليس لهم نفعٌ يرجون نيله
كأنّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةٌ
ينالون من قلبي بنابٍ ومخلب
كأنّي ربيبُ النحسِ ليس يجوزني
إذا كان في نحسِ الفتى شرفٌ له
يقولون بؤسِ العيشِ نيلِ لصابرٍ
فإن كان في هذا العذابِ مهذبٌ
حياتي! أعفوا جئت أم عمّد عامدٍ
فإني كرهت العيشَ في أولِ الصبأ!
فؤادٌ شجيّ ليس يدركه البلى
ولا ينفع المحزون أن ردّد البكا
تُحمّلني ما لا أطيق من الأسى
أبين لها ودّي فتبدي لي القلى؟
وما لي لو خيّرتُ في الناسٍ من عدى؟
فما يقنعون الدهرَ مني بالصفا
إذا ما طفا من كدرةِ الشرذِ ما طفا
إذا ما كوى قلبي من الهمّ ما كوى
فقد أغرم الإنسان بالشرِّ والأذى
وما راعهم أن خضّبوا القلبَ بالدماء
فيا شرًّا ما راعٍ يجور إذا رعى
فما لي لم أشبع من المجد والعلا؟
فلا مجد إلا في ذوي النحس والشقا
فأعقد على راجيه يا عيشُ ما رجا
قضى من صروفِ الدهرِ في الخلقِ ما قضى

ولو أنني كالناس لؤماً وغلظةً
فيا موتُ أقبُلْ لا كإقبالِ رائعِ
ولكن كترنيقِ النُّعاسِ بمقلَّةِ
وكن لي على الأحزانِ عوناً ورحمةً
وما طلبني للموتِ تطلُّابِ كاذبِ
فإنَّ حياتي غلَّةٌ رِيَّها الردى
فتخمد نارٌ كان جمًّا ضرامها
فيا قلبُ كن في الصدرِ كالميتِ واسترخِ
لعلك إن نهنت يا قلب رغبةً
فيا ليت أن المرءَ إمَّا دعا الردى
أما يصطفيني الدهرُ إلا لحسرةٍ
ويشعل في قلبي جحيماً، وناسه
أداريهمُ جهدي وما ذاك نافعِي
فأصبحت أخشى الناس في كل خطرةٍ
ومن شقوةِ الإنسان أن حار لبه
كأنِّي بين الناس من أهل عالمِ
فما لي من عطفٍ لديهم ورحمة
يعيبون نفسي ضلَّةً وجهالة
إذا ما أراد المرءُ إخفاء عيبه

جريتُ على شرع الزمانِ كما جرى
مريرِ كطعم العيشِ يؤلم من حسا
طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا
فما نافعِي في العيشِ لومٌ ولا رضا
رأى الموتَ ينحوه فأبكاها ما رأى
وخيرُ شراب المرءِ ما نفع الظَّما
إذا ما خبا من لوعةِ العيشِ ما خبا
كفى من مريرِ العيشِ يا قلبُ ما مضى
وعفتَ طمَّاحِ العيشِ يدركك الردى
أتاه فلا نحسُّ يروع ولا أسى
فهلا اصطفى لي عيشةً غير ما اصطفى
شياطين، فيه تضرم الهمُّ والجوى
وأمنح منهم مُدَّعي الفهم ما ادعى
وأفرق من داعي المودة إن دعا
وأصبح خفاق الأضالع والحشى
جديدٍ غريبٍ أخطأ الأهل والحمى
ولا لي فيهم من إخاءٍ ولا هوى
ويرمونني بالسوءِ والمكرِ والخنى
رمى غَيْرَهُ بالعيب لم يَغْدُ من رمى

وما قومي القوم الذين أراهمُ
كأنَّ حياةَ الناسِ ضجَّةُ أخرقِ
وأوجع ما لاقيتِ جاهِ مصدقِ
يخال ذورها في كمالِ وعفةِ
يصدق رأي الجمعِ والجمعِ ظالمِ
بذا قضت الأخلاق ما بين أهلها
وكم من جموعٍ ليس تعدل واحداً
فيا شقوة الأيام هل منك مهربُ
كأنَّ همومَ المرءِ ذنبٌ مراوغِ
وبعض دواعي العقل حربٌ لبعضها
أليس الحجى والحقُّ لغزاً ومجهلاً
ألا إن قومي في البعيد من الدنى
وعيشي فيهم نعمة البؤس والأسى
كأن ثياب الجاه خيَّطت من الحجى
وتحت ثياب الجاه ما شئت من خنى
ويحقر رأي الفرد ريان من نهى
وما تنفع الشكوى ألا خاب من شكا!
فإن ظلام الجهل في الناس كالعمى
فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا؟
فيا بؤس مقتولٍ ويا بؤس من نجا
فلا يعرف الإنسان في العيش من دعا
فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟

أمل ميت

لَحْبُكَ مِنْ عَمْرِي أَحْيِرُ وَأَوْلُ
قَصْرْتُ عَلَيْكَ الْآنَفْسِينَ مَحَبَّةً
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَطَّعْتُ قَلْبِي صَبَابَةً
وَذَكَرْتِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ الَّذِي مَضَى
فَحَتَّامَ أَرْجُو مِنْكَ مَا لَيْسَ وَاقِعًا
سَفَاهَةً أَحْلَامٍ تَغْرُ وتَنْتَنِي
وَبَشَّرْتُ نَفْسِي مِنْكَ بِالسَّعْدِ وَالْمُنَى
خَذِ الْيَأْسَ مِنْي مَدْحَةً لَكَ إِنَّهُ
لَفِظْتُ الْأَمَانِي كَالْبُصَاقِ وَلَمْ أَكُنْ
هُوَ الرِّغْبُ مِثْلَ الرِّيقِ إِنْ سَاءَ طَعْمُهُ
وَلَكِنْ يَأْسَ الْحَبِّ حَبُّ وَذِكْرُهُ
وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا كَالْأَنَامِ وَحَالِهِمْ
يُرِيدُونَ أَمْرًا طَرْفَةً ثُمَّ غَيْرَهُ
وَإِنَّكَ فِي قَلْبِي حَبِيبٌ مَبْجَلٌ
فَحَظُّكَ مِنْ حَبِّي فَوَادٌ وَمِقْوَلٌ
وَعَرَّضْتُ نَفْسِي لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ
وَشَوْقُنِي الْوَدَّ الْأَغْرُ الْمَحْجَلُ
وَحَتَّامَ أَذْوِي فِي ثِرَاكَ وَأَذْبَلُ؟
وَتَتْرَكَ قَلْبِي وَالْهَاءَ يَتَمَلَّمُ
فَأَصْبَحْتُ أَبْكِي إِنْ ذَكَرْتَ وَأَعُولُ
جَزَاؤُكَ عِنْدِي نَعْمَ مَا أُتَبَدَّلُ
لَأَغْتَرَّ بِالْأَمَالِ لَوْلَا التَّعَلُّ
فَأَخْرَاجُهُ بِالْمَرْءِ أُحْرَى وَأُمْتَلُ
وَفِي الْيَأْسِ مَا يَلْقَى الْفَتَى حَيْثُ يَأْمَلُ
لَهُمْ عَزْمَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقْلَقُلُ
فَلَا الْعَهْدُ مَحْفُوظًا وَلَا الْقَوْلُ يَفْعَلُ

التفاهم في الحب

إِنْ خَبَّرُوكَ بِسَلْوَةٍ كَذِبًا
وَلَقَدْ رَأَوْكَ عَلَى جَفَائِكَ تَحَى
فَتَحَدَّثُوا أَنِي اسْتَعْضَتْ هَوَى
سَامُوكَ نَسِيَانًا لَذِي سَقَمٍ
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ ذُو فَطْنٍ
أَفْمَنْصَفِي مِنْ لَيْسَ يَفْهَمُ مَا
أَفْمَنْصَفِي مِنْ لَيْسَ مِثْلَكَ فِي
أَقْسَمْتُ بِالْأَشْوَاقِ نَحْوَكُمْ
فَانظُرْ إِلَى رُوحِي وَرُوحِكُمْ
فَلَقَدْ خُلِقْتُمْ كِي يَحِبُّكُمْ
وَالْحُبُّ يَخْصِبُ قَلْبَ صَاحِبِهِ
قَلْبِي عَلَى الْهَجْرَانِ ذُو أَمَلٍ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَاجِبٌ فَمَتَى
وَمَتَى أَحَقُّ فَيْكُمْ حَلْمِي
وَلَقَدْ عَشَقْتُ فَمَا عَشَقْتُ سَدَى
فَأَخُو الْمَلَامِ كَثِيرَةٌ تُهَمُّهُ
نُو نَحْوَ قَلْبٍ هَانَ فَيْكَ دَمُّهُ
وَهُوَ أَكْ دُونَ الْقَلْبِ مُضْطَرَمُّهُ
لَا عَيْشَهُ تَدْرِي وَلَا عَدَمُهُ
ضَاعَتْ لَدَيْكَ مِنَ الْهَوَى ذَمُّهُ
أَعْنِي وَلَا مَحْمُودَةٌ كَلِمُهُ
لَبِّ وَلَا حَسَنَتْ بِكُمْ شَيْمُهُ
وَجَوَى الْمَحَبِّ مَشْفَعٌ قَسَمُهُ
تَبَدُّ لَدَيْكَ مِنَ الْهَوَى حِكْمُهُ
قَلْبِي فَتَخْصِبُ قَلْبَكُمْ دَيْمُهُ
حَتَّى يَفِيضَ عَلَى الْوَرَى كَرَمُهُ
إِنَّ الرَّجَاءَ مَحَبَّبٌ حُلْمُهُ
تَتَجَابُّ عَنَا فِي الْهَوَى ظُلْمُهُ
وَيَطِيبُ مِنْ شَجْنِ الْهَوَى نَعْمُهُ
إِنَّ الْغَرَامَ كَثِيرَةٌ نَعْمُهُ

ملك القلوب

حجبوك عن طرفي وأنت سميرُهُ
فوحقِّ حسنِكَ وهو خير أليَّةِ
ووحقِّ حسنِكَ ما انتفعت بعيشةِ
كالليل، والبحر الخضمِّ، وصرصر
ظلم على لجج تجيء وتنتهي
يا أيها الملك البعيد بوْدِهِ
القلب فوضى وهو مُلك واسع
فارفق بملكك في فؤادي واحتكم
والحبُّ خرق والوفاء سرابه
والحبُّ كأس قد شربت عقارَهُ
أوما أويت لعاشقٍ مُتعبِدِ
إن كنت أنت مع الزمان عدوّه
والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا
وبعثت قلبي قاطفاً من روضه
فجنيت من ثمر القريض أطايا

ونفوك عن قلبي وأنت أميرُهُ
الحسنُ فيك غريبه وغريره
لم يأن فيها من سناك سفورُهُ
تغدو عليه تميره وتثيره
حتى يروع من العباب زئيرُهُ
لك من هواي جليّه وستيرُهُ
وكلت إليك شئونه وأموره
فالملك ملكك تاجه وسريره
هبهات ما نفع المحبّ غديره
لم يُغن فيك صغيره وكبيره
لجليل حسنك دينه وضميره
من ذا على جور الزمان يجيره؟
يُجنى لذي الحسن الطيريرِ نضيرُهُ
والقلب يسعى في هواك أسيره
يُجنى لغيرك يا حبيب مريره

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

هذي قصائدي التي يُزهى بها
ذهبَ الوفاءُ فلا حبيبٌ صفوه
وخيالٌ شعرٍ للجمالِ خطيرُهُ
يُرَجَى ولا أملٌ تذرُ دروره

الحق المكتوم

الحقُّ حملٌ يئود النفسَ محملهُ
إذا كتمت، فداءً لا دواءً له
كأنما النفسُ منه اليمُّ مصطخبًا
والفكرُ كالنارِ في الأحشاءِ كامنة
لا تكتم النفسُ حقًّا أبصرتْ أبدًا
هو الوليدُ وليدُ النفسِ تحمله
إن كتمته على رغمٍ لذلتها
والحرُّ إن لم يُطقِ إرسالَ فكرته
قد حدتتْ نفسه عيسى بقلتها
أشقاها من لجاجِ الحقِّ شدتهُ
والحقُّ يقتل نفسَ الحرِّ إن كتمت
والحقُّ تذعر نفسَ الحرِّ روعته
والحقُّ إن لم يُجب كالوحشِ مفترسًا
ويوسعُ النفسَ لسعًا حين تكتمه
والحقُّ منكتمًا كبل وجامعة
وليس ينفيه نكران ولا فرق

إذا مضيتَ بشلوٍ منه مقبورِ
بل طُبُّه حين يبدو غير مستورِ
يظلُّ يضربه وقعُ الأعاصيرِ
حتى يذاع فيبدو ساطعَ النورِ
فللأجنةِ حدٌّ في المقاديرِ
كأنه الطفلُ يُغذى في المقاصيرِ
عاشت بحالٍ بغيضِ العيشِ مصدرِ
راعِ الأنامِ بدامي الصدرِ منحورِ
وكاد أحمد يقضي غير مذكورِ
والحقُّ في الناسِ خافٍ غير مشهورِ
نداءه خوفِ إقدامٍ وتشميرِ
وغافلُ القلبِ ميئتٌ غير مذعورِ
كأنما وقعهُ وقعُ الأظافيرِ
كأنما لسعه لسعُ الزنابيرِ
غُلَّت على خاشعِ الآمالِ مأسورِ
وليس مندفعًا بالزورِ والجورِ

بلاغ الحب

أيا نفس مَنْ نفسي إليه مشوقة
أحبك حبًّا ليس يدركه قلبي
إلّامَ تحول الحُجْب بيني وبينكم
ولو كنت تدري قدرَ حبي كله
فلا تُخَفِ عني يا حبيب سريرةً
وكن لي مثل الماء بيدي ضميره
بذاك يصحُّ الحبُّ بيني وبينكم
فلو كنت بين الناس ربًّا معزًّا
لألفيتُ غفرانًا لديك ورحمةً
وإنك لو أصبحت فيهم مرجّمًا
ستعلم يومًا أنني لك عاذرٌ
فإني قتلتُ العيش علمًا وخبرةً
ولستُ كمن يرجو على الحبِّ رشوةً
بسطتُ لكم عرضي مجنًّا يقيكمُ
نظرتُ إلى الأعمال كيف ابتعائها
وما قسموا الأفعال قسمةً عادلٍ
ومن هو في نفسي أميرٌ وحاكمُ
قلبي الحب ما أدت إليه المآثمُ
كأنك أحلامٌ وإني نائمٌ
لأبديت لي النفس التي أنت كاتمُ
فلستُ بِشَارٍ للنفوسِ يساومُ
ولا تكُ مثلَ الليلِ، والليلُ قاتمُ
وتثبتُ منه في الخطوبِ الدعائمُ
ونادوك أني فاتكُ النفسِ جارمُ
فما يغفر الزلاتِ إلّا الأعاضمُ
فإن فؤادي ناصرٌ لك راحمُ
وإن كان بين الناس عادٍ ولئيمُ
فما راعني في الناس خبُّ مسالمُ
وينفتُ فيها ما تكيد الأراقمُ
وأنف الذي يسعى لكيدك راغمُ
فما راعني إلّا النفوسُ الرواغمُ
وهل حاكمٌ بين السرائر حاكمُ

فللمرء فينا خادمٌ من ضميره
يرى أنه في فعله غير آثمٍ
وما العيشُ إلا خدعة بعد خدعة
وما دنسٌ أن تمنح الحبَّ مكرًا
يعيبك أن محضته الحبَّ جاهدًا
وما خيرُ حبِّ أحكم الكيدُ أمره
وكلُّ لئيمٍ يجعلُ الحبَّ سببًا
وهل سببٌ في الزهرِ أن فاح نشره
وألومٌ من عاداك من هو حقةً
فلا تأسَ أن الناسَ خبٌّ وكائدٌ
وإنك لا تجديك خشيةٌ كائدٍ
فيا ليت لي عزم القضاءِ وحوله
أعلمك الأمرَ الذي أنا عالمٌ
فإن أنت لم يكسبك حبي رفعةً
ولم أخلُ من شكِّ تعالج مثله
ولم تمتزج نفسي بنفسٍ أحبها
ولم يبتعثُ حبي للبك فطنة
فوا أسفًا لا حبٌّ يجدي لديكم
وما لسواه منه عونٌ وخادمٌ
وأن سواه فاتك النفس آثمٌ
وما الناسُ إلا مستغيثٌ وظالمٌ
إذا أنت غرَّتكَ الثنايا البواسمُ
أينقم أن محضته الحبَّ ناقمٌ
سيدهمه صرفٌ من الدهرِ هادمٌ
فتعدو عواديهِ وتسري المظالمُ
وأن هدلت في وكرهنَّ الحمائمُ
شريكك في أفعاله ومقاسمُ
نصيبتك من قلبي مجيرٌ وعاصمُ
وإنك لا تجديك أنك نادمٌ
فتحمد بين الناس منك العزائمُ
وأمنحك العزمَ الذي أنا عازمُ
ولم ترو نفسي من هواك المكارمُ
ولم يُزجِ نفسًا نحو نفس تقاهمُ
كما يمزج الصهباءَ بالماءِ ناعمُ
ولم تطبيني من هواك العظامُ
علا الحبِّ ما تبغي النفوسُ الكرائمُ

الآمال الذاتية

أيا فتنة الأحلام قد لاح كذبها
لقد كنت في عيشي مصابيح حلية
فيا حُسن مرأى العيش لو عاد حلمه
عزيزٌ علينا أن نقول بكذبه
لقد كنت زادي في الحياة ونهلتني
أرثيك أم أقالك لو ينفع القلى
كأني غريقُ اليمِّ قد لاح حينه
فيا لائذاً بالزهر خاب تشبُّتُ
يرجِّي غريقُ اليمِّ حتى عدوه
فيا حسنَ أحلامٍ تقصَّتْ لذيذة
وكانت حبيباً مات أنكرت هلكه
عسى أن تعودَ الروحُ جسماً أحبه
وهيهات يُعفي النتن جسماً نحبه
كذا أنت آمالي التي غالها الردى
علمَ ثري الأقدار ما لا ننالها
إذا لم يكن في منهل العيشِ طبها
محال علينا أن نلذَّ بك النوما
فقد صارت الأيامُ أغربةً سُحماً
وإنَّ أذَّ العيش ما خلته حلماً
وأن لا يكون الحسنُ إلا كذا وهماً
فلما استبان الحقُّ زودتني الهماً
كلا ذين في قلبي يجدد لي كَلماً
ألوذُّ بزهرٍ منك أعلو به اليمّاً
بوهُن فما وهن لدى مهلك عصماً
ويحسبُ زهراً طافياً أجلاً شماً
ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلماً
أُقلِّبه طوراً وأوسعُه لثماً
فأكلأ من وقعِ البلى ذلك الجسما
فكم ذلَّ جسمٌ لم ينل قبله وصماً
وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدماً
وترجى نفوساً كي تتوق وكي نظماً
فيا ربَّ أطماعٍ تدوف لها السُّمّاً

أعيري جناحًا كي أنالَ به المنى
فإنَّ سنا الآمالِ أعشى لو احظي
وما فتنةُ الآمالِ إلا كغادةٍ
وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها
ولو كان قلبُ المرءِ بالعقلِ حكمه
ونبأَ لكي أرمي به مثلما أرمَى
فيا طيبها رؤيا تهيج بي السقمًا
تلين لنا كذبًا وتوسعنا صرْمًا
كذلك ثمارُ السوءِ أخبثها طعمًا
لما زوّد الأقدارَ مدحًا ولنا ذمًّا!

شكوى

حياة كدمع العين أمّا مذاقها
وإنّ الأمانيّ التي أنا ناشدُ
تقدّمني في الناس من لم يجارني
وأخرنى أنّ اللبيب محسّدُ
كأنّي بجاري النهر صخرٌ تجوزه الـ
يمرُّ لداتي واحدًا بعد واحدٍ
وأوجع ذلّ النفس طاعة سائدٍ
أيخشون مذّي خلة عبقريةً
ويبغون أن لا يجتلى البرق في الدّجى
فيا نفس صبرًا إنّما العيش لوعةً
وإنّ حياة الطامحين عواصف الـ

فمرُّ، وأمّا وقعها فوجيعُ
فقاقيع، طرفي نحوهن نزوعُ
وأخرنى أنّ الذكاء يروعُ
على فطنة يعصي بها ويطيعُ
سمياه وما للجاريات رجوعُ
أمامي، وعيشي في الهوان يضيعُ
تعلّى، وقدمًا كان وهو مطيعُ
فيغلو مقال أو يسوء صنيعُ؟
بعينٍ ولا طيب النسيم يצועُ؟
وما للذي يُشقي القضاء شفيعُ
شئتاءٍ وعيش القانعين ربيعُ!

العلم وعزة النفس

رأيت بيوتًا كالوجارِ ذليلةً
رضاءً بعيش البهم والخصبِ وافرٌ
يعيشون كالأنعام في نفعِ ربِّها
ويعلو الفتى بالعلمِ عن كلِّ ذلَّةٍ
وفي الجهلِ أسرٌ للنفوسِ ورهبةٌ
ويرضى جهولٌ بالقليلِ مهابةً
وتعظم نفس المرءِ حتى كأنها
على قدرِ علمِ المرءِ عزةٌ نفسه
وأكثر ذلِّ العاقلين خديعةٌ
وما العلمُ إلا قوةٌ واستطالةٌ
فلا تحسبنَّ الحربَ سهماً ومغفراً
وكم بلغت شأواً العلا في منيةٍ
وكم أخطأ العلياءَ غرّاً ونالها
وفي مُلكِ أهلِ الجهلِ جبنٌ وذلَّةٌ
وفي العلمِ حسنٌ للنفوسِ وبهجةٌ
ويفرع أهلُ الجهلِ من كلِّ حادثٍ
ألا إنَّ عيشَ الجاهلينِ عليلٌ
ومركب من يبغي العلاءَ ذلولٌ
ولكنَّ مرعى الجاهلينِ وبيلٌ
وكلُّ جهولٍ لو فَطِنْتَ ذليلٌ
هو الجهلِ داءٌ للنفوسِ قتلٌ
ولا يطبِّي المرءَ العليمَ قليلٌ
عوالمٌ فيها الكائناتُ تجولُ
فأهلُ النهى في الصاغرينِ قليلٌ
وأكثر ذلِّ الجاهلينِ خمولٌ
يُحكِّمُهُ أهلُ النهى فيصولُ
فإنَّ سلاحَ الصائلينِ عقولُ
نفوسٌ على حدِّ السيوفِ تسيلُ
سريعٌ إلى داعي المنونِ عجولُ
تراه إذا ما لم يزلْ سيزولُ
وعيشٌ نبيلٌ لو فَطِنْتَ جميلٌ
كما خاف طفلٌ في الظلامِ يجولُ

وكم خفض الأقوام أن زال علمهم
وكم ترفٍ للعلم والعزِّ قاتل
فلا علم إلا عابث كلَّ ذهنه
كذلك حال الغابرين فلا ترى
فإن صروفَ الدهرِ في وثباتها
فيا من لغرقى أثقلَ الجهلُ ظهرهم
كأنَّ ظلامَ الجهلِ بين عيونهم
لقد أرمدتْ شمسُ العلاءِ عيونهم
همُ يحسبونَ المجدَ نهبةً باخلٍ
وما علموا أنَّ النفوسَ وسائلُ
وما غبن الأقدارَ باغي طليبة
على قدرٍ ما يُعطي الفتى هو أخذُ
ويبذل من أعماله وحياته
وقد يضجرُ اليقظان من سقم عيشه
فصبرُ الجهولِ القدمُ نومةً راقِدِ

فأصبحَ صرُحُ العلمِ وهو طولُ
يزل حمياتِ النهى فتزولُ
ألا إنَّ ذهنَ المترفينِ قليلُ
علاءٍ مضى إلا عليه دليلُ
سيولُ على آثارهنَّ سيولُ
وللجهلِ حملٌ في الحياةٍ ثقيلُ
ستارٌ على ما يكرهون سديلُ
فطرفهمُ دون العلاءِ قليلُ
يقتَرُ في مسعاته ويكيلُ
يجودُ بها باغي العلاءِ ويصولُ
ضنينٌ بما يدني الطليبِ بخيلُ
فمجدُ الذي يُعطي الجزيلَ جزيلُ
عظيم بنيلِ السَّامياتِ كفيلُ
وليس بجمعِ الجاهلين ملولُ
ولكنَّ صبرَ العاقلين مقيِلُ

نجم الحياة

أنتم رجاء حياتي
وأنتم نجمُ سعدٍ
لولاه كانت حياتي
ما لي لديك شفيع
لا تتركَنَّ حياتي
فإن نبهت ذكاءً
وإن بلغت علماءً
وأنتم نجمُ حظي
إن شئت وقَّيت عيشتي
فلا تكلني لقوم
يا طيبه من رجاء
يضيء وجه سمائي
كالليلة الليلاء
إليك غير وفائي
فريسة للشقاء
فأنت واعي ذكائي
فأنت أصلُ علائي
من شقوة ورخاء
مصارع الأدباء
لا يسمعون دعائي!

ذل المشيب

تمر بي الأيام حتى تروعني
وأخشى مزيد العمر يسلب جدتي
ولم أُلَفِ خلاً في الشباب مصادقاً
فيا خيبة للمرء قاربه الردى
يجوبُ فيافي الشيبِ والموتُ راصدُ
يرى فيه أشباح السنين التي مَضَتْ
وكم نهزة في العيش يبكي ضياعها
تُجِدُّ له يا ليت شجواً وحسرةً
ولم أحمد الأيام أيام شيرتي
أظلُّ غريباً بين أهلي ومعشري
وأصبح كلاً في العشيرة مقعداً
ويهزأ بي الأهلون من بعد هيبة
وأصبح منسياً وإن كنتُ شاهداً
وكم قائلٍ ما باله طالَ عمره
ويخطئ سعي الرزق أيام مرّتي
فزرنى في ليل الشباب كسارقٍ
لذلّ مشيبي لا لوقع شعوبِ
فأشقى بوهني واتصال عيوبي
فكيف أرجي في المشيب حبيبي؟
يقول لأيام الشبيبة: أوبي
كما يرصد الغربان هلك غريبِ
كما روع السفاح روح سليبِ
ولم يرو من جماتها بذنوبِ
وهل قوله يا ليت غير لغوبِ؟
أحسب سؤر العيش غير مريبِ؟
وكم أشيب في قومه كغريبِ
يقتّر رزقي أو يملُّ قريبي
وأخشى وقدماً كنتُ غير هيوبي
كأني خفيّ الجسم غير قريبِ
سها الموت أم ما عمره لشعوبِ
فكيف إذا أصبحت غير كسوبِ؟
ولا تنتظر يا موتُ ذلّ مشيبي!

خطوة عن عالم الحسن

خطوةٌ لا خَطَوْتُهَا أَبَدَ العُمِّ
أَخْرَجْتَنِي مِنْ عَالَمِ الحَسَنِ حَتَّى
غَابَ عَنِي الوجودُ وَاسْتَشَعَرَ الحَسُّ
خَلتُ أَنِي فِي النَوْمِ أَبْصِرُ حَلْمًا
رَحْتُ أَسْعَى كَمَصْحَرٍ بَانَ عَنْهُ الـ
أَوْ كَذِي الجُرْمِ حِينَ طَالَ بِهِ السَّجْبُ
عَالَمٌ غَيْرِ عَالَمِ الحَسَنِ أَبْغِي
حَيْثُ تَبْدُو النَفُوسُ فِيهِ جَهَارًا
فَنَفُوسٌ مَلَسَاءُ كَالْغَادَةِ الرُّو
وَأَرَى فِيهِ كُلَّ أَمْرٍ تَقْضَى
وَأَرَى مَا دَفَنْتَ مِنْ خَطَرَاتِ
وَتَكَادُ الْأَشْبَاحُ يَلْمَسُهَا المَر
وَأَرَى أَوْجَةَ الدُّهُورِ الَّتِي فَا
وَأَرَى أَوْجَةَ اللَّيَالِي الَّتِي مَرَّ
وَأَرَى عَيْشِي الَّذِي قَدْ تَقْضَى
وَأَرَى وَجْهَ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ مَا

رِ خَطَّتْ بِي فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ
خَلتُ أَنِي أَقْضِي بِحَيْنِي المَتَاحِ
اغْتَرَابًا عَنْ صَرْفِ دَهْرِي الوَقَاحِ
كَيْفَ أُغْفِي وَالقَلْبُ يَقْطَانُ صَاحِي
صَحْبُ فَرْدًا ذَا وَحْشَةٍ وَاطَّرَاحِ
مَنْ يَضِلُّ الطَّرِيقَ عِنْدَ السَّرَاحِ
فِيهِ عَوْنًا عَلَى الصَّرُوفِ الشَّحَاحِ
عَارِيَاتٍ مِنْ جَسْمِهَا وَالوَشَاحِ
دِ وَأُخْرَى قَدْ أُذْمِيتُ مِنْ جِرَاحِ
مِنْ سُرُورٍ وَخَيْبَةٍ وَنَجَاحِ
وَأَرَى فِيهِ مَا مَضَى مِنْ طَمَاحِ
ءُ لَهَا جَرَسٌ فَرِحَةٍ أَوْ نَوَاحِ
تَتَّ بِسَلْمٍ مِنْ أَمْرِهَا وَكَفَاحِ
تُ سَرَاعًا بِنَا كَمَرِّ الرِّيَاحِ
فِي صِلَاحٍ أَوْ غِيَةِ وَجَمَاحِ
تَوَا وَوَارَاهُمْ أَدِيمُ البَطَاحِ

فعراني القنوطُ من صولةِ المو
وابتغيت الطريقَ أرجع للحسِّ
غير أنني أضللتَه ومضى بي الـ
خطوةٌ إثر خطوةٍ فيه حتى
خذُ بقولي ولا تضلَّ عن الحسِّ
إنما الفكرُ خطوةٌ تنقلُ المر
ت وما لاحَ في رُباهِ الفساحِ
فأشفي به أوارَ التياحي
خطو حتى أنكرتُ وجهَ رواحي
قد هداني خطوي لنهجِ النجاحِ
فيا ربَّ نعمةٍ في انتصاحِ
ءَ فحاذِرُ إضلالَ وجهِ المراحِ

الحسن الكاذب

وددتكم جهدي فما نفع الودُّ
فلا ترحموا قلباً يحنُّ إليكمُ
لئن لم أبتَ خلواً من الشجو والجوى
فإني خليقٌ بالنتقص والجفا
ولم يُدني منكم وفاءً ولا عهدُ
فإنَّ فؤاداً ليس يهجركم وغدُ
أقرُّ وأهو ليس يكرثني البعدُ
وإني خليقٌ أن يتيه بك الصدُّ

* * *

وعنفتُ قلبي أن عتبتُ عليكمُ
أتعدُّ من أبدى لك الغدرَ والقلبي
وقد عابني أني حننتُ إليكمُ
ولو ودَّ قلبي غيركم لعذرتمُ
فبعضُ عتابِ المرءِ يبعثه الحبُّ
وأنتَ ملومٌ في حنينك يا قلبُ
لديكمُ صدقتمُ أن حُببكمُ عيبُ
ولكنَّ حبًّا ليس يعدوكمُ ذنبُ

* * *

وقد خلت أنَّ العقلَ عندك وافرٌ
فلا تحسبنُ أني عنيتك بالهوى
وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته
فما أنا إن جافيت بالواله الجوي
لقد كان ذاك الظنُّ من سفه الحبِّ
فقد كان خُلق غير خُلقك في قلبي
وقد كنت أهوى ما خلقت من اللبِّ
ولا أنا إن باعدت بالهالك الصبِّ

تمثال سوء

يا خبُّ ما لحظاتُ البغضِ قاتلةٌ
وقطِّعَ اللحظَ دوني لا ترى رجلاً
لقد تقمَّتْ عليه الفضلُ أجمعه
سلاحُك الجهلُ لا تهناً بمضربه
فارجع بلحظك مقهوراً ومخدولاً
وطني له الرأي تعظيماً وتجبيلاً
فصارَ بغضك تضليلاً وتغفيلاً
وسيفك الحمقُ لا تتركه مسلولاً
عذرُ البهائم محقوراً ومرذولاً
أعطيت في ملكهم تاجاً وإكليلاً
فأنت تمثالُ سوءٍ صاغه لبقُ

يقظة في الفجر

قم فإنَّ الدَّهْرَ غفلانُ
رقَّ ليلٌ أنت راقده
إنَّ جُرْمًا أن تتامَ بهِ
إنَّ حسنَ اللَّيْلِ مكرمةٌ
قد أراقَ البدرُ بهجتهِ
خذ نصيبًا من أشعتهِ
وهومي منه في سنةٍ
وهو للأشجان أنغامُ
قم فإنَّ البدرَ زائرنا
ربِّ حسنٍ كنت أنشدُهُ
اسقني من ضوئه جرعًا
لي منه خمرةٌ لطفَتْ
قد نسيْتُ العيشَ أجمعه
باعَ أهلُ الحُسْنِ حسنَهُمْ
لذُّ بما يعطيك من ملحٍ
كم رأى من قبلنا أممًا
وقضاءُ النَّحْسِ وَسنانُ
فكأنَّ اللَّيْلَ ولهانُ
ما لهذا الجُرمِ غفرانُ
بغضُها لله نكرانُ
وجحودُ الحسنِ كُفرانُ
إنَّ رُوحِي منه ملآنُ
وفؤادي منه يقظانُ
وأناشيدٍ وتحنانُ
إنَّ عمرَ المرءِ عجلانُ
في ضياءِ البدرِ عريانُ
أنا منه الدهرُ نشوانُ
وعلالاتٌ وسلوانُ
إنَّ طيبَ العيشِ نسيانُ
ما لحسنِ اللَّيْلِ أثمانُ
كلُّ ما يعطيك مجَّانُ
وكأنَّ القومَ ما كانوا

فتمتّع إنّها فرصُ
قُمْ فَإِنَّ النفسَ يونسها
ونجومُ الأفقِ تنظمها
وهي جناتٌ لذي أملٍ
وهي للمفلوكِ عقيانُ
وكانَّ النفسَ طائرةً
إنِ حسنَ الليلِ آيته
وقصيدُ الكونِ يطربنا
قُمْ فَإِنَّ الفجرَ طارقنا
في احمرارِ الخدِّ رونقه
ونسيمُ الفجرِ يلثمكم
وطباعُ الدَّهرِ حرمانُ
من نجومِ الأفقِ جيرانُ
فوق رأسِ الليلِ تيجانُ
وهي للأرواحِ أوطانُ
وهي للمهجورِ سلوانُ
فلها في النجمِ بستانُ
في ضميرِ الكونِ وجدانُ
منه أشعارٌ وألحانُ
إنَّ وجهَ الأفقِ عريانُ
فكانَّ الأفقَ خجلانُ
ففؤادي منه غيرانُ!

قبر في القلب

وجعلتُ أبحثُ في الفؤاد كأنني
حتى رأيتُ هناك قبرًا غائرًا
وعليه مكتوبٌ بحرفٍ من دمٍ
قبرٌ دَفَنْتُ به الصبابةَ والمنى
وجزعتُ حتى قيلَ ليس بصابرٍ
وخبَرْتُ حالاتَ التسلي والهوى
فالحسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرَزٌ
يا قبرُ هذا الشَّعرُ فوقك حليةُ
يا قبرُ أنت قرارةٌ أرمي بها
والقلبُ مثلُ البحرِ يفرعُ قاعه
كم فيه من أثرِ العواصفِ راسبٍ
فاطوِ الفؤادَ على الهمومِ كأنها
لو كُشِّفَتْ سِيرُ النفوسِ لراعها
في الأرضِ أنكُتُ جاهدًا لا أفتُرُ
للحبِّ قدمًا كان غدرك يحفرُ
الحسنُ خداعٌ يغرُّ ويغدرُ
ولذيذُ عيشي في جوارك يزهرُ
وصبرتُ حتى قيلَ لا يتذكَّرُ
فرأيتُ خيرَ الحسنِ ما لا يُخبرُ
والقبحُ في ثوبِ المحاسنِ يُستُرُ
والزهرُ في قبرِ الأحبةِ يُنثرُ
ما لا أطيق من الهمومِ فتُغمِرُ
أهنا قلوبِ الخلقِ ما لا يُسبرُ
أبدًا به لا يُستطاعُ فيُنظرُ
رمم على رممٍ به لا تُنشرُ
منها علاماتُ تسوء وتُدْعُرُ!

صرصور الشعر

يا أيها الشانئ المغرور يشتمني
لذُ بالجبالِ وَضَعَهَا فوقَ فَضْلِي واشْـ
واجهدْ عَلَيَّ إِذَا ما شمتَ محمداً
واذممَ مقالِي وازعمَ أَنني رجلٌ
وانسبَ إِلَيَّ عيوباً لستَ محصِيهَا
فإنِ فَضْلِي مثْلُ الشمسِ مشتهراً
أبعْدَ شدويَ بالآياتِ يا عجباً
يتاحَ لي منك صرصورٌ يناوئني
لو شئتَ صبَّتَ عَلَيْكَ النعلَ مسكته
بيتٌ من النظمِ لا شعرٌ فتحكمه
لكنَّ نعليَ يا صرصورَ طاهرة

ارفق بنفسك ليس الشتمُ يؤذيني!
تُمنِّي كما شئتَ شتمُ الوغدِ يعطيني
منِّي فكلُّ خفاءٍ ليس يخفيني
مُغرَى بكلِّ ضئيلِ الرأيِ مأفونِ
وصلِّ بكلِّ رهيفِ الحدِّ مسنونِ
يبينُ نقصك من نتنٍ ومن دونِ
وبعدَ مسعاي في الغرِّ الميامينِ
بالرجسِ والنتنِ يا صرصورُ ترميني؟
صوتاً يغردُ في بيتِ المساكينِ
ولا نثيرَ متينٌ غيرَ موزونِ!
عن لمس كل قبيح الشكل ملعون!

لوازم الحب

عبثاً أحاولُ قُرْبَ رُوحِكُمْ سفه بقلبي ظلَّ يوهمه
أفمنصفي في الحبِّ من زمني من ليس يفهمني وأفهمه؟
لا السنُّ دانيةٌ ولا فطن وتشابه في الحب يحكمه
وتغاير في السنِّ ينقضه وتفاوت في العقل يهدمه
فاظفر بظئرِ دَرِّها عمم إن الصغير ذكاؤه فمه!

النقد القذر

نقدك هذا وصرُّ الزيتِ
يغسله الدهرُ بأمواجه
شعريّ مثلُ الدهرِ في صوته
إنّ تعب الناقد في نقده
لوثٌ به ما شئتَ من بيتِ
إذ أنت فيه طعمة الموتِ
وأنت غرٌّ خافتُ الصوتِ
بأدره باللوّ والليتِ!

إيكاروس العبد الروماني (حادثة في حياة الرومان)

مضى العبد إيكاروس في بيت سيّد
فيا شقوة العبد الذليل ونحسه
فلما طغى بالعبد نحس وشقوة
تأبط سيفاً مرهفاً وسعى به
فأورده من سيفه مورد الردى
وأشعل ناراً ليس تخبو ضرامها
وجندله بالسيف أنصار ربه
يرى الظلم حقاً ليس فيه ملام
وفي الظلم لذات الظلوم ترام
وما كل نفس في الحضيض تقام
إلى حيث مولاه الظلوم ينام
وذلك في حكم الأنام جسام
فأصبح ذاك القصر وهو ضرام
فقال وقد أهوى إليه جمام

قول العبد

حلالٌ أباحوا وِردَه وحرامٌ
وليسَ على العبدِ الذليلِ حرامٌ
قبوْدٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلةً
لها في أنوفِ الخانعينِ خطامٌ
وكمْ خدرتِ نفسٌ بخشخاشِ مَينهم
فصالوا وجاروا والنفوسُ نيامٌ
أخالوا حلالًا أن أدلوا بحولهم
فإن قَدَرُوا جورًا فقد قَدَّرَ البِابا
وإن جميعَ الناسِ في الضعفِ إخوةٌ
ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشرِّ سنةٌ
هوَ العبدُ عبدُ النفسِ من عاشِ راضيًا
وما ظلمَ المظلومِ إلا رضاؤه
وبعضُ التُّقى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ
وفي كلِّ ظلمٍ للنفسِ مدامٌ
وما الناسُ إلا مالكا غيرِ عادلٍ
وفي الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرامٌ
وما كلُّ ذي ذلٍّ على الشرِّ قادرًا
وآخر يرضى بالأذى ويُضامُ
ولو خُوِّفَ الإنسانُ من شرِّ عَيره
وهل نافعِي لو عاشِ في الناسِ ناعمًا
رضينا «بنبيرون» فكنا بناره
ولما قادَ ذاكَ العَيرَ منه لجامُ
وعدتُ وحظي في الحياةِ أوامُ؟
جديرين إنَّ الأتقياءَ حطامُ
وهل كلُّ مَنْ سيمَ الهوانِ سنامُ؟
لما قادَ ذاكَ العَيرَ منه لجامُ
جديرين إنَّ الأتقياءَ حطامُ
وعدتُ وحظي في الحياةِ أوامُ؟

قول الواعظ

قضى الله أنَّ الجرمَ للجرمِ باعِثُ
فلا تحسبنَّ الشرَّ فردًا فإنه
وللشرِّ عدوى كالوباءِ وعدوة
فلا تقصدنَّ بالشرِّ نفسًا بريئةً
وإنَّك لا تدري بما الشرُّ واقعٌ
فأنتَ قسيمي في اتِّقاء مصابه
ألا إنَّ درأَ الشرِّ عنك رهينةٌ
فلا تعدُّ مظلومًا ولا تعدُّ ظالمًا

وربَّ بريقٍ شُبَّ منه ضرامُ
تؤام إذا جدَّ الردى وتؤامُ
هو الشرُّ في هذي النفوسِ سقامُ
فقد ينتحيك الشرُّ وهو سهامُ
وفي أي دارٍ للمصاب مقامُ
وإنَّا لأكفاء عليه كرامُ
بدرئك عمَّن كان منك يضامُ
فكلُّ عرامٍ يقتفيه عرامُ

دعابة (أي مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دُلُّها أن لا تضنَّ بقبلةٍ
أقبلَ منها الحسنَ في خيرِ موقعٍ
فيا ليتَ أنَّ الناسَ تُغفيَ عيونُهم
فوالله ما أدري أخذك أحسن
أم الشفةُ الحمراءً أطيَّبَ موقعٍ
أم العنقُ المعقودُ بالنَّحرِ أطيَّبُ
ألثمها في الخدِّ والفمِ طيِّبٌ
لقد جرَّتُ حتَّى ما أرى لي حيلةً
دعيني أقبَلِ كل ما لاح حسنه
خليلي في التقبيلِ أطيَّبَ متعةً
لأنزلَ لثمي في أعزِّ مكانٍ!
برغمِ حسودِ راحَ بالشنانِ!
فألثمها في خفيةٍ وأمانٍ!
أم العينُ أم ما تحجبُ الشفتانِ؟
به الشمُّ والتقبيلُ يستبقانِ؟
أم الصدرُ حلَّى وجهه جيلانِ؟
ولي في لذيزاتِ النُّحورِ أمانٍ!
وليس لمتلي بالسلوِّ يدانِ!
فكلُّ مكانٍ فيك خيرُ مكانٍ!
ولستُ أرى في الحبِّ ما تريانِ!

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسانُ أماله
ولم يعد يعرف ما يبتغي
لكانَ أشقى الناسِ في عيشه
لنا عيشٌ إلا بطلبِ المنى

وصابه منها كقطرِ المطرِ
ولم يجد في العيشِ ما يُنتظرُ
حتى تقولَ النفسُ أينَ المفرُ
لولا المنى في عيشه لانتحرُ!

بعد زينة

ابتعد عمن أحبَّك
أنت في البعد جميلٌ
قد حمدنا منك بُعدًا
للفقايع بهاءٌ
فاعتصم بالصمتِ كي لا
وإذا لحتَ قريبًا
خشيةً أن يأخذَ اللَّحْـ
لا تُرِخْ بالقرب صبَّأك
لستُ أبغي منك قريبك
إذ حمدنا منك غيبك
قد حكَّت في الحسن قلبك!
يعرف العاشق لبَّك
ما بعثتُ اللَّحظ صوبك
ظ إذا ما لحتَ عيبك!

الروضة المنتهبة

غرستُ روضًا زاهيًا زهرُهُ
فجاءه الغلمانُ في طيشهم
وهدموا الأسوارَ من قفزهم
كأنما نيلُ العلاءِ لعبةٌ
أكثرُ من طيشهمُ جهلهمُ
حتى يرى في عقله ظلمةً
إن يسألوا عما بأيديهمُ
أو يسألوا عن روضتي جمجموا
ولو ثوا الزهرَ بأيديهمُ
ثم ادعوا كي يُعذروا نهبهم
فكلُّهم يسرقُ من روضتي
من يرتجِ الشرَّ لدى أحرقِ
وحطُّتهُ من خشيةِ البنا
والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا
وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى
ما لهمُ لو عقلوا والعلا!
يعدون من عاشرهم بالغبا
يضلُّ فيها الرأيَ إمَّا سرى
قالوا اشتريناه كما يُشترى
أن ليس في أغصانها مُجنتى
فهانَ حتى صارَ لا يُجتدى
أنى لم أغرس بها ما زها
وكلُّهم ينكرُ ما قد جنى
يُبدله عدوانًا بما قد رجا

حلم وردة (وردة في الشتاء تحلم بالصيف)

وردةٌ في غصنها طال كراها
مثلُ أنفاسِ حبيبٍ راقِدٍ
ما لها وسنانة ذابِلة
حلمت بالصيف في ريعانه
وحبيب من هواها صادح
لما أرى البلبَلِ جسمًا طائرًا
لو بدا للنفسِ صوتٌ وفمٌ
بات يشكوها بشعرٍ ساحرٍ
يا عروسَ الروضِ رفقا بمحبٍ
وهي من أشجانه حائرة
تحملُ الأنفاسَ عنها نشرها
أيُّ شيءٍ قد نفى عنها كراها
فراحت أن شتاءً لم يزلْ
حُلم ما فيه من شينٍ سوى
عبق في نومها طيبٌ شذاها
نشرت نفس محبٍ في سراها
هل ترى في النومِ أحلامَ هواها!
وبضوءِ البدرِ يسقيها طلاها
بأغانٍ ينتشي من قد حساها
هو نفس تشتكي ما قد عناها
كان شدو الطيرِ معنى في لغاها
شجو نفسٍ قد نأت عنها مناها
نفسه في شدوه فاضَ جواها
خجلًا تحمرُّ منه وجنتاها
كُلَّمَا غنى لها في الشدو آها
أترى البلبَلِ قد قبَل فاهها؟
حولها يا ويح ما منى كراها
أنه غادرها حيث بداها

الهوى حلم العمي

كان عهدي بالأمانى في الشباب
صار عهدي بالأمانى كالسحاب
كنت أرجو العيشَ حلو الثمراتِ
كنت أقلّي الموتَ مرَّ الجرعاتِ
إنّ عيشي بعدكم مثل الظلامِ
احملي يا ريح عن قلبي سلامي
عاد فجر الحبّ ليلاً داجياً
بعد ما كنتُ زماناً راضياً
كالغواني راقصات من هيام
في دُجى العيشِ ظلاماً في ظلام
صرت أخشى إن دعا داعي الأمل
فحلا لي بعدكم مرُّ الأجل
أنتم كنتم ضياء البصرِ
وارجعي عنهم بطيب الخبرِ
إن أضواء الهوى حلم العمي
أرتجي من حبكم ما أرتجي

الديوان السادس

ديوان الأفنان

فصل في أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يُحْكِي أن دوناتلي الإيطالي صنع دمية فأجاد صنعها، فلما رآها أستاذه قال له مازحًا: ما ينقصها غير أمر واحد. ثم كتبه عنه حتى مَرِضَ دوناتلي من الأسف عليه، والفكر فيه، وحتى أُشْرِفَ على الهلاك. فدعا أستاذه وقال له: قد رأيتَ ما بي من الداء. وأني هامة اليوم أو غدًا. فأخبرني أي نقص رأيتَ في دميتي؟ قال: ما ينقصها غير الكلام! فقام المريض محمومًا حتى أطل على دميته وقال: تكلمي، تكلمي، فما ينقصك غير الكلام، ثم وقع ميتًا!

وكل ذي فن في فنه مثل دوناتلي في طموحه إلى مرتبة الكمال. وإنما يجيد حسب فَضْلَ الْمَلَكَةِ المَهْدِبَةِ التي يسترشد بها من نفسه، لا لأنه يقصد إلى ما أُولِعَ به الناس، مما يستفز إعجابهم؛ فإن إعجاب الناس — وإن كان حبيبيًا — يتطلب بإرضاء مَلَكَته المَهْدِبَةِ لا بإرضائهم، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه. وهذا سبيل أثره فيهم الذي يأمله في حياته أو بعد موته. وسواء أَلَكَبَرَ الناسُ شِعْرَهُ أم أصغروه، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه، وبلهفة على ما لم يَقُلْ، وإن جَلَّ ما يقول.

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء؛ فإن الشاعر يُعَالِجُ حسرة على كل فوز لم يَفْزُهُ، وطائر أمل لم يقنصه. فإن نفس الشاعر طمَّاحةٌ أبدًا. وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجابة إجابة أن لا يدع للحسد سبيلًا إلى قلبه، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزًا يزهي به عالم الحسن على عالم القبح، ونصرًا أصابته الحياة على الموت، غير مفرق بين قائل وقائل في الإعجاب الذي لا يتقاضاه الشاعر، بل يتقاضاه شعره.

ألا وإن أجَلَ شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير، ويود لو قَيَّدَهُ بقيود الكلام، وليس أجَلَ شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه، فإن كل حسن في الفنون عنوان

لحسن، وكل فوز وعد بفوز. فإن الشاعر ليرى في نفسه القصائد التي يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلداهم. أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التي لم ينحتها كأنها محبوسة في الصخر الأصم الذي لم يلمسه بَعْدُ. وقد ورد عن كثير من كبار ذوي الفنون ما يثبت هذا الظماً الذي هو خير لشعر الشاعر شَرُّ لِنَفْسِهِ.

ولو كانت الحياة شجرةً لكان الجمال زَهْرَهَا والشَّعْرُ طَائِرَهَا. ولولا الشعر افْتُقِدَ جمال الحياة، وكل حيِّ شاعرٍ بمقدار ما يحس الجمال في الأشياء والأخلاق والأعمال التي ينشدها. والعالم عالمان؛ عالم الجمال وعالم القبح، وكل منهما ممتزج بأخيه، منعدم فيه. والشاعر رسول الجمال يسعى في تحقيق عالمه. وإنما الخير ضرب من الجمال، والشر ضرب من القبح. والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضًا الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم. ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف. وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير، إنما ينبذها شوقاً إليها، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه، وإنما الحياة أو الحق كالميزان، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه. ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانبَ الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة، كما يعدل كل نقيض نقيضه. وهذا أساس الحياة. ألا ترى كيف عدل عيسى — عليه السلام — روح الأثرة في دولة الرومان؟ وكيف أن رَفُضَ شوبنهاور للحياة يَعدِلُ تقديس نيتشه إياها، وتقديس كل ما تخري به؟ ومنزلة السعادة في الحياة كمنزلة الشعر من النثر. والذين يسعون في نصرة الخير واستخلاص السعادة التي فيما دون المحال، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزاناً وأنغاماً.

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه في مداواة قُبْحِ الحياة، ولو لم يكن من المكافحة كي يستخلص من الحياة جمالها إلا التغني بما يليه المكافحين، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا إلى الأمل، أو اتخذوا منه مرقداً لكفى.

ولما ريب أن شعر الشاعر ابن طَبَّعَه ومزاجه، وأن الشعر ضروب متغايرة. وذلك لا ينفى ما ذكرنا. هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفاً لهم. كما أنك لا تجد فيه وعظ من لا يرى إلا جانبه من الحق. وإنما نريد بذكر ما ذكرنا، أن الرغبة في الشعر من أجل أنه شعر، لا من أجل مقصد خلقي حقاً إذا عني الراغب أن الشاعر ينبغي أن لا يتجاوز أصول فنه التي يهيئ بها لذات الفنون، كي يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات، وأما إذا قيل: إن الشعر لهو ساعة؛ فهذا قول من اللغو!

الحياة والحق

هات اسقني الذُّكْرَ الخوالدَ هات
يا ساقِي الذكري، كئوسك أَضْرَمَتْ
أصحوت من خمرِ الحياةِ وإِنما
والعقل أليقُ بالفتى من غفلةِ
لولا فروضُ العيشِ لم أعبأ له
وتكأثرُ الحاجاتِ ينبئُ أنما
وهي المنى صوتٌ صداه صرخةٌ
واليأسُ ينبئُ أن فوقَ جهودنا
لولاه لاستوت المطالبُ كُلُّها
إِنَّ الفضيلةَ والرذيلةَ لذةٌ
لا تسعدُ المجدودُ منك برحمةِ
وهي التجاربُ للعقول صياقِلُ
إِنَّ التجاربَ كالأزهارِ جمَّةٌ
يا قلبُ لا يغنيك ذعرك للأسى
والموت ظلُّ الله أبشَرُ إن دنا
ثبَّتَ الزمانُ ونحن نعدو عمرنا
إِنَّ النفوسَ كثيرةٌ اللفاتِ
منْ ذا الرحيقِ النارَ في لهواتي
طيبُ الحياةِ يصاب في الغفلاتِ
للسعد تحكي غفوةَ النشواتِ
جيشًا من الآراءِ والعزماتِ
خلقُ النفوسِ لأعظم الغاياتِ
لليأسِ ثم الموت كالسكاتِ
خيرَ المنالِ وأعظمَ الرغباتِ
حيثُ الحضيضُ ووهدةُ الوهداتِ
خيرُ الجنى يُجنى لخيرِ جناةِ
أهلُ الجحيمِ أحقُّ بالرحماتِ!
صفحاتها للغيبِ كالمرآةِ
أوماً اغتفرتَ الشوكَ للزهراتِ؟
فالخوفُ أولُ مهبطِ المهواةِ
في ظلِّه أمنٌ من الحسراتِ
ونخالُ أنَّ الدهرَ ذو نقلاتِ

كالراكب العجلان ينظر حوله
والعيش كالهرباء يخدع لونه
فالمرء يسري وهو قيد مكانه
والحق مثل الشمس يهلك آله
أم الهدى لكن بعض ضيائها
والحق مثل الشمس يجعل ضوءه
والمرء في دنياه خابط حنيس
كم حكمة فيها الدواء لعاقل
والعزم شيء لا يباع فيشتري
والموت بحر والنفس لآلى
لسنا نصيب الحق فيما نبتغي
نبغي من الدنيا نظام محدد
فنظامها ألف النقيض نقيضه
والعيش غيم والعقول جلاؤه
نظر الأنام إلى الحقائق في الدنى
كالطفل ينظر في الأضائة فيبثني
والفكر دائرة يظل يدورها
فلكل دهر دورة معلومة
والفكر يعظم وهو في دوراته

فيرى الشخصوص سريعة العدوات
والحس بعض حبال الخدعات
سكن الوجود لشدة الحركات
والشمس أم الخير والآفات
رفع السراب وغر في الفلوات
بعض النفوس قرارة الحشرات
أراؤه ضرب من الخطوات
لو يدرك المعلول عزم أساة
من للشقي ببائع العزمات
والعيش فوق الموت كالموجات
لكن كظل الحق في الصفحات
في رحبها برء من الغايات
ونقائض الأيام كالأخوات
كالشمس تنقش جانب المزنات
كتطلع الحمقاء في المرآة
متسائلاً عن روضة وأضائة
في دهره متقارب الدورات
ومطالب موصوفة المسعاة
كالماء حول مواقع الحصبات

والحقُّ في الأضداد يلقي سره
كالمرء يُنكرُ في الوجوه غريبها
والحقُّ مختلفُ المقاطع والنهي
والعيشُ مثلُ الشمسِ يُعْمي ضوءه
ولعلَّ في ظلم الحمامِ زواهرًا
أحزنُ ولدًا وقلَّ لكلِّ مقدَّرٍ
وخذِ الأنامَ على عوائد كيده
ولقلِّما ندريه بين عداةٍ
ويحنُّ نحو أربةٍ ولداتٍ
متباينُ الأسبابِ والهجاتِ
عن أنجمٍ تزدانُ بالظلماتِ
تجلو الظنونَ وتكشف الغماتِ
يا مرحبًا بالحزنِ والفرحاتِ!
واغنم صفاءَ العيشِ في الفلتاتِ!

أبو الهول

أنختَ فوق الدهرِ بالكلِّ
عند فلاةٍ قلَّ قَطَّانُها
مضى الألى شادوك في مجدهم
فهل ملتَ العيشَ من بعدهم
ثقلَ من الدهرِ تحمَّلتُهُ
فهل يدُرُّ العيشُ من بعدهم
وأنتَ مثلُ الخانِ في لُبَّته
غداً ترى عيناك من بعدنا
كم أمَّةٍ من بعدها أمَّةٌ
فأنتَ سفرُ الدهرِ خَطَّتْ به
فأنتَ لنا من آيةِ آيةٍ
كم وعظَ الدهرِ فلم نزدجرُ
قيَّدنا العجزُ ونرجو عُلا
نعاف مستطرف ما يُرتجى
فيا مثالَ الدهرِ يا رمزَه
كأنَّ روحَ الدهرِ في جسمه
وكنْتَ مثلَ الواعظِ المرسلِ
هل باختيارٍ كنتَ في معزلِ؟
كأنه منك لدى موئلِ
كأنما جُلِّتَ بالمتَّقلِ
لو حلَّ بالأطوادِ لم تحملِ
أم ما ضروعُ الدهرِ بالحفلِ؟
ونحنُ مثلُ الراكبِ المعجلِ
غيرَ حلولِ الحيِّ والمنزلِ
قد رحلتَ عنك ولم ترحلِ
يداه آيَ المُحكَمِ المنزلِ
لعلنا نجنبُ ما يبئلي
وكم سما الناسُ ولم نعتلِ
يسمو الذي في الطيرِ لم يكبلِ
كأننا في العيشِ لم نُجبلِ
كم صنمٍ في القلبِ لم يبطلِ
إن تره من نحوه تمثلي

تحسبُه من هيبَةٍ عاقلًا
كأنما في طي الحاظه
كأنه في صمته حارس
يا عجبًا أبصرتَ ما قد مضى
أبصرتَ أكلَ الدهرِ أبناءه
بينكما نجوى على صمته
عشَّ فيك الحادث المجتوي
مرَّت بك الأيامُ مخشيَّة
فابعتُ لنا من عزمها عدَّة
ولو نهيتَ الدهرَ لم يعتدِ
والدهرُ كم تسحرُّ أحداثه
أيُّ حكيمٍ قد رأى ما رأته
يا ناظرًا ينظرُ هذا الورى
انظرِ إلى الأقدارِ في غيبها
أغابرُ الأيامِ في صرفها
أمالكُ عوجلَ عن مُلكه
والناسُ حلِّي القاهر المعتلي
يصوغهم كلُّ غلوبٍ على
كم عبرة للناس أبصرتها
من حسب المرهوب لم يعقلِ
ذكرى لعهدِ الزمنِ الأولِ
يحرصُ بابَ القدرِ المقفلِ
ونظراتِ منك لم تقتلِ
ألم تُرْعُ من ذلك المأكلِ؟
وصمته في فيك كالمقولِ
وكنت عرش الرمية الضئيلِ
كأنها مرَّت على هيكلِ
فلو سألت الدهرَ لم يبخلِ
ولو زجرتَ الدهرَ لم يُقبلِ
لبَّ غضيض اللبِّ والمفصلِ
عيناك في الدهرِ ولم يُذهلِ؟
نظرةً طرفِ الناظرِ المعضلِ
واذكرُ مآلَ العيشِ في المقبلِ
كمضمرٍ في الغيبِ مستقبلِ
كذي علاء بعدُ لم ينزلِ
يألم نار الحاذق الصيقلِ
سنَّة ملكِ الرمحِ والمنصلِ
وعبرة للهاتل المسبلِ

فهل دموع النحس تحيي الورى
أراك لا ترثي لما نابهم
ومقلة تُخبر ألاحظها
والدهرُ وهو الساهر المعتدي
وربَّ لحظٍ منك قد رشتَهُ
فابحثْ خباياهُ وأحناءه
كأنَّ روحَ الدهرِ تبغي به
تحسبُهُ لو جنَّته ناشدًا
يا من سؤال العيش في صمتهِ
كم امتطى الأيام تجري به
كم عبَّ لُجَّ الدهرِ ثم انثنى
كأنَّه منتظر موعداً
لو فاه يوماً ذاكرًا سرَّه
أو أنه المسحورُ في صمته
فخاف صرف الدهر من فتكه
فذاده بالسحر عن نطقه

مثل عقيب المطر المرسلِ؟
يا ليتني مثلك لم أحفل!
أنَّ عيونَ الدهرِ لم تُسملِ
يُغضي وعينُ لك لم تغفلِ
في قلبِ هذا الدهرِ كالموغلِ
واكشف لنا عن ذلك الغيطلِ
وكنا لها أحكَمَ كالمعقلِ
معنى حياة الناس لم يجهلِ
أسألُ ومن لم يدره فاقتلِ
كأنَّه والخلد في منزلِ
إلا بقايا الماءِ في الجندلِ
حُيِّنَ كي ينطق بالمقولِ
لم يعجب الرائي ولم يعجلِ
قد كان يمشي مشية المشبلِ
وعلمه بالحادثِ المقبلِ
حتى تناسى عيشه المنجلي

هرم خوفو

يا موجةً للدهر لم تهزمِ
وما رأينا قبلها موجةً
ما الناس والآثار من بعدهم
موجٌ لبحرٍ ما له ساحل
كم عند شط الموتِ شِلو ردى
هل أنت شِلو لزمانٍ قضى
لم يَبَقَ من عمرانٍ من قد مضوا
كأنما يدخرُ من مجدهم
كيف نرجي الدهر ذا عفةٍ
لا يسمع الدهر سوى منصت
هممةٌ يطلقها عارمٌ
هل خاف هذا الدهر صرف الردى
لا يجرؤ الموتُ على بيته
أم شادك العقل لكيما يرى
بعيدةٌ لم تَبْدُ أشخاصها
كي يؤذن الناس بإقبالها

تعلو علوَّ الجبلِ الأعظمِ
تعلو فلما تحدر للمحطمِ
إِلا كموجٍ إنَّ علا يُهزمِ
غير الردى في لحدِه المظلمِ
يقذفه الدهرُ إلى ضيغمِ
رفاته الآثارُ لم تُردمِ
إِلا بقايا الجُدِّ والأعظمِ
ما يدخرُ النملُ من المطعمِ
إن ذاقَ طعمَ اللحم لم يقرمِ
بالروح إن يُصنغ له يبيكمِ
إن يمضع المودى به يبيغمِ
فشادَ صرحًا منك لم يئلمِ؟
في هرمِ كالجبلِ الأدهمِ
من فوقك الأقدار لم تهجمِ؟
تهفو لنا في يومها الأيَّومِ
من قبل أن تُفجأ بالمقدمِ

إِنَّ أَرْزَمَ الرَّعْدُ عَلَى شَاهِقٍ
أَوْ كَلَّتْ هَامَتَهُ دِيمَةً
فُوقَكَ أَرْوَاحُ عُصُورٍ خَلَّتْ
هَدَتْ يَدُ الدَّهْرِ مَشِيدَ الْبِنَا
كَمْ أَنْزَلَ الدَّهْرُ شَابِيْبِيَه
كَالْمَزْنِ فَوْقَ الزَّهْرِ يَحْيَا بِهِ
كَأَنَّمَا الْأَيَّامُ ظَنَّرَ بِهِ
كَأَنَّمَا يَنْمُو عَلَى مَرِّهَا
قَدْ شَمَخَ التَّرْبُ بِهِ عِزَّةً
أَمْ قَلَّصَتْ وَجْهَ الثَّرَى كِبْرَةً
أَمْ كَفَنِيْقٍ مَا لَهُ رَاكِبُ
أَمْ تَذِي مِصْرٍ إِنَّهَا نَاهِدُ
أَمْ أَنْتِ نَابُ الْأَرْضِ ذَا شَحْدَةٍ
أَخْرَجَ صَخْرَ الْأَرْضِ طِيَّاتِهِ
أَمْ كَيْفَ شَادَ الْقَوْمَ أَحْجَارَهُ
كَأَنَّمَا رُوْحُ زَمَانٍ مَضَى
يَا مَعْبَدًا يُعْبَدُ فِيهِ الْحَجِي
أَجَلٌ مَا تُعْبَدُ فِيهِ النَّهْيُ
قَدْ حَلَمْتِكَ الْأَرْضُ فِي بَطْنِهَا

فُوقَكَ الْأَيَّامُ كَالْمِرْزَمِ
وَطُفَاءٌ مِثْلَ الْمَجْسَدِ الْمَسْهَمِ
كَدِيمَةٍ سَوْدَاءٍ لَمْ تَحْسَمِ
وَهُوَ إِذَا أَمَّكَ كَالْأَجْذَمِ
عَلَى جَبِيْنٍ مِنْكَ لَمْ يَهْرَمِ
زَهْرُ الرَّبِي مِنْ غَيْثِهِ الْمَرْهَمِ
تَغْذُوهُ مِنْهَا بِسَلِيْلِ الدَّمِ
فِيْرْتَدِي تَاَجًا مِنْ الْأَنْجَمِ
كَشَامِخٍ بِالْأَنْفِ لَمْ يَخْطَمِ
فَأَنْتِ مِنْ تَجْعِيْدِهَا الْأَقْدَمِ
يَمْنَعُ ظَهْرَ الْمَكْرَمِ الْمَقْرَمِ
عَشِيْقَةً لِلْقَدْرِ الْأَزْلَمِ
خُلْفٍ فِي شَدَقٍ فَمِ الْأَهْتَمِ؟
حَتَّى بَدَتْ كَالْهَرَمِ الْمَفْعَمِ
حَتَّى بَدَتْ فِي عِظَمِ الْمَخْرَمِ؟
مَعَشَشٍ فُوقَكَ كَالْقَشْعَمِ
إِلَى الْحَجِي فِي صُنْعِهِ يَنْتَمِي
سَلِيْلَهَا فِي صُنْعِهِ الْمَحْكَمِ
كَأَنَّهَا الْمَقْلَاتِ لَمْ تَعْقَمِ

تمخضت عن عَلمٍ أروع
ثم تردى بعلمها بعده
يا عَلمَ الدنيا الذي قد غدا
علت بك الأرض كمن قد علا
رفعت رأسًا منك ما طاله
كأنما كلُّ البنا سُجِّد
يا ملكًا ما انحَلَّ سلطانه
كم دولةٍ قد ضاع سلطانها
كم شابكت كفاك أيدي الردى
يا غيرَ الأيام في كرِّها
تباعدي إن شئت أو فاهجمي
هيهات لم يبْدُ له مقتل
كم خالَ فيك الناسُ سرًّا طوا
خلُّوا الألى شادوك قد أودعوا
ما أودعوا إلا كنوزًا غدت
وكلُّ ما لم يبْدُ كنه له
والمرءُ يبغي الحقَّ في خدره
ورمَّةٌ خباها كاهنٌ
رمَّةٌ ربِّ رائعٍ عزمه

مُفدَّةٌ في الحمل لم تُنمِّ
كيف نرجي النسل من أيم
عجبية الغائر والمتهم
برأسه الكبر فلم يهضم
رأس البناءِ الشامخ الأقوم
من هيبة للملك الأعظم
قد هدم الماضي ولم يُهدم
ودولةُ الأهرام لم تهرم
ثم انتتى عنك ولم تُكلم
من أبيض نأمن أو أسحم
على شبيهه البطل المُعلم
قد أخطأ الرامي فأشوى الرمي
هـ الدهرُ لم يُكشَفْ ولم يُعلم
فيك رموز المطلب الأكرم
نهبه كفِّ الصائل المجرم
يُخال كنزَ الحقِّ والمغنم
ولو بدا في أعين الأنجم
لفاتك الآراء والمخدم
قد أُخرِجت من بعد للمرجم

جَلالُ رُوحِ مَنْه ذِي هَمَّةٍ
لَا تُحسِبِ النَّاسَ لَمْ يُجِدِهِمْ
فَالنَّفْسُ تُبغِي أَنْ يَرى كُنْهَها
لَمْ يُصَلِحِ النَّاسَ لَذِي أَمْرِهِمْ
أَظْلَمَهُمْ مَنْ سَاغَ طَعْمَ الأَذى
كُلُّ ضَعيفٍ خَيْرُهُ عِلَّةٌ
مُجَسَّمٌ فِي صُنْعِهِ المَحْكَمِ
غَيْرِ مَنالِ البُرْدِ والمَطْعَمِ
مُجَسَّمًا فِي صُنْعِها الأَعْظَمِ
غَيْرِ شَفيعِ السَّيْفِ والدرْهِمِ
لَيْسَ الَّذِي يَظْلَمُ بِالْأَظْلَمِ
مَنْ ذَا الَّذِي صَحَّ فَلَمْ يَعْرَمِ؟

الليل

يا جوهرًا نفسي له صورةٌ
كالنَّجمِ في البحرِ يرى نفسه
قمِ حدِّثِ الليلَ حديثَ الكرى
كأنه المرآة مصقولة
لأنتَ عندي بالمكانِ المصونُ
في كوكبِ الأفقِ القصيِّ! الشطونُ
فطيره قد عَشَّشَتْ في الجفونُ
تصقله الأحلامُ صقلَ القيونُ
كالطيرِ تُؤوي فرخها في الوكونُ
كالطفلِ يصغي لدعاءِ القرينِ
مسدولة فوق اليقينِ المبينِ
وجيبَ قلبٍ منه جمَّ الشجونُ
هذي الدراريُّ مكانَ العيونِ
فالشهبُ فيه شعراتِ السنينِ
متوجًّا بالنجمِ فوقَ الجبينِ
كالوضعِ بيدي من خفيِّ الجنينِ
كالريحِ تشدو في حفيفِ الغصونِ
وفي دُجى الليلِ ضياءُ الحزينِ
سحابةِ الحزنِ بقلبِ الركينِ
تخطرُ في أثناءِ هذا السكونِ
كأنَّ روحَ الموتِ في جنحه

الصمْتُ سَجْنٌ وَالدُّجَى حَارِسٌ
أَوْ كَوْلِيدِ كَلَّ مِنْ ضَحْكِهِ
أَوْ هُوَ صَبٌّ عَاشِقٌ لِلدُّجَى
كَأَنَّمَا هَذَا الدُّجَى مَعْبُدٌ
أَوْ كَضَرِيحِ النُّورِ يَخْفَى بِهِ
هَلْ ذَهَلَةُ الْأَصْوَاتِ أَنْ قَدْ رَأَتْ
تَلَفَّتْ الرِّيحُ بِهِ خَيْفَةً
كَأَنَّهُ ظِلٌّ ظَلِيلٌ بَدَأَ
أَمَا تَرَى أَثْمَارَهَا فِي الدُّجَى
أَمْ هُوَ ظِلُّ الْمَوْتِ إِمَّا دَنَا
أَمْ هَامَةٌ الْيَوْمِ الَّذِي قَدْ مَضَى
فَالكُونُ مِنْهُ خَاشِعٌ حَائِرٌ
وَخَلْفًا رُوْحَيْهِمَا فِي الدُّجَى
قَلْبِي عَوْدٌ خَافِقٌ قَلْبِهِ
تَفْهَوِ بِي الذُّكْرَةَ فِي جَنَحِهِ
أَوْ دَمِيَّةٌ يَنْحَتُّهَا نَاحِتٌ
أَوْ كَهْدَايَا هَالِكٍ غَابِرٍ
اللَّيْلُ مِثْلُ الْمَاءِ فِي رَكْدَةٍ

وَالصَوْتُ مَأْسُورٌ عَلِيلُ الْأُنَيْنِ
تَحْصَنُهُ أُمَّ رَعْوَمٌ حُضُونُ
تَتَاجَبِيَا بِاللَّحْظِ بَيْنَ الْجَفُونِ
وَفِي خَشْوَعِ الْحَيِّ صَمْتُ الْيَقِينِ
قَدْ خُطَّ فِيهِ لِلنَّهَارِ الدَّفِينِ
مَا أُوْدِعَ اللَّيْلُ غَلَاةَ الظُّنُونِ؟
هَلْ عَادَهَا مِنْ ذَعْرَهَا كَالْجَنُونِ؟
لِدَوْحَةِ الْفَرْدُوسِ ذَاتِ الْغُصُونِ
نَجْمًا تَتَاءَى مِثْلَ ذَخْرِ الضَّنِينِ؟
سُغْبَانٌ يَسْعَى لِاقْتِضَاءِ الدِّيُونِ؟
يَهْيِجُ مِنْ رُوعِ الْجَبَانِ الظَّنِينِ؟
مَاتَ بِهِ الصَوْتُ وَمَاتَ السُّكُونُ
كَمَا يَرُوعُ الْحَيُّ رُوحَ الدَّفِينِ
أَوْتَارُهُ تَتَبَضُّ نَبْضَ الْوَتِينِ
كَأَنَّهَا هَامَةٌ مَاضِي السَّنِينِ
يُحْكِي بِهَا مِنْ أَمْسٍ هَلَكَى الشُّجُونُ
تَطِيرُ عَنْهَا خَطَرَاتُ الْمَنُونِ
وَالصَبْحُ يَبْدُو مِثْلَ مَاءٍ مَعِينِ

سور العيش

يمر بي زمني كالصِّلِّ منفلتًا
أمسي كنهِي أرى في قاعه دُررًا
حتى لقد صار لي عُشًّا ألوذ به
كم طارت النفسُ في رُأدِ الصبا مَرَحًا
مثل الندى وجناح الضوء يحفزه
قد تهبطُ النفسُ مثل الطيرِ عاجلها
أحارسُ كان هذا الموت من قدم
وكان حية حواء التي خدعتُ
ولذة العيش أثمارٌ مهدلة
إن الصبا معبدٌ للعيش نعبده
ظلُّ الجنانِ رفلنا في غضارتها
والموتُ كالأسدِ العداء تلقمه
لا بل هو الظئرُ والأرواح في يده
والعيشُ كالنردِ ترمي غير محتكم
أدلى لي الدهرُ خيطًا من حباته
كالحوت أفلتَ مكلوم اللهاة فإن

من بعد ما كان كالطيار وثابًا
تذكي اللواعج أن قد غاب ما غابًا
والقلبُ إن نيدَ عن أوكاره آبا
كالطير يبغي بنهي الشمسِ تشرابًا
يسمو بخارًا فإن حطَّ الدجى آبا
نسرُ الظلام فكان النسرُ غلابًا
أغفى فأفلت صلُّ العيش وانسابًا
بلذة العيشِ أوَّابًا ولعابًا
تبقى رمادًا إذا ذيقت وتورابًا
على مضاضته بوركتَ محرابًا
حتى تقلَّص ظلُّ الخلدِ وانجابًا
لذائدُ العيشِ تخشى منه أنيابًا
كالطفل في المهدِ لا تألوه إطرابًا
فيطلع العيشُ حرمانًا وإنهابًا
فعدتُ ما عاد هيابًا ووثابًا
أدليت خيطك ألفى فيه آرابًا

كخابط الليل أعمى بات جَوَّابَا
فما ابتغَاؤك عيشًا لم يَدُقْ صَابَا
عادي الوباء فلا تطرق له بابَا
سوق الحياة وإن أثرى وإن طابَا
يأسى الصفيُّ ويمضي الخبُّ خَلَابَا
جنبًا يطامن بل حزمًا وإصحابَا
صوتُ السكون فتبغي فيه صخابَا
وقد يبيت لَوْحِي النفسِ هَيَّابَا
مفكرًا خاب تسألًا وتطلبَا
إِنَّ الزمان إذا رَبَّيْتَهُ رَابَا
إِنْ تُبْصِرَ الحَقَّ فيها عادَ كذَابَا

كم عشي القلب في ضوء الصبا فمضى
والظلُّ والشمس لا يبغي افتراقهما
فاجعل همومك بيتًا غَال قاطنه
كزائف الذخر قلب ليس ينفق في
وما انتفاعي بخيرٍ كُلُّهُ فشلُ
والمرء يغفل عن أمر الحياة وما
ضمايرُ الناس كالرديد يزعجها
يندسُ في غمرات العيش جارمهم
كذلك المرء يخشى أن يرى أبدا
قارِضٌ مُضيفك من بشرٍ ومن كرمٍ
والسخرُ مرآة إبليس التي نُصِبَتْ

ذكرى أمس

مدَّت لك الذكرى وجميع القيودُ
مخبوءة في خدعات الجدودُ
كأنها نو إحنةٍ ماكر
يهدى صلالاً تحت زهرٍ نضيدُ
وقبر أمس شاحبٌ مائلُ
كذي حياةٍ راعٍ بالوصيدُ
والذِّكرُ دوحٌ فوقه باسق
أفئانه مثمرة بالوعودُ
والذِّكرُ صلٌّ لاذع نابه
يا ليته يخلع رثَّ العهودُ
كالحية الرقطاء في خفية
ينخر من قلب الأبى الجليدُ
مطيةُ الذِّكرِ على نهجها
معكوسة المسعى لخلفٍ تحيدُ
كأنما إذ عفتُ باب الردى
تبغي خلاصاً من سبيلِ الوليدُ
كي تتخطى أزلاً ماضياً
ترجع منه عن طريق الخلود
كم تبتغي أمسك إن ساءك الـ
يوم وأمسٍ مُعجزٍ من يُعيدُ
يا مخرج الملحود من قبره
لم يبقَ منه غيرُ عظمٍ ودودُ
أمس الذي فات على قربه
كالأبد الأبدي قاصٍ بعيدُ
وإن يسوِّك اليوم ترجُ غداً
إن غداً ليس بيومٍ جديدُ
فانظر إلى أمس مضي واستعن
منه على اليوم برأيٍ سديدُ
الشيخُ يبغي ضلَّةً أمسه
وفي غدٍ اليافعِ حلمٌ سعيدُ

نعسة الطرف

عيناك عيناك منبت الذكر
فنعسة الطرف أنه أبداً
بالله ما تذكر العيون أأل
أم تذكر العهد حيث لا عدل
أم طرفك الناعس النوم يرى
لواعج العاشقين ذكرك والـ
تنظر في أنفسي وفي مهج
أم رحمة غضت اللواظم
أم لوعة رنقت لحاظك إذ
أم غضة في لواظم حلم
بعالم أنت من بشائره
يخفي اقتدار العيون إن نعست
كم صائل سيفه تشفعه
قد تقصف الرياح كل عاتية
عيناك من لمحة الزواهر أم
أم من غدير الحياة حف به

كالزهر في قاع رائق الغدر
كذاهل قد أصاخ للفكر
حافظ مشوق بالصبر مستتر؟
يلوي بصادٍ عن مورد خصر؟
ما من من فتنة ومن سكر؟
ذكرى وعاءٍ لخير مذكر
فعل غني يرنو إلى الذخر
ما يشتكي العاشقون بالنظر
عشقت عشقا لحسنك العطر
بعالم الحسن طيب الخبر!
بشرى طيور الربيع بالزهر
كصولة في الخفاء للقدر
وصائل بالحياء والخفر
وتعجز الرياح عن أذى الخور
مقبوسة الضوء من سنا القمر؟
من هذب عيناك باسق الشجر!

كم جاءك العاشقون من نذر الـ
فكيف تُرعى لحبٍ محتضر
ولست أَرْضَى لمتل وجهك قلـ
نفسِي بحرٌ ظَلَلْتُ أُسْبِرُهُ
والذكرُ كالبحرِ كم رمَى جيفاً
فانعمْ فَإِنَّ الحَيَاةَ دَانِيَةٌ
حَبِّ بخير الزهورِ والثمرِ
ينبت من قبره على مَدَرٍ؟
بأ بين جنبي غائض العُذْرِ
كما يغوص الغواصُّ للدرِ
تبدو كغرقى السنين من عمري
قطوفها، وامضها على غرر!

قبس الحسن

شعري بحرٌ وأنت ساحلُهُ
يا ليت أن الخلودَ لي قبس
كيما أنير الحياةَ قاطبةً
كالبدرِ يكسو الأشياءَ حلتَهُ
فاكسُ بأنوارك الورى أبداً
يا شمسَ حسنِ حياتنا ثمر
ويخصب القلبُ إن رآكَ كأنَّ
أشعلُ بأحاطك الحياةَ فإنَّ
يا عار حسنِ جلوتِ غرَّتِه
وأنضبُ الناسِ فطنةً وحجى
عطَّرت برد الحياةِ قاطبةً
أنت أعرتَ الحسانَ روقيتها
والحسنُ روحُ الحياةِ يستره
أو مثل لمع البريقِ آونة
يا بارق الحسنِ في الحياةِ أما
ود شحيح رأى جمالك لو
قد صدَّه عنك قلبُك الحجرُ
من حسنك الغضِّ ناله الشرُّ
أوضاحها من جذاك والغرُّ
وَشِي من السحرِ حاكه القمرُ
كي لا يبين الشقاءُ والعسر
ينضجُ في ضوءِ حسنك الثمرُ
الحسنَ إما جلوته مطرُ
الصخرَ إما رمقته دررُ
إن لم يرقُ في قريضي الأثرُ
تتبع فيه من حسنك الغدرُ
فكلُّ شيءٍ لمسته زهرُ
كأنها منك أنجم زهر
للقبح ستر كالقشر يندثرُ
لناظر، والظلامُ معتكرُ
تبصرُ من شاق قلبه النظرُ؟
تصاغ منه الحلِيُّ والبدرُ!

درع الحياة

الْبَسْ عَلَى السَّمْعِ دِرْعًا والبس على العين دِرْعًا
فالنَّاسُ شَاكٍ وَعَادٍ يبيغون في الدرع صدعًا
والمَرْءُ جَدُّ شَقِيٍّ إن ضاق باللؤم ذرْعًا
واقهر فلست بناجٍ إن رمت باللين طوعًا
تَقْلَى من الصَّحْبِ مِمَّا نرضى من النفس خدعًا
إن نعمة بك حَلَّتْ ساءت لدى الالف وقعًا
حتى كأن لها في حشاه نهشًا وقطعًا
تكاد تخطم أنفًا منه وتتقب سمعًا
فليس يبرأ صدرًا إلا إذا شام نفعًا
تخال في العين منه أفعى وفي الثغر أفعى
يروم خفضك كيما ينال بالخفض رفعا
وليس يرحم إلا من هاب للشر وقعا
أو من يسرُّ بأن قد عداه ما بت ترعى
فإن رجوت رحيمًا في الخطب ألفت قذعا
عدوا الشقاء اجترامًا والخفض فضلًا وصنعًا
فالبس على الصدر درعًا والبس على القلب دِرْعًا

طائر السعادة

لعمرك ما اللذات إلا حمائم
نشدتك يا طير اللذاعة والهوى
وإن الذي يرجو السعادة واثب
وبعض مساعي المرء حمى وخيبة الـ
ومن لم يجد في نفسه ذخراً عيشه
وهل يستقيم السعد للمرء في الدنى
وليس شقاء المرء فيما يصيبه
هو العيش كالحسنة تبغض محجماً
ومهما يتخ في العيش فالخوف خادم
ومن صان عن رقب المطالب عنقه
قلبي العيش حب العيش قد شط رغه
كمن يبغض الحسناء يقلل دلالها
إذا أخطأ المرء السعادة خالها
وليس عجباً أن يرى العيش مجهلاً
وما السعد إلا حكمة وتجاوز
تكيد بصفو الصفح من بيتغي القذى
تنوح على أفنانها وتطير
أما لك في هذي الحياة وكور؟
على ظله لو أن ذاك يجير
مطامع برء للحجى ونشور
فليس له بين الأنام نصير
ومطلبه بين الضلوع سعير
ولكنه طبع له وضمير
جباناً، ويحظى بالوصال جسور
وكل جريء في الحياة أمير
رأى أن خطب الدهر ليس يضير
كما يبغض المهجور وهو أسير
وفي الصدر منه لوعة وزفير
سراباً يغر العين منه غدير
فإن الحجى طرف لديه ضرير
وإنك رب في الأنام غفور
لوردك، إن الشائبين كثير

ومن لم يجد في عيشه فرض أمل
ومن ضمَّ قلبًا أخطأ السعدَ خاله
أمانِيَّ خلف الموت ظل حياته
بدا لي أن لا سعد إلا تصبُّرُ
وعزمٌ وإيمان وطبعٌ وحكمة
وإنَّ أجلَّ الخلق ما هو مقل
وإن الأذى سبرُ القلوبِ وصيرف الـ
وراجي حياةٍ ليس للشرِّ بينها
كمن يرتجي أسبابَ أمر يعافه
وليس أعزُّ الرغبِ سعدًا فإنه
ولو أن خلدًا كان أمرًا مقدَّرًا
رأى أن سعدًا في الحياة عسيرُ
يتاح له بعد الممات حبورُ
يقبل بها والحادثات هجيرُ
تقرُّ به في النائباتِ صدورُ
ورأيي بالآءِ الحياة خبيرُ
تُهَيِّئُهُ بعد الدهورِ دهورُ
نفوسٍ وقينٌ للعقول وظيرُ
مثار تنال النفسَ منه حرورُ
وذاك محالٌ في الدنى وغرورُ
يضنُّ بعيشٍ ليس فيه سرورُ
أهاب الفتى بالموت وهو قريرُ

لا مرحبًا بالأقدار

ألا ليت للأقدارِ قلبًا وفطنةً
وهل نافعِي ذمُّ القضاءِ وجوره
وهل يملك المظلومُ إلا شكاته
ولو كان هذا الحتمُ قرناً قتلته
ولو كان سعدًا خلت أني ملكته
إذا فر نحو الدارِ طرفٌ لراكبٍ
ولو أن صبرًا كان رُوعٌ بالذي
ولو أن خطبًا نابِه بعض شرّه
فمن لي بنفسٍ في الشقاءِ نعيمها

أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ؟
كما ينقم الظلمَ الأسيرُ المكبَلُ؟
وإن كان حمل الحتمِ بالصبرِ يجملُ؟
فأمرته حملٌ على النفسِ يتقلُّ
ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبلُ
توهمه طوعًا إلى الدارِ يرقلُ
بُليثٌ به ما كان للصبرِ موئلُ
لأصبح لا يصمي ولا يتغلغلُ
كأنِّي في نارِ الشقاءِ سمندلُ!

مرحبًا بالأقدار

إن الذي بثَّ فيَّ الخوفَ علَّمني
إن كان بي جزعٌ فالصبرُ غايتهُ
وإنَّ دمعيَ حتمٌ لست أدفعه
فإن تربتُ فعيشُ المرءِ متربةٌ
وإن مدحتُ فأمرُ كان عن قدرٍ
يا مرحبًا بالذي يأتي القضاءُ به
حزمُ المزورِ إذا ما زاره ملكُ
أدرُ عليَّ كنوسَ العيشِ قاطبةً
إن كان عيشٌ فإن العيشَ محتملُ
الظمءَ والجوعُ والأسقامُ قاطبةً
وإن لجأتُ إلى موتِ ألودٍ به
فإن فررتُ فمن حتمٍ إلى قدرٍ
والجسمُ في العيشِ لا يعيا بمؤلمه
هذي مرارةُ كأسٍ لذَّ شاربها
والنفسُ كالخيلِ والأقدارُ رائضها
ما دمتُ تعدو من الأقدارِ عدوك من
حملَ الهمومِ فكلُّ الأمرِ أقسامُ
أو كان بي سقمٌ فالعيشُ أسقامُ
إذا ابتلاني إثنانُ وإيلامُ
وإن غرمتُ فبعضُ الغرمِ إنعامُ
يجري القضاءُ فيسري اللومُ والذامُ
حظُّ المحكمِ ترحيبٌ وإعظامُ
أن لا يلوح به حقدٌ وأوغامُ
سعدٌ ونحسٌ وإهوانٌ وإكرامُ
أو كان موتٌ فما لي عنه إجمامُ
والذلُّ والفقرُ تقديرٌ وإرغامُ
فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوامُ
قد استوى فيه إجمامٌ وإقدامُ
وإن أتيج له نوحٌ وإرزامُ
خمارها فهو عبَّاسٌ وبسَّامُ
فالبؤسُ ركضٌ ورغدُ العيشِ إجمامُ
ضاري الفواتكُ فالأقدارُ آلامُ!

خلود التجارب

وكم ساعة كالخلد فزت بخيرها
بلغت بها أقصى منى النفس كلها
نفوسٌ تودُّ العيشَ نهزةً لآعبٍ
ترجِّي سنِّي العمر كالنحل ضمنا
ترجِّي خلودًا والخلودُ عناؤها
وما الخلد إلا ساعة تقنع الحجي
وقالوا بأن العيش فرضٌ مبغض
وعذرٌ على حبِّ الحياة ولهفة
يعيش شقيُّ الناس من خير عيشه
يظل فتى في نفسه نخر ذاخر
فما العيش إلا حكمةً وتهادنٌ
ويخلط حلواً في الحياة بحنظل
وقد صحَّ أن الجدَّ يلهي عن الأسي
وكم نُهزةً بالحسِّ لم أحسُ خمرها
هو الروح مثل الحسِّ في كلِّ لذة
وطالعت في سفر الحياة كأنني

هو الروح حرٌّ لا يذلُّ لتحكيم
كأن قضاء الدهر ليس بمحتوم
فتحسب أن العيش أضغاثٌ محموم
لعيشٍ كأرِّي النحل ليس بموهوم
وأبي بقاء خالد غير مسئول
وتُسعد نفساً لا تدين لتهويم
وذلك حرصٌ منهم غير مكتوم
وأبي امرئٍ في العيش ليس بمكلوم
وإن كان يسعى في الورى جدَّ مهموم
وإن كان محروماً كأن غير محروم
فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويأخذ من عيشٍ حميدٍ ومذموم
وإن كان جدًّا لا يجيء بمغنوم
حسوت بنفس تستقاد بتكريم
وليس نعيم نال روحٍ بمعلوم
ظفرتُ بسفرٍ في التجارب مرقوم

فما نفع هاتيك التجارب هديها
ولكنها لذات نفس تمرّست
فمنها مصيفٌ للنفوس ومربع
وليس أخو التجريب فينا بمعصوم
بوقعٍ مرجّى أو مواقعٍ منقومٍ
ومنها كعام المحل ليس بمرهومٍ

المثل الأعلى

يزعم الزاعمون أن أخس الـ
كيف لا يخلد الخسيس من النّفـ
مرحبا بالمحال فك عن النّفـ
يشرق المرء بالزلزال فهل كا
إنما التذت الحياة لأن كا
كل معنى عرّفته كان مملو
إني ولعتُ بروقة الأحلام
دنيا يشطُّ بها المنامُ إذا نأى
ومن استنام إلى الحقائق لم يجذُ
عجبًا نعا ف الخير وهو محبَّب
جهل الورى فمضى الورى في الشرِّ إن
ما في الوجود حقيقة غير النهى
أتال أوهام الحقائق قانعا
والعيش إن لم تبغه لعظيمة
لقررت عن دار المذلة والذى
وبدا له بين الحقيقة والكرى

خلق في النفس لازب لن يزولاً
س إذا ما اعتقدت أن لن يحولاً
س من العجز والقنوع كبولاً
ن زلال من أجله مردولاً
ن ستير من أمرها مجهولاً
لأ ومعنى جهلته مأمولاً
ألام في طربي وفي استغرامي؟
صدُّ الحبيب يشطُّ بعد لمام
عزماً سوى نابٍ لديه كهام
حتى كأن الخير في الأحجام
الخير كلَّ الخير في الأحلام!
فاطمح بنفسك للذرى والهام
وتعاف خير حقائق الأوهام؟
فالعيش حلم طوارق الأعوام
لو فرَّ بعضُ الناس في الأحلام
بابٌ لولاج العوالم سامي

فيفرُّ منه إلى الفضائل والنهي
إن خلت أن الذام ضربةً لازب
والنفس إمَّا شئتَ كانت عالمًا
فكأنما جزعَ الزمانَ جناحها
وكانما حد الفضاءِ يحدها
فإذا سكنتَ إلى مجالي عيشها
ورأيتَ عالمها الوسيعَ كعالمٍ
لو كنتَ تعرفَ قدرَ مقبل علمها
وعرفتَ ما العرفان لا يلوي به
والمرءُ يضمُر للبعيد مهابةً
ويرى المحبَّب بين ذين يرومه
ولرُبَّ نفسٍ كالخشاشِ مطارها
أنى يكون معبَّدَ لحياته
ولرُبَّ مصفودٍ بلذة عيشه
ومن النفوس نوات أجنحة ترى
ولذاذة الآثام في ندم عليـ
إنَّ السكينةَ قد يملُّ نزيلها
بئستُ حياةً قد رضيتَ براكِدِ
فالنفس للمثل الأجلِّ طموحها
وينال ما يغلو على المستام
في النفس كيف تعاف ضرَّ الذام؟
يسع الذنى في طوله المترامي
فرأته من خلفٍ له وأمام
يا طيبه من منزل ومقام!
ذللَّتها بخزامةٍ وزمام
للنمل يصغر عن مدى الإِعظامِ
أو جهلها لكشفت كل قتامِ
أقصرُ فليس مرأته بمرامِ
فإذا دنا ألفاه حظَّ طعامِ
بالنصر آونةً وبالإكرامِ
زحف الصِّلالِ تدب في الآجامِ
بين الأباة الصيد والأعلامِ
كالنحل يصفد في الجنى بحمامِ
كالطير ناهضة على الآطامِ
—ها قد أتيح لجدَّة الآثامِ
حتى يلذ العيشَ في الآلامِ
من أمرها وقنعت بالإجمامِ
كالنجم يهدي من وراء ظلامِ

طورًا كما رقص السرابُ وتارةً
كالبدرِ في ليلِ العواصفِ ساطع
بيغي به الملاحُ هذي سفينه
كم صان من جأشِ الحزين وكشفت
من زاد عنه النفس يخشى هلكتها
صنو الذي لم ترضه لمحاته
لولا وقوع شعاعه في نهجها
والمرءُ إن نبذ الكمال وهديه
ورأى الأنامَ فريسةً مذخورة
ولقد يعود قذى يصيب به العمى
كالنار يهلك حرُّها وضياؤها
يحكى أضاميم السقام ولوعه
ولطالما خاض الفتى من أجله
أقسى الأنام من استبدَّ به الحجى

يشفى به من غلةٍ وأوامٍ
في أفقٍ مخشي الزماجر طامي
في زاخر باللج كالآكام
لمحاته من سُدفَةِ الإظام
كمعالج للظمء خوف جمام
من يبتغي في النجم فضل ضرام
ضلت عليه طليقة الأيام
شقَّ العصا وأحلَّ كلَّ حرام
لموفقٍ في شرِّه عزَّام
فینال من عزمٍ ومن إقدام
يعشى وفيها من هدى وقوام
فكأنه سقمٌ من الأسقام
كيما يكون زواخر الآثام
فسها عن العبرات والآلام!

الفصول

طيري أمانِيّ النفوسِ وغَرِّدي
هذي عيون للطبيعة قد رَنَتْ
بسط الربيع على الحياة رِدَاءَه
بل ليته بُرْدٌ نخيْطُ على هوى
والشيء لولا أن يَزُوعَ بفقده
فلقد دعاك الروض خير دعائه
في الزهر من أكامه وخبائه
يا ليتها أبدأ تُرى بردائه
هذي النفوس لكي تُرى بروائه
ما شاق عند قدومه بلقائه

* * *

لا كالشتاءِ تزايلت أوراقه
تتناثر الأزهار عن أفنائه
وتخال إذ دَلَفَ الشتاء كأنما
هَرَبُ الضياءِ من السحاب وريحه
فرَّ الخريف من الشتاء وخلفه
مثل المريض يفرُّ من عادي الردى
راع الشتاء بقرّه فكأنما
والريح مثل فم الشتاء وصوتها
نقمَ العقوقُ فقام يشكو أمره
والأرضُ تنظر في فروج أديمها
كتزائل المهجور عن قرنائيه
كتتناثر اللذات من أهوائيه
ساق السنّا بدبوره ورُخائيه
هَرَبَ الكعاب من الهوى وقضائيه
عادٍ يريد لحاقه بجرائيه
هيهات ذا، والدَّهر من أعدائيه
أنفاس ثغر الموت فُرُّ هوائيه
شكوى العجوز يخاف من أبنائيه
للناس ينشد آسياً لبكائه
نظر الفقير إلى ثقب ردايه

من بعد ما نفذت نفائس كنزهِ
وكانما دَجُنُ الشتاء مقطَّبًا
وكانما دوح الخمائل في الدجى
شربت من الباطلام حتى أكثبت
في كل غضٍ في الظلام نواظر
وكانما دوح الظلام ثواكلٌ
تحنو عليك غصونها فكانما
والدوح يهفو كالمورق في الكرى
تتردد الأرواح في أفنانه
وكان في إطراقها وسكونها
يا ليت بعض العمر تقطع بيده
كالسيف تقرأ بعضه مترينًا
أو ليت حادي الأرض يعكس سيرها
أو ليت هذا الدهر عقرب ساعة
آمال أمس كزهرة قد صوحت
يا نفس لا تأسى لعمر قد مضى
تتشوفين إلى قديم عهوده
بُشراك خلف الموت لو تردينه
كالطير بعد الصيف تترك عشها

سرفًا وشح العيش بعد سخائه
ذكرى العجوز لزهوه وفتائه
نشوى شياطين انتشت بسقائه
تبغي النهوض كمكثب من دائه
كنواظر للغيب خلف كفايه
لبست حداد الثكل فعل نسائه
تبغي سرار السمع من إصغائه
يلوي على الأفنان فضل كسائه
كتنفس الرعيد في لأوائه
فكر المصيخ لروحه وندائه
وثبًا ويُمهل في سني رخائه
جدلاً وتطوي بعضه لهرائه
عن بعض دورتها بوقع حدائه
يلوي به عن نحسه وشقائه
عود الربيع مجدّد لرجائه
بربيعه زمن أتى بشتائه
نظر الغريق إلى السهى وسمائه
نبت الربيع يروق في غلوائه
نحو الجنوب ترود أرض ثوائه

* * *

عَطَفَ النسيم على الأزاهر هامسًا
إِنَّ الربيعَ أخوا الصبيحة مقلُّ
والقلب مثل الطير في وضح الضحى
وكأنما أمُّ الخلائق دوحَةٌ
تشدو كشدو الأمِّ ناح وليدها
والريح طيرٌ شادَ في أفنانها
وكانَّ أجنحة الملائك نسماها
وكانَّ ينبوه الحياة غديرها
والقلب مثل النهر باشرَ ماءهُ
أهواك يا روح الربيع فهيتي
ثم ارقصي بين الخمائل في الضحى
فلعلَّ في قبليات ثغرك برء ما
أردُ الخلود بقبلةٍ وبضمةٍ
والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى
الأرض أمُّ للخلائق كلهم
فالناسُ والأطيَّارُ في وضح الضحى
النارُ والأمواءُ من آبائنا

أَنَّ الربيعَ سعى إلى ندمائه
إقبال وجه الحبِّ في لألائه
فجرُّ لعيدٍ كان قيدَ رجائه
يتلو على الإصباح أي غنائه
من قبل آدم فهي من قربائه
تحنو عليه لصونه ووقائه
وكرًا كأن الزهر من أبنائه
نسمٌ يطبُّ برفقه وصفائه
خُلدُ الصِّبا في جرعةٍ من مائه
جسم الحبيب تراه في سودائه
جسمًا كجسم الغيد في لألائه
رقصَ المدلِّ بحسنه وبهائه
أعيا الأنام بحكمه وقضائه
تروي ظمَاءَ الخلد من لميائه
تُقضي إلى الآفاق من أنبائه
والشمس بعلُّ شاقها بفتائه
والزهر في الأكمام من أبنائه
والنار والأمواء من آبائه

يهنيك يا دوح الخميّلة بعده
تنسى الربيع كأنه آزفه
لا تمنع المشتاة عودَ زهوره
يا ليت طيب العمر يُنسي وردهُ
لكنّ طيب العمر ليس بعائدٍ
وترى كحالات النفوس تغيرًا
فكأنما للكون روح خلقه
تتغير الأشياء فوق وجوهه
من لي بأجنحة الزمان أهيضها
أو ليته الغرد الحبيس أقيمهُ
كي يذكر العهد الأنيق وأوجهاً
خلع الجمال قناعه وسعى إلى
والمرء لولا صيفه وربيعه
والروض باب للجنان وثغرة
وكأنما صبغ الأزاهر صابغُ
والضوء عُدران ترقق تبرها
واللون شعراً للطبيعة وقعهُ
شهد الشتاء بأن أفق سمائه
والنفس تعظم في الربيع كأنها
نسيان نيسانٍ وطيب هوائه
نغم البلبال في مثير حُدائه
وأريج نسمة وحلي كسائه
فأبيتُ مثلك لا أحنُّ لمائه
لأخي صدّي يُظميه صوب بُكائه
في روضه وسمائه ونهائه
يبدو لنا في غيمه وضيائه
لتغير الأشجان في حوْبائه
كي لا يطير بصفوه ورخائه
كيما أراح لشدوه وغنايه
كانت تطلُّ على وذيلة مائه
عشاقه وعفاته وظمائه
ما ذاق حُلم السعد في لأوائه
منها ترى الفردوس خلف فنائه
فتكاد تأخذ منه إثرَ طلائه
وأراق منها الأفق فضل إنائه
في العين وقع اللحن في سودائه
أدنى إلينا من قصي فضائه
في زهره ونسيمه وصفائه

والضوءُ خمراً للنفوسِ ونشوةٌ
والأرضُ كالحسنةِ قدَّ قميصُها
فكأنما رفعَ الربيعُ حجابها
والضوءُ كالحسنةِ بُزَّ رداؤها
والقلبُ مثلَ الطيرِ هيبضُ جناحه
والطيرُ أفواهَ الرياضِ فشدوها
وكانما نغمُ الحفيفِ هواتفٌ
والضوءُ من خَلَلِ الغصونِ كأنه
وكانه والقلبُ يذكو شجوه
نثرت ذكاءً على البسيطةِ عسجداً
ولكل شيءٍ منطقٌ يشدو به
تتلو عليك الطيرُ طيبَ ثماره
والحسنُ ظلٌّ للسعادةِ في الورى
ظلُّ الجنانِ على البسيطةِ واقِعٌ
يُنسي الحياةَ وبؤسها وشقاءها
فكأنه كوْنٌ حلمت بحسنه
هذي الطيور صوامت كنواطق

ودم الحياة يشام في أثنائه
فبَدَت محاسنُ جسمها ووضائه
فانجاب ستر الحسنِ عن حسائه
فأماطَ عنها العُرْيُ ستر غطائه
في نزوه وحنينه وغنايه
أبداً يزجِّي الدهرَ وقعُ حدائه
في القلبِ دَوَّت منه في أنحاءه
طيرُ الفراشِ نراه من شجرائه
شرر الغرام يطير من حوبائه
فأذخر ليوم الدَّجنِ كنز ثرائه
والنفسُ تعرف كنه سحر غنايه
وأريجَ روضته ورقة مائه
إنَّ السعادةَ لا تُرى بفنائيه
فاستقبل اللذات من آلائه
حتى يخال الحُلم أصل شقائيه
حتى نقلت إلى نرى خضرائه
ذخر النسيم نشيدها لهوائه

* * *

وكأنما زهر الخميّلة إن بدَا
والطيرُ أرواحَ الزهورِ وصيْفُها
ضحكُ الزمانِ فذاع من ضحكاته
والقيظ يزفر بالهجير كأنما
فكأنما مرْحُ الحياة وحسنُها
وكأنما نغمُ الطيورِ أريجُها
فيحيله نشرًا يَصُوعُ ورونقًا
ودَّت ذوات الحسن أن حُلِيَّها
مرح الكعاب الرُّودِ في خطراتها
والريح تعبت بالغصون كأنها
وترى جذورَ الدَّوح مثل أصابع
وكأنما نغمُ البلابل مَطْرَةٌ
تتدى على القلب الجديب فينثني
والزهرُ في وَضَحِ الصبيحة قد صحا
وجلّت ذكاءُ ندى الزهور كأنها
حتى إذا اشتدَّ الهجير حسبته
وإذا الأصيل علا السماء حسبته
وحمى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره
وتراه يرنو للنجوم كأنها

حُلْمُ الهوى في طيبه ووضائِه
عهد الشباب يروق في لآلئِه
صيف يعيد الحبَّ في غلوائِه
يتنفس الولهان من بُرْحائِه
لهب ترقرق في خفيِّ دمايِه
يُسْقاه زهر الروضِ في أُنْدائِه
يشتار منه النحل أَرْيَ عطائِه
كحُلِيَّه ورداءها كردائِه
كالنهر يرقصُ في ترقرق مائِه
طِفْلٌ يعيث على رعوس إمائِه
بسط الشحيح يصون كنز ثرائِه
فوق اللّجين شجا مُرِنُ إنايِه
رَوْضًا يرفُّ بزهره وأضائِه
صحو المفيق من الكرى وقضائِه
أمُّ الوليدِ تزيل فضل بكائِه
نشوان أثلمه اللظى بسقائِه
ذا لوعة حانت نوى قربائِه
كمعشّقٍ متسّرٍ بردائِه
حُلْمُ يُطَلُّ عليه في حوبائِه

كالطفل يُبصرُ في الوديلة وجهه
تحكي النجوم الزُّهُرُ في دوراتها
والنجم من خَلَلِ الغصون كأنه
درس السماء صفاءها وضيائها
والحي يحيا كالذي هو ناظر
والزهرُ يحلم بالفرادس طرفه
حَسِبَ الطيور تحاملت عن قلبه
والقلب مرآة الزمان فصيفه
والكونُ مرآة الفؤادِ فقبحه
والضوء مثل دم الربيع فلا تعف
هذي الطيور لسانه وغناؤها
والزهر في حرِّ الهواجر نائم
والأرض تحلم بالجنان فصيفها
بسَطَ الجمالُ على الفضاءِ جناحه
فكأنه مَلَكٌ يُحَلِّقُ فوقها
يا ليت أنَّ المرءَ في أرجائها
حتى يصيرَ من الجمالِ بمنزل
وتظل تسمو النفسُ في آفاقه

فيخال ذاك الوجه من قرنائِهِ
رَقَصَ المدلُّ بعيشه وروائِهِ
ثمرٌ تَدَلَّى من عَلِيّ سماءِهِ
حتى جرى بعروقه ودمائِهِ
كالأفقِ يُرَسِّمُ في متونِ نهائِهِ
حلم الغريب بأهله وفنائِهِ
وبدت تبوح بشجوه ورجائِهِ
في صيفه وشتاؤه كشتائِهِ
وجماله في نحسه ورخائِهِ
جُرَعًا تنيلُ الخلد من ضدائِهِ
مستأنف من شدوه وغنائِهِ
سَحَرَتْهُ باللحظات عين ذكائِهِ
حُلْمٌ يزيح القلب من ضرَّائِهِ
فالصيف من لآلئه ورؤائِهِ
فتصيب من آلائه وعطائِهِ
متفرِّقٌ في أرضه وسمائِهِ
في مائه ونسيمه وضيائِهِ
كالطيرِ حَلَّقَ في أديمِ فضاءِهِ

خواطر الأرق

يا ليلُ أين أليفُ الهمِّ والذكرِ
وصاحب الهمِّ يبغِي صنوه أبدأً
فقل لأحلامك اللاتي نراح لها
خاض الزمانُ مياهِ الحبِّ فاعتكرتُ
مراسم لك دون القلب يدرسها
وعنكبوت من النسيان ناسجة
جلت عن القلب ذكرى منك طارقة
فابعث بذكراك في قلبٍ نبتُ به
فإنَّ زهرة حسنٍ أنت لابسها
والذكرُ كالطرفٍ إما نابِه أرق
خواطرُ كطيورِ الروضِ سانحة
إنْ غرَبتُ فإلى ذكراك عائدة
قد قُلت للحبِّ لا تعتب على سكاني
كم لي وكم لك من يوم لنا بهجِ
إنْ يَقسُ قلبك فالأقدار قاسية
أو يَجفُ قلبك فالأثمار يانعة

مسهد القلبِ عون لي على السهرِ؟
كساهرِ الليلِ يقضي الليلَ بالسمرِ
قولي لمن هو روح الضوءِ والبصرِ
كخائض النهرِ أبدى كدرة العكرِ
كالريح تمحو ظلالَ الزهر في النهرِ
خيطاً على القلب يخفي أنفَس الذخرِ
كمن يزيح القذى عن شرعه الغدرِ
كالجذر مستوثقاً في منبت الشجرِ
تسقي دمي مثل ريِّ الماءِ للزهرِ
يا عازبَ النومِ أسدل حاجب الذكْرِ!
تستدرج القلبَ أخذ الطيرِ بالنظرِ
عود الطيورِ إلى الأوكار في الشجرِ
لنبوةٍ منه في أيامك الأخرِ
بطلعةٍ منه تحكي طلعة القمرِ
وأسعد الناس من يأتُمُّ بالقدرِ
ودون ذلك يُيسُّ من نوى الثمرِ

أو كان قولك مرّ الطعم لا عجباً
فارجم بقلبك قلباً أنت مالكة
ولست أول من أصمى فلا حرج
لم يترك الناس من قلبي له رمقاً
يرمونني بقلوب في مودتهم
كأنها بعض أحجار الجحيم رمّت
والحبُّ كالبحر لا يخشى به غرقاً
وخالط في الهوى لم يدّر لذته
فإن ثغرك كأس العابس الأثير
فإن قلبك مثل الماس في الحجر
للناس رجم كرجم القرد بالمدر
حتى أقول تحرّج من دم هدير
أفسى من الصخر فعل الراجم المكر
بها شياطين تبدي صورة البشر
من غاص فيه على الأصداف والدرر
كخالط الكأس أخطأ لذة السكر!

غل السرائر

لقد عابني للناس أن عفتُ لؤمهم
وإنَّ رضاءَ النفسِ ما ينبغي لها
فيا عائبًا نفسي بقولة كاذب
أتبصق في المحراب وهو مطهر
يقولون: رزق المرء مفتاح قلبه
فدع عنك هذا الناس إن كنت فاعلاً
أقولك للأنعام عزي يعزها
وكيف يطيبُ العيشُ للمرء وحده
يضير شقاء الخلق من حيث لا يرى
يقارب في بغضي عدوَّ عدوّه
ولحّتْ صدور العجم تضرر بغضتي
ومن نغص الحساد نعى يسيغها
سخائم لا يدري سوى الموت سلها
لئن بلغ الإنسان أفق وهاده
وقد يعجب الإنسان من غلِّ غيره
وكل امرئٍ فينا حسودٌ محسّدٌ
ومن لم يسغه فهو أجنب بائئ
وليس رضاءُ النفس ما هو كائن
وما عاب نفسًا جائر القول مائئ
وتحسب أن البصق لله شائن؟
ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائئ
يكاد المبادي والصديق المدهن
وإن قلت لليث اصطبر هو ساكن!
ومن حوله في الناس بالك وحائن
كما تطرق العدوى وإن قيل آمن
كما اقتربت في الصدر منه الضغائن
فقد شاكلتها في الأنام القرائئ
رأى أن لحظ الشمس في الأفق عائن
إذا بشمت منها النفوس البوائئ
تعجّب من غلِّ طوته البواطئ
وقد عمرت في الصدر منه المواطن
ولكن على قدر النفوس التباين

لئن كان في نفسي عدوُّ أخافهُ
حياتي حياةٌ إنْ يلُح لي حسنُها
تضيء شمس المجد آثار من مضوا
فلا غرور إنَّ الناسَ عادٍ ولعنُ
يهشَّ لها من سادرِ الموتِ ماجنُ
أندفأ منها في الضريحِ الدفائنُ؟

آلة الضمير

ألا مَنْ لِدَهْرٍ وَأَيَامِهِ
يُودُّ عَشِيرَ الْوَرَى صَنُوهُ
وَلَيْسَ الضَّمِيرُ لَخَيْرِ سِوَاهُ
لِيَمْنَعِ إِيْتَانَهُ مَأْتَمًا
فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِيهِ هَلْكًَا يِعَافُ
فَلَا تَبْتَعِ النِّصْفَ مِنْ خَيْرٍ
هَلِ التَّبَرُّ يَحْمَرُ مِنْ سَفْكَهِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَخُو خَجَلَةٍ
وَذُو لَوْثَةٍ مَا لَهُ مِنْ حَيَاءٍ
فَدَاوِ الْحَيَاءَ بِبَعْضِ الشُّرُورِ
وَمَا كُلُّ بَاغٍ لَخَيْرِ الشُّرُورِ
بِقَدْرِ تُقَاكَ يَضِيرُكَ شَرٌّ
وَبَعْضُ الضَّمَائِرِ دَاءٌ عِيَاءُ
وَأَخْرُ كَالسِّيفِ حَرْبَ الْخَطُوبِ
وَمِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ جَهْلُ الْمَغَامِ
وَذَلِكَ مِنْ خَيْرِ هَذِي النَّفْوِ
وَحَبِّ يَكِيدُ بِإِبْهَامِهِ
لَكَيْمًا يُسَرُّ بِإِيْلَامِهِ
وَلَكِنْ لِيَحْظِيَ بِأَحْكَامِهِ
يَرَى مَهْلِكًا دُونَ إِنْعَامِهِ
تَتَاءَى الضَّمِيرُ بِأَلَامِهِ
يَرَى الطَّهْرَ فِي رُوثِ آثَامِهِ
دِمَاءُ تَصِيحٍ بِإِجْرَامِهِ؟
بِرِيءٍ شَقِيٍّ بِأَحْلَامِهِ
يَخْفِضُ مِنْ حَقِّ إِكْرَامِهِ
لَتَقَلَّتْ مِنْ ظَنِّ لَوَامِهِ!
رِ يَنْفَعُ مِنْ غَلِّ تَهْيَامِهِ
كَ ضَيْرِ النَّقِيضِ بِإِلَامِهِ
يَذُلُّ الْبِرِيءَ بِأَسْقَامِهِ
وَنُورِ الْمَغْذِّ بِإِلْهَامِهِ
رِ لَوْمِ الضَّمِيرِ وَأَوْهَامِهِ
سِ، وَالشَّرُّ يَبْتِي بِإِبْرَامِهِ

دعوة المصلح

ألا يا صيحة أطلَّ
لئن كنت طواك الدهـ
أما يزجي خفاء البذ
سقاك السامعُ الواعي
وغنى هاتفُ النفسِ
ففي النفسِ بلاغُ منـ
وفي النفسِ اقتدارُ منـ
غداً ينفجرُ الصخرُ
وصمتُ منك قد يحدو
وإنَّ الدهرَ بانِيك
وخصَّتْ لك في الغيبِ
وكم من دعوةٍ قامت
وكم من خافت الأوصوا
سيسعى لك أفواج
ويهفو منك في الأقوا
ويحكي صادرَ عنك

قَها المحتنُّ في الوادي
ر فينا طيَّ أبرادِ
ر زهر الفنن البادي؟
بصوبِ الرائحِ الغادي
بغصنِ منك ميَّادِ
كَ مخبوءٍ لميعادِ
كَ مثل الضيغمِ العادي
بريِّ الهالكِ الصادي
بإبراقٍ وإرعادِ
بأطنابٍ وأعمادِ
مقاديرِ بمرصادِ
مقامِ الماءِ والزادِ
تِ ذي وعدٍ وإيعادِ
بإتهامٍ وإنجادِ
م من غيِّ وإرشادِ
إذا مرَّ بورَّادِ

وكم من مختفٍ ينخـ
ألا يا صيحة خيأت
وظلّت وهي كامنّة
كما تختمر الخمر

ر في صرحٍ وأطوادٍ
أضلّ طريقها الحادي
كمون الصلّ في النادي
ة في الدنّ لميعادٍ

الشهرة بعد الموت

ما أحسن الصيتَ لو أن الفتى
أمّا ولا نفع يرجي به
يهدم من لذات أيامه
وما رأينا بائعًا من غدٍ
بشهرة من أزلٍ غابرٍ
سيّان صيت قد مضى عهده
والذكرُ ظلُّ حياةٍ مضتْ
ورب ظلّ خلف ساعٍ سعى
صيتٌ يعيد الذهنَ كالمنتضي
والنفسُ تبغي الخلدَ في وهمها
فالبطل في إيمانها نافع
تحتال بالأهرام طورًا وبألـ
سفائن لا بد من هلكها
يزاد عمر الصيتِ في عمره!
واغبنة الميت في ذكره
كيما يُشاد الذكر في قبره!
بما مضى بالذكر من دهره
ليومه المُعنيق في فرّه
والمقبل المرجو من أمره
يخفيه جرمُ الدهرِ في مرّه
يخفيه جرمُ الدهرِ في مرّه
والسيف راق العين من شهره
والوهمُ مثل الحقِّ في خدره
إن لم يُربها الوهمُ في غدره
قرطاس يحوي اللبَّ في سفره
إذا استفاض الدهرُ في بحرّه

دلال الربيع

أنت روح الربيع حين تَلالًا
غير أن الربيع وهو عزيزُ
إن أتى كان قُرَّةً ووصالًا
أيها المعرض المدلُّ بطرف
زد مطالًا فلست أبكي وصالًا
أنا كالليل يفرع الغرُّ منه
ويرى الرأي في الدُّجنة ما لا
هو نِعْم الطيب إن كرت الخُطُ
وابتدار الربيع عانقه كا
وسريع كُرُّ الزمانِ فإنِ فا
وطلوعُ الربيع وهو قرين
ضمَّ قلبي من الحوادثِ ذخرا
يا شبيهة الربيع إنك حال
وفؤادي كالكون لا بل هو الكو
فابتعدُ إن قدرت هل يجد البدُ
وائنتي في الشتاءِ أرتجع الصيِّبُ

يا ربيعًا زاد الربيع جمالًا
ليس يسلي عن الحياة رجالًا
أو مضى كان ذكرةً ومقالًا
وبنغرٍ يحكي لنا الجربالًا
تَه دلالًا فلست أخشى دلالًا
ويزيد الحكيم فيه جلالًا
تبصر العينُ حكمةً ومقالًا
سُبُّ وأنحى على اليتيم وطلًا
نون أرى من أن يطيل زيالًا
ت شتاء حدًا الربيع زوالًا
لشتاءٍ أرجى وأجدى نوالًا
تارةً مطرةً وطورًا هلالًا
وفؤادي قد شامَ حالًا وحالًا
نُ حوى منك نضرةً وجمالًا
رُ عن البحر والسماءِ مجالًا
فَ إذا شئتَ قيظه والظلالًا

بزفيرٍ يحيي الغصونَ ويلقي
فيفرُّ الشتاء في غابر الدهـ
غير أني أقلى من الصيف إن جا
يا ربيعاً مضى وخلف في القـ
في رواء الزهور سحراً حلأ
ر ارتياحاً وحيرةً وضلأ
ء وقد آذن الربيعُ ارتحالاً
بِ غراماً كالصيف أوفى وغالى

ربيع القلوب

ربيع القلوب وعهد الزهور
تضمُّ لنا الالف بين الوكور
وخادعنا عن صروف الدهور
وخيرُ زمانِ زمانِ الزهور
ويا رَبَّ عهدِ كَوَجِّه البشيرِ
وهل يصقلُ العيشَ غيرِ الغرورِ
تمرُّ علينا بلفح الحرورِ
وتخلف ذكرى كشدو الخريزِ
فقم واستمع نُصَحِ هذي الطيورِ
ولا تغبنن في الشبابِ القصيرِ
فيا قمرًا في ليالي الحبورِ
لتغرب في ظلمات القبورِ
فمكتكُ فينا كمكت الزهورِ
وعادى الردى يده في النحورِ
وكم ثمرِ عَطْنِ في الثغورِ
ولا يندمُ المرءُ قبل القتيرِ
مطارك مثل مطار الطيورِ
معلِّنا بالرجاءِ القصيرِ
وخير الخمارِ خمار السرورِ
وعهد الهدوى ونجى الصدورِ
كثير المانيِّ جمِّ الحبورِ
وهل يشبه الزهر غير الثغورِ؟
وطيب الزهور ونفح العبيرِ
ربيع القلوب وعهد الزهورِ
تقول اغتتم صفو عيشِ نضيرِ
فعهدُ الشبابِ كعهد الزهورِ
طلعت علينا طلوع البدورِ
تمتع بضوئك قبل المسيرِ
وملكك في ضوء هذا السفورِ
وفي كل جيدٍ ممرُّ الجريزِ
ويعبث بالزهر عصف الدبورِ
وقبل انجلاء غشاء الأمورِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

فإنَّ الشبابَ كثيرُ الغرورِ
وهل ينفعُ المرءَ وعظُ النذيرِ
وفعل الرجاء كفعلِ الخمرِ
إذا فات عهدُ الشبابِ النضيرِ؟

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائب نفسِ
فبما قد أفاض من وَضَحِ الحُسْنِ
أو أكن قد بكيت للنأي فالأر
ولو أنَّ الأيامَ تُدْرِكُ ودًا
أنت نفسي وليس من حقِّ نفسي
أشقاءً في الحب قد صارَ سَعْدًا
فكأنِّي أحببتُ منك خيالًا
وكأنِّي لم أُلْفِ بعدُ لقاءً
فلعلِّي إذا لمستُك لم أُلْ
إن تكن قد نفيتَ عني أما
فالأسى لا كانتِ إلفٌ ودود
فهو عندي وديعةٌ فاطَّرحها
لو عداني نحس شقيت به من
وشقيُّ الهوى ليشقى ولو أخُ
إنما السعدُ والشقاءُ من النفسِ
سننُّ سنَّها القضاءُ فقد أصـ

في ضلوعٍ من الحوادثِ درسِ
من عليها كالبدر فوق الرَّمسِ
ض تريق الندى لنأي الشمسِ
لبكى لي من حرقه النأي أمسِ
أن يقولَ العذولُ أبغضت نفسي
أم هو السعدُ حائلٌ للنحسِ
خلتُ إياك غير جسمٍ وجرسِ
أنقرِّي اليقين منك بلمسِ
فك فينا إيا مجاجة شمسِ
لي وجرَّعتني مرارةً بأسِ
أنت خلَّفته فأكثر أنسي
في ضلوعٍ على الصبابة حبسِ
ك لما خفَّ من أساي ونحسي
طأ منه صبابة المتحسي
سِ فما لي أنحي على غير نفسي
بح حربي من كنت أعتدُّ ترسي

عالم الحسن

ذراني أبيضُ الحسنَ قودَ عناني
وأكبر ما ألقى من الموت أنني
ففي كلِّ معنَى فتنةٌ ولذاذة
فمن لي بخلد أبصرُ الغيدَ كلها
وأبصر حسناً أطفأ القبرُ نورَه
وترنو عيونٌ سوف يملك سحرها
وتبدو وجوه في الغيوب مهودها
كأنني بتربي يعرف الغيد إن سعت
فيا عاشقيها إن في القبرِ عاشقاً
وقلبي عودٌ أحكم الحسنُ لحنه
تقاطر ماء في المناقع من علٍ
أحسُّ إذا ما أبصرَ الطرفُ حسنه
كأن وجوه الكونِ نغمةٌ منشدٍ
فيا من ضياء الشمس بين عروقه
ويا من رحيق الخلد من خمر ثغره
فلو نال منه خائف الموت جرعةً

فهذي عيونٌ للمنون تراني
إذا متُّ لم أبصر وجوه حسان!
وفي كل وجهٍ للجمال معاني
سواء أقاص في الدنى وأداني
وأبصر ما لم يبصر المَلوانِ
عنان قلوبٍ نحوهن رواني
وأسمع ما لم تسمع الأذنانِ
عليه فتدوي الأرضُ بالخفقانِ
وأبي قلوبٍ في التراب حواني
فحسب الهوى من نغمةٍ ومثاني
تقاطر حسن الكون دون جناني
كأن بسمعي أنةً لحناني
يرتل أمالي بغير لسانِ
دماء تضيء الوجه بالجريانِ
يداوي به من غائل الحدثانِ
إذن لأصاب الخلد كلُّ جبانِ

فلم يَبْقَ منها في الحسان معاني!
وأخرى حداها الموت بالوخدان
سوى لمعات منك غير دواني!
وها إنَّ سهمًا من هواك رماني
فلبَّيتُ فيك الشوق حين دعاني
وربَّ صموتٍ ناطقٍ ببيان
ويحكي عبابَ الدهرِ بالنهضان
ويا ربَّ ذكر هاتف بأماني
رعى البحر فيها بدرها ورعاني
تشوق فؤاد الصبِّ للطيران
كأنَّ انفجارَ الفجر خلق كيان
لكيما تثيب الحبَّ بالشنان
لكي لا تخال القلب نهزة جاني
من الناسِ غالت مهجتي وجناني
فؤاد على رعي الأمانة حاني
شفيح إلى لقياك ليس بواني
بإمرة معبودِ الجمالِ مداني
فؤادٌ حبيسٌ في حبالك عاني
وأنت تجنُّ القلبَ بالخفان

جمعت صفات الحسنِ والخذ كلَّها
سواء حسان بعد لم يَبْدُ حسنُها
فما عشقَ العشاقُ من عهد آدمٍ
رميت جميلًا والوليد بفتنةٍ
دعاني دعاءُ العيشِ والموتِ دونه
دعاني دعاءُ الليلِ رقَّ نسيمةُ
دعاني دعاءُ البحرِ يشجو خريره
دعاني دعاءُ الذكرِ والذكرُ هاتفُ
دعاني دعاءُ العودِ في البحر ليلةً
دعاني دعاءُ الزهرِ والطيرُ روحها
دعاني دعاءُ الفجرِ والفجرُ شائقُ
فلا تدعونَ قلبي إلى الحبِّ دعوةً
دعوتك بالحسنِ الذي أنت ربُّه
ولا تتقمنَ أني نقت خديعة
ولا يكُ فوضى قلبك الغضُّ أنه
فإن كان لي في بعض خلقي ومنطقي
فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا
وإلا فناكرني على الحبِّ يسترخ
سِوَاكَ يهزُّ القلبَ كالظئر طفلها

اختفاء الحق

لو عددنا متاجرَ الـ
تاجر الحقِّ بالمعا
كان يشري نسيئة
فاختفى خشيةَ القضا
كتم العيش منزلَ الـ
هو طَبُّ بأمِره
علموه خَطَّ ابنِ مقـ
وسلوه يخطُّ في الـ
أو فصبوا له الشرا
لمت قومي لجعلهم
ذلك الحقُّ بينكم
صاح في القوم قائلُ:
وهو إن عاش مفلسًا

حقِّ ألفيت مفلسًا
ني فقد نال واكتسى
فراى التَّجَرَ أبخسًا
ءِ فهل ناله الأسى؟
حقِّ إذ كان أخرسًا
فحماه ليئلسًا
لَّةِ إن كان ألبسًا
طرس أسرارَه عسى
بَ ليفشي إذا احتسى
صفقة البطل منفسًا
بعد ما كان أشوسًا
إنه عاش مُفلسًا
كان بطلًا مقدَّسًا!

زورة الملائكة

مرحبًا بالملأ الأعلى الذي
حُلْمًا في النوم أم حقًا أرى
يا ولادة الحقِّ يا أهلَ النَّهْيِ
أسعدوني أقتبس من نوركم
مَلَكُ الْفَضْلِ حَيًّا لِحِظِهِ
مَلَكُ الطُّهْرِ صَبِيحٌ وَجْهَهُ
مَلَكُ الْحَقِّ اخْتَفَى فِي نُورِهِ
مَلَكُ الرَّفْقِ دَوَاءٌ لِحِظِهِ
مَلَكُ الْجُودِ ضُحُوكُ بِشْرِهِ
مَلَكُ الْعَفْوِ رَجِيحٌ رَأْيِهِ
يرحم الجاني عليه كذبًا
طهرت نفسي في أضوائكم
وشممت الخلدَ من أنفاسكم
أسمعوني منطقتًا أحيًا به
منطقًا كاللحن حلوُّ رجعه
زورة فَكَّتْ أَخِيذًا عَانِيًا

شَرَفَتْ دَارِي مِنْهُ وَالْفَنَاءُ
يا ولادة الحقِّ يا أهلَ السَّمَاءِ
تبعثون البرءَ في جرح القضاء
بُلْغَةَ النَّفْسِ وَرِيًّا لِلظَّمَاءِ
وعمِيمُ الْفَضْلِ قَرْنٌ لِلْحَيَاءِ
إِنَّ وَجَهَ الطَّهْرِ مَعْبُودُ الرِّوَاءِ
ما أضلَّ الطرفَ في ذاك الضياءِ
إِنَّ بَعْضَ اللَّحْظِ يَشْفِي كالدَّوَاءِ
مثل ضِحْكَ التَّبْرِ في وجه الشقاءِ
إنما النِّقْمَةُ ضَرْبٌ مِنْ غِبَاءِ
ويرى الأفعال في غيب القضاءِ
مثلما تطهر أجسامٌ بماءِ
نفس يشفي من الداءِ العيَاءِ
يطرف النفسَ بألحانِ العلاءِ
لو وعته الريحُ في سمع الهواءِ
بحبال اليأسِ مصفود الرجاءِ

وأرى في النفس رسماً منهمُ
وعبيراً كشذا الأزهار إنْ
خلفوني وادعاً من بعدهم
مثل رسمِ النجمِ في متنِ النَّهَاءِ
خَلَفْتُ في الأنفِ ذكرى كالذمَاءِ
أحمد العيشَ وأستقصي البقاءَ

الأم المسكينة

أمنا الأرض كالعجوز التي تشب
فإذا ما غدت تدللّ طفلاً
كلنا ودّ لو تمدّ له الأر
وتغني له بما يطرد الهمّ
وهي عمياء لا ملام عليها
لا ترى أدمع الشقيّ ولا تُب
وهي صماء ما وعت صرخات ال
فهي أولى برحمة وبإشفا
قى وتسعى لرزق نسلٍ كثير
ضجّ طفلٌ من خلفها بالنعير
ضُ فرائشاً من النعيم الوثير
كهزّ الرعوم مهّد الصغير
لا يصيب الصواب غير البصير
صر وجه المحزون والمصدور
نحس في الخلق من شقاء الأمور
قي عليها من مشفقٍ وعذير

جد أم لعب

يبكي بريء الورى لمذنبه
ذا صولجان القضاء منفلت
هذي كرات الدنى تدار به
فلا تقل حقه وحكمته
يا حية الخلد كم لبست وكم
كان هذي الحياة غانية
كأنما الناس بردها أبدا
ثوبا فتوبا تظل تخلعه
كان مراتها الكمال فما
يا ضيعة الخلد لهو غانية
وهكذا المرء عيشه طلب
هل لنفوس الورى الظماء وهل
أم ظمؤها قاطع بأن لها
أم ظمؤها غلة الجريح أخي الـ

فقل لراجي القضاء ريع به
أما ترى الليل ظل مضر به
لعبة من جد في تطربه
أبتغي الحق بين ملعبه؟
نصوت جدا يشقى الأنام به
تعاف بردا من بعد مطلبه
تعاف ملبوسه لمعجبه
إذا خصي الحمام أب به
ترضى بما لم يرق بمذهبه
يقضي به الخلد في تسريه
حتى ليؤذى بنيل مأربه
للعيش من ناقع بيل به؟
خير منال تظمى لمشريه
دء هلاك لا برء منه به

اصبر

اصبر لعلَّ النحاسَ في لونه
لعل دمعًا منك لم تحتسب
لعل دمعَ النحاسِ درُّ له
والصبرُ طرفٌ مجهودٌ أعرج
ومبتغٍ محوَّ الأسيِّ بالأسيِّ
أو مبتغٍ إطفاءِ شمسِ الضحى
أو ناصبٍ للريحِ أشراكه
وهل زفيرِ الحزنِ هادٍ لفلـ
أطماعنا كالجنِّ إن رامها الـ
كالكلبِ يدمي قلبَ كلابه
إذا هدى الناسَ ضياءَ الرجا
كم خيبةٌ تعقد عزمَ الفتى
إذا دجا ظلُّ لجرمِ النعيمِ
ينبت زهرًا في اليبابِ العقيمِ
يسلك في عقدِ الرخاءِ النظيمِ
لكنَّه يبلغ شأو الظليمِ
كمبتغٍ بالزفرِ طردِ الغيومِ
بنفخةٍ يرسلها في النسيمِ
يرجع عنها وهو عينِ الكظيمِ
كـ الرُعبِ في بحرِ الأسيِّ والغمومِ
أهوجُ تدمي قلبه بالكُومِ
أنا ويعنو للبيبِ الحليمِ
ءِ اهتاجت الأطماعِ نارِ الهمومِ
للنهرِ لولا الصخرِ خطو السقيمِ

صلع الدهر (من شعر السخر)

ناصرِ صروفِ الدهرِ مستقبلاً
فجزّ من لمته خصلةً
فالدهرُ إن أقبلتِ ذو لمةٍ
مطلعه مثلُ طلوعِ المنى
ولا ترمِ بالذمِّ صفعاً له
قراعه مثلُ قراعِ الطُّبى
فاطلِّ قفاهِ بمدادِ لعلِّ
وغيضٍ عنه نظراً واعياً
وإن جرى في الدمِّ كره له
حِجامةٌ لا شك في نفعها
ولا تَعِفْ صحبته، إنه
واحنٍ له الرأسَ لكي لا ترى
قذّاله لو جزّه أصلعُ!
لعلّها من خلفه ترقعُ!
لكنّه من خلفها أقرعُ!
وحسرة ما خلفَ المطلعُ!
فإنما يصلعُ إذ يصفعُ!
وإنما يقرعُ إذ يُقرعُ!
اللون من روقته يخدعُ!
فإنما يعديك ما يطبعُ!
فخير ما يجدي لك المِبضْعُ!
وقد يضير المرء ما ينفعُ!
بالرغم من صلعته أروعُ!
فإنها من خلفه تلمعُ!

قرء النهى أو الفلسفة الحديثة

لئن كان خلقُ القرد والناس واحداً
فسائلُ بهذا الدهر إن جدَّ جدُّه
مقيمٌ على الدقعاء يسمو برأيه
وقلُّ لبغيضٍ يحسبُ الحقَّ جرعةً
جهلتُ، ولكني بجهلي عالمٌ
ودعهم ولجُّ بالرأي في كل مغلق
ولو كان ذاك العقل نقلاً حمدته
ولكنه كالآل يظمى غديره
وَصُدِّقَ ما خالوه من ذلك القولِ
أيا دهر ما للقردِ وبيك والعقلِ!
إلى خير ما جاءت به حكمة الرسلِ
مقالَ رشيد القولِ والخلق والفعلِ
وإنك لا تدري بما فيك من جهلِ
فإنك يا قرد النهى معوز المثلِ
ليهنك يا قرد النهى مطعم النقلِ
وإن نلتَ من جدواه نَيْلاً على نَيْلِ

قبلة الوداع

قبلةٌ ثم فرقةٌ وتنايٍ
وعناقٌ كملتقى اللجّ في اليمّ
وانثناءً عن العناق كما ينـُ
قُبْلُ كالطيور تصدح بالحبّ
عابقات كأنّها الزهرُ الغضُّ
خالدات كأنّها النجم في الأفـُ
وهي في ظلمة الحياة نجومّ
قُبْلُ صوتها ككلحبة النّيبـُ
فهي روح العهد القديم وهل تؤ
يسمع العابرُ المجدُّ صداها
فيخال الهواء قبل إفا
وحماه عن العيون فما يخـُ
كذب الظنّ إنّها ذكر الما

أُعيِدُ الزمانُ عهد اللقاء؟
وضم الغريق وجه الماءِ
هارُ عن بعضه مشيدُ البناءِ
فتصغي قلوبنا للغناءِ
تذيع العبيرَ في الأرجاءِ
ق تزين النفوس بالآلاءِ
هُنَّ هَدْيُ الهوى وهدي الرجاءِ
ـرانٍ في يابس الغضا والباضاءِ
تى نفوسٌ من ميته وعفاء؟
فوق هذا الثرى وتحت السماءِ
لَفَه من نسيمه في رداءِ
ـطرُ إلّا في طيّ هذا الهواءِ
ضي ونفس كثيرة الأصداءِ

تبر النفوس

لو أنّ لي حكمةً مثل التمام أو
فعل الفتى هو شطرٌ من تفكره
داو النفوس بلذات الجسوم ودا
نار الأسي شعله تهدي النفوس كما
والبغض في زهرات الحب ريقته
أنت النعيم وروحي في جحيم هوى
شوق إليكم يحيل النفس منكم
فاطرد مثال كمال في الضمير له
بطلعة منك مثل الشمس رافعة
يطل في النفس مزهواً بصورته
الضوء تبر ولكن ما له لمع
والتبر ضوء يطيع اللبس رائقه
فأنت تبر وضوء الحسن وهجته
فلا تكن لك روح في وضاءته
الزهر زهر وإن لم يلق ناشقه

رُقى سعدت بها لو ينفع الراقي
أجل شطريه من أفكاره الباقي
و الجسم بالنفس فعل الحافظ الواقي
يهدى المغلس من لمح وإبراق
كالصل يجمع من سم وترياق
ترى الفرادس من دمع و أماق
شكلاً بشكلٍ وأخلاقاً بأخلاق
لمع السراب لعين الركب والناق
ذاك المثال على لآلاء رقراق
كمن يطل على الأحياء من طاق
على خصاصة إقتار وإملاق
يذل بالحرص من هام وأعناق
وأنت شمس تلت بعد إشراق
مثل الدميم بقصر جد برّاق
وعاقل الحسن كالحالي بعشاق

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

لئن مضى الزمنُ الماضي بروقته
وخلَّفَ الذكرَ روحًا منه شائقةً
عدلاً تقضى بأحزانٍ وأعلاقٍ
كالبدرِ يهتك من إظلام أفاقٍ!

ليت شعري

ألا ليت شعري فنتة من جمالكَا
ويا ليته من سحر لحظك نشوة
ويا ليته عطف كعطفك نافع
دع اللحظ يسقي القلب منك، ولا تخف
أنتقص من رشف العيون كأنما
وقد تصقل الوجه الصبيح لواحظ
وما لضياء الحسن ظل على الثرى
إذا اسطعت فاجحد ما عشقناه نتخذ
إذا كان ربُّ الحسن بالحسن كافرًا
تباله بالنكران كيما يغرنا
أنتكر أن الحب أنت سننته
جمالك ولاج إلى القلب بالغ
فلا تجعل النكران كلمًا ولوعة
ولا تجعلني خاطر السوء في الورى
ولا تتركن قلبي كأطلال معبد
ويا ليت شعري خيرة من دلالكا
أداوي بها قلبًا بحبك هالكا
ويا ليته مستأنف من وصالكا
على منهل الألاحظ رشف نهالكا
تبقى مثالًا ناحلًا من خيالكا؟
تبتُّ الهوى بتُّ الهوى من صقالكا
ولكنها روعي ترى في ظلالكا
على الحسن عونًا ناصرًا من مقالكا
فذلك سهم قاتل من نبالكا
دلالك يا ويح الهوى من دلالكا!
وأوردتنا ورد الهوى في عقالكا؟
سريرة قلب برؤه في جمالكَا
فحسبي كلوم جمّة في نزالكا
تضنُّ عليه أن يلمَّ ببالكا
يُري الناظر العجلان عقبى زيالكا

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

وإن خلت بي الكفران فاسأل محاسناً
جمالك أشراك القضاء فما لنا
لديك أقبلي مفلت من حبالكا؟
فكالكُ فقد أحمى علينا المسالكَا

يا شاعر الكون

(حية إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثاني.)

يا شاعرَ الكونِ أَطْلُقُ من سرائره
لك الخليفةُ والأيام ماثلة
كأنها لك بستانٌ وفاكهة
الفضلُ أغلب من غرِّ يصاقبه
فلم يضرَّكَ جوار من أخي جهلٍ
قد يُنكر الفضلَ بين الناس صاحبه
كم أكبرَ الناسُ أمرًا أنت تُصغِرُهُ
إن يُعْظِمُوكَ فبالنفس التي صَغُرَتْ
كالمرء وهو قعيد رهن عرْصَتِهِ
لو أنْصَفَ الأرضَ قال: الأرضُ واسعة
يا ناطقًا يذر الألباب صامتةً
تذكي الذكاءَ بسحرٍ أنت نافثه
تقصيًّا لمعانٍ لا انتهاء لها
حتى يظللَ ولا ذهنٌ يراك به
كمن يرى الشيءَ لا ينحو سواه فيخُـ

نورَ الحياة فشعرٌ منك يذكِيهِ
فمَّا نأتُ بمقالٍ أنتَ باغيهِ
تُجَنِّى وخيرُ الجنى ما أنتَ جانيهِ
والعقلُ أعدى على غمرٍ يدانيهِ
الفكر عدوى وجار المرء يعديهِ
ويمدح الفضلَ بين الناس باغيهِ
وغاب عنهم جلالُ أنتَ تدريهِ
أو ينظروا فبطرفٍ أنتَ ثانيهِ
يخال خَيْرَ مكانٍ بيته فيه
والكون أكبر من زعمِ أناجيهِ
كأنما فاه ذاك الخلد من فيه
حتى لشدة ما تذكيه تفنيهِ
يفنى الذكاءُ ولا تفنى معانيهِ
لولا بريقُ خيالٍ أنتَ موريهِ
فى عنه حتى كأنَّ قد زال باديهِ

كواحة الخرق زين في صحاريه
كآلال يحكي ضياءً أنت مبدية
رسم الدراري يحكيها وتحكيه

إطار شِعرك خلدُ أنت زائنه
أصورة الكونِ أم ذا الكونِ صورته
أو كالغدير يرى في الماءِ مرتسمًا

أنت والربيع (أغنية)

أما كفى الربيعُ يهيج إذ يضوعُ؟

وقلبي الصديق في نشره يذيع

أنت والربيع؟

جلاك لي السطوعُ يا قمرًا يروعُ

من حسنه شفيعُ جدَّ بي الولوعُ

أنت والربيع؟

روح له سنيعُ منك له طلوعُ

اليأسُ والطموعُ والحبُّ والربيعُ

أما كفى الربيع؟

وعيشنا شروعُ يا لهف من يضيعُ

أطياره وقوعُ زيالها سريعُ

أنت والربيع؟

ها شملنا جميعُ وعيشنا وديعُ

وما له رجوعُ وأنت لي قُطوعُ

أنت والربيع؟

تعيًا به الضلوعُ من شجو ما يذيعُ

قلبي له سميعٌ إذا دعا يطيعُ

أنت والربيع؟

نافسك الربيعُ من غيرِ يِضوعِ

فَعَزَّ وِصِلْ تُلِيعُ حِسنًا له يِضِيعُ

أنت والربيع؟

حلم بالأرواح الطليقة

تعوم فوق النورُ كالغيد في الغديرُ
مرسلة الشعورُ كفاتتات الحورُ
في فلكٍ مسحورُ تمرح كالطيورُ
على ذرى الأثيرُ والخلد كالوكورُ
وكلة الخدورُ ترقص مثل النورُ
في روضه النضيرُ ومائه الطهورُ
كرقصة البدورُ في صفحة الغديرُ
تتفح بالعبيرُ كنفحة الزهورُ
صافية الضميرُ كلمعة البلورُ
مثل ندى الزهورُ في عيشها المنيرُ
لم تَعَيَ بالأمورُ وطارق المقدورُ
وصوله الدهورُ كصوله النسورُ
لم تدرِ في الحبورُ ما عيشة المأسورُ

في نطفة الفجور!

الوحدة

عذيري من باغٍ أغدَّ وأوضعا
وما سرّني أن نلتُ منه بسيةٍ
لسهلت لي غدرَ الحياة بغدرة
وعلمتني الصبرَ الجميلَ على الأسي
وقد صرتُ لا ألقاك إلا براحةٍ
وكم نعمة للناس في جنب غدرهم
سأهجر هذا الخلق لا هجرَ عائِدٍ
وإني رأيتُ العقلَ كالضوءِ حليةً
وإن كنت بين الناس ظلَّ مفرقا
وما جامعات الضوء إلا كوحدةٍ
فيشعل نيران الذكاء اقتترانه
وكنتُ إذا ما خلتُ فيك مودةً
وحتى تصيرَ الأذنُ عينا بصيرة
فكنت كمن يرمي إلى الطفلِ دِرةً
وأسمعَ بالقولِ المضيضِ وأوقعا
إذا صار بين الناس شلوا مبضعا
وهوتت عندي الحادثُ المتوقعَا
بصبري على ما قد أمضَ وأوجعا
وقد كنت لا ألقاك إلا مروعا
ويا ربَّ شرِّ عادٍ بالخير ممّرعَا
ولكنَّ يأسا حين لم يُبقِ مطمعا
لروضٍ فإن يسطع على القبرِ روعَا
فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
تجمّع من ضوءِ النُّهى ما تذعدعا
وقد كان بين الناس نهبا مضيعا
أحبُّك حتى أحسب الحبَّ مصرعا
وحتى تصيرَ العينُ للقلبِ مسمعا
ويأمل منه أن يشاق ويهرعا!

من الحي إلى الميت

من لحيٍّ بميتٍ يترجى
خبْريني نفائس اللحدِ هل قـ
توَأمان استسر في الجدثِ الدو
خبْريني نفائس اللحدِ أم كلُّ
هل لحيٍّ من ميِّتٍ هاتفِ يُو
هل عَدْتَه الحياةُ أم ليس يدري
رُبَّ ميِّتٍ يسائلُ الحيَّ عنها
خبْريني عن الحجى أين يمضي
أين يمضي الذكاءُ والأملُ الخُلـ
أين نارُ الحياةِ كالنَّارِ في رهـ
أين ذكرى في النفسِ تمضي وتنتهي
أَمَهاها الحِمامُ كالريحِ تمحو
أم وعَهاها الحِمامُ كالدرِّ في الظلـ
أم تُرى هذه المشاعرُ أوها
ليس إلَّا كما يقولُ ركينٌ
فوقنا الأُنجم الصوامتُ لا تدُ

عنده الحقُّ أبلجا لا يفوتُ
سِبة تلك السماءِ والتابوتُ
د وفوق الأجداثِ حيٌّ يموتُ
رميمٍ في لحدِه صمِّيتُ
ضح أمر الحياةِ وهو مقبِتُ
تلك حُلْم وما لحلمٍ ثبوتُ؟
وهو في اللحدِ حائرٌ مكبوتُ
أين تمضي عرامة وقنوتُ؟
وُ وأين المعشوقُ والمنعوتُ؟
طِ مجوسٍ ما خيف فيها الخبوتُ؟
رُبَّ عهدٍ يمضي وذكرى تقوتُ؟
نؤي دار والشمل شملٌ شتيتُ؟
سمة يرنو لضوئه السبروتُ؟
م فلسنا نحيا ولسنا تموتُ؟
لا يفيت الصواب منه مفيتُ
ري وتحت الرجام صمُّ سكوتُ

سجن الفضيلة

إِنَّ الْفَضِيلَةَ مَاسَةٌ
صَوْنُ الشَّحِيحِ لِفَلْسِهِ
صَوْنُ الْجَبَانِ لِنَفْسِهِ
صَوْنُ الْمُثَمَّرِ مَالِهِ
صَوْنُ الشَّفِيقِ فَتَاتِهِ
وَاجْعَلْ لَهَا بَيْنَ الضَّلُوعِ
فَضِيأُوهَا كَالْحَقِّ أَفْـ
وَصَفَاؤُوهَا كَالْخَمْرِ تَصْـ
إِنَّ الْفَضِيلَةَ زَهْرَةٌ
وَنَسِيمُوهَا كَالْعَطْرِ فَاحْـ

صُنْهَا عَنِ الرَّائِي الْحَسُودِ
حَذْرُ الْمُدَاهِنِ وَالْحَقُودِ
حَذْرُ الْبُورَاقِ وَالرَّعُودِ
حَذْرُ الْمُؤَمَّرِ وَالْجَنُودِ
حَذْرُ الْوَعِيدِ أَوْ الْوَعُودِ
عِ خَبِيئَةِ الذَّخْرِ التَّلِيدِ
تَنْ وَهُوَ فِي ظَلَمِ الْجُحُودِ
قَلُّ فِي الدَّنَانِ عَلَى الْخُلُودِ
تَذْوِي بِأَنْفَاسِ الْحَسُودِ
ذَرُ أَنْ يَذِيْعَ فَلَا يَعُودُ!

بيت اليأس

بنيْتُ بيتَ الحياةِ أبغي
جرى عُرابُ القضاءِ نحوي
فأرْعِشْتُ كَفُّ مَنْ بناه
يغبني طارقُ الرزايَا
اعتادني الهمُّ غيرُ غبِّ
كشاربِ السمِّ كي يصادي
يا بيتَ سوءٍ على ذُراه
يا دهرُ لِمَ لم تبح جناني
خَصَصْتَنَا بالنُّهي فهِلَا
أودَعْتَ في الناسِ كلَّ طبعِ
من يشتري نُهيَةً بطبعِ
ألحْتَ لي بالسرابِ حتى
كمن بنى بالترابِ بيتًا
كذاك صرَّحُ الحياةِ أمسى
ودكَّ بيتَ الحياةِ فوقِي
في ظلِّه مسكنًا فسيحًا
ولم يكن طائرًا سنيحًا
فلم يكن أسُّه صحيحًا
من بعد ما علَّني صبوحًا
فلم يمت قلبي القريحًا
من علِّه سمَّه صريحًا
ذو نعبةٍ همَّ كي يصيحًا
إلى سبيلِ النُّهي جنوحًا؟
جعلتها عزيمةً نصوحًا؟
يعنو له عيشهم ربيحًا
يمضي إلى نفعه نجيحًا
عشقتُ ضوءًا له لموحًا
فانهار حتى غداً ضريحًا
رسمُ فلاةٍ بها طريقًا
وقمتُ من تحته جريحًا!

لغز الحياة

الشكُّ أول منزل العرفان
مدُّ وجزرٌ في النفوسِ كأنما
والعقلُ فوقَ الخلدِ مدَّ جناحه
والعقلُ ريحٌ صرصرٌ تهفو به
تبدو إذا ما هاج من أعماقه
والشكُّ مشعلُ الحكيمِ وربما
كونُ ترقرقٍ في منادحِ رحبه
سرُّ الحياةِ لحسبها ولعقلها
روحُ الحياةِ كذي البرائنِ رابض
يلقي على الأحياءِ قولة سائل
إنَّ الحياةَ لغادةٌ معشوقة
وتصدُّ عن متسائلٍ متشوفٍ
يا عاشقَ الحسناءِ كيف أغرتها
روحُ الحياةِ على العقولِ مؤمر
مثل الوصيِّ على الوليدِ إذا نشأ
كي يستبدَّ بماله وعقاره
إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني
يتنازعان سريرةَ الوجدانِ
كالطيرِ هابطة على الأوكانِ
والدهرُ بحرٌ فائضُ الأزمانِ
قنص الردى وجواهر الدهقانِ
أضحى حريقاً للجهول الواني
سرُّ جرى كالماءِ في الأغصانِ
يحكي دماءَ القلبِ في الأبدانِ
دامي المخالب شاحذ الأسنانِ
يا هؤلَ عيشِ فريسة الحداثِ
تصبو إلى المتماجنِ الفتانِ
للحقِّ ينشده بكل مكانِ
أو كنت تبغيها بقلب ثاني
يعتزُّ بالأضغان والأشجانِ
يلوي عليه جوامع السجانِ
ويليح زخرف خدعة المنانِ

ثار الحبيسُ على الوصيِّ وظلمه
ورأى به لَمَمًا وليس كما رأى
ماذا أرجي في العقول وصوبها
ولربَّ غرِّ بالغٍ بطباعه
فرماه بالعصيان والنكرانِ
لو كان يغنى العقل بالعصيانِ
رشح الطباعِ وغلة الظمانِ؟
ما ليس يبلغه ذؤو الأذهانِ

خواطر في الحياة

(أُرْسِلَتْ إِلَى الْأَسْتَاذِ الْأَدِيبِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ.)

أنت على خلتَيْكَ محمودُ
فعدُ بيمنِ الحياةِ محمودُ
وإنما العيشُ هكذا نُقِلَ
والدهرُ خرقَ سنِيهِ القودُ
وخيرُ ما يُطَلَبُ الرخاءُ به الـ
صَبْرُ، وَمَنْ قد عداه مكدودُ
والدهرُ مثلُ الشحيحِ في عدةٍ
أصدقُ آلاءه المواعيدُ
كُلُّ رجاءٍ نرْمي الطليبِ به
فهُوَ قنًا في الضلوعِ مقصودُ
ورُبَّ رامٍ أصاب مهجته
سهمُ رجاءٍ إليه مردودُ
والسخطُ غربالُ جاهدٍ قصد الـ
سَيَلُ كأنَّ الآتِيَّ مسدودُ
آمالنا هامةٌ نُراعُ بها
للسعدِ وهو الطليبُ ملحودُ
وحيرةُ النفسِ كالظلامِ وقد
يهدِي ويقلِي الضياءَ مزعودُ
والرغبُ عجبُ النفوسِ تخذعها
مرآتها والطماحُ معبودُ
وقد تزينُ الحسناءُ دَمْعُهَا
والنفسُ تجدي سنيها السودُ
كم عدةٌ في الحياةِ خائنةُ
كخازنِ الحبِّ للمشيبِ وما
بيخرُ في خيبةٍ لنا أملُ
كما يخونُ الخميسُ رعديدُ
يعطفُ من أجلِ ذخره جيدُ
يبيخرُ في خيبةٍ لنا أملُ
بحرِ الندى والظميِّ مجهودُ
ما لي أهدِي إليك من حكَمِ
يا ليتها الدرُّ وهو منضودُ

أَحْبُوكَ مِنْ حِكْمَةِ الْقَرِيضِ كَمَا
وَأَنْتَ أَحَجَى بَأَنْ تَزْفَ لَنَا الـ
وَأَخَيْرَ مَا يَبْعَثُ الْفَتَى طُرْفُ
يَهْدِي لِرَوْضِ الرَّبِيعِ أَمْلُودُ
حِكْمَةٍ فِيهَا الْيَقِينُ مَشْهُودُ
مِنْ عَقْلِهِ وَالْمَزِيدُ تَأْوِيدُ

الشجرة والغراب

رأيتُ الحوادثَ في وكرها
وَنبتَ المقاديرَ في برِّها
كَأنَّ غرابًا على فرعها
يحطُّ فيأكلُ من خيرها
إذا ذذته أب يهوي بها
على دوحها وعلى نهرها
فقلتُ له: أبقي من خيرها
تذوق إذا جعتَ من شرِّها
وإِلا فأرسل عليها الطيورَ
أبائيل تقضي على أمرها
وهل أزر الطير عن دوحه
تذوّقتُ ما مرَّ من تمرِّها
فقال: أأكل من حلوها
وتترك للدهر من مرِّها؟
إذا أنت ما ذقتَ من ضرِّها
أتعرف ما الخير من شرِّها؟
خذ الحلوَ والمرَّ من رطبها
ومن صبرَ النفس في ضيقها
وفي الصبر صبرٌ يريك الدنى
تظلُّ مظلًّا على دهرها
يريك مساوئِ خود الحياة
كأنك ما التَّحتَ من ثغرها
كأنك ما كنتَ من ناسها
ولا كنتَ تسعى إلى نكرها
ولا بتَّ يومك في درعها
ولا تُفتِّ دهرًا إلى سرِّها

كعبة النفس

أيا كعبة الآمال ذات المحارم
فلا تأخذوني بالرجاء فإنما
وهل تسجد الأرواح إلا لذي النهى
وأكرم سؤل النفس ما كان وَقَعُهُ
ولولا احتذاء الفضل في الشعر ما غَدَت
ومَنْ كان ذا روحٍ بريءٍ من الأذى
ولم يَدْرِ ما يلتذّه الناسُ من أذى
يرى المرءُ أن النفسَ خيلٌ لراكضٍ
أظَلُّ رقيبَ السوءِ حتى يمسنِي
وأَي امرئٍ في العيشِ يُحَمَدُ خلقه
فكم راجمٍ بالغيبِ نفسًا بريئةً
وهل يعدل الإنسان في بعضِ فِعْلِهِ
وما النفسُ إلا تربةٌ ليس رِيُّهَا
مكائِكَ من قلبي كمحرابٍ صائمٍ
رجائيَ إيمانِ النفوسِ الحوائمِ
وتعبدُ إلا سامياتِ العظامِ
على الفضلِ من أهلِ النهى والمكارمِ
صروحُ المعالي بادياتِ المعالمِ
كروحك لم يَعْرِفَ وجوهَ المظالمِ
ولو كان نارًا في لهأةِ الحلاقمِ
وإن كان محذورَ الردى في الشكائمِ
وأجعل أنفي نهبةً للخواطمِ
إذا لم يعوِّذَ من حقوقِ الرجائمِ
ورُبَّ مقالٍ مثلِ لذعِ الأراقمِ
إذا كان فيه مدرجٌ للنمائِمِ؟
من العيشِ إلا بالنفوسِ السواجمِ

الصنم المكسور

عابدٌ يبكي على صنمِهِ عافَ ورَدَ العيشِ من سقمِهِ
عابد من حسنه صنمًا خالَ كلَّ الفضلِ في صنمِهِ
حطمته قولة فهوى كيم الجصِّ منهشمِهِ
كنتَ لي حُلماً ألوذ به خابَ من يبكي على حُلْمِهِ
إن رضيتُ العيشَ بعدكمُ فحياةُ المرءِ في ألمِهِ
أو بكى شِعْري فلا عجبُ بعضُ شعرِ المرءِ من لَمَمِهِ
كنتُم للعين باصرَها وجلاءُ العيشِ من ظُلْمِهِ
كم لأهل الفكر من ذممٍ كيف لم تُبقوا على ذممِهِ
كان قلبي معبداً لكمُ ويح قلب ربيع في صنمِهِ!

غلة النفس

رأيت محمقًا يجري
يكلّمه ويسأله
يقول له: أعن سبب
ويحسب في الخير له
تريد النفس رؤيتها
سؤال ليس يسأله
رأيت محمقًا يفد
وزمرّ الريح يطربه
كذاك المرء في الزمن
ولكن ليس ينفعه
وما من غلة عرّضت
فأين الرّي تطلبه
أجز للعيش معركه
ضمير ما استبان له
ولولا ظلمة الحين
لبغضت الحياة له

يحاذي الماء في النهر
ويحسب أنه يدري!
ومن أرب إلى أرب
لسان الناطق اللّجب
مخارجها وغايتها
مبيح النفس نشوتها
وراء الريح تطرد
يحدثه فلا يجد
يداوي غلة الفطن
شراب الال في الدمن
بغير دوائها خلقت
نفوس طالما ظمئت
لعل الكون يدركه
يروّضه ويملكه
وجبن المرء للبين
وخصّ الموت بالزّين!

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

الدِّيوان السابع
ديوان أزهار الخريف

الاهداء

أهدي هذا الديوان إلى إخواني القليلين في أنحاء القطر المصري، الذين
أَيَّدُونِي بِتَقْتِهِمْ وَرِسَائِلِهِمْ، وَأَعَانُونِي بِهَا فِي الْحَيَاةِ عَلَى بَعْدِ الشَّقَةِ، وَمَنْ غَيْرِ
سَابِقِ لِقَاءٍ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ عِدَاوَةِ السَّفَهَاءِ، وَسَبَابِ الْأَخْسَاءِ، الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ
المتنبي:

وإنه المشير عليك في بضلةٍ فالحرُّ ممتحنٌ بأولاد الزنى!

والذين يقول فيهم أيضًا:

أنتكر موتهم وأنا سهيلٌ طلعتُ بموت أولاد الزناء؟

مقدمة

لقد ذكّرنا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهمله الناس إلا لأنهم باعث من بواعث الشعر، ولم أعن بذلك — كما زعم بعضهم — أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان خاص، يكون موضوعاً لها ويستثير في الشاعر جميع الخواطر التي دفعت إليها. فإن الشاعر ليس بالراسم. ولو كان راسماً لاستفاد أيضاً من أفراد كثيرين في عمل رسمٍ فنيٍّ خيالي كبير.

ولقد رأى القارئ في بعض هذه الدواوين قصائد في شرح أخلاق السوء كالحسد أو البغض، فحسب بعض الناس أنه المعنيُّ بها. ولعمري لو كان غير ذكي لقلت إنه يريد أن يشرف بهذا الدعاء؛ ولكنه أجل من هذه المرتبة. فلم يبق إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له، وكما أنني لا أعني أحداً بقصائد الهجاء، كذلك لا أعني أحداً بقصائد النسيب. ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر، ولكن هذا القول لا يستدعي أن تكون كل قصيدة في فردٍ مُعيّن. نعم، الأمر يستدعي ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة في فنه، يجري في نهجها. أما القول في أفراد، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره. وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلة أمام الشاعر، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن. ومثل ذلك أن قصيدة «صرصور الشعر» في الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر. وقصيدة «سم الخسة» مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه «مجالّي الأخلق»، لم يُنشر؛ وكثيراً من قصائد الغزل في هذا الديوان خواطر كانت تخطر لي فأقيدتها في رسائل سميتها: «رسائل الحب» لم تُنشر. ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر، قول قائل إنني أعني أحداً بما أقول في أي باب من أبواب الشعر.

ولي كلمة أريد ذكّرها في العقيدة، ومن يُذيعُ بين الناس أني على غير هدّى! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد. فليس التساؤلُ والامتعاضُ من مظاهر الشرّ قلةً في الإيمان، بل إن ذلك غاية الإيمان. وإن الذي يتهرب من الله إلى نفسه، وينكر آياته في الوجود، يجد الله في نفسه في خير نزعاتها. وإن في الله حاجة من حوائج النفس البشرية، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشرّ والباطم، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح.

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة، لعظم الشرّ والشقاء. إذ إن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشرّ والشقاء. بل تزيد الحياة اختلالاً؛ كما ذكّرتُ في قصيدة «صوت الله أو نجوى المؤمن» في الديوان الرابع. وقد أساء بعض الناس فهمَ قصيدة «ليتني كنت إلهاً» في الديوان الثاني، ولا أعرف كيف فات مَنْ صَفَتْ نفسه من سوء النية من القراء أنْ نِسَبَتِي سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبةً إليه، خرافة من خرافات الوثنيين، والذي يريد أن يصلح نظام الحياة والكون، هي غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشرّ والباطم، حتى إذا حكم أتى الشرّ الذي نقمه. ولو أني جعلت أفعاله في القصيدة حميدةً، لكان ذلك اعترافاً مني بأنه مصيب في نقده وأنه رشيد عادل!

هذه قصيدة «الملك الثائر»، لقد حاولَ غبّي أن يقرأها مرة، فقرأ منها أبياتاً، ورأى عصيان الملك، فأخذ منه الغضبُ كُلَّ مأخذٍ، ولم يتم قراءة القصيدة، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصاينه انشرح صدره وقال: «إنّه جدير بهذا العقاب!»

وهذه الحادثة تشرّح السبب في سوء الفهم الذي يعنور بعض الناس في قراءة القصائد التي تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التي لها علاقة بالحياة والخلق. فإنه لا يحاول تفهّم مغزى القصيدة الذي لا يُستخلص من أبيات مفردة من

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

القصيدة، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأي فيها واختلاف حالات النفس التي ضمنتها القصيدة.

آية الحسن

يا قلبُ قُصْرِكَ لا تُولَعُ بِإنسانِ
قد صار لي أَلْفُ عَيْنٍ بعد رؤيتكم
مذ صار حَسْنُكَ في الإمكان منشأة
ومعجز الحسن في خلق خُصِصَتْ به
وصار لي أَلْفُ قلبٍ أرتجيك بها
كي لا يضيع جمالُ منك أُبصرُهُ
بل ليبتني الكون طرًّا ليس يبصرُكُمْ
هل نافعِي أَنني في الحَبِّ منفرد
بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه
ما كان مثلك في الأكوان منشأة
استخلصتْكَ دهاريرُ كما خَلَصَ الـ
مجاهلُ الزمن الماضي وحاضرُهُ
فجئتَ آيتَهُ الكبرى التي خشعتْ
ليت الكواكب تعنو لي فأنظمتها
إخالها ما بدت إِلا لتبصرها
والطيرُ ما نطقت إِلا لحسنكُمْ
لقد كلفتَ بساجي الطرفِ وِسنانِ
من بعد ما كان لي كالناس عِينانِ
فكلُّ مُعْجَزِ أَمْرٍ رَهْنِ إِمكانِ
كمعجز الحَبِّ في شِعْري وتحناني
يا لبيتي زدت في روحٍ وأشجانِ
ورقَّةَ اللفظِ في سحرٍ وتبيانِ
سواي في الخلق من وحشٍ وإنسانِ
فليس في الخلقِ تحنانٌ كتحناني
وكيف يرحمُ نضوًا قلبُ غفلانِ
إِلا بخبرة أزمانٍ وأزمانِ
عطرُ الزكيِّ فيا عطرًا للأكوانِ
لصنع حسنك في بدعٍ وإِتقانِ
لها القلوب ولم تدحض بكفرانِ
لألَّا لك تحكي عقدَ أشجاني
مرأة حسنك لا يمني بنكرانِ
فأنت للكون طرًّا خيرُ عنوانِ

يا سالب الكونِ أشهى ما يراد له
عميتُ عن كلِّ حُسنٍ غيرِ حسنكمُ
أعشيتَ طرفي بشمسٍ منك طالعة
لا أكثرنَّ من الألاحظِ أرسلها
وهل أخافُ وقد سقى الفؤادَ هوى
أو القضاء وما يخشى الورى أبداً
كلَّا لعمرِكَ إنَّ الحبَّ يرفعني
إنِّي أهابك من حسنٍ تجور به
ماذا يضيرك من حبِّ تزان به؟
هبه المقادر من يأبى المقادرَ لا
فاضحك فضحكك أنعامٍ مرتلة
لم يبقَ في الكون من شذوٍ نسرُّ به
في كل نظرة عين ذكرةً لكمُ
حبِّيك لا شكَّ يعروه ولا جدل
في منزل الله مكلوءً بهيبته
ولن يضيع رجاءٌ في الحياة إذا
أخلفتَ وعدَ لحاظٍ أنت مرسلها
لا تتكرنَّ مقالَ اللحظِ من خجل
الحبِّ أقوى من الأغلال تُحكِّمها

مذا تركتَ لأحقابٍ وأزمانٍ
كأنني غيرِ صاحي الطرفِ يقضانِ
من بعد ما كان عيشي رهناً إيجانِ
إنَّ البلاءَ لطرفِ العاشقِ الراني
العيش والموت في صرفٍ وحدثانِ؟
من قسمة الدهرِ في ربحٍ وخسرانِ
عن الحياة وعن عيشٍ لها فاني
حتى لأقلالك في أثناء أحيانِ
فالحبُّ للحسن نشرٌ حول أفنانِ
يرى الحياة بعينِ الناعمِ الهاني
أوتارها قلبُ صبِّ منك ولهانِ
إلا جمعت بحسنٍ منك مرنانِ
وكل نبضة قلبٍ جدُّ حرَّانِ
كأنما هو من أرباب أديانِ
سرُّ الباله وسرُّ الحبِّ سيانِ
ما ظلَّ حبي مكلوءاً بإيماني
تقول لي اعشق فإنِّي جدُّ فتانِ
كم حجةً لك في تبيانِ وسنانِ
عاد الحياة لقلب العاشقِ العاني

قد بعثُ راحة أيامي وصحتها
أحمل جناية حسنٍ لست خالقه
ولما يكفر عن لحظٍ تصول به
لو فرَّق الدهرُ حبي في مجاهله
ولو خبرتَ بحبي العيش أجمعه
ما مسَّ حبيك أمرًا خسَّ معدنه
ما أضالَّ العيش لولا ما يتاح بكم
خيرٌ لنفسك إن لم تدرِ ما ضمنت
إن لأفرطت من سكرٍ ومن خبلٍ
وكيف ترحمني إن لم تجد أربًا
يا هل تراني إذا ما جاء يسعدني
حتى ليوشك أن تكسي مراسمه
أكاد أنشق أنفاسًا يردها
يا ليت أني أناجيه ويسمعني
حولي خيالات حسن أنت صورتها
لا بل شقائي أو هام أغرُّ بها
أنسى فناء جمالٍ أنت لابسه
يروع حسنك في حبِّ أعالجه
لو قسّم الدهرُ بين الناس قاطبة

بنظرة بدلت سرِّي وإعلاني
كما تحمّل مقدورًا له الجاني
إلا ترفق عطفٍ منك يرعاني
لعداء منه بمثل الخلد ملانٍ
إذن لباء بسرٍّ منه ضحيانٍ
إلا أضاء كماسٍ عند دهقانٍ
من الهوى وطماح ليسى بالواني
من فتنة الخلق في حسنٍ وإحسانٍ
ورحت تتعم في ظلمٍ وعدوانٍ
في أن تكون حبيبًا جدًّا فنانٍ؟
طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقاني
جسمًا فيا من رأى طيفًا بجثمانٍ
وأحتسي منه من كاسات نُدمانٍ
على النوى ورجاءٍ ليس بالداني
طوبى فإنك جيرانى وأقرانى
مثل السراب إذا أودى بظمانٍ
حتى كأن لم يكن حالٌ له ثاني
كروعة الحسن في نيران بركانٍ
لذائذا لي في قربٍ ولقيانٍ

وفرحة لي إما لحت عن عرض
غاض الشقاء و غاض النحس أجمعه
لو صور الخلد كانت منك صورته
قد قلت للحب في قلب أضرب به
لئن أضاعك وسنان بغيرته
لم يحل بالغيد في بادي ترائبها
وأنت في لجة للقلب منغمر
ما أنت أول حب عز مطلبه
فأين أخبأ طرفي عن محاسنكم
وإنما الحب كالمقدار مدخله
لو كانت البيد تُتجى منك ما رَضِيَتْ
بل لبت أني حُلم في الكرى بهج
أقول للناصح المغرى بتعزية
والكون كالميت لا ماء ولا شجر
وإن لم يُبَلِّ ظمي الحب غلته
ولا أُتِيح لقلب قلب ذي مقّة
كأنما الكون لم يُخلَق له سبب
فاهبط مع اليأس في قلبي فإن له
وما أَلَمْتُ ليأس مثلما حزنْتُ

تجلو همومي وتأسو كلم أحزاني
وعطل الدهر من منع وحرمان
شكلاً بشكلٍ وعنواناً كعنوان
برح الهوى وطلاب المعوز الداني
كم في الزواجر من درٍ ومرجان
ولم يُحدِّ بميزانٍ وأثمانٍ
ما أمك الرائح الغادي بنُشدانٍ
ولا بأول قلبٍ غير جذلانٍ
وأين أخبأ قلباً جدَّ ظمانٍ؟
رغم الأواخي من عزمٍ وإيقانٍ
نفسي قيودك في أهلي وأوطاني
يأتي إليك بأزهارٍ وريحانٍ
انظر أفي الكون ما يُغري بسلوانٍ؟
ولا جمالاً تراءى حول أفنانٍ
ولا تصافى بصفو الحب روحانٍ
ولا تدانى بنجوى الحب صنوانٍ
أو أنه حُلمٌ بادي الهم أسوانٍ!
في القلب منزل صدقٍ غير بهتانٍ
نفسي على أملٍ كالآل حليانٍ

استنفد الكذب آيات الكمال فما
فليت لي لغة ما شابها كذب
وما لحبي في الأكوان من مثل
فكيف يشفع لي لفظ يُعَرُّ به
ولستُ أَلحَاكُ إن لم تُلَفَ ذا عوزِ
كأنَّ حسنَكَ من إبداع ما ضَمِنْتَ
يا من به قد نسيْتُ الشرَّ أجمعه
ما خلتُ أنَّ مكانًا ضمَّ حسنكمُ
دنياك دنيا رخاءٍ لا شقاء بها
أبعدَ معرفتي الأيام يا عجبًا
أبغى الحياة وأبغى منكمُ مقةً
نزلتَ يا قلبُ عن غالي نفائسها
حتى فرحتُ بصبرِ منك عن خُدعِ
وقلتَ لي الآن لا شجورٌ ولا جزعُ
فعدتَ لا صبرَ تبديه ولا جلدًا
يا دوحةَ الحبِّ لا شمسٌ ولا مطرُ
فكيف أئِنَعَتِ في قلبٍ أضرَّ به
أتى الربيعُ فهبَّ لي منك مكرمةً
ونسَمعَ الطيرَ تبدي سرَّ أنفسنا

أرضى لحبي منها أي تبيان
ترضي الملائكَ لم تُخَلَقْ لإنسان
ولا رموزٍ ولا شَبَهٍ ولا داني
مِنَ الخَلِيقَةِ شيطانٌ بشيطانٍ؟
إن الودادَ لقلب الناقص الفاني
منك الخوالجُ من صدقٍ وإحسانِ
لا يُجَتَلَى الحسنُ والأرزاء في أن
يحوي من الشرِّ ما يوذي بثهلانِ
كأنما الشرُّ لم ينزل بإنسانِ
وأوجه الدهر من طلقٍ وطخيانِ
إنَّ الحياةَ حياةً الناعم الهاني!
لَمَّا عرفتَ الليالي أيَّ عرفانِ
من الحياةِ وعن إلفٍ وخلصانِ
على الحياةِ ولا إعياءٍ وجدانِ
حتى كأنك لم تسكن لسُلوانِ
من اللقاءِ ولا وافٍ ولا حاني
جذبُ الزمانِ وإلفٌ غير معوانِ؟
يومًا نقضِيه بين السرو والبانِ
حيث الهوى ورواء الزهر سيَّانِ

ذخرٌ لمقبل أيامي إذا بردتُ
لا تنسَ حبي إذا ما الموتُ عاجلني
وسائلِ الليلَ عن روعي فإنَّ لها
لا بل دَعِ الذكْرَ لي إني به قمنُ
ولا تُعني بذكرى منك خاطرةً
عذبٌ فؤادي بالآلام قاطبةً
وارحمْ أو اقسُ ولا تحرجك معتبةً
وليس في الحبِّ خسرانٌ ولا فشلُ
ألم أعشْ غير عيشِ الناسِ قاطبةً
نارُ الحياةِ ونارُ الحبِّ في أن
لعلَّ ذكرك دون القبرِ سلواني
في الليلِ خطرةً حيِّ الهمَّ أسوانِ
وانعمَ بحسبك في غدرٍ ونسيانِ
حسبي حبوري بقلبٍ منك جذلانِ
الحبُّ ذخرٌ مني يُشري بأثمانِ
ماذا تضيرك آلامي وأشجاني؟
وإن منيتَ ببعدي أو بهجرانِ
وأقطع الدهرَ في فرحاتِ نشوانِ؟

الشلال

فلعلَّ الحياة كالماء تجري بين هذا الثرى وبين السماء

من القصيدة

يا أبا الصَّمْتِ في الجلالة والرو
إنَّ في القلب لوعةً ما تقضى
أحسبُ الخلد مثل مائك بينها
أنت فجرتَ في ضلوعي ينبو
ليت أنَّ الحياة مثلك تعدو
إنَّ للعيش كدرةً تذرُّ النفـ
فأعني على الأواسن من نفـ
يا ابنَ ماء السماء هل تذكر الرغـ
وهل البرق لا يزال خفيًا
أنت ريح الأمواه أم أنت روح الـ
قد هددتَ الصخور تنشد خصبًا
إنما أنت ناغمٌ ينصف السهـ
تجعل السهل والحزون سواءً
مرحٌ أنت أم كما يُسرع الفا
ع وصنو النكباء والهوجاء
أنت حاكيت همَّتي ورجائي
رُ ونفسي في مائه كالهباء
عًا من الشجو مُسرعًا في دمائي
لا تُراخي مثل الجياد البطاء
س ركودًا كآسنٍ في نهاء
سي بفيضٍ ينهارُ مثل البناء
دَ تحاكي إرزامه في الغناء؟
في ثنايا صدرٍ كصدر الغماء
ماءٍ يمضي في مائه كالهواء؟
أم لذخرٍ تبغيه في الدِّعاء
لَ بفضل الشواهِق الشَّماءِ
ليس نجدُ ووهدةً بسواءٍ
رسٌ في نجدةٍ إلى الهيجاء

لك بالشّم مولدٌ وعلى صدّ
غير أنّ الميلاد في قمم الشّم
فلعلّ الحياة كالماء تجري
لك في النفس نشوةً مثلما استنش
ويفيض النفوس مرأى جلال
فكأنني في مائك الغمر أمضي
أنت أيقظتني وقد كنتُ وسناً
هاتفٌ في خريز مائك قد أذ
أنت أصفى من الوداد وأنقى
أنت أرجوحة لنفسي وصوت
أنت مثل الشباب عزمًا وبطشًا
لك وقّع الأقدار حتى لقد خلّ
أنت كالدهر تأخذ التُّرب والعس
لم تهبّ كرّة الدهور ولم تج
يا سليل السماء حدّث طويلاً
تبعث الصخر من صخورك يزهو
سوف تغدو كالشيخ في أخريات الـ
فاغتبط بالمضاء وامرح طويلاً
ر أبيك المحيط وقّع الفناء
جمامٌ لهاطل الأنواء
بين هذا الثرى وبين السماء
رف راءٍ من شاهقات العلاء
لك حتى تطير كالأنداء
وكأنني في كل دانٍ ونائي
ن فخلت الأكوان طرّاً ردائي
كرّني عزمتي وماضي مضائي
من حبور النعيم والسّراء
منك كالظنر هاتف بالغناء
ووضاءً أحبّ به من وضاء
نك رمزاً رمزته للقضاء
جدّ حتى تعيده بالحباء
زرعٌ لذكر الشقاء والأرزاء
بحديث العلى وصدق السناء
فوق صدر العشيقة الحسناء
نهر تسعى بهمة شمطاء
كل شيءٍ لطيةٍ وفناء

يا وضيء البسمات

يا وضيء البسمات
ليت لي منك ائتلافاً
أنت في الدهر ابتسامٌ
كل حُسنٍ أملٌ فيه
وحيي الوجناتِ
كائتلاف النغماتِ
كابتسام الزهراتِ
فإذا الشمس تعلَّتْ
كُ وبشرى للعفاةِ
قلتُ حُبِّي سيؤاتي
صف لنا حُسنَ الفَرادِيـ
س بحسن القسماتِ
عَذروا صدَّكَ مَنْ سَمَّـ
وك بدرًا في السِّماتِ
أنت عنوانٌ لما أنـ
شِدُهُ في الخُطواتِ
كلُّ كَوْنٍ كان أو لم
يك من ماضٍ وآتِ
فيك لي منه أمانِيُ
النفوس السامياتِ
أنتشي منك بلَفِظِ
مثل طيبِ النفحاتِ
هو موصولٌ بقلبي
في وجيب الخفقاتِ
خلتُ أن قد كنتُ أَحَبِّـ
تُكَ من قبل الحياةِ
هاتِ لي خُلْدًا على خُلـ
دِ لأرضي صبواتي
إنَّما الخلد كقيدِ
للأمانِي الرائعاتِ
أنت كالضوءِ وهل يُرُ
ضي الأكَفَّ الناشداتِ؟

إن تـخلُ دمعـي نجومًا
فأسرّ في ضوءِ نجومـي
أو تـخلُ دمعـي درًّا
أوجـيب القلب ما قُدِّ
لسوى عدِّ الرزايا
سألوا: في أيِّ حالٍ
قلتُ: أحلى ما تراه
فإذا أرخى لحاظًا
وهو أحلى منه إن فا
وهو أحلى ما تراه
وإذا صدَّ فما أحمـ
فإذا لان فما أحمـ
كلُّ حالٍ منه أشهى
إنَّ حبي درةٌ تجـ
إن حبي مثل حبِّ الله
كيف تلحاني على حبِّ
إنما الحبُّ ضياء
تبعث الحبَّ إلينا
يعذر الحسن وإن قطَّ

في ليالي الجفوات
وائتني في الفلتات
فادَّخر من عبراتي
ر لي في النبضات
والهموم الطارقات
هو أحلى في الصفات
في حديث اللحظات
كان أحلى في السُّبات
ه وأحلى في الصمات
عاطيًا باللفات
لناه جهم النظرات
لناه طلق اللمحات
حالة في الحسنات
لو دياجي الجفوات
غفرانًا لعاتي
به تبلو أناتي؟
من صبيح الصفحات
كابتعات اللحظات
ب نضو اللهفات

راحماً يقسو اتقاءً
إن يكن حبي خُلدًا
وأرْحني من خلود الـ
إنما الخلد نجاؤ الـ
لا تُرد لي سلوة تشـ
إنما السلوان هاما
آه لو يرشق قلبًا
لحظات لك تمضي
أه لو تألم أخذ الـ
وترى حسنك نهبًا
وترى آثار أقدا
وترى الأرض كأنًا
وترى الأرض كأنًا
لا ترى للحسن إلا الـ
فتؤاتيني بعطفٍ
لا يرى القسوة دينًا
والذي يبصرُ كرَّ الـ
لخَلِيقُ أن رآه
ولئن خاتلنا العيـ
لهناة الرحماتِ
أعطني خُلدَ المماتِ
شَّجُو موفور الأذاة!
نَفْس من وخزِ الشكاةِ
عل نارَ الحرقاتِ
تُ الشجون الهالكاتِ
لك سهمُ اللحظاتِ
بالسهامِ المصمياتِ
دَّهر من زاهي الشياتِ
للخطوب المقبلاتِ
م الصروف الدالفاتِ
في العصور الخالياتِ
في العصور القادامتِ
حبَّ فرُض الفرصاتِ
منك يجلو حسراتي
غير قنّ الغفلاتِ
دَّهرِ جمَّ العدواتِ
باختلاجِ الرحماتِ
شُ بآل الطيباتِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

ولئن خاتلنا الحبُّ
فلعلَّ الموتَ مكذو
ولعلَّ الحبَّ يُجزي
بغضِّ القسماتِ
بُ كتلك الخدعاتِ
صالحًا بعد الحياة!

وسائل الحب

إِنَّ الَّذِينَ وَدَدْتَهُمْ وَرَضِيَتَهُمْ
نالوا رضاك بمنحةٍ أم خدعة
أَتَقَرَّبُوا بِالْبَغْضِ إِنَّ مَحَبَّةَ
أَقْصَتْ فؤَادًا وافيًا لا يغدرُ
مُرْنِي لِأَفْعَلِ مَا تَشَاءُ فَإِنَّمَا
لِكَ مِنْ هَوَى نَفْسِي الْمَكَانُ الْأَكْبَرُ
إِنَّ شئتَ أَنْ أَرَدَ السَّمَاءَ وَرَدَّتْهَا
لَيْلًا لِيَقْتَصِ دُبُّهَا وَالْأَنْسَرُ
أَوْ شئتَ أَنْ أَهْذِي بِكُلِّ فَكَاهَةٍ
كَأَلَالٍ لَا حَقَّ يَصُوبُ وَيَغْمُرُ
لِقْرَأْتُ وَاسْتَظْهَرْتُ كُلَّ فَكَاهَةٍ
وَذَكَرْتُ مِنْ عِبَثِ النُّهْيِ مَا يَذْكَرُ
وَسَمِعْتُ مَا أَعْيَا السَّمِيعَ سَمَاعِهِ
أَوْ شئتَ أَنْ أَرَدَ الرِّيَاءَ فَإِنِّي
أَوْ شئتَ أَنْ أَهْوَى الْكِلَابَ عَشِيقَتُهَا
مِنْ صَامِتٍ، وَرَأَيْتُ مَا لَا يُبْصَرُ
وَحَسِبْتُ أَنَّ الْفَضْلَ غَرٌّ يَزْمُرُ
هِيَهِاتَ لَوْ أَنَّ الْمَحَالَ فَعَلْتَهُ
لِكَمَا تَشَاءُ إِلَى رِضَاكَ مَسِيرُ
وَأَقْلَتُ كَلْبٌ تَرْتَضِيهِ غَضَنَفْرُ!
لَوَدِدْتَ مَا بَعْدَ الْمَحَالَ وَتَعَذَّرُ
يَمِضِي أَخُوهُ عَلَى السَّوَاءِ فَيُخْسِرُ
وَأَقْلَتُ كَلْبٌ تَرْتَضِيهِ غَضَنَفْرُ!
وَنِبَالَةٌ، وَالْحَبُّ ذَاكَ الْمَيْسِرُ!

حجة النائى

إيه يا قلبُ هل أمنتَ من النأ
قل لمنْ قد هَوَيْتَهُ أَيُّ حَالَيْـ
ولو أنَّ الحياءَ خلدٌ مديدٌ
غير أنَّ الحياءَ كالحلمِ تمضي
أنت لو كنت في الشغاف من القلبـ
رحمة بي بَعُدْتَ أم لحياءِ
يا شفيقًا عليَّ بالبُعدِ كم إِشـ
أم لِإِغراءِ ظامئِ رَعْتَ بالنأ
خُطواتِ النفوسِ فيكِ عباديـ
ولأنتِ الحياءَ في القربِ تظمى
إن تكنْ مشفقًا فلا تُبَدِّ طرفًا
وابتعدْ إن لقيتني، إنَّ مرًّا
أو تكنْ مغريًا بنايِكَ فارحم
ليت قلبي تحنو عليه ضلوعُ
خلت نارًا أجبتها زينة فيـ
يا شبيهة الثمارِ والزهرِ والفجـ

س حبيبًا يُرعى وحبًا جديدًا
لك يعيد المشوق نضوأ عميدًا
لأسغنا في الحب نأيا مديدًا
إنما العمر طائرٌ لن يعودًا
ب رجونا من اقترابٍ مزيدًا
خفت لي في الجمال منك وعيدًا
ففاق نأءٍ قد جرَّ خطبًا شديدًا
ي وخلفت بعدك التصريدًا
دُ فسيانَ دانيًا وبعيدًا
وظماءُ المودي أحرُّ وقودًا
منك يسجو لحظًا وثغرا برودًا
منك يوحى في القلب نبضًا وئيدًا
ليت لي في هواك قلبًا جليدًا
منك حتى تخشى عليه الزنودًا
ه كضوءِ المصباحِ حليًا وعيدًا
ر تملُّ العيش الرخيَّ الرغيدًا

إِنَّ مَنْ جَمَلَ الْحَيَاةَ مَحْيَاً
أَنْتَ أَشْهَى مِنْ الْخُلُودِ وَهَلْ تَلُـ
فَادَّكُرْ فِي الرِّخَاءِ نَضُوءًا طَلِيحًا
إِنَّ يَمُتْ تُبْكِيهِ اللُّوَاعِجُ وَالْهَمُّ
وَسَلِّ اللَّيْلَ وَالْكَوَاكِبَ هَلْ كَا
هُ خَلِيقٌ بَأَنَّ يَكُونُ سَعِيدَا
فِي نَفْسٍ فَوْقَ الْخُلُودِ مَزِيدَا؟
بَاتَ يُذْنِيكَ ذِكْرَةَ وَسَهُودَا
فَقَدْ كَانَ لِلشَّقَاءِ عَقِيدَا
نَ دَعَائِي إِلَّا الْقَرِيبَ الْبَعِيدَا؟

فطنة الحسن

يا ذكِّيَ الفؤادِ هذا فؤادي
وأشدُّ الهوى هوى كَتَمَ الصدُّ
ما ترى فرحتي إذا ما تراءى
ما ترى الدمعَ حائراً في جفوني
ما ترى لحظةً يَرِقُّ لها الصخُّ
لحظاتٌ في إثرها لحظاتٌ
خان عهدي الخلانُ حتى لقد أضـ
كم رجوتُ الإخاءَ دهرًا وكم أحمـ
فإذا الحبُّ والإخاءُ سواءُ
ومن العدلِ أن يُحبَّ صبيحُ
ولو أنَّ القلوبَ تألمَ للأخـ
لرأينَ الحياةَ جناتِ عدنِ
يا ذكِّيَ الفؤادِ لبُّك طَبُّ
فلعلِّي أبهمت منه كلغز الـ
أم شقائي لذاذةً لك فانعمْ
وسلِّ الشعرِ والأصالة عن صَبِّ

انتَجِعَ فيه من هوى مكتومِ
رُ فأضحى كالمرجلِ المختومِ
منك طرف يوحى لقلبي الكليمِ
حيرتي في سوادِ حظِّي البهيمِ
رُ كسهمٍ برأه وقعَ الهمومِ
هائماتٌ يحكين لحظَّ السقيمِ
سبحتُ لا أرتجي إخاءَ كريمِ
سببتُ، أه لقلبي المكلومِ
خدعاتٌ يقتلن لبَّ الحكيمِ
حُسْنُه كي يكون جدَّ رحيمِ
سياءَ طرًّا من أجنبٍ وحميمِ
رافلاتٍ في نضرةٍ ونعيمِ
بسوى لوعتي وحيي القديمِ
سعيشٍ واستعجمتُ حصاةً الفهيمِ
سبكائي ولوعتي يا ظلومي
مصيخٍ لحسنك المنغومِ

مَتَّ مِنْ شِعْرِهِ إِلَيْكَ بِأَسْبَابِ
لَكَ لِحْظٌ يَأْسُو وَيَكْلُمُ يَا لَهُ—
كَمْ طَوَى الدَّهْرُ مِنْ غَرَامٍ وَمِنْ حُسْنِ—
وَمَنْ الْخُطْبِ أَنْ يَزُولَ جَمَالُ
مَا عَذَابِي بِخَالِدٍ فِيكَ حَتَّى
فَلْتُنْ مَتُّ كَانَ مِنْكَ فَكَأَكِي
نِعْمَةٌ مَوْتِي الَّذِي لَيْسَ يُوْسِي—
وَلْتُنْ عَشْتُ فَالْحَيَاةُ هُمُومُ
مَا شَقَائِي بِخَالِدٍ يَا حَبِيبِي
وَلْتُنْ غَضٌّ مِنْ جَمَالِكَ دَهْرُ
يَا ذَكِي الْفُؤَادِ تَفْدِيكَ نَفْسِي

بِ وَمَنْ قَلْبِهِ بِدَامِي الْكَلُومِ
فِي لَأْسٍ يَزِيدُ سَقَمَ السَّقِيمِ!
نَ وَمِنْ مَغْرَمٍ وَحِبِّ نَدِيمِ
كَانَ رِيًّا وَغَلَّةً لِلْحُلُومِ
أَشْتَكِي مِنْهُ قَاتِلِي وَغَرِيمِي
مِنْ حَيَاةٍ كَحَرْقَةِ الْمَظْلُومِ
كَ وَمَا أَنْتَ كَالْحِمَامِ حَمِيمِي
لَسْتُ فِيهَا بِزَائِدٍ مِنْ هُمُومِي
لَا وَلَا حُسْنٍ وَجْهَكَ الْمَوْسُومِ
لَمْ يَبْخُ حَرُّ غَلَّةِ الْمَحْرُومِ
مِنْ طَرُوقِ الرَّدَى وَوَقْعِ الْغُمُومِ!

الأماني والذكر

الذكرُ يشجوه والآمالُ تَخْدَعُهُ
يسائلُ الذكرُ عن عهدٍ لنا خضِلِ
فقال سائلٌ به الآمالُ إنَّ لها
وما انتفاعي بآمالي التي حرمتُ
جعلتُ بعدك آمالي محرمةً
نأيتَ من بعد عهدٍ جفَّ يانعُهُ
غير اذكاري ترانيمٍ إذا تُلِيَتْ
والحسنُ شدوٌ لمن أصغتِ جوانحه
قد أصبح الذكرُ قبرَ الحبِّ وانتثرتُ
وعزةُ الغابرِ المذكورِ مؤذنةٌ
فهل تغضنَ وجهُ المرءِ مبتسمًا
فيا سمائي إن غامتِ فإن لها
قد نَمَّقَ القلبُ حسنًا أنتِ طلعتُهُ
القلبُ مرأةٌ ما أبديتَ من مُلِحِ
تذوي الزهورُ فلا عهدٌ يعود بها
أصبحتَ في البعد مثل الروح محتجبًا

قلب تلوَّى إلى مغناك أخدعه؟
لعلَّ مقبل هذا الدهر يُرْجِعُهُ
في مقبل العيش حكمًا لست أدفعُهُ
على فؤادي إذ لا عطف ينفعُهُ
إني لأُبْغِضُ وردًا لست تُتْبِعُهُ
كالعود في الصمت لا شدوٌ فنسمعه
من ذكرٍ عطفك أعشى الطرف مدمعُهُ
له صدَى تتهاوى منه أضلَعُهُ
عليه مني المنى كالزهر تمرعُهُ
بذلة الحال إذ لا ريَّ ينقعُهُ
كي يجد الدمع مجرى منه يتبعُهُ
في نهر عيشي غيم أنت تطبعُهُ
أغرت حتى بصدِّ منك تصدعُهُ
فاصقله بالقرب علَّ القلب يبدعه
لكنَّ للوصل روحًا منه يرجعُهُ
وأمره الأمر مغداه ومرجعه

أو كالقضاء إذا ما صالَ صائلُهُ
والحبُّ كالموت يأتي في فجاءته
إني أحبُّكَ حبًّا لست أفهمُهُ
يا راصدَ النجمِ مزهواً بخبرته
وارصدْ لحاظًا لمن أهواه ماضيةً
الحبُّ روحٌ من الفردوس هبَّتْهُ
والحبُّ كالخلدِ لا يلقاه ذو عدمٍ
خمرُ الخلودِ فنادمني على مهلٍ
لو قُسمتْ فرحتي إمَّا أراك على
فما حنينٍ هزارٍ للربيعِ بأوٍ
وأنت شمسي وقطري والنسيم معًا

في خفيةٍ ونفوسُ الخلق مرتعُهُ
من غيرِ إذنٍ ولا ساعٍ يشفعُهُ
أُفهم الكون منشاه ومنزعهُ
ارصدْ هلالًا بأفقِ السعدِ مطلعُهُ
بقسمةِ السعدِ تعطيه وتمنعُهُ
ليوقظَ النَّفسَ شدوً لا يوقِّعهُ
إِلا فواقًا لعيشٍ حانَ مصرعُهُ
سيحبُّسُ الدنَّ عنا من يشعشعُهُ
هذا الأنام لغاضِ النحسِ أجمعهُ
في من حنينٍ فؤادٍ أنت مربعُهُ
بل الحياة وما أبغي وأمنعهُ!

الحب والشفاعة

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبةً
نأيت عني كما ينأى المؤمر إذ
أخفت في القرب ما يردى بتكرمة
لو كنت إبليس لم تعد الكمال ولم
إن أستغث بخصال الحمد أعوزني
لعل بعض خصال السوء يسعدني
بما بخلقك من عيب ومنقصة
وما يعيش به الأحياء قاطبة
أدعوك دعوة ذي خُبرٍ وذي مقّة
فإن غضبت فلا عتّب ولا عدل
لا بالحميد ولا المرذول أنشدكم
أم هل شفيعي أن أسلوك منصرفاً
إن كان ذلك فما قلبي بمناطرٍ
فاغضب لحسنك وارم القلب عن كُتبٍ
فما يزينك قلبٌ غير مدّكرٍ
فاحلف بحسنك أن تدنو لترجعني
كأنما أنت لم تُخلق من البشرِ
يبغي المهابة في سترٍ وفي صعرٍ
تنفي العيان وليس الخبر كالخبرِ
نسمع بدمك في الأمثال والسورِ
منك الوفاء وفاءً غير مقتسرٍ
بشافعٍ غير مردودٍ ومنزجرٍ
من كلِّ مكتتم منه ومشتهرٍ
من النفاق ومن كذبٍ ومن نكرٍ
ما إن رأى لك ذنباً غير مغتفرٍ
أدعوك بالفضلِ والإحسان والغُرِّ
فهل شفيعي خلق الغادر المكرِ
عن حرقه الحبّ كي تقفو على أثري
إلى اللقاء ولا روي بمدكرٍ
واقرب وأشعل فؤاداً غير منصهرٍ
من العبادٍ وخذ غير منعفرٍ
إلى اللواعج والأسقام والذكرِ

ولما تقل رحمة تتأى فلي كبداً
أغر الجمال بنا كيما نكفر عن
فإن فشلت فبئست تلك منقصة
وإن ظفرت فقد دانيت منعطفاً
لا تحسب الحب أعمى ضل رائده
لم تخش منك صيال اللفظ والبصر
وزر الجحود جحود الحسن والغرر
تتفي الجمال وبئس العجز في العرر
فاثأر لحسناك واعرف لذة الظفر!
الحب أبصر بالأخلاق والسير!

نجوى المحتجب

حجبوك من حذرٍ عليك صيانةً
ولئن حُجِبَتْ ففي الرحيقِ مُشَابِهَةٌ
أو في اللآلئِ وهي أنْفَسُ ما يُرَى
لولا ظنونِ السوءِ وهي كثيرة
لحجبتُ معتمراً ببيتك طائفاً
يا ويح أهل الدار لو علموا الذي
هم يحسبونك واحداً في أمةٍ
لو يعلمون مخاوفي ومحاذري
ولقد وقفتُ على ديارك بعد ما
نجوى وثقت بدينها وبربِّها
إذ أمَّ قلبي شطر قلبك حاسباً
كيما تجيء على الوفاق وما نأى
يا قلبُ ما لك لا تبوء بسلوَةٍ
يا ساحراً خابت وسائلُ سحره
لا تبلغ النجوى أغصن مرفهاً
يا ليت أن الوحي كنت مَلَكْتَه

يا ليتهم في مهجتي حجبوكا
في الدنِّ أو ما يحتويه فوكا
عيفت لها الأصداف واختصوكا
يُغرى بها من خشيةٍ أهلكا
أبغى إليك من الطواف سلوكا
تحوي إذا سجدت لديك نووكا
ولأنت دنيا الحسن لو عرفوكا
حرسوك في عيني إذ حرسوكا
هَجَع الخليفةُ سُوقَةَ وملوكا
رَبَّ المحاسنِ خاب من يدعوكا
نجوى المحبةٍ منهجاً مسلوكا
نأى إذا سلك الدعاء سلوكا
علَّ الحبيبَ بهجره يبلوكا
أو ما عرفت على اليقين شكوكا
غفلان يجهل دَمَعَكَ المسفوكا
حتى تناجى غافلاً يجفوكا

إني اتَّهَمْتُ محبتي لما نأتُ
يا مَنْ به افتنن القضاء كأنما
ويُلي من الآمال فيك فإنها
يا أين منك ودادة للقلب لا
بك عنيّ النجوى فلا تدعوكَ
صرف القضاء بحسنه يرشوكَ
زفّت إليّ حديثها المأفوكَ
تألوه مصطفىاً ولا يألوكَ

الحب والحذر

كيف لا أُغري بك الحذرا
تبث من ودٍ ومن مقة
صرتُ أخشى منك طارقةً
رُبَّ مأمون بغرته
كم وسعتُ النفس معرفةً
فأنت ما لست أعرفه
ما عجيب أن صبرت فكم
إن قلباً لم يدن بهوى
إن مخدوعاً على ثقة
إن من صحّت طويته
عجب أن لست تأمني
أمناً من ليس يأمنه
أنت ممن عاش في كالم
إن حبّ السوء مكتماً
خلت أن الناس لو كشروا
كنت لي خدناً ألوذ به
إن تكن تُغري بي الحذرا
فأقل من تاب واعتذرا
مشمّتاً بي كل من أمرا
حير الألباب إذ غدرا
أنقصى الفعل والسيراً
وكانني لم أصب خبراً
جازع من كارث صبرا
قط شرّاً من جو خسراً
زين خبّ لم يثق حذرا
لم يكتّم حبه ذعرا
قد أمنت البدو والحضرا
سابرٌ يدري الذي سبرا
نّاس يقفو فيهم أثرا
بزّ حبّ الطهر مشتهرا
شاحذين الناب والظفرا
تدري الآلام والكذرا

حببوا لي العيش إذ قذعوا
كنت أرضى حسن رأيك لو
كم صديق بتُّ أكلؤه
أول الرامين معتذرا
لم ألمُّ خلقا نأيتُ به
قد أمنتُ الدهرَ أرقبه
وأمنتُ الصيتَ أنشده
خلته شهداً لمقتطفٍ
وأمنتُ الحقَّ أعبده
ثم ألقاني إلى نفرٍ
فامضٍ مثل الدهرِ لنا وطرا
وامضٍ مثل الصيتِ إنَّ به
وامضٍ مثل الحقِّ لا شجنا
وامضٍ مثل العيشِ إنَّ لنا

كي أنال الفضلَ مقتسرا
لم أعالج قبلك الغيرا
من عدى أغرى بي الحجرَا
من صفاءٍ كان لي ذخرا
بل ألومُ الدهرَ والقدرَا
فدجا بالسوءِ واعتكرا
فشآني الغرُّ وابتدرا
فسقاني الصاب والصبرا
فحماني الورد والصدرا
يعبدون الكذبَ والنكرا
مالئ قلبي ولا خطرا
في الورى عن هامنا قصرا
بعده أُلفي ولا دُعرا
بعده في راحةٍ وطرا

موارد الحب

يا رائدَ القلبِ يحدو بي إلى حَسَنِ
الأرضِ تهدي بأعلامِ وأوديةِ
وفي السماءِ رياحٌ جدُّ معملةِ
فما الضلالِ بحسنِ لا دليلِ بهِ
لا بالحنينِ ولا بالصدقِ أدركُهُ
وأنتِ كالحقِّ مخبوءٌ ومطلَّبِ
لا موتَ يظمي إلى حسنِ وإنِ صبرتِ
لئن نأيتِ كُنأى الشمسِ عن دنفِ
لم يُخرسِ الطيرَ أنَ الشمسِ نائيةِ
لا تحسبِ الحسنِ مثلَ الشمسِ يسعدنا
فالحسنُ يحرقُ في هجرٍ وفي بُعدِ
يا لبيتِ للشعرِ ألامًا فتبصرها
أو لبيتِ لي مسلَكًا كالفكرِ أسلكه
أو لبيتِ أني قضاءِ لا مردَّ لهِ
أو لبيتِ أني شجونِ منكِ قد نزلتِ
وما صبرتُ على صدِّ قسوتِ بهِ

انزل بقلبي في خصب من الدمنِ
والأفقُ يبعثُ بالأضواءِ للسفنِ
تحدو الطيورَ إلى الأوكارِ في الفنِ
إلا مصارعِ قومِ لسنَ بالسننِ
وكيف أدركَ ألاً غيرِ ذي مننِ
والحقُّ ذو صلبٍ يجتنِ بالجننِ
عن شرعةِ الحقِ نفسُ الهالكِ الضمينِ
يرنو إليك رنؤَ المرءِ للوطنِ
إذا بدا الصبحُ تتلو آيةِ اللسنِ
في البعدِ بالضوءِ إذ يؤذي على قرنِ
ويبهج القلبَ في قربٍ من السكنِ
كيما ترقَّ لما يحكيه من حزني
يخفى عن الناسِ في جلِّ وفي ظعنِ
أتي إليك بنعماءٍ من الزمنِ
في صدركِ الغضِّ قلبًا ضاقَ عن شجنِ
كلا لعمرِكَ إنِ اليأسَ صبرني

إِنْ عَذَبَ السُّهُدُ عَيْنًا غَيْرَ مَغْفِيَةٍ
يا باخلًا بلقاءٍ ليس يحربه
ما كنتُ أشقى بآمالٍ أعالجها
وإن نأيتَ فقد أرخيتَ لي طَوْلًا
لو كنتُ أسطيع سلوانًا عَذَرْتُكُمْ
وكيف تمنعني وجهًا تلوح به
أنت المقادير كالعشواءِ خابطة
فأنت توحشني من غير ما سببِ
نام الخليون ممن قد رأوك وما
إفكٌ مقالِي إِنَّ الطيفَ يؤنسنِي
ما كنت أحسبُ أنَّ الحبَّ يبعدني
لو أنني عاكفٍ أحنو على وثنِ
لكنَّ قلبي مشدودٌ على الرسنِ
وكيف أسلو وأنت الروح في البدنِ؟
للناس طرًّا بلا منٍّ ولا ثمنِ؟
بالسعد والنحس من نُعمى ومن مَحَنِ
وأنت تؤنسهـم بالمنظر الحسنِ
نام الشجيُّ وقد باعدتَ يا سكني!

الصبر والجزع

يا لابسًا حلَّ الربيعِ مخيلًا
من لي بصبر عنك ليس بكائنٍ
صبر القتل عن الحياة وطيبها
من لي بصبر الدهر من أزل الدُّنى
من لي بصبر الغصن أجج عوده
صبر النيام عن الضياء وحسنه
صبر السماء عن الطيور تصوّبت
أواه أعوزني اصطبارًا لآتني
مثل الذبالة نورها بفنائها
ولئن أصابك في حياتك مثلما
لرثيت للصديان من حرق الجوى
إني لبُعدك كاليتيم تباعدت
ولكم جزعت لجفوة لك أفرطت
لعرفت ما جزعي لو أنك خابراً
جزع الثكالي غالٍ أوحدها الردى
جزع لباغي العدل روع جأشه
في خلعة الفردوس من لآلئه
صبرًا يداوي القلب من بُرحائه
وعن اقتسار الثأر من أعدائه
صبرًا على المقدور من عدوائه!
صبر النجوم على السرى وعنائيه!
وعن الرجاء ونجحه ورخائه
صبر العيون عن الغمائم ومائه
تقنيه نار الحسن في إعيائه
قمنّ وصبر المرء عقب شقائه
فزع الجريح إلى نقيع سقائه
ورحمت هيماناً لفرط بكائه
أنصاره فبكى على آبائه
جزع الجبان يفر من هيجائه
جزع المريض من الردى وقضائه
فودد ن طعن الموت في أحشائه
طاغ يخال العدل من إجرائه

لا بل جزعتُ وليس يعرف جازعُ
غلان في جيدي لحبك واحدُ
إن غبت عني ظلتُ ناشد حاجة
متلفتًا حولي كأني مُشعرُ
وأرى الفضاءَ بلحظةٍ هوجاء لا
فكأنما أبغي عوالمَ خلفه
لحظات عين لا تراك كطائش
إن لاح إنسان حسبتك طالعا
حتى أحبَّ الخلق إنك منهمُ
فإذا استبان علمت أني مبصرُ
إن غبت عني خلتُ أن عوالمًا
كالسيف إن صدئ الغرار وطالمًا
وأكاد أهتف في الندى بذكركم
لولا مغالبة اللسان وصونه
وأود لو تدنو إليّ بزلةٍ
بل ليت لي منك ائتلافٌ مسعدُ
إلف الأزاهر والمياه تصافيا
فأطرفة تمضي وأنت بشاهدٍ

جَزَعِي لُبُعْدٍ شَيْبِهَةٌ وَعِنَائِهِ
وَلِصَوْلَةِ الْمَقْدُورِ فِي غُلُوَائِهِ
مَجْهُولَةٌ لَمْ يَدْرِ وَجْهَ دَعَائِهِ
رُوحًا يُحَسُّ وَإِنْ نَأَى بِخَفَائِهِ
تَبْغِيهِ بَلْ تَبْغِي ضَمِيرَ هَوَائِهِ
سَتَرَتْ بِغَيْبِ غَطَائِهِ وَكَفَائِهِ
مَنْ نَبَلَ أَخْرَقَ حَادًا فِي إِجْرَائِهِ
أَوْ لَمْ تَكُنْهُ فَأَنْتَ مِنْ قُرْبَائِهِ
وَأَقِيلَ جَرْمَ الدَّهْرِ فِي عَدْوَائِهِ
مَنْ لَمْ أَسْرُ بُوْدَهُ وَلِقَائِهِ
خَسَفَتْ خَسُوفَ البَدْرِ فِي لَيْلَائِهِ
رَاقَ العَيُونََ بِطَبْعِهِ وَرَوَائِهِ
قَهْرًا أَدْلُ لَأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ
بَانَ اخْتِبَالُ اللَّبِّ مِنْ بُرْحَائِهِ
أَهْلًا بِجَرْمٍ نَلْتَقِي بَعْدَائِهِ!
إِلْفَ القَصِيدِ لَعُودِهِ وَغِنَائِهِ
وَجَرَى الرِّبِيعِ عَلَيْهِمَا بَجْلَائِهِ
خَلْدُ الجَحِيمِ بِنَحْسِهِ وَشَقَائِهِ

زورة المباعد

يا زائري أعبقتَ منك محاسناً
أخصبت تربة أنفسي ظمآنه
وأفضت شؤبوب المحاسن والنهي
يا زورة كالعيد إلا أنها
يا ليت أن الدهر أوقف سيره
لهفي عليك أعائد بك ما مضى
عجباً أما صابت لحاظك مهجتي
كتقاطر الرحمات عقب سوابق
طرف تآلق منك حتى خلته
لوددت أن أراه رعية عابدي
يا ليت أن النفس دُرّة غائص
النفس امرأة فقارب وجهها
كوذيلتين تحاذتا وتصافتا
أترى ظلال الموت تسحب ذيلها
سأسوم قلبي عنك سلوة صابر
قد يلهم القلب الشجي عزاءه
كالزهر يترك نفحة المرتاد
شامت سناك فكان خير عهد
طيباً على المهجات والأكباد
جلت عن الفرحات والأعياد
حتى تحين قيامة وتنادي
أم كلُّ عهدٍ فات غير مُعاد
صوباً يبيل به أوام الصادي
من نقمة والحادث المرعاد
قبس المجوس يضيء للعباد
يبغي الخلود له على الأباد
أهديك من نفسي أعز عتاد
يخلص ضمير النفس من أزداد
ما إن ترى غير الشكول بوادي
وتظلُّ رهن قطيعةٍ وبعادٍ؟
القلبُ أحجى منك بالإسعاد
هجر أطلت لسلوة ورشاد

هَآ رَحِمْتَ الْقَلْبَ رَحْمَةً مُبْصِرٍ
أَمْ لَسْتَ تَعْرِفُ أَنَّ حَسَنَكَ مَهْلَكٌ
أَمْ أَنْتَ مَتَّهِمٌ هَوَايَ فَلَمْ تَخَفْ
وَحَسِبْتَ أَنِّي عَابَثُ بِدَعَابَةٍ
أَجِدُ حَيَاتَكَ مَا اسْتَطَعْتَ جُودَهَا
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَ عِبْرَتِي وَصِبَابَتِي
وَصَدَعْتُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِدَعْوَةٍ
لَعَلَّمْتَ أَنَّكَ بِالسُّلُوبِ وَبِالْقَلْبِ
لَوْ قُلْتَ أَنْتَ قَتَلْتَنِي لَضَحَكْتَ إِذْ
وَلَرَبَّ بَاغٍ سَعَدَ خَلٌّ هَالِكٌ
فَاعْطِ الصَّبَا فَرَضَ الْمِرَاحِ وَلَا تَصِلْ
وَإِهْنَأُ بِأَتْرَابِ حَنُوتِ عَلَيْهِمْ
فَغَصُونِهِمْ كَغَصُونِكَ الْفِيحَاءِ مُوْ
لَوْ كُنْتُ لَمْ أَبْلُ الْحَيَاةَ وَصَرَفَهَا
أَمَّا وَقَبْرِي بِالْوَصِيدِ مُوْطَأً
سَفَهُةً بِمَثَلِي أَنْ يَلُومَ عَلَى الْجَفَا
لَوْ كُنْتُ تَجْهَلُ مَا أَعَانِي مِنْ جَوَى
لِرَجُوتِ مَنْكَ مُودَةً لَمْ أَلْقَهَا
لَكِنْ عَلِمْتُ فَلَمْ تَعُدْ لِي حِيلَةً

لَمَّا نَأَيْتَ بَرِيَّةَ وَالزَّادِ
بِزِّ الْمَهَالِكِ فِي رَدِّي وَعَوَادِي؟
مِنْهُ عَلَيَّ لَوَاعِجِي وَصَفَادِي؟
فَلَهَوْتُ بِالتَّقْرِيْبِ وَالتَّابَعَادِ
فَلَنْ قَدَرْتَ فُلُوعَتِي وَوَدَادِي
لَمَّا بَرِمْتَ بِصَدِّكَ التَّمْتَادِي
كَادَتْ تَهْدُ شَوَاهِقَ الْأَطْوَادِ
أَحْجَى وَلَكِنْ لَا يُطِيعُ فَوَادِي
كَارًا وَإِنْ أَهْلَكْتَ بِالتَّابَعَادِ
مِنْهُ بِخَلْقٍ غَيْرِ مَا إِسْعَادِ
حَذْرًا عَلَيَّ مِنَ الشَّقَاءِ الْعَادِي
وَتَرَكْتَنِي خُلُوعًا مِنَ الْأُودَادِ
رِقَّةً وَغَصْنِي عَادَ شَوْكُ قَتَادِ
لَقَصَدْتُهُمْ بِالْغَلِّ وَالْأَحْقَادِ
أُلْفِي لَدَيْهِ رَاحَتِي وَوَسَادِي
إِلْفَ الْهُوَى بِقَوَامِهِ الْمُنَادِ
إِنْ غَبْتَ عَنِي آخِذًا بِفَوَادِي
وَصَبِرْتَ لِلْبَلْوَى كَصَبْرِ إِبَادِ
لَوْلَا سِرَابِ رَجَائِي الْمِيَادِ

أدنوتَ كي تتأى ولنتَ مخادعًا
رُحماك يا غَضَّ المحاسنِ لم تكن
ماذا اجترمتُ فكدتني بخديعة
إنَّ المروءةَ والشهامةَ غير ما
قد كنتُ أحسبُ كلَّ حُسْنِ فطنة
فمُنيتُ منك بغير ما أملتُهُ
يا ليت أنك صخرة مهجورة
أدعوك بالآلام وهي مضيضة
أدعوك بالعبرات إن رقرقتها
وبكل ما عانيت من حُرْق الجوى
أدعوك بالزفرات إن صعَّدتها
وبوقع خفقة قلبك القاسي إذا
وبما أملت من الشقاوة والأذى
وبما يتاح من المهود إلى الردى
أدعوك كي تدري حنينَ جوانحي
وبكلِّ ما عالجت من صرف النوى
كيما ترقَّ للوعتي ولواعجي
يا قلبُ بعض الحبِّ ليس بفطنة
لو أنَّ شجوة القلب يبعث مثله

لأسامَ خفضًا بعد عزِّ قيادي
عندي بأهلٍ خديعةٍ وعنادٍ
تبغي عذابَ فؤادي المنقادِ
يأتي المصادق من أذى الأودادِ
تودي بقسوة وحشة الأضدادِ
أسفًا لقلبٍ منك غير جوادِ
ليست تغرُّ بفطنةٍ وفؤادِ
مما خبرتَ لفرقة الأندادِ
من مقلَّة حرَّى بغير رقادِ
وبروعة الأحلام والتسهادِ
من غدرٍ أحبابٍ وغلِّ أعادي
حذر الردى ومراكب الأعدادِ
والخوف يقدر في الحشا بزنادِ
من لوعة الإصدارِ والبيرادِ
بحنينٍ قلبٍ منك غير جمادِ
والمرءُ رهنٌ روائحٍ وغوادي
وتزِيل دولة صدِّك المتماذي
فاجنب هواك لفطنةٍ وسدادِ
في صنوه لبلغت كلَّ مرادِ

أيقنت أنك مولعٌ بمبادئِ
فاقرن يقينك بالعزاءِ ولا تقفُ
وارجع إلى يأسِ سكنت لجنجهِ
هانت عليه حرارة الأكبَادِ
بالشكِّ موقفَ حيرةٍ وتمادي
زمنًا، فكان أبرَّ بالأندادِ!

يا ضوء

تضيء ما يستر الظلام من الـ
وأُمك النارُ وهي صائِلَةٌ
كسوتَ وجهي وخاطري حُللاً
لولاك لم يرَحَمَ الذي حَمَدَ الـ
تلوح للهاك السقيم فيعـ
تلوح للجارم الحبيس كما
تغذوه أمُّ في عينها أبداً
وهو وليد قد أولعت يدهُ
وكلنا ذلك الوليد إذا
وأنت في المعبد المشيد كضوءٍ
أو مثل ضوءِ الضمير محتبسٍ
تبعذك الطيرُ في الصباح بما
تهبط فوق الغدير في مرحٍ
أم أنت روح الحبور قد برزتُ
كأنَّ في الأرض قلبَ وَالِهَةٍ
سنابلُ النباتِ أنت صغْتَ لها
قُبْحٌ وتكسوه حُلَّةُ البَدْرِ
للخيرِ والشرِّ صولةُ الغيرِ
وكنت للعين علةَ النظرِ
حُسْنُ أخاه ذا الآفة الكديرِ
تَدُّكُ خير اللذاتِ والذخْرِ
يلوح ماضي النعيم في الصُورِ
سحرُ حنانِ يضيء في البصرِ
بخطفة الضوء حلية الحجرِ
لاح سراب الرجاءِ والوطرِ!
ءِ الله في صالح من الخبرِ
في النفس أو كالصفاءِ في السيرِ
تتلوه من آيةٍ ومن سورِ
مثل هبوط الطيور في الشجرِ
تنير وجه الحياة في حَفْرِ
تسبي عشيقاً بحلة الزهرِ
من عسجدِ حِلَّةٍ من الحَبْرِ

ترقصُ رقصَ الحسناءِ إنّ لها
يا علماً للحياة ينشره الـ
ورُبَّ فجرٍ بثقتُهُ بهجٍ
أو مثل فجر الآمالِ إنّ لها
فطرزَ السُّحبِ مثلما حُسن الـ
كأنما أنت سلمٌ لعلّا
أو أنت حُسن الجنان نُبصرُهُ
ترمد طرفَ الحزينِ إنّ أخاك
تُليح بالسعد والمُنَى أبداً
وأنت كاليمِّ، دُرُّهُ الفلكُ الـ
ويا بشيراً بما نخال من الـ
حكيت زخر الآمالِ تبعثها
تخال من رقة المراسم معـ
أشهى ضياءٍ يكسو الحبيبِ خمّا
تستبق الطير في أشعتك الـ
وَضَاءُ الماسِ منك قد قُبِسَتْ
والضوء في المنزل الخراب كَقَلِّ
خواطر الخير كالملائك أو
كلُّ جليلٍ مشبّه بك في الـ

رقصًا كرقصِ الضياء في النَّهرِ
كون فيقصي القلوب عن خورِ
كفجر حُبِّ في القلب من فجرِ
فَجْرًا ولبيلًا يضاء بالذِّكْرِ
نَحْس بضوء الرجاءِ في الكَدْرِ
ء النفسِ تَسْمُو لآية العُمْرِ
منبعثًا خارجًا من الثُّغْرِ
الليل برّ بالخاطر الكدرِ
لذي طموح بالترب منعفرِ
دَوَّارٌ أو فاقع من الزهرِ
آلاءِ في مقبل من الغيرِ
للوهم يزهو كالنَّيِّر في الذخرِ
ننى لا يراه البصير بالبصرِ
رًا نعم ذلك الكساء في الخُمْرِ
غراء فعل الحسان في الغُدْرِ
وأنت في الروض خمرة الزهرِ
بِ الندب يشقى بالجسم في الكبرِ
كالضوء يزهو في قمة الشجرِ
مدح، وليس التُّراب كالدرِّ

فالحقَّ والحسن والمطامع أشدَّ
أضئُّ إنِ اسطعت ما يخال من الـ
كم ذا رأيت الأنامَ في عنت الـ
فلم تُقَطِّبْ على الشقاء ولم
كالشيخ شام الخطوب قاطبةً
خبِرْ وما ينفع الورى أبداً
أثغرة ذا الحمام نبصر منـ

بَاهِك في قول ناعت الغُرِ
غِيُوب والطارقات والقدرِ
عَيش نشاوى من غير ما سُكِرِ
تَبْدُ كوجهٍ لليل معتكِرِ
يذخر غفراً لزلَّة البشرِ
طُلَّابَ ذاك الطليب في الخبرِ
ها الضوء، أم حفرة من الحفرِ؟

الصديق المنشود

إليك يا من قضيتُ العمر أنشده
هُمُّ مثالُ سرابٍ لاحٍ عن عرضٍ
وأبي شيءٍ إذا جدَّ الطلابُ به
أو كالأجاجِ إذا أظمى بجرعته
يأسي من الخلقِ يحدو بي إلى أملٍ
عرفت أني لن أهنأ بلقبيته
يا بؤسَ نفسي لا صبرٌ ولا صلةٌ
يا لائمي أنني لم أُلْفَ ذا مقّةٍ
أحمدُ زمانك في جدِّ حَبَاكِ به
ما إن أبيت حباءَ الدهر لو صدقتُ
يا مغرباً لي بخلقٍ لا أشاكله
وكيف أنقم إفاكاً منهم، ولكم
أقول علّ بعيداً لست أعرّفه
لم يُغنِ قلبي فيكم ما يعالجه
لو كان للعيشِ عودٌ كان لي أملٌ
لكنّه مرّةً في الدهر واحدةً

في الناسِ، لو أنّ فيهم من يصافيني
وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظميني
لم أُلْفَ ألاً من الأهواءِ يرديني
وطالما خلت كأساً منه ترويني
في ذي جفاءٍ إذا دانيتَ يقصيني
فلم أُصِبْ بُرءَ أحلامِ تتاجيني
ولا عزاءٍ يؤاسيني ويأسوني
أفضي إليه بأمر منه يشجونني
لقد حبانني بجدٍ منه مدجون
ألأوه، وحباني بالميامين
أبغيك في كل نابي الطبع مآفون
كذبتني بحديثٍ منك يغريني؟
يوماً يجيءُ بخلقٍ لا ينافيني
هل تعلمون بديلاً منه يغنيني؟
في أن أصيبك في عيشٍ يصافيني
ثم العفاء على آمالٍ محزون!

الملك النائر

مقدمة

هذه الأقصوصة تحتوي نزعيتين: النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس؛ لأن رَفْضَ الألم رَفْضٌ للسعادة؛ إذ الإحساس الذي يُحَسُّ السعادة لا بد أن يُحَسَّ الألم. ورفض الشر في الحياة رَفْضٌ للخير؛ إذ الخير في محاربة الشر؛ ولأن الرحمة نفسها التي تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر. والقصة هي قصة مَلَكٍ عصى ربه وهبط إلى الأرض، كي يدعو الناس إلى محو الشر فأذوه وألقوا به كل شر؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم. والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله.

نُبِّئْتُ أَنْ مَلَكَ نَارٍ مِنْ حَزَنِ يسأئل الله في خلق الرزيئاتِ

قول الملك النائر يناجي الله

تَكَلَّمْتُ الشَّرَّ فابعت منك هاتفة من الجوامع تُرضي في المناجاةِ
الأرض مبنره وهو الخطيب بها يدعو النفسو إلى هُوجِ المطيَّاتِ
فارحَمَ مسامع لم تَسْمَعْ نَجِيكَ أَوْ نفساً لضوئك ترنو في الخصاصاتِ
وارحم عيوننا إلى مرآك ظامئة آبت من النحس في شكِّ كليلاتِ
إذِنْ أَعْرَها لحاظاً منك صادقة تدحو لها العيش محمود الصحيفاتِ

وابعث لنا حكمة مما خُصّصت به
ندري الوجودَ كما تدري الوجود بها
فما الخلود ولا الفردوس من أربي
حتى أرى الناس لا دمع ولا حزنٌ
سأبلغ الأرض آسى مثلما حزنوا
إنّ الجهاد على النقص الذي طبعوا
فالسيف أفضل مشهورًا وإن صدتْ
فحكمة لك تُطفي حرَّ غلاتِ
ونرتضيه بأرواحِ أبياتِ
ولا كمالٌ لمعصوم السجياتِ
ولا شقاءً بإجرامٍ وغمّاتِ
وأبرئ الناس من جرح البلياتِ
عليه أفضل من عصم السجياتِ
بالصون ما درنت منه بإصّلاتِ

صوت من السماء

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلقِ
وارغب بهم عن شرورِ أنت ناقمها
أوردُهُم الخُلُق الأعلى لعلّ لهم
فإن فشلت فلا عرؤٌ فإن لنا
كما تشاء على تقوى وإخباتِ
وداؤٍ ما اسطعتَ كلّم المصمئّاتِ
إلى الدنيّات طبعًا غير منصاتِ
في الخلق حكمة مخبوء العلاماتِ

مسعى الملك النائر واضطهاد الناس إياه وفشله

سعى إلى الناس ساعٍ نحو خيرهم
فيا لسعدهم لو أنهم جنّبوا
عزيز عاداتهم للشرِّ رائدهم
تبغي المحال فتبغي الخير أجمعه
كشفت عيب نفوس أنت ناصحها
ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم
وحملوا خلقه من سوء خلقهم
ومزقوه بأظفارٍ كما خُضبتُ
وعلقوه على جزعٍ وقيل له
ما راعه أن رأى الأشرار ترجمه
حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه
بكي لبغض نوي خيرٍ وما مُنيتُ
من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ
تلك النفوس التي عافَ السماء لها
يُكفِّرُ الناس بالآلام قاطبةً
وعن رضاءٍ بعيش جلهُ نَقَمُ
هم يعذرون بمدح الخير شرَّهم
لسان برٍّ بئلب الشر منطلق
ما أنكر الناس شرًّا غير ضائرهم

يدرُّ للخير أرواحًا بكياتٍ
ما يجنب السعدَ من حرص المباراة
كم قدسوا العادَ تقديس الديانات
هيهات لو عزّيت نفسُ بهيهاتٍ
فاحمل عن الخلق آلام الشقاواتِ
إليه كل عريق في الجهالاتِ
وكم رموه بأدناس الرماياتِ
فواتك الوحش من دامي الفريساتِ
اصعد كما رمت في مرقى السجياتِ
وإن توجّع من وقع النكياتِ
غرارةً وانصياعًا للسعياتِ
نفس بأوجع منه في العداواتِ
يدجو عليه بتقطيب السخيماتِ
وثار يُغضب جبارَ السماواتِ
عن الخطايا وعن شر الدنّياتِ
وعن ولوع بنعماء ولذاتِ
تكفير من لم يُطق هجر الخطيئاتِ
مثل الأفاعي وما قلب بعزهاة
أينكرون شهياتِ الغريزاتِ؟

صوت من الجحيم: إبليس يتكلم

ناداه في النار إبليسُ فقال له
قد شاء ربك إن الشرَّ عدته
أنا الشقيُّ بما لم أجنه أبدًا
هوّن عليك ولا تُولع باغْنااتِ
في صيغَة الخير في قَدْرٍ وميقاتِ
من خلق نفسي ومن آثام زلّاتي

قول الثائر الساخط

فقال ذو شقوةٍ بالجزع منتصب
أنزل عليّ شقاء الخلقِ قاطبة
إن يظلموني فمن بالشرّ يجبلهم
هل يعذرُ الشرُّ أنّ الخير غايته
يكلّمُ الله في نجوى السريراتِ
وطهّر الناس من ضير الجريراتِ
أو يصلبوني فمن باري الجناياتِ؟
أم هل تهوّن آثامَ بغاياتِ؟

مصير الثائر

فخُفّت روحه كالطير سابحة
طارت إلى المأ الأعلى فما لقيت
لا في الجحيم ولا الفردوس مسكنها
ترى الملائك حول العرش أسيةً
في الجو تنشد مخضراً النباتاتِ
لها قراراً ولم تظفر بمهواة
حيرى المسالك من فقد القراراتِ
تأسى الملائك من إثم وزلاتِ

صوت من السماء

يا ناغم الشر هلأ كنت مُضطلعًا
عصيت ربك في كبر وفي جهل
الخلق للخلق ربح لو فطنت له
والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه
ومُرتضي الخير لو يسعى إلى دنسٍ
ومرتضي الزهد مسعود بعفته
برحمةٍ قد نماها الشر تنقمه
إن كان سخطك خيرًا في مراحمه
فالشر للخير مردود وإن أُسيبَتْ
وباحت سرّ عيش غير مُدركه
بالجزع والصلب قبل الكارث الآتي
لمأ برمت بإيلام الملماتِ
كمغنم الحيّ من أسلاب أمواتِ
فأرفض إذا اسطعتَ نعمائي ولذاتي
ولذة النفس في بذل المروءاتِ
لَبَاءَ منه بإخلافِ العلالاتِ
ولذة المنع إنماء الخيالاتِ
ورحمة المرء من وخز المصيباتِ
أجزت خلقى بأرواح رحيماتِ
منه النفوس بأناتِ وآهاتِ
كالطفل ينشد أفلاك السماواتِ

الموت

أيا معبدًا قُرْبَاننا فيه عَيْشُنَا
ويا منصفَ المظلومِ من كلِّ ظالمٍ
ويا مبرئًا كَلِمَ الحِياةِ بِطَبِّه
ويا سترُ لم يصدعك هَمٌّ ولوعة
فيا موت يا أمَّا أطالت تصاممًا
ألا أَرْضِيعني منك يا أمُّ درة
فيا موت أَقْبِلْ بِاسِطِ الوِجْهِ طَلِقْهُ
تُقَارِبْ مَنْ أَمسى لَطِيفك قَالِيًا
أتجمع بين الصَّحْبِ أم أنت فرقة
وكلُّ لَهيفٍ يبتغي فيك نجوة
فما التَّاحِ من أَلْفَى من الموتِ مورِدًا
أَتَسْمَعُ صوتَ الرِّعدِ كي أَسْتَعِيرُهُ
أَحْبُكُ حَبَّ الصَّبِّ وَجْهَ عَشيقِهِ
وكم طربت أذني لِلْحَنِّ أَجْدَتَهُ
وأنت شبيهُ اللهِ في خَيْرِ نَعْتِهِ
لأعزرت من قد كان في الناس صاغرًا
نضحي به لذاتنا والأمانيا
ويا مهربَ الملهوفِ يخشى الأعدايا
جلالك أنْ قد راق ما كنت شافيا
ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا
أما لك قلب يرأم الولد حانيا؟
لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا
فإن حميم الصَّحْبِ ما كنت لاقيا
وتُبْعِدْ مَنْ يَرجوك في النحس راضيا
تقول لها الأباد أن لا تلاقيا؟
وكل لديغٍ يبتغي منك راقيا
ولا اعتلَّ من لاقى من الموت شافيا
لأوقظ طرفًا منك وسان ساجيا
لينقع ثغرا منك صديان ظاميا
أعد منك لحنًا يترك السمعَ واعيا
فإنك رحمن وإن كنت قاسيا
وأرخصت من قد كان في العيش عاتيا

وليس بعزِّ المرء مثل افتقاده
جوارك مأمونٌ وملكك رحمة
لخلفت قلبَ الخوفِ يخشى جِمامه
وأين دموعُ النحسِ من عهدِ آدمٍ
وكم حرس الموتِ الودائع بعد ما
إذا لم يكن للميت شجورٌ وحسرة
فأين وعيد منك يا موت نتقي
وللخفض أيامٌ وللنحس مثلها
توالت فصولُ الحولِ عن قدرِ موعدِ
وليست حياةُ المرءِ إلا كنفحةٍ
وما بي خوف الموت بل حرُّ حسرةٍ
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا
نسرُّ على قبر العصورِ التي خَلَّتْ
هو الحيُّ عبد الموت يسعى لطعمه
وما العيشُ إلا طائرًا في دُجْنَةٍ
كفى شرفًا بالموت أن كان عائش
حمدنا مهودَ النوم أن شابه الرَدَى
فكيف نعافُ النومَ لا نوم مثله؟
وما العيشُ إلا عادةٌ غالَ قيدها
وإن كان معشوقًا لدى النفس غاليًا
لمن كان قد أعيا الطبيب المداويًا
فجارك لا يخشى من الخوف ساريًا
محاها من الأحيان ما كان ماحيًا
أحالت صروفُ العيشِ إلْفًا معاديًا
ولم يك للفقْد الذي ناب واعيًا
ونزوي إذا ما لحت منه النواصيًا؟
ودهرك مثل الخلد أروع ناميًا
فهل منذر ينبي عن الموت آتيا؟
سلِ الموت عنها والسنين السوافيا
لفقد حياة فيه لم أدر ما هيا
أليست فضول العيش خلقًا دواليًا؟
كما يضحك المجنونُ أخطا الملاهيا
فيغذى دماه والمُنَى والمساعيا
توهَّمه برقًا على الأفق نائيا
يصولُ لنيل الرزقِ باللؤمِ شاكيًا
وإن لم يرع بالحلم من كان كاريًا
سل القبرَ عنه والعظامَ البواليًا
وأي امرئٍ يُلْفِي لدى العادِ عاصيا؟

لما أوجَرَ الحقدُ الكمينُ الأعاديَا
كأنْ لم يكونا مستكينًا وجانيَا
سلِّ الموت أن يحبوك ما كان حابيَا
كما في أساه، يرتجي منه آتِيَا؟
خلاءً، فيرجو لو رأى الموتَ باديَا
فيكره من سوءِ العقيبِ اللياليَا
يخالن أن لم يُبقَ في العيشِ باقيَا
تطيرُ بروحٍ منهما كان هافيَا
تتادوا لحينٍ واستجابوا المناديَا؟
ذوو اللب شتى يدلفون تواليَا
من الموت لو ألقى على الموتِ عاديَا
وما الخيرِ واللذاتِ إلا عواريَا
إذا لم يكن في النحسِ جذلان لاهيَا
فإنِ عناءَ سورِ كأسِ رجائيَا
فأفنى ولم يعنف عليَّ شتائيَا
وَألفُ على موتٍ يريح جنانيَا
وربَّ وليدٍ خافَ ما كان خافيَا
إذا ضاءَ سرُّ العيشِ فاعدهه داجيَا
وكم ضحكة في ثغر من كان خاشيَا

ولو فهم الحيُّ الحمامَ وطهره
غداً يستوي الجاني ومن ذاق شره
حبُّكَ صروفُ الدهرِ بالحسن والهوى
ألم ترَ أنَّ المرءَ في عظم سعده
سواحر لذاتٍ يرى العيشَ بعدها
يخاف عليها من عقيبٍ يمرُّها
كما انتلف البالفان في صفو طرفةٍ
فودًا لو أن الموتَ نسمةً عاطر
وهل يَعْدِلُ الأحياءُ خيرَ الألي مضوا
فأهونُ بهذا العيشِ قد جاز داره
سل الملكَ الجبارَ ينقع غلَّهُ
وما العيشِ إلا مِيتة بعد مِيتة
وما العيشِ إلا الظئرُ تؤذي وليدها
فأهونُ بأحلام الحياة وطبيها
فيا ليتني كالزهرِ صيفُ حياته
على العيشِ واللذاتِ مني تحيةً
أرى ظلمةً في العيشِ أخشى غيوبها
أنخشى ظلامَ الموتِ والعيشِ مثله؟
وما يضحك المسرورُ إلا لخوفه

تَقَطَّعَ أوتار المودَّات والهوى
أيعجب ذاك الميت من حزن واله
تدرِّعَ بالصمت الذي ليس مثله
وصمت على الأموات يُدْنِي كأنما
سواءً مقال اللَّفِّ أو جَرَسِ سبِّةٍ
فَمَنْ مبلغ الأموات عني تحيةً
فما أعوزتهم رحمةً في قبورهم
لعادوا وفي الأوراح منهم بقية
وقد أصبحوا رزقَ الحياةِ وطعمها
سواءً لديهم صبْحُنا ومساؤنا
وسَيَّانٍ لمُحِّ الطرفِ مرًّا وحقبة
خَلِيلِيَّ خُطَّأَ لي من الأرض حفرةً
ولا تُسْمِعَانِي الطير تشدو بنعمة
ولا تمهدا للغيد فوقِي موطنًا
عزائي أَنْ الزهرَ تسقيه حفرتي
حبيبي، أرخْ منك الجنانَ فإنني
وهيهاتَ لا يسلو عن العيش جارِعٌ
وحتى يموت الحبُّ والذِّكرُ والمُنَى

تَقَطَّعَ خيط العودِ أشجى الأواليا
أم الميت لم يسمع من الناس داعيًا
مقال، أليس اللبُّ للصمت واعيًا؟
يسقِّي الندى زهرًا على الترب ناديا
فقد أمنوا منه الأذى والمخازيا
سلامٌ عليهم، بل عليَّ سلاميا!
كما أعوزتني رحمة في حياتيا
وفي الماءِ مورودًا وفي الزهر زاهيا
أيدعى قوام الحيِّ ميئًا وفانيا؟
وسَيَّانٍ ما يُسَمِّي الأذى والأمانيا
ويبطي لنا النحس السنين البواقيا
أريح بها قلبًا عن الناس ساليًا
فأسى على العيش الذي كنتُ قاليًا
فأحنو لحسنٍ لم أزلُ منه صاديًا!
دمي ويروح الحسن بالزهر حاليًا
تبدَّلْتُ منك الموت حبًّا مؤاخيا
من العيش حتى يصبح العيش ماضيًا
وتتلو نواعي الشائقات المناعيا

حريصٌ على دنياه يخشى المرآيا
دراكاً كما يطوي النهار الليالي

وحتى يموت الموتُ لولاه ما بكى
فيا ليت أنّ العيشَ يخلف ميتة

ذعر المحب

تعزّل قلبي كلّ شجوّ وفرحة
وما كنت أدري أنّ للحبّ عودةً
أخاف عليك الضرّ حتى كأنني
كتمتّ الهوى في القلب حتى أذاعه
فوا حسرتا ما لي وللحبّ بعد ما
أحيّيك في رعدِ السلامة لم يخف
ولم أدري ما ذعر المحب ولم أبت
ويسعدني من شدّة النحس أنها
أعالج آلام الدهور التي خلّت
فليتك تدري ما لقيت ولو درى
ويا عجباً لو كنت تجهل أنني
ويا عجباً لو كنت تجهل أنني
أما خبرت عيناى عينيك أنني
فقد خبرت عيناك عينيّ أنما
شهيدي ليل سامرتني نجومه
وكم بتُّ أبكي أسأل الله راحةً
فقرّ كما قرّرت رفات المقابر
إلى القلب حتى خفتُ صرف المقادر
أخاف على قلبي وسمعي وناظري
وجيبّ وإشفاق لأنباء ذاعر
وهى منه قلبي بين جانٍ ونافر!
عليك شفيق من صروف الدوائر
أبعد عن قلبي مخوف الخواطر
نذيرٌ بإقبال الحمام المغامر
كأنى مناكيد الدهور الغواير
جنانك ما ألقاه ما كنت هاجري
لأجلك أقضي الليل رطب المحاجر
أبيتُ وقلبي في مخالبا كاسر
أحبك حبّ النحس خصب المصادر
تراعت لتشفي عاشقاً جد عاثر
كم التحت من برح الهيام المخامر
من الموت لو ألقى لدى الموت ناصري

أَبْنُ لِي أَلْفَاظًا مِنَ النَّارِ عَلَّهَا
وَكُلُّ بَيَانٍ عَاجِزُ اللَّفْظِ كَاذِبٌ
وَلَيْتَكَ رُوحٌ طَيِّ رُوحِي خَابِرٌ
وَمَا إِنْ كَتَمْتَ الْحَبَّ إِلَّا مَخَافَةً
فِيَا وَيْحَ قَلْبِي لَا صَدِيقٌ مُصَادِقٌ
أَمِنْ أَرَبٍ أَحْيَا لِأَسَى كَأَنِّي
فِيَا نَائِبًا أَغْدِقُ عَلَى الْقَلْبِ رَحْمَةً
وَعَطْفُكَ عِنْدِي نَهْزَةٌ لَيْسَ بَعْدَهَا
فِيَا دَهْرٌ كَفَّرَ عَنِ هُمُومِي كُلِّهَا
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَهْزَةٌ لَوْ يِنَالَهَا
فِيَا لَيْلَائِي لَا عِزَاءَ أَصِيبُهُ
وَإِنْ كُنْتُ أَدْرِي أَنْ عَيْشِي خَدَعَةٌ
أَرَى الزَّهْرَ غَضًّا يَانَعًا طَلَّهُ النَّدَى
فَأَحْسِبُهُ دَمْعًا لَذَكَرِي غَرَامَنَا
أَتَذَكُرُ وَعَدًّا بِاللِّقَاءِ بَدَلْتُهُ
وَلَيْلًا طَرَقَنَاهُ سَمِيرَيْنِ فِي الدُّجَى
طَرَقْتِكَ يَا لَيْلَ اللَّقَاءِ فَرُقْتَنِي
فَهَلْ مِنْ مَعِيدٍ لِي لِقَاءً مَضَى لَنَا
وَلَا تَتْرَكْنِي ذَاكِرًا عَهْدَ مَا مَضَى

تُؤَدِّيكَ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي وَنَاطِرِي
فَلَيْتَكَ تُلْقِي خَاطِرًا طَيِّ خَاطِرِي
وَلَيْتَكَ رَبُّ عَالَمٍ بِالسَّرَائِرِ
لَفَقَدَكَ مِنْ مَسْعَاةٍ لَاحٍ وَغَادِرِ
وَلَا حُبُّ إِلَّا عَادَ عَوْنُ الْمَقَادِرِ
غِذَاءٌ لَأَفْوَاهِ الشُّجُونِ الْجَوَائِرِ
بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ مِنْ صُنْعِ سَاحِرِ
إِلَى أَبَدِ الْآبَادِ إِسْعَادِ خَاسِرِ
بِمَرَأَى حَنَانِ الْحَسَنِ مِنْ طَرَفِ هَاجِرِي
أَخُو الْمَوْتِ مِنْ خَلْدِ اللَّهَى وَالذَّخَائِرِ
عَنِ الْحَبِّ وَالخَلِّ الْحَبِيبِ الْمَوَازِرِ
وَحُلْمِ تَقْضَى أَوْ أَكَاذِيبِ سَامِرِ
مَلِيًّا بِأَنْ يَشْجُو ظَمَاءَ النَّوَاطِرِ
وَأَنْفَاسِ أَيَّامِ اللَّقَاءِ الْغَوَابِرِ
بِمَجْتَمَعِ الْأَطْيَارِ بَيْنَ الْأَزَاهِرِ
كَمَا جَالَ سِرُّ الْوَحْيِ بَيْنَ السَّرَائِرِ
بِلذَاتِ حَبِّ كَالنَّجُومِ الزَّوَاهِرِ
وَعَهْدًا تَقْضَى بَيْنَ الْإِفِّ وَنَاصِرِ؟
كِعَادٍ يَرْجِي الذَّخَرَ بَيْنَ الْمَقَابِرِ

طيرة الفرخ

جناحك واهنٌ فالإلم تبغي
أقم في وكر غصنك مستريحًا
ألا طِرْ حيث شئت فغير بدع
لطيرة من يؤمُّ الشمس أجدى
لقد جعل الطموح لكل ندب
وقد يبكي الجبان على جريء
أرى الإلم حملها خفيفٌ
أنفرك من ديون هُنَّ حتم
ووقعُ النحاس في الأجسام وخز
فسل قلب الشهيد عن البلياء
وما من مهجة هانت وذلت
بذاك الوهن مطَّلب النسور
من الأحداث والقدر المغير
إذا غالتك عادية الصقور
على الزلات والجذِّ العثور
كما جعل القوادم للطيور
كما يبكي الجزوع على الصبور
على الضعفاء والبطل القدير
على النَّفساء والطفل الصغير
كوخز اللذِّ من وقع السرور
يخبِّرك الشهيد عن الحبور
بغير مخافة الألم الذعور

حب العزوف

ليس الوجودُ وأنت بعضُ كيانه
والندبُ يحمل بين جنبيه الدنى
إنَّ الذي دَرَسَ الزمانَ وفعله
ويشيم أسرارَ الحياة بحكمةٍ
هبُ حسنك الأقدارَ تطرق بالأسى
أومًا نما الأمر الصغير فأصبحتُ
هبةً الخطوب حقيرها وجليلها
عبثٌ ومن عبثٌ مقالي إنه
عبثٌ عدا الحاسدين ومثله
عبثٌ نعيمي والشقاء ولو عةً
عبثٌ جمالك في الصدود وفي الرضى
أوبعدُ ذا حال أخاف صيالها
لن تعرف الغيدَ الحسان إذا قضتُ
ومن العجائب أن جهلت وطالما
كم مدّعٍ خبلاً لتحسب أنه
يلقاك بالدمع الغزير ولم يكن

أسراً لقلبِ العاشقِ الغطريفِ
روع الغريب وراحة المألوفِ
لأجلُ من حَدَثَ الزمانَ المُوفِي
تعدي على المجهول والمعروفِ
ما إن يعاب أخو الأسى بصروفِ
تتلى قروفُ قراعه بقروفِ
عبثٌ صيال جمالك الموصوفِ
عبثٌ ملامة ذي قلى وصدوفِ
نعتي لخلّة جارمٍ وعزوفِ
تفضي إليّ بعلّةٍ وحتوفِ
عبثٌ هيام فؤادي المقروفِ
ولقد برمتُ برائقٍ ومخوفِ
أنَّ الهيامَ أشده لعفيفِ
ذخر العزوف هيامه لحصيفِ
خبِلُ الهوى واعجُ الملهوفِ
دمعي بخدعة ماذقٍ مطروفِ

إني أجلك عن سوافحِ عبرةٍ
يخشى على الباكين وقع جماله
ولأنت أعظم في الفؤاد محلةً
يا ربَّ مضطغن يحبك إنَّ لي
الآن لما خلتُ صفوك بالغي
كيما أبيت علي جفائك حيث لا
كيما يقال حبوته بمودةٍ
أسفًا له لم يلقَ حيلةً سابق
حتام أبلو كلَّ يومِ خلَّةً
أوكلما قلت الحضيض بلغته
حسبي اغترارك بالمناقب ملهمًا

عبئت لمغرور الحصة سخيـف
فبيبت نهزة خادعٍ ومروفٍ
من أن تُغرَّ بدمعٍ مرصوفٍ
شوقًا إليك ألحَّ غيرَ طفيفٍ
يسعى إليك بدمع المشغوفِ
يخشى الحسودُ على الصفاءِ وقوفي
وتركنتي للعذلِ والتعنيفِ
بالمجد يسبقني بغير طريفٍ
للناس تغري عنهم بوجيفٍ
من ذي النفوس عدوته لألوفِ
صبرًا فتتلج حرقه الملهوفِ

العدل والكسب

إذ كان رزق المرء كيدًا يكيدُه
فما ينتحي حيُّ سوى نفع نفسه
يزود قلوب الناس عن كل سابق
أبيتُ على الأسقام نضوًا محسدًا
وهل ذاق لؤم الناسِ إلا أخو ضنَى
أناسيهمُ أحقادهم غير جاهل
وما الناسِ إلا ظاهرًا غير باطن
يخالون خيرَ الناسِ من رام نفعهم
وإنَّ أخسَّ الناسِ من عافَ شرَّهم
تجاربُ قد زهدنني في إخائهمُ
وخلفني في العيش لا عيش رائقِي
فطوبى لمظلومٍ رأى العدلَ معوزًا
هل العدلُ إلا خوف سرِّ تعافه

فأبيُّ يقينٍ في النفوسِ الكواذبِ؟
وإن خاضَ منه في خبيثِ المكاسبِ
كما زيد طيرٌ في الرياضِ بحاصبِ
وأحسبُ أنني ناعمٌ بالمآربِ
تكنفه الأعداءُ من كل جانبِ؟
وأسألهمُ من صفوهم غير عاتبِ
حماة الأفاعي في جلود الأرانبِ
وإن كان ذا نقص خسيس المعائبِ
وإن كان ذا فضلٍ نبيل المواهبِ
وروعن لبيِّ بالأمور العجائبِ
وإن قيل إنَّ الحزم حمد التجاربِ
قضى أن فوق العدلِ صبر المحاربِ
حذار العوادي من مهيب العواقبِ؟

سفر اللوم

حاولت مني بغضة
إن الحياة أعم شرًّا
فكأنها باب الجحيم
الناسُ سفرى كيف أقـ
تُبدي وتتكربغضةً
لو باخ حرُّ البغض لانبـ
فكأنما نارُ الحيا
فلئن بلغت به الحضيـ
فافخرُ بأنك ألام الـ
فضلُ خصصت به وكلُّ
نفسٌ بقيء المرء إن
فكأنما زخرفت إذ
بيرُ العقارب والأسا
والمرءُ يغفر للظلو
فلئن أهان خليله
لما نظرت إليّ شرًّا
من لحاظٍ منك تترى
م تبين منه ما استسرًّا
لى نعته لومًا وشرًّا
ولشد ما أنكرت نكرًا
طفأت حياةً منك حررى
ة تشبُّ من غلٍ وتورى
ض فميزة لك ما استقرًّا
تقلين حسبك ذاك فخرًا!
خصيصةً عتد ذخرا
جليت فضع للنفس سترًا
ألبيت نفسك منه قبرًا
ود بئست الأرواح بئرا
م إذا تبغى منه خيرًا
لم يُلَف للمظلوم عُفرا

إِكرامُهُ المَظلوومِ إِقْبـ
جِرمٌ يَحاولُ سِترَهُ
ـرازٌ بِجِرمٍ مِنْهُ أُسرى
جَعَلَ الشِكاةَ لَدِيهِ عِذراً!

ويل للشجي من الخلي

هل للجوى وقع بقلبك رائق
أم كنت معروفًا بإفكي في الورى
أم أنت تكذب في الحديث وفي الهوى
فحسبت أن الخلق مثلك خادع
خلت الأنين ترنمًا، ولواعجي
أني اتهمت فصاحة كذبتها
فلعل في بعض الفهاهة شافعًا
يا ليت أن الشعر ليس يجيده
كذب ولوعي بالفضائل والنهي
وارتب بصدقي في المقال ولا تدع
أشقى الأنام من استريب بصدقهِ
أفئن رأيت على الطريق مبضعًا
ولئن رأيت أبا السقام رحمة
أو ناحت التكلى رثيت لرزئها
وإذا اشتكى العافي الضريك بررته
وتود لو تنفي الأذى عن أنفسِ

ترضاه لي ببعادك المملول؟
فوضعت صدقي موضع التضليل!
إمّا شكوت لوعاجًا لخليل؟
يحكي الهوى ببيانه المبذول
إفك القريض ومشتكى لحمول
من ذا يعير فهاهة المفضول؟
يأتي إليك بحجة ودليل
غير الشقي بلوعة المتبول
وبكل أمر في الحياة جليل
للشك مسرى في شكاة غليل
في نحسه من مشتكى وعويل
ترجو له لو راح غير قتيل
ووددت لو يلقاك غير علي
تبغي فداءً وحيدها ببديل
وكشفت ضرر المجتدى المخذول
راحت بجد في الحياة ذليل

رحماتُ نفسك قد وسِعُنْ منادحًا
ولأنت أبصر بالفؤاد ودائه
أفكلُّ حيٍّ منك أقربُ شقة
من عاشقٍ قد خبَّرتك لحاظه
فاقرن لحاظَ العاشقِ بلحظتي
هيهات فاتَ الناظرين لواعجي
الحبُّ كونٌ لم تسعه برحمةٍ
لو كان أمرًا هينًا لوسعته
قد كنت أبغي منك سمعًا واعيًا
وبعثت شعري موقظًا لك من كرى
تالله لست بمسعدٍ لي في الهوى
لم يَبْقَ إلَّا أن أنيم خواطري
تشدو له الظئرُ الرعوم فينثني
لهفي لو أن القلبَ مثلٌ وليدها
لا يخدعنك أن بدوت تجلدي
ولكم ذخرتُ للقية لك قولة
وأودُّ لو أدعوك إمَّا لُحْت لي
لهفًا لصادٍ خيلٍ غيرَ محومٍ
وبوده لو كنت أنت جليسه

للكون غير فؤادي المعلول
وأطُّ منك بشاكلٍ وقتيلٍ
وأحقُّ بالحرمانِ والتأميلِ
ما لم تخبِّر قبل عينِ خليلِ
واظفر لها من لحظهم بمثيلِ
ومضوا بسؤر صَبَابتي وغليلي
يا ويح حبِّ ظلٍّ غير قليلِ
ورحمت قلبًا منه غيرَ عليلِ
فظللتُ بين اليأسِ والتأميلِ
عن لوعتي ولواعجي وغليلي
ولئن دعوتُ ببوقِ إسرافيلِ
كالطفلِ راحَ بحسرةٍ وعويلِ
طلقَ المحيًّا قانعًا بقليلِ
نسيَ الأسي وأصاخ للتعليلِ
ما ذاكِ إلَّا حيرتي وذهولي
فإذا بدوتَ نسيْتُ كلَّ دليلِ
فأردَّ عنك بحيرةَ المخبولِ
ولمقبلٍ قد خيلَ جدَّ ملولِ
في ليلةٍ وصبيحةٍ ومقبلِ

ظفر الخليّ بُنْهَزَةٍ ما نالها
إن الخليّ هو الجريء على المنى
حُرْمَ الشجِيّ تصافياً وتدانياً
والصَبُّ مسبوبٌ ببادي حَبِّه
ومضى الخليّ بغاية التأميلِ
ولعلَّ مسعودًا أحقُّ بخيبةِ
حيث الشجِيّ لخبيبة المخذولِ
جور القضاء وهل يجيرك غافلٌ
حيث الخليّ لعزة التبجيلِ
من عاشقٍ عفّ الغرام نبيلِ
عن جوره ببطانةٍ وكفيلِ؟

صحو و لا صحو

لقد أصبحت لا عتباً
وقدمًا كنتُ إن أذنبُ
لأقرب منك بالغفرا
وفي الأعتاب لي وردُ
ففي الأعتاب لي عود
وحسبي منك أنَّ الحبَّ
رعى الله البعاد لو أنَّ
أحمده وهذا العيبُ
وأخشى أن يكون المؤ
فما في العيش لي منجى
وكيف أصيب لي منجى
نوازع نفسي اللاتي
أغرَّك مقول المتبو
إذا ما لجَّ بي ولَّه
وما نفسٌ بأفطن من
ألا غفراً بنفسِي لا

ولا عذراً فيبتدرُ
تَ مما جئتُ أعتذرُ
ن، ذنبُ الحُسنِ مغتفرُ
وكيف وهمي الصِّدرُ
وذاك الصابُ والصبرُ
مخذولٌ ومعتكرُ
صبراً عنك يقتصرُ
ش قربُ منك والذكرُ
تُ فيه منك لي خبرُ
وما في الموت لي وزرُ
وأنت النفسُ والقدرُ؟
تتوب بها لك الفكرُ
ل: أنت الشمسُ والقمرُ
فترب بقيةٍ دررُ
وليدي شاقه المدرُ
يماز الشهد والصبرُ

فليس الذنبُ ذنبي بلُ
فكنْ في ذرّوة الأكوأ
وكن حيث الحضيض فليـ
وما أدري سوى أن لسـ
حبيبٌ وامقٌ جاءتْ
بفتكٍ غير من أبغي
ولو أني حسبتكمُ
رضيتُ شقاءَ نفسي إذِ
شقائي أنني أهوى
أتحسبني أغار إذا
وكيف أغار من فضلِ
أذلك سوءٌ رأيك فيَّ
وهل ألفتيتي غرًّا
جفاءُ الحسنِ منجبرُ
بودي أن تشيم الفضـ
بودي أن تشيم النقـ
لكيما تعرف الواشين
وأقبحُ ما يرى حسن
فهل عوّدتَ حسنك بانـ

هي الأرزاءُ والغيرُ
ن حطَّ بمهجتي قصرُ
س قولي ساقه الصعرُ
ت منْ قد كنتُ أنتظرُ
به الآمالُ والذكرُ
وأنت السمعُ والبصرُ
جلاكُم حلمي العطرُ
يهون العيشُ والقدرُ
حبيبًا غيره الوطرُ
أنتك بأية غررُ؟
لغيري شامه النظرُ؟
أم واثٍ فينجزرُ؟
بما أحسنت أفتخرُ؟
أسوءُ الرأيِ ينجبرُ؟
ل أجمعه فتبتدرُ
ص لا يخفى له أثرُ
ما أبدوا وما ستروا
برأي الخبِّ يآتمرُ
خداع كلُّه عررُ

لتدراً حاسداً لِكَمَا
وكلّاً إنه الخورُ
لِ حَسَنِكَ لحظه شرراً
فأين الحزم والحذر؟

العظيم

لمعاتُ رأيك مقلّةُ العرفان
لو كنتَ قد أُعْطيتَ في الدهر المُنَى
لتعطلت سبُلُ الشرور وبرّدتُ
ومسحتَ بالرحماتِ أماقَ الورى
من غير أن يوبي الحياة ركودها
نزعاتُ نفسك رحمةً مرجوةً
وجلائلُ تذر الحياة كأنها
وعلوتُ عن حسدِ الحسود وربما
هيهات ما أسر الحسود تکرّمُ
وفضائلُ ليست لغير مجرب
وأجلُّ خيرِ النفسِ بعد بلائها
وترى الفرائضَ كالحقوقِ حبيبة
دينُ الحياة ورُبَّ فرّضِ غالقٍ
وعزائمُ تمضي الحياة غلبّة

فاحكم كحكمِ الحقِّ في البرهان
أو كان ما قد شئتَ للحدثانِ
وقدت قلبٌ للضريكِ العاني
حتى تعودَ قريرةَ الأجانِ
لفناء ما دفعت من الحدثانِ
رحماتِ مقتدر الأناة معانِ
خلدٌ يعبُّ بزاهر الأزمانِ
حسدَ الحسودُ الشمسَ في الأعنانِ
إنَّ التكرمَ وقد غلّ الشاني
إنَّ التجاربَ حجةُ الرجحانِ
فالعيشُ حربُ فضيلةِ الغفانِ
أو كالديون رهينةَ الإيمانِ
إِلا لَدَيْكَ بمطلةِ الليانِ
وخواطرُ كملائكِ الرحمنِ

الشمطاء الفتية

قد بلوت الصروفَ في حالتَيْها
ورأيت الأطماع كالطير صرعى
واحتسيت الحياة فيضًا وسورًا
وإذا المقبل المرجى كما فا
وشهدت الأنام سلمًا وحرَبًا
وإذا العيشُ والسنونُ جهادُ
إيه يا مصرُ ما تقضى جمالُ
الليالي التي عهدت حسانُ
وذُكاءُ التي أطلت على مجـ
وجرى النيلُ في أديمك قدمًا
فانشري أهلك الذين تقضوا
فكأن الأطماع والسعي فيهم
سحرتك الأيام يا مصر أم نو
الغليلُ الذي عهدت مقيمُ
أبغضيني أو أحسني أنت أم
لك مني الغديرُ في نومة من
ورمّتك السراء والضراء
ثم عاد الرجاء وهو غشاء
فإذا الذكر والرجاء سواء
ت به الدهرُ والحديث ضراء
فإذا السلم والحروب عناء
ليس يدري أسبابه الأحياء
ترتضيه الأمال والأهواء
والسماء التي عهدت سماء
دك دهرًا على القصور سناء
يتهادى كأنه الحسناء
إن عيشَ الباقيين منهم فناء
عبتُ غيرُ نافعٍ وعناء!
مك قد طار عنه الرجاء!
في نفوسٍ كما عهدت تشاء
برُّها لو تعقُّ ولدًا قضاء
بعد جهدٍ قضى عليه العفاء

نصبٌ خالدٌ وأعظم منه
ورجاءٌ هو العبادة والأيـ
أبغضيني إذا هزرت منامًا
مثلما يبغض النوم المسجى
مللٌ قد عراكٍ من عنتِ العيـ
قد كرهت الرجاءَ والذكر طرًا
قد سمعتِ الذي نقول قديمًا
دعوة بعد دعوةٍ من صروف الـ
إن يكنُ باءَ بالزمانة من أهـ
أو عناكيب عيشها ورداها
أبغضيني فليس ذلك ببذعٍ
غرَّك المرجفون ميناً وحقداً
لم أقصر في دعوةٍ غير إنِّي
ليس إلا الأحقاد يبعثها العجـ
اعتقادٌ تزيدهُ الأرزاءُ
سماً درعٌ يرتدُّ عنه الفناءُ
عطرته الأحلَامُ وهي رخاءُ
موقظاً إذ يُماط عنه الرداءُ
شِ بلاءٌ أن الطماح بلاءُ
إن بالذكر تارقُ الشمطاءُ
وتقضَى الدعاءُ أين الدعاءُ؟
دَّهرٍ لبيَّتْها وعادَ النداءُ
لكِ رهطٍ كأنهم أشلاءُ
يتقاضاهما بليلٍ قضاءُ
آه لو جرَّ نفعك الشهداءُ!
وحماني عن قلبك الجهلاءُ
خَذَلتني مسامعُ صماءُ!
زُ وغلُّ يدعو به السفهاءُ

بعد عشرة أعوام (إلى حبيب غاضّ جماله)

يا أليفَ الصبا عليك سلامٌ
أين وردُ الخدودِ الجمر يذكي
أين قدّ ينقد من دونه القلْبُ
وثنايا مفلّجاتِ عذاب
أين مدُّ الشفاه من عبثِ الدلِّ
واختيالُ الطاووسِ يا فتنةَ الطا
أين غمزُ اللحاظ والكف واللفف
أين ذاك الضحك المرنُ الذي حرَّ
أين سحرُ الحديث واللحظ والدلِّ
نثرت عنك كالثمار وقد هزّت
أين خصرٌ يهتز كالغصن اللذ
إذ ذراعي نطاقه ونطاق الـ
ولقاءً كأنه رشفة الطيبِ
واختيالي على الزمان بعطفٍ
أين أين الوشاة والوصل والهجـ
يا أليفَ الشبابِ هل تذكر العهـ

أين تلك اللوعات والآلامُ؟
حرقات يشقى بها المستهامُ؟
بُ ويطعى عليه منه الهيامُ؟
هُنَّ رى للمستقي وسلامٌ
وثغرٌ يبيلُ منه الأوامُ؟
ووس يوري الهواء منك ابتسامُ
ظ، وأين العهود أين الذمامُ؟
ك قلبي كأنه الأنغامُ؟
وسحرٌ تحوكه الأوهامُ؟
ك ريح والغصن منك القوامُ
ن، وقدّ يهوي عليه الحمائمُ؟
جيد مني ما تضر الأكمائمُ
ر وهجر كأنه الأعوامُ
منك والحاسدون بلة نيامُ
رُ وأين الآمالُ والأحلامُ؟
دَ وحولي وحولك اللوامُ؟

أسي القلب منك للغابر الفا
أم نسيت الدلال والملك والدو
لنقيم مأتماً حول حسن
ثم أكسوه من قريضي زهراً
مثلما جمّل الأزاهر بيتاً
ذائع حوله من الحبّ نفح
وكانّ الهيام هالة بدرٍ

نت من حسنك الذي لا يذام
لة إذ أنت أمرٌ وإمام؟
استوى الصمتُ دونه والكلامُ
مثلما حبّب الزهورَ الرجاءُ
هدمته الأحداث والأيامُ
كالشذى والجمالِ زهر يشامُ
فيه وجه الحبيبِ بدرٌ تمامُ!

سم الخسة وسعار الغرور

لو أنّ كلبًا عضه في جلديته
وثائرٌ لطبعه الخسيس
وغافرٌ لنفسه الجريرة
وقلبُهُ جهنمُ الأحقادِ
إن رعتَه بجانب الهجاءِ
فإن تُلن ألفيت جدَّ نابي
فعيشُهُ ونفسُهُ بضاعه
إذا شهدت أمره فمادح
ولوومه في طبعه ديانه
طريد أهل الموتِ والقبورِ
مفاخرًا بعبثِ الكلامِ
ويدعي من سفهٍ نجابه
ووجهه من رقعة النعالِ
تخاله مزدردًا ثعبانًا
وعقله كصررِ الأطفالِ
يا صافعيه صَفَعُهُ مبرورُ
لمات كلبٌ عضه من خسته
من كل خلقٍ رائقٍ نفيس
ويأخذ الجليس بالصغيرة
وإن بدا في الصمتِ كالجمادِ
لقيت منه جانبَ الرجاءِ
أو رمّت منه صفوه فأبي
وخلقه وودّه رقاعه
أو غبت عنه طرفة فقادح
وعيشه لصحبه خيانه
مشرّدًا من ثقل الغرورِ
كأنما يهذي من الأسقامِ
وهو ضئيل الشأن كالذبابه
أو قطعة من أخمصي بلالِ
أو ماضعًا في شدقه أتانًا
تجمع بين الترب والنمالِ
وعملٌ في خيره مشكورُ

إذا اشتكى ممن شكاه أمراً
إن قطع الغلمان من آذانه
يثأر من آذانهم لسمعه
جدّ به في أهله الدلالُ

كالهرّ أو كالكلب إما هراً
يصمُّ أهل الدار من جيرانه
إذ ذاق مر فقده بقطعه
«والقرد عند أمه غزالُ»!

قربان القلب

لا تخجلن إذا علمت محبةً
هل أنت تخجل أن ربك راحمٌ
تحكي الصلاة وتشبهه القرباناً!
يهوى الجمال ويعشق الإحساناً؟
أم من أبٍ يحنو عليك مدافعاً
يهوى لنفسك في الزمان أماناً؟

أذنب الخسة

يا عائبًا نفسه عندي بلا خجلٍ
كي لا أصدق في قولٍ تعاب به
ما زلتُ أرجو لهذا الناس منصلحًا
فربما فقدَ الإنسان خستته
يرى الحليم أحسَّ النفس إذ رفعتُ
ذهبتَ تقدح في ناءٍ بلا وزرٍ
وإن أتيتُ بمأثور من السورِ
على استفالك في لؤمٍ وفي نكرٍ
مثل افتقارك للأذنب والوبرِ
عنها الرياء ولم تقصده بالحرِ

حقوق الفرائض

الحقُّ مثل الشمسِ يشرق نورُها
وبلوغ أفق الفرض يظهر غيره
فذر الحقوق إلى الفرائض إنها
لن يبلغ المرء العلاء بحقوقه

لتغاير الألوان طيَّ شروقها
أقصى سماءٍ تطَّبي لسحيقها
لذات معبود الخصال عريقها
إلا إذا بلغ العلاء بحقوقها!

درسى من الطبيعة (اللينوفر)

زَهْرٌ يعبدُ الشمسَ فلا تُخْـ
يتبعُ الشمسَ لحظةً أين دارت
غيرَ أَنَا نرى الرياءَ كمالاً
هل رأيتَ الرياضَ وهي ظمأءُ
دعه لمعة تضيء سواها
ويرى الضوءَ حلية وإلها
ونرى الطهر خدعةً وسفاها
ضلةً تحسب السرابَ مياهاً؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكي الـ
أنْت قلب الأديبِ يشدو ويبكي
نَوَّحَ أم أنت مشبه للغناء؟
كدموع الندى وقطر السماء!

محارب الخرافات

نقضت خرافةً لتشييد أخرى
كهدام شامخ العرنين سامٍ
وخلت الحقَّ أجمعه مشيداً
ليرفع عنده جبلاً جديداً

يهودا

لستَ من عُبَادِ عيسى لا ولا تعبد بوذا
أنت فيما جئت من عبَّ اد ذي الخبِّ يهودا!

البطل

ترمي الحوادث بالظلال أمامها
حتى كأنَّ الدهرَ في آباده
كشف الزمانُ لك الخفيَّ وقلما
سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم
وخواطرُ لك في الأنام تجيلها
يا حكمة فاهَ الزمانُ بسرِّها
فاهَ الزمانُ فكنت أصدق منطق
شَتانَ بين صدَى يردد ضلة
نظر الأنام الدهر في أعقابه
ورموا مساعي المجد في أقدامها
بعزائمٍ للشر تنقض أمره
أفعال من صحَّت سريرة صدره
إنَّ العظيمَ إلى الصراحة ينتمي
سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة
والدهرُ ليل المدلجين ومجدكم
ومعاقل النعماء إنَّ هي أعوزت

فيرى خُطى الأمر الذي هو آتي
يلقاه بين عشية وغداة
يعصي المذلَّ نافذ النظراتِ
بلواحظ للرأيِ مقتدراتِ
تجلو الشكوكَ وتبلغ الغاياتِ
من بعد طول تصماممٍ وصماتِ
والناس أصداء بجوف فلاةٍ
ومقاولٍ مرضيةِ الأصواتِ
ونظرتُم الأيام في الجبهاتِ
ورميتُم المسعاة في الهاماتِ
وعزائمٍ للخير مبتدراتِ
لا يعقد التدبير بالخدعاتِ
والغمر للتدليس في الغفلاتِ
مثل الهداة وآية الآياتِ
وفِعَالُكُمْ في الدهرِ كالمشكاةِ
كنتم معاقلَ منعة ونجاةِ

لا يُصْلِحُ التَّدْبِيرَ إِلَّا أَرْوَعُ
أَعْبَقْتُ فِي الْأَيَّامِ أَزْكَى نَفْحَةٍ
وَالْفَضْلُ مِثْلُ الْعَرَفِ يَحْيَا نَشْرَهُ
تَرْمِي إِلَى الْغَرَضِ الْبَعِيدِ بَعْزَمَةٌ
هَيْهَاتَ مَا جَادَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا
فَكَأَنَّهَا قَدْ جُمِعَتْ لِمَوْفِقٍ
لَا تُصْلِحُ التَّدْبِيرَ إِلَّا أَنْفُسُ
إِنَّ الْمَقَادِرَ تَنْتَحِيكَ لِأَنَّهَا
كَالْخَيْلِ تَعْرِفُ رَائِضًا وَمَذَلًّا
يَا رَاكِبَ الْأَيَّامِ تَجْرِي تَحْتَهُ
الْعَقْلُ أَغْلَبَ وَالْحِزَامَةُ وَالنَّهْيُ
بِنَأَى بِهِ عَنِ ضَيْعَةٍ وَشَتَاتٍ
وَخَلَعْتَ مِنْ أَرْدَانِهَا عَطْرَاتٍ
بِنَسَائِمِ الْعَبَقَاتِ وَالنَّفْحَاتِ
تَصْمِيهِ بَيْنَ تَمْهَلٍ وَأَنَاةٍ
عَقَمَ الزَّمَانُ بِتَلَكُمُ الْحَسَنَاتِ
مَنْ سَالَفَ الْآبَادِ وَالْحَقَبَاتِ
الْحَقُّ يَغْلِبُهَا عَلَى النِّزَعَاتِ
رِيضَتْ لَدَيْكَ بِحِكْمَةٍ وَحِصَاةٍ
عِنْدَ اقْتِعَادِ السَّرِجِ وَالصَّهْوَاتِ
مَأْمُونَةَ الْخَطَوَاتِ وَالْعِدْوَاتِ
بِمَوْفِقٍ فِي الْعَدْلِ وَالرَّحْمَاتِ!

في فكه

ارْفُقْ بِنَفْسٍ لَكَ مَزَاحَةٌ
واطوِ مَزَاحًا لَيْسَ ذَا وَقْتِهِ
كانون أم قطب الثرى أم أعا
بردت حتى صرّت ذا وقدة
والشيءُ إن أربى على حدّه
لا تفلتن في مزحةٍ شاردة!
فصيفه أيامه عائده!
لي الشمّ أم أنفاسك الجامدة؟
يا تلج تكوي نارك الباردة!
صفاته عن طبعه حائده!

في شاب يدعي الفكاهاة والظرف

تَقُلَّتْ عَلَى النُّفُوسِ فَكُنْتُ سَدًّا
فَكُلُّ نَارًا وَلَا تَطْعَمُ سِوَاهَا
وَكَلَّا لَا تَذُقُ جِمْرَاتِ نَارٍ
كَذَاكَ الْغَازِ يَخْفَى مِنْهُ جِرْمٌ
سَيُظْفِرُ مِنْكَ إِبْلِيسٌ بِنَفْسٍ
وَيَغْسِلُ بَعْدَهَا يَدَهُ بِحَمِضٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَمْحُو كُلَّ نَتْنٍ
لَكَانَ الْقَرْدُ أَكْبَرَ مِنْكَ شَأْنًا
وَلَوْ قَوْلٌ وَجِيعُ الدِّمِّ مُرٌّ
وَعَقْلُكَ مِثْلُ قَطْبِ الْأَرْضِ فِيهَا
وَفُقَّتْ سِوَائِلَ الْأَرْوَاحِ بَرْدًا
لَعَلَّكَ أَنْ تُحَبِّبَ وَأَنْ تُودَّأَ
فَتَشْعَلُ مِنْكَ أَضْغَانًا وَحَقْدًا
فَإِنَّ أَجَبْتَ نِيرَانًا تَبْدَى
تَقَاطِرُ مِنْ مَخَازِيهَا وَتَتَدَّى
وَيَحْرِقُ حَوْلَهَا عِودًا وَنَدًّا
سِوَى نَتْنٍ عَمَدَتْ إِلَيْهِ عَمْدًا
لَوْ أَنَّ بَجْلَدَهُ صَلَاً وَقَرْدًا
أُرِيقَ عَلَى قِفَاكَ لِعَادِ جَمْدًا!
حَكَى أَقْطَارَهُ ظَلْمًا وَبَرْدًا!

مر العمر

إن تباطأ ساعة طرقتُ
كم عدوتُ العمرَ منتهبًا
عدو أحلامِ أقاربها
أتبغى العمرَ من أمم
يا بطيء العمر من وسنٍ
لهب الأطماع في كبدي
كم خليلٍ قد وثقتُ به
وحبيب كنت أمله
نحن والأيام تتقلنا
كرهين السجنِ مرتقبًا
رقتي للموت أن لذي
لا جديدٌ في الحياة ولا
وأعدُّ العمرَ إن دلفتُ
وهي بشرى الموتِ إن نفذتُ
أغريم ذا الحمام فما
فبما قد أوقرتُ حزنًا
خلت أني أسبق الزمنا
أجبت من عودي الغصنا
فكأنني هارب جبنًا
قد هنيت السعدَ والوسنا
أضَ وخط الشيب والشجنًا
عابئ في خفةٍ إحنا
لم أصب في خلقه حسنًا
ونعي الموت يندرنا
قاتلًا يغتال من سجنًا
لهفة أن يدرك السكنا
أمل يجلو لي المننا
ساعة ألفيتها محنا
قلت: ليت الدهر زایلنا
بأله بالسعد يمثلنا؟

قصة هز الأنوف

لقد جاء في الأخبار أن مملكا
رأى في يسير الظلم خبيرا لخابر
صباحا إذا ما الشمس ذر شعاعها
ومن لم يرد في يومه هز أنفه
فقال جبان القوم في الحزم عصمة
وماذا على من هز يا قوم أنفه
فلما رأى الطاغي هوادة صبرهم
فقام إليه ناغم هز أنفه
إذا نحن طامنا لكل صغيرة
حمته العوالي والسيوف الشواجر
فكان قضاء أن تهز المناخر
وليليا وفي وكر الكرى منه طائر
مطيعا تولته السيوف البواتر
ومن ذم شرا أزعجته المقادر
مطيعا إذا لم يعص ما سن أمر
أطل عليهم جارح منه كاسر
وقال وقد مدت إليه النواظر
فلا بد يوما أن تساغ الكبائر!

الديوان الثامن

قصائد أخرى

(ويتضمن القصائد التي نشرها الشاعر في الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ ولم تُجمَع من قبل في ديوان خاص.)

الطفل

من عالم الروح وهو الخلدُ والقَدَمُ
سرُّ الحياة وسر الموت ما برحت
يُطلُّ من عينه معنَى يزاوله
وحيرةٌ هي بعض اللبِّ يبرزها
صفو الغرارة أبهى ما رأى بَشَرٌ
ولم تشبهُ تجاريبُ الحياة بما
ضعف الوليد وهل في القلب مبتعثٌ
لأبيّ أمر بدا يفتَرُ مبسمه
وكَلَّمَا بَدَرَتِ للشرِّ بادرة
يودُّ كل رجيح العقل مكتهل
وليس يبصر أن الشرُّ مُقْتَبِلٌ
لكنها مهلةٌ للقلب ينشُدُّها
فلا عداًءٌ ولا مكرٌ ولا حيلٌ
حيث الحياة كبيت الله طاهرةٌ
أو جنَّةُ الخلد لا إثمٌ لساكنها
إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا

وكان بالأمس يطوي جسمه العَدَمُ
تطويه عن فكرٍ هَمَّت به الظلمُ
معنى التفهَمُ لم ترصد له كَلْمُ
صفو من العين لا خبٌّ فتنكتمُ
ما رنق العين لا شرٌ ولا ندمُ
يدجو له اللحظ والأفكار والشيمُ
نَبَعُ الحنان كضعف ليس يُتَّهَمُ
وما حباه بزعم الأشيب الفَهَمُ
قلب المسنِّ لها حيران يضطرُّمُ
أن لو يعود وليدًا أمره أممُ
يعود منه إليه الهَمُّ والهَرَمُ
حيث الصفاء وعيش ماؤه شبمُ
ولا حقودٌ ولا غدرٌ ولا جُرْمُ
لدى الطفولة وهي المعبد الحَرَمُ
وما تجاوز ذو عجز ومُجْتَرَمُ
صنوان والحسن فيها طهره عَمَمُ

مرأى يُطهّر ما بالنفس من دنسٍ
كم ناغمٍ سلّ منه الطفل عادية
قد يحزن الزهر إذ يذوي أمن شبه
ما أعظمَ الفقدَ لو أن الورى خُلُقوا
لما تملّى أناسٌ طُهرَ ما فقدوا
حتى يعود بها والخير مُغتَمُ
من الضغائن إذ يرنو ويبتسمُ
بمصرع الطفلِ رائيه له يجمُ
خلق الرجال وكالأطفال ما وسموا
ولا أحبوا ولا أحنوا ولا رحموا

شهداء الإنسانية

مقدمة

شهداء العلم والإصلاح يزدحمون على باب الحياة ويسألون كل هالك: هل تحقّق الخير الذي بذلوا حياتهم من أجله؟ فتدركه الحيرة! أيكذب كي يُدخّل على قلوبهم الاطمئنان، أم يصدق فيفجعهم في آمالهم، أم يغرّيبهم بالصبر الطويل كصبر الأحياء على الشر، أم يُغرّيبهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاح الحياة. وإذا استطاع أن يُعزّي الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء؟

الناظم

من الأشباح عَجَّ بهم وسالًا	على باب الحياة أرى زحامًا
حديث قد مضوا زُمَرًا توالى	من العهد القديم إلى زمانٍ
يطيب العيش للأحياء حالًا	هُم ضَحَّوْا بهذا العيش كيما
على شغفٍ يعيدون السؤالًا	إذا ما هالكٌ ألفوه ظلُّوا

* * *

وخبثُ النفس هل أودى وزالًا؟	بربك هل مضى قدرٌ بشرٍ
وهل بلغوا من العيش الكمالًا؟	وهل جفّت دموع الناس طُرًا
وكان سوادهم هملاً مذالًا؟	وذللّ الجوع هل قد زال عنهم
يُصرّفها يمينًا أو شمالًا	وجَهْلٌ يخندي بالناس بهما

وكم من نعمةٍ لولا شقاء
فكم خَبِرَ الأوائلُ من شقاء
قديمًا لم تكنِ إِيَّا وبالًا
فنلنا من شقائهمُ نوالًا؟

العصر الذهبي

مقدمة

أُولِعَ الناس من قديم الزمن بالتفكير في عصر الإنسانية السعيد؛ عصر الخير العميم الشامل، فبعضهم كان ينشده في الزمن القديم ويبيكي انقضاءه، وبعضهم ينشده في المستقبل من العصور يُدنيه رقي الإنسان. وكثيرًا ما استخدم شعاره أهل الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم. وكثيرًا ما علق الأذلاء بكماله حتى إذا تحكّموا ساروا على نهج الطغاة، وهو مثل عالٍ، ولا تحلو حياة الإنسان إلا به. ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحقّقه نذير الفناء، فمرحبًا بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالي، وقد لا يصدّق تشاؤمهم.

الناظم

عصرَ السلام تحيةً وسلاماً	خلعتُ عليك رجاءها الأقوامُ
من كل عصرٍ في نسيجك لُحمة	الأجلُ صنعك تدلّف الأعوامُ؟
إمّا دنوت وما عهدتك دانيًا	عَفَى على نقص الأنام تمامُ
نستقبل الأيام وهي كوالحُ	مستبشرين إذ التّمَامُ إمامُ
خالوك في الماضي — ولم تك ماضيًا —	إذ زان منه البُعد والأوهامُ
ويروّن في غدهم سرابًا نائيًا	فيطول نحس العيش والجرامُ
تتغير المثل التي شاقّتهمُ	تتبدّل الآمال والأحلامُ
حسب الورى من حُسنِ عهدك قدوة	علياء ما إن شانها استبّهامُ

ما فاتهم طبُّ الطبيب وإنما
ولأنتَ في سيرِ النفوسِ إذا صَفَتَ
عطفَ النفوسِ على النفوسِ ولن تُرى
هيهاتِ يُكْرَمُ فاضلاً ذو خَسَّةِ
استَبْطَأوكِ وأنتِ بينِ جنوبهمِ
ورأوكِ في الدهرِ البعيدِ ولو دروا
لرأوا مشيئتهم تُشاءُ ولا تُشاءُ
ومن المشيئةِ ما يجيءُ فجاءةِ
ونأى بهم عن وردِ خيرك أنهم
أمباغتا بالخيرِ بعدَ تمنُّعِ
ولقد يُنُوبُ أخو المجانةِ بغتةِ
ويُنُوبُ هذا الخلقِ من شرِّ ومن
كم فتنةِ أجبَّتْ نارِ جحيمها
وشعارِ حقِّ كم غدا أحبولةِ
وإذا العبيدُ تحكَّموا في فتنةِ
أترى العبيدِ ببابلِ وبطبيعةِ
لو أنهم ملكوا لعافوا مسلماً
ولطالما حنَّ اليهودُ لشرعه
وتتظنُّ المهديُّ قومٌ أمَّلوا

تتباين الأرواح والأفهامُ
يدنى إليك البرُّ والإكرامُ
أبدًا، ونفسٌ في الأنامِ تضامُ
أو يغفر الجاني شأه كرامُ
وتتظنُّوكِ ودأبكِ اللامُ
أن لو أرادوا كان منك لِمَامُ
هاموا وتحسب أنهم ما هاموا
ليست تجزئ أمره الأيامُ
للحرصِ حادٍ بينهم وزمامُ
حبُّ الأنامِ لعهدك استقدامُ
من بعد عيشِ كلِّه آثامُ
إثم فتحمده خيرك الأيامُ
شوقاً لعهدك والأنامُ حُطامُ
أثرى بحقك في الأنامِ لئامُ
ساروا على نهج الظلومِ وضاموا
أغرثهم بكمالك الآلامُ
يُدنى إليك وطاشت الأحلامُ
ودعا المسيح له وريم سلامُ
ركباً له يحدو به الإسلامُ

ثار الفرنسُ وخيرهم يبغي له
يبكي ويعتق الغريب مبشراً
ما زال شرُّ لا ولم يمهدُ به
أنى تكون وفي الأنام تفاوتُ
غرُّ وذو مكر فلست بكائنٍ
فمتى يدينُ لسنة لك جمعُهم
لا يصدقُ الكهانِ إن هم أنبؤوا
كم من عهدٍ كان يحسب أهلها
نسي الأنامُ عهودهم فعهوده
فقد الأنامُ صفات أجدادٍ لهم
والطبعُ في غدد الجسوم فعلها
وتعود من فرط الصفاء حياتهم
خيرٌ مرى الحرصُ الخسيسُ أقلُّ من
والنحس عدوى ليس يُقصي شرَّها
كذبوا فما أبقى التقاتلُ بينهم
خلفت في سير النفوس مباحجا
كغنائِ حادي الركب رفة عنهم
حلم هو المثل الأجلُّ، وإنهم
ولعلَّ عمرَ الشرِّ ليس بدائمٍ

عهدًا تدين لشرعه الأحكامُ
بالشرِّ زال وبالكمال يشامُ
نهج السلام الحكم والحكامُ
أسدُّ لها في الصاغرين سوامُ
حتى تساوى في الأنام الهامُ
ويراك خيراً شرُّهم فتراهُم
بدوام ما لم يُلفَ فيه دوامُ
أن زلَّ عنها النقض والابرامُ
أقصى وأدنى منهم الأوهامُ
وتحولت وتبدلت أجسامُ
يوماً تصحُّ فلا يكون أثامُ
ذهبيةً أيامها والعامُ
خير لديك تروده الأحلامُ
إلا التضافر شاده الأقومُ
إلا الضعيف وقد قضى المقدامُ
وتجمَّلت بجمالِك الأيامُ
نعمَ النشيدُ ونعمت الأنعامُ
لولا مثلُ كمالك، الأنعامُ
ينمو سناك فينمحي الظلامُ

قالوا: إذا ما جاء خيراً كلّه
لولا جهادٌ في الشرور تعطلت
إن لم يكن نقصٌ ففيم رجاحة
لا يطعم السعدَ الشهى وشهده
والوهن يسعى للفناء ديببه
لغز الحياة وليس يفهم لغزها
والشرُّ أهونُ بعضه من بعضه
أهلاً بغائلة الفناء نذيرها
إن لم يصحَّ العيش إلا أن ترى
فحسى التنافس في المحامد ينثني
يدنو إذا بطلت ضرورة كائدٍ
إن نال كلُّ مطمئناً رزقه
دين التنافس في المكارم ربّما
فترى الورى دين الورى وصلاحهم
لم يبقَ خيرٌ في الحياة يشامُ
سبل المكارم واستنام أنامُ
وبضدّها تتميّز الأقسامُ
من لا تروذُ فؤاده الآلامُ
إن لم يكنُ حذرٌ وعمّ سلامُ
بين الأنامِ مفهَمٌ علّامُ
فاطلب كمالاً كي يقلّ الذامُ
عهد يشوق سلامه وتمامُ
شرع التنافس في الأنام يقامُ
طبعاً وإن قيل الأنام لنّامُ
يُزجى بها رزقٌ له وحطامُ
فعلام لؤمٌ للورى وخصامُ؟
أنماه نصح فيهم وحسامُ
فرض يدين لشرعه الأقسامُ

الشباب

مقدمة

مستقبل الإنسانية رهناً بطموح الشباب إلى المثل العليا، وعزوفه عن حقيرات الأمور، وإيائه الضيم للناس ولنفسه، وبألا يقنع من الحياة بما يرى، وبأن يحاول أن يبلغ من جليلات أمورها البعيد الداني إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيعة.

الناظم

عَطِرُ الروائح ناصع الألوان	إنَّ الشباب حديقة الأزمان
نورَ الربى وأطايب البستان	مثلُ الربيع إذا جَلَوَتْ بسحره
تغدو الحياةُ به رياضَ جنان	روحٌ من الفردوس يُثمل نَشْرُهُ
إنَّ الشبابَ من الخلود لداني!	ما راعه حُكْمُ الحمامِ وصَوْلُهُ
كثُرَ العِثارُ وزَلَّتِ القَدَمَانِ	لا اليأسُ يضمنيه ولا جزعٌ إذا
مستأنفاً للعيش بالنسيانِ	ينسى الذي يمضي لينشد مقبلاً
كأساً تذيب القلب من ذيفانِ	ولو أنَّ رفضاً للقضاء يذيقه
حيث الشباب لِغَرَّةِ الأسوانِ	والشَّيْبُ بالتسليم يكسر سمَّها
نشوان لا من خمرة النشوانِ	وهو المغامرُ في الحياة بنفسه
تغنيه عن نشوات بنت الحانِ	نشوان من خمر الحياة وكأسها

فكأنما فكَّ الزمانُ قيودَه
ويصوغ من أحزانه نغمًا له
يسمو إلى الغرض البعيد طموحُه
مُتحصِّنٌ منه بأمنع معقلٍ
ويكاد من فرطِ النهاءِ والهوى
والشيبُ يرسب في الحضيضِ تخلفًا
ما أرقتُه ذكرة من أشيب
وله على إِدبارِ دهرٍ عزةٌ
كِبْرُ الشبابِ ولا اعتدادُ مُسَوِّدٍ
إن كان صعلوكًا فليس بخانع
إنَّ العزيز هو العزيزُ على الصِّبا
ذلَّ الجَنان لوهن جثمانِ ولا
ورث المراح ذخيرةً لمبذِرٍ
لذاتُه دَيْنٌ يؤديه إذا
تتعادل اللذات في ريعانه
عهدُ الصراحة والمروءة والندى
عهدُ المحبة والباخاء وربما
عهدُ إذا طلبَ الكرى لم يُعيه
عهد الصِّبا عهدُ المنى فإذا مضى

عنه وما للدَّهر من سلطانٍ
فكأنَّه خلُوٌ من الأحزانِ
ويردُّ خطبَ الدهرِ بالإيمانِ
متكفِّلٍ إيمانه بأمانٍ
يدعُ الثرى ويهمُّ بالطيرانِ
وترى الشباب كذروة الأكوانِ
جمَّ التردد خطوهُ متداني
تنأى به عن ذلةٍ وهوانِ
بالجاه والأجناد والأعوانِ
فكأنَّه نو التاج والبايوانِ
والشيب مهما عزَّ ذلَّ جنانِ
ذلُّ كذلِّ الوهن في الأبدانِ
خال الحياة رخيصة الأثمانِ
حلَّ المشيب وهَدَّ من جثمانِ
ولواعجُ للشَّيب في ميزانِ
وتألف الخللان بالخللانِ
تُلفيهما في القلب يمتزجانِ
وكرى المشيب مؤرِّق الأحزانِ
لم يبقَ إلَّا مرُّ سُورِ دنانِ

وتكادُ ذكراه إذا فات الصِّبا
أطماعه علويَّةُ أحلامه
عهد الصيال ولا صيال لأشيب
والخطبُ أن يهوي المشيب بصائلٍ
حتى تراه بالحياة مُروِّعًا
والخوفُ طبعٌ في المشيب وقلِّمًا
ولربما جمحَ الشبابُ بسادرٍ
ولربما عبَدَ الحياةَ أخو النهي
قالَ المشيبُ ورُبَّ قولةٍ صامتٍ
ما سرَّني أني فطنتُ وإنني
ونسيت ما نشرُ الجنانِ وخذها
ولقد علمتُ الآن ما عهد الصبا
والآن عالجتُ الحياةَ كما أرى
وعددت من سننِ الحياةِ وحكمها
في حرِّصه أو قسوه أو رِقِّه
وفزعت من ظلمِ الحياةِ وطالما
وتلوتُ في التاريخِ آياتِ الأسي
فعسى الشبابِ بمقبلٍ من دهره
ويسنُّ للدنيا الوسيعةَ سنَّةً
تحيي الصِّبا وتردُّ غربَ زمانٍ
ذهبيَّةُ الآمالِ كالعقيانِ
هابَ الحياةَ وصولَةَ العدوانِ
ما كان يخشى جولةَ الحدثانِ
قلِّقَ الضلوعِ مؤرِّقَ الأجانِ
تلقى الشبابِ على غرارِ جبانِ
عبَدَ الحياةَ عِبادةَ الشيطانِ
كعبادةٍ لله والأوطانِ
تعظُ المصيخُ له بغيرِ لسانِ
والحلمِ والتبيانِ في أكفانِ
وذكرتُ أن العيشَ مهلةً فاني
من بعدِ جَهلي فيه والنسيانِ
لا ما أريد من البعيدِ الداني
ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسانِ
من فتكه بالروحِ والأبدانِ
ذَلَّلْتُ منها أيِّما طغيانِ
مسطورةً بمدامعِ الأحزانِ
يبلو الحياةَ بعزيمةٍ وأماني
لا سنةً للحرصِ والحرمانِ

يستتقذ الأزمان من عبث الورى
ويذلُّ طاغوت الأمور فيحتذي
ويُحيلُ ظلم العيش عدلاً سائغاً
ويطهر الأحشاء من أضغانِ
شرع الحياة شريعة الرحمن
يُنسى به ما كان من عدوانِ

نحو الفجر

مقدمة

إن الذي يأمل للإنسان فجرًا تتجابه فيه ظلمة الضيم والشر، يرى في فجر كل نهار رمزًا له ووعداً به، فيتعلل بهذا الرمز، وينتظر إنجاز الوعد، أملاً أن النومة التي يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى، والتتابذ والكيد، والاستهتار في العبث بالحق، يكون فيها أيضاً نسياناً لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم، فتستيقظ في خلق الحق والخير.

الناظم

أرقتُ فطال الليلُ أمَ طالَ بي عمري
كأنَّ انجياب الليل في موعد الحشرِ
كأنِّي في لَجِّ من الليل غارق
سوى هدأةٍ لم تُنفَ في لجج البحرِ
كأنِّي غريبٌ من حراك لواعجي
بعالم صمت غاله الصمت من سحرِ
كأنَّ غصون الدوح في حندس الدجى
رعوس تكالى أرسلت أسود الشَّعرِ
كأنَّ النجومَ الغانيات ترهَّبتُ
تبیت طوال الليل تعبد في ديرِ
أو الفلُّ مزروعاً بحقل بنفسج
وكاللازوردِ الأفقُ رُصِّع بالدرِّ
أو انَّ ثقباً في جدار زبرجدِ
تطلع منها الغيدُ يُشرفنَ من خدرِ
أقلب طرفي بينها مُتفهِمًا
تفهمُ معنى اللفظ في صفحة السفرِ
جمیل المحيّا حوله هالةُ الحبرِ
كأن الدجى دیر به البدر راهب
أو انَّ صقيعاً قد كسا الأرض نوره
كأنَّ صقيعاً قد كسا الأرض نوره

مهادًا لروح أو شباكًا من السحرِ
وقد تحسب الأحلام تسري وما تسري؟
عراه جلال الحسن في الليل والبدرِ
فقد خلتها من هداة النوم في أسرِ
أو أنّ حديثًا بينه خافت السرِّ
فأين احتيال الناس بالغدر والمكرِ؟
وأين مساعي الناس في الخير والشرِّ؟
يدير لهم كأسًا أذّ من الخمرِ
فيستيقظ النّوأم في خلق الطهرِ
وتمضي مُضيّ الليل أو طيرة الطيرِ
رأيت صباحًا يصبغ النّبت بالتبرِ
من الضوء مثل الغيد في حُللِ خُضرِ
لدى النّضج لونٌ في غلائلها الصّفرِ
رمى ملكٌ من أفقها الأرضَ بالبذرِ
أحاكّ عليه الفجرُ وشيًّا من السحرِ؟
بنور كما شفّ الرمادُ عن الجمرِ
فتبعث فيها الروح في وضح الفجرِ
فإن انفجار الفجر كالخلق والنشرِ
إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنّورِ

كأنّ فراشًا أبيضًا قدّ نورُه
أما يذهل الراعون من سحر ضوءه
وإن تك أحلام فأوهام خاشعِ
أيحلم هذا الدوح في سحر ضوءه؟
كأن حفيف الدوح أضغاث حالمِ
أدورُ بعيني لا أرى غير ساكنِ
وأين نشاط القوم للهو والهوى
ألا ليت نسيانًا كذا النوم ساقبًا
لتذهلهم عن كلّ شرٍّ وفتنةِ
خواطر آمال أسلّي بها الدجى
فلما تقضى الليل وانجاب جنحه
تشوبُ اخضرارَ الروض صفرةً ساطع
كما تينع الأثمار شاب اخضرارها
كأنّ نبات الروض من نبت جنةِ
أظلُّ وطرفي في مدى الأفق ذاهل
ويرنو إليّ الفجرُ من خلف ظلمةِ
كأن مماتًا في الدجى أهلك الدّنا
كأن كيان الكون يُخلق ثانيًا
تخالُ تباشير الصباح أزاهرًا

ويزدادُ نِظْرُ الحِسنِ من مشهدِ النَّظْرِ
من الضوءِ مثلِ الرُّسْلِ تُبْعَثُ بالخيرِ
كما باداهَ الأذهانُ من حَسَنِ الفِكرِ
وكم ذِكْرٍ في الضوءِ والزهرِ والعطْرِ
كأن رُوءِ الصبْحِ ضربَ من الشعرِ
وخاطرةً في النفسِ تُسعدُ في الضُرِّ
بَاحَ عليها، يلمسُ الثغرَ بالثغرِ
أريقَ عليه ساطعٌ من سنا البدرِ
فتحكي حنينَ الطيرِ تهفو إلى الوكرِ
ويُذكي النَّدَى فوق الشجيراتِ كالدرِّ
لأنَّ هداةَ يحنو النباتُ على النهرِ
فيعلو لَجِينَ النهرِ نهرٌ من التبرِ
كما ارتعدتْ أبشارُ غيدٍ من القُرِّ
يعالجُ من حَالِيهِ في القَرِّ والحرِّ
ويملاً مثلَ العينِ بالصورِ الكُثْرِ
ولولاهُ ما أَلْفَيْتَ في الكونِ ما يغري
فجاءةُ صبغِ النهرِ من سُحْبِ حمرِ
فربَّ شتاءٍ ناثرٍ أيّما دُخْرِ
نصيبك من سحريْنِ في الحرِّ والقُرِّ

فيختلطُ الزهرانُ حسناً ومنظراً
تحدّثُ أنباءُ السماءِ بمشرقِ
تُبادهُنا منها محاسنُ جمّةُ
تفضُّ ختامَ النفسِ عن كلِّ ذكّرةُ
تُذكّرنا الآمالَ والحبَّ والصِّبا
كذلك يغدو منظرُ الحِسنِ ذكّرةُ
وتستيقظُ الأرضُ النَّومَ إذا حنا الصَّـ
كما استيقظُ الطرفِ المغمّضُ بعد ما
تحنُّ إليه النفسُ من بعد ظلمةُ
تري الصبْحِ يجلو النهرُ كالقَيْنِ سيفه
أطلُّ بأفكارِ على النهرِ مثلما
تصبُّ عليه الشمسُ رِقراقِ مسجدِ
تري تارةً في متنه الماءَ راجفاً
وتحسبُ أن النهرِ يشعرُ بالذي
تري النهرِ مثلَ العينِ سحرًا وبهجةُ
يبوحُ بسرِّ الحِسنِ لونٌ مجددِ
وأورعُه ما كان منه فُجاءةُ
وليس رُوءِ الكونِ في الصيفِ وحدهُ
جلالٌ يريحُ النفسِ من بعد رونقِ

على أن ذكرى الصيف فيه جلية
وقد يحلم المحروم باليسر واللّهي
فلما تقضى الليل يحدو لواعجي
أخذتُ نصيباً من جدى الفجر وافرًا
وأملتُ للدنيا صباحًا مؤجلًا
فكلُّ صباحٍ رمزه ومثاله
نسرٌ بنعماه وإن لم تكن لنا
ففي النهر من ذكرٍ وفي الروض من ذكرٍ
كذلك حلم الأرض بالصيف واليسر
ونكرى طيور الصيف تهزج في صدرى
فنهنتُ آلامي وأرخت من صبري
سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر
ووعدٌ به يحدو إلى الزمن النضر
وننشده فيما يكون من الدهر

مناجاة الأمل

أَلَا عِدُّ وَأَخْلَفَ أَنْتَ بِالْوَعْدِ مَانِحُ
وَلَمْ تَكُ مِثْلَ اللَّالِ فَالْأَلُ مَهْلِكُ
وَكَمْ نَاقِمٍ مِنْ خُلْفٍ وَعَدِكَ لَا غَنَى
وَأَعشِقُ مَنْ يَهْوَاكَ مَنْ هُوَ نَاقِمُ
نَشَاوَى هُمومٍ قَدْ تَدِيرُ عَلَيْهِمْ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا وَرِضْوَانٍ رَاحِمٍ
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْكَ وَنَقْمَةٌ
وَكَمْ فِي ثَنَائِهَا الْيَأْسُ مِنْكَ كَوَامِنُ
أَيَا بَهْجَةَ الْعِمْرَانِ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُنْ
إِذَا اشْتَدَّتْ اللَّوَاءُ زِدْتَ تَأَلُّفًا
وَلَيْسَ بَعِيبٌ أَنْ تُرَادَ لِمِحْنَةٍ
أَيَا بَلَسَمَ الْأَحْزَانِ لَوْلَاكَ لَمْ يَعِشْ
مُعِينٌ عَلَى الْبَلْوَى، مُعِينٌ عَلَى الضَّنَى
وَيَا حَادِي الرُّكْبَانِ فِي الْعَيْشِ مِثْلَمَا
وَيَا رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي عَمَّتِ الْوَرَى
عَلَى صَاحِبِ الْكُوخِ الْمَهْدَمِّ مَشْرِقُ

فَمَطَّلَكَ مَغْفُورٌ وَخَيْرُكَ رَاجِحُ
وَوَحِيكَ أَسْحَى مَا تَضُمُّ الْجَوَانِحُ
لَهُ عَنكَ أَوْ تَغْنِي الْمَنَائِي الْلَوَافِحُ؟
وَأَمْدُحُ مَنْ يَرْجُوكَ مَنْ هُوَ قَادِحُ
كَنُوسًا فَتَفْتَرُّ الثُّغُورُ الْكُوالِحُ
إِذَا ضَاءَ نَجْمٌ مِنْكَ فِي الْأَفْقِ لَائِحُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ وَالْمَرْءُ بِالْعَيْشِ رَازِحُ
إِذَا فَنِيَتْ فَالْعَيْشُ فَاِنْ وَطَائِحُ
فَلَا شَيْدَ الْبَانِي وَلَا كَدَّ كَادِحُ
كَذَاكَ سِوَادُ اللَّيْلِ لِلنَّجْمِ قَادِحُ
فَمَنْ ذَا يَرِيدُ النَّجْمَ وَالصَّبْحُ وَاضِحُ؟!
عَلَى عَنَتِ الدُّنْيَا لَهَيْفٌ وَنَائِحُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُعِينٌ وَنَاصِحُ
حَدَا الرُّكْبَانَ فِي الصَّحْرَاءِ حَادٍ وَصَادِحُ
وَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا جَارِمُ النَّفْسِ جَامِحُ
بُيْشِرِي وَرَبُّ الْقَصْرِ رَاجٍ وَطَامِحُ

وأسعدُ ما تُلْفَى إِذَا كُنْتَ مَاطِلًا
رَسَتْ بِكَ فِي لَجِّ الْحَيَاةِ نَفُوسُنَا
لَشِيدَتْ لِلإِيمَانِ فِي قَلْبِ أَمَلٍ
ثَبَاتٌ وَصَبْرٌ، وَاعْتِرَازٌ وَهَمَةٌ
وَلَوْلَا مَسَاعٍ أَنْتَ عَاقِدُ أَمْرَهَا
تَكَادُ تُتَيَّرُ اللَّيْلَ إِمَّا تَوَقَّدْتَ
تَأرَّجَ مِنْ ذَكَرِكَ نَفْحَةٌ خَاطِرُ
وَإِنْ غَنَى النَّاسَ مَنْ أَنْتَ ذَخْرُهُ
وَسَائِلُ مِنْ جَدْوَالِكَ أَنْتَ اسْتَنْزَلْتَهَا
وَكَمْ لَكَ دُونَ النَّفْسِ وَحْيٌ وَهَمَةٌ
وَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ أَسْقَطَ الْجَهْدُ كَفَّهُ
مَنْحَتَ حَيَاةٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
وَرُبَّ حَبِيسٍ أَنْزَلَ السَّجْنَ ظَلْمَةً
أَيَا طَائِرًا يَشْدُو فِي النَّفْسِ أَيْكُهُ
وَيَا أَسَى الْأَحْزَانِ وَالظُّلْمِ وَالضَّنَى
تَخَلَّلَ أَنْاتِ الشَّقَاءِ وَنُوحِهِ
خَلَعْتَ عَلَى الْإَيَّامِ أَحْسَنَ خَلْعَةٍ
سَقَيْتَ فَنَاسِيَتِ الْمَوْجِلَ مِنْ ضَنْئِي
وَأَنْسِيَتَ أَنْ الشَّرَّ حَتْمٌ مَقْدَرٌ

فَكُلَّ طَلِيبٍ شَائِقٌ وَهُوَ نَازِحٌ
فَلَمْ تَتَقَاذَفْهَا الْهَمُومُ السَّوَارِحُ
مَعَابِدَ قَدْ ضُمَّتْ عَلَيْهَا الْجَوَانِحُ
فَضَائِلُ نَفْسٍ كُلِّهَا أَنْتَ مَانِحُ
لَأَثَرَ عَقَرَ الدَّارِ غَادٍ وَرَائِحُ
أَمَانِيٌّ تَذَكُّو حِينَ تَخْبُو الْمَصَابِحُ
أَنْتَ أَرِيحُ مِنْ شَذَا الزَّهْرِ فَائِحُ؟
وَأَيُّ غِنَى تَغْنَى وَضَوْءُكَ نَازِحُ
وَتَفْتَقُ إِنْ لَحْتَ النَّهْيَ وَالْقَرَائِحُ
إِذَا نَطَقْتَ تَعْيَا اللِّغَاتِ الْفَصَائِحُ
فَمَا لُحْتَ إِلَّا وَهُوَ فِي الْيَمِّ سَابِحُ
وَتَبَخَّلُ بِالْعَيْشِ النَّفُوسَ الشَّحَائِحُ
عَلَيْهِ وَنُورٌ مِنْكَ فِي السَّجْنِ لَائِحُ
فِيخْفَتُ فِيهَا يَأْسُهَا الْمَتَنَاوِحُ
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا الطَّبِّ مَوْدٍ وَطَائِحُ
فَتَعَذَّبُ فِي الْأَسْمَاعِ حَتَّى الْمَنَائِحُ
فِيخْفَى بَعِيشَ شَرُّهُ وَالْمَقَابِحُ
وَمَنْ وَخَطَ شَيْبٍ فِي غَدٍ وَهُوَ اضْحُ
وَأَنْ الْمَنَايَا غَادِيَاتٌ رَوَائِحُ

تضحك في يأس ونحسٍ وكربة
بها مؤنسٌ من طيب عهدك عامرٌ
وتخلق منك النفس دنيا سنية
مباديك شتّى كالأزاهر جمّة
أيا سحرٌ إن لم تغنِ فالسحر كاذبٌ
تُعَلِّنا بالسعد من بعد ميتهِ
كأن الرزايا عابثات موازحُ
بشائرٌ في لأوائها ومفارحُ
وفي أفق منها النجوم اللوائحُ
ففي كل حالٍ موطنٌ منك صالحُ
مغاليقه فيما تريد مفاتحُ
فتحسن في مرآك حتى الضرائحُ

فن الحياة

مقدمة

إن للإنسان في الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه، فإذا عَدِمَ هذه النشوة صَعَبَ عليه أن يسوغ الحياة، وأن يلتذها. ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلاً من نقدها أو الرغبة في إصلاحها، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة في إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر، فلا يكرهها من أجل تمثيلها الشر، وهذا خيرٌ من أن يظل يبكي ويندب؛ لأن نَمَرَ الشرِّ الذي في كل نفس لم يتحول إلى هرةٍ وديعة كالتي نراها في المنازل، وهو لو تحول ما تجاوزَ أصله ولا فصيلته، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة!

الناظم

أيا حُسن هذا العيش لو كان قِصَّةً
على ما بها من ضجَّةٍ بين شقوة
فليت الفتى يبدو له صرفُ عَيْثِهِ
ويا رَبَّ مأساةٍ إذا ما بدت له
وفي فنِّها ملهَى وحسنٌ وسلوة
وإن كان ربُّ الناس يقضي اقتتالهم
وما قصَّرت بي رغبة عن محاسن
يُسرُّ بها ساري الورى وهو يسمرُ
وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكرُ
كعيش غريبٍ قصةً تتدبَّرُ
تُمَثِّلُ إن يحزن لها فهو يصبرُ
ولولا فنون العيش ما كان يعذرُ
فما شأن مثلي، وهو أعلى وأقدرُ؟
أريدُ لها عيشاً سوى العيش يُقدَّرُ

حياة كحسناء المسارح شرُّها
ممثلة حسناء كم مثَّلت أذى
فما زادها إلَّا بهاءً وحظوة
تَمَلَّيْتَهَا لما ولعتَ بِفَنِّهَا
حنانيك إنَّ العيشَ فنٌّ فلا تُرَعِ
تُعَانُ بهذا الرأي إن كنتَ قادرًا
يُمثِّلُ كلُّ دوره في حياته
أإنَّ نمرٌ في النفس لم يُمسِ هِرَّةً
وما نمرٌ عن هِرَّةٍ بُمبَاعِدِ

إذا ما حكَّته عاد بالفن يبهرُ
وغدراً أجادتَ فنَّها وهي تغدُرُ
لدى عاشقيها وهي بالفنِّ تأسرُ
ولولاهُ تزري بالحياة فتكدرُ
وإن ناب خطبُ فهو مَحَكَى ومخبرُ
وإن أمكن الإصلاح لم تكُ تُقصرُ
فإن راقَ فنٌّ فهو شأؤُ ومظهرُ
تظلُّ على الأسقام تبكي وتسخرُ
ويطغى وديع حين يبغى ويقدرُ

سر الحياة

عبء لُغز الحياة يا قلبُ ما أفـ
لُغزُ عيشٍ ولُغزِ عقلٍ وما أعـ
كلما رمتَ بالمجاهلِ خُبْرًا
عبثُ العيشِ كلِّما قالَ لا سرًّا
قد خبرتَ الأنامَ يا قلبُ هلْ تنـ
وحياةٌ بالسرِّ أحجى حياة
خدعةُ العيشِ أنْ يُلَوِّحَ بالسر
فتزيدُ الحياةُ حسنًا ومأمو
مثلما حُجِّبَتْ فتاةٌ ليُرْجى
لو بدتْ عاطلًا لما خَلبتْ لُبًّا
كم سعيدٌ يلهو ويعملُ لا ينبـ
وعلى غدرها أحبُّ حياةً
عاشقًا للحياةِ بعضًا وكلًّا
فإذا شاكه من العيشِ همُّ
عبءُ لغزِ الحياةِ يا قلبُ ما أفـ
سرُّها أنكُ السعيدُ إذا لم

دح عبئًا يُحَثِّي عليكِ وثقلًا
جبَّ لُغزًا يرومُ للُغزِ حلًّا
زادكَ العيشُ بالمعالمِ جهلًا
أعدتَ السؤالَ جدًّا وهزلًا
شدَّ سرًّا من بَعْدِ ذاكِ وسؤلًا؟
هيَ أحلى ممَّا تراه وأعلى
إذا عافَ عائشوه وملاَّ
لأ وتغوي الحياةُ نشأً وكهلاً
سرُّ حسن لها استسرَّ وقلًا
ولا استعبدتْ عشيقًا وخلاَّ
قضى فعلًا وليس يُنكرُ قولًا
وحباها في الحبِّ أهلًا ونسلًا
راضيًا بالحياةِ فرعًا وأصلًا
قالَ قولًا ورامَ للُغزِ حلًّا
دح عبئًا يُحَثِّي عليكِ وثقلًا
تَدْرُ أنْ لا سرًّا لديها فتُجلى

ضَلَّةَ ما أقول كم لاح من كَشُّـ
ولعلَّ الحياة أكبر لولا
فهني من فرطِ رفعةٍ في انخفاض
باءً باليأس من عُلَّها وقد غا
ويعيد الحياة فرضًا وحسنًا
فِ وقد كان خافي السرِّ قبلًا
مُعْظَمٌ للحياة غالي وأغلى
تلك عليا إن يُعلِّها فهني سُفلى
لى فقالَ الحياة بالحطِّ أولى
ومتاعًا مَنْ يأخذ العيش سهلًا

بعد الإخاء والعداء

حنوتُ على الودِّ الذي كان بيننا
حنوتُ ولو أني حنوتُ وما حنا
ولا أكذبَنَّ الناسَ قلبي كقلبه
كلانا جنى شرًّا فعاد إخاؤنا
فيا طيبَ ذكراه ويا بُعدَ عهده
مَضَى حيثُ يمضي عابرٌ بعدَ عابرٍ
مضى حيثُ يمضي كلُّ رأيٍ ومذهبٍ
إذا أنا أنسيْتُ الإساءةَ من أخٍ
وأيقنتُ لا ينسى عدائي وما جنى
أيلتئمُ الصَّخرانِ في اليمِّ بعد ما
ويتفق الخِلَّانُ من بعد ما بدتْ
وكنا على ما كانَ من قُرْبِ أنفسٍ
قد اقتربا مجرَى وماءٍ وعسجدًا
حياةَ شبابٍ عسجدُ أيُّ عسجدٍ
إلى أن دعا داعي الحياة وإفنها
وغيرَ منا القلبَ والنفسَ والمنى

وإن صدَّ عنه ما جنينا على الودِّ
ولو أنه يبغي هلاكي من الحقدِ
له آنة ميلٌ عن التَّصِفِ والقصدِ
مُحالًا حكى ذكرى الشبابِ على بُعدِ
وأينَ قديمُ الودِّ من حاضرِ الصَّدِّ
من الأهلِ والأصحابِ والذخرِ والولدِ
له أجلٌ كالنَّاسِ ظعنٌ بلا عودِ
ذكرتُ له منِّي إساءةَ ذي عمدِ
عدائي عليه من عناءٍ ومن جهدِ
تردَّدَ موجُ اليمِّ بالصدعِ والهدِّ؟
به بغضةَ من مينِ قولٍ ومن نقدِ؟
كنهريْنِ في وادي الغضارةِ والوردِ
من الشمسِ لألأءِ كالألأةِ الودِّ
وعهدُ إخاءٍ لا يغيضُ ولا يكدي
فمال بنا قصدُ السبيلِ عن القصدِ
وزاد طماحُ النفسِ بُعدًا على بُعدِ

فَنَارٌ لَهَا بَيْنَ الْأَضَالَعِ كَالْوَقْدِ
وَلَمْ تَدْرِهِ أَيْقَنْتَ مَا جَاءَ بِالْحَقْدِ
وَنَبَوْتَهُ حَتَّى يَصِدَّ عَنِ الصِّدِّ
فِيَأْسَى عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْكَيْدِ
وَإِنْ كَانَ لِي مِنْ قَبْلِ كَالْحَجْرِ الصِّلْدِ
عَلَى إِثْرِهِ غَدْرًا نَخَرْتُ لَهُ وَدِّي
شَمَائِلَ تَسْتَدْعِي الْمَغِيظَ إِلَى الْحَمْدِ
وَكَيفَ وَنَفْسِي لِي كَمَا الضُّدُّ لِلضِّدِّ
وَمَرَأَى رِيَاضٍ مِنْ عَرَارٍ وَمِنْ وَرْدِ
حَلِيفِكَ مِنْهُ مَا اسْتَسْرَّ وَلَمْ يُبْدِ
بُودٍ أَخٍ لَوْ يُشْتَرَى الْوَدَّ بِالنَّقْدِ
فَكَيْفَ خُلَاصَ الْوَدِّ مِنْ عَنَتِ الْحَقْدِ؟
فَقَدْنَا، فَبَعْضُ النَّفْسِ فِي ذَلِكَ الْفَقْدِ
إِذَنْ قَمَنْ نَشْدَانِكَ الْوَدَّ بِالْحَمْدِ
كَمَا كَمَلَ النِّصْفَانِ تَجْمَعُ فِي الْعَدِّ
كَمَا عَظُمَ الْمَخْدُوعُ بِالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ
أَسْرُ أَمِ الْقَلْبِ الْمَغْرَرُ بِالْوَدِّ
وَلَوْ أَنَّ مَخْلُوفَ الْوَفَا غَاضٌ لَمْ يُجْدِ
فَطَامِنُ فَإِنَّ الْوَدَّ يَا قَلْبُ لَمْ يُرْدِ

هُوَ الْبُغْضُ مِثْلُ الْحَبِّ لِحَظِّ فَمَنْطِقِ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي الْحَبَّ كَيْفَ طَرُوقَهُ
فِيَا لَيْتَ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ جَفَاءَهُ
وَيَذَكِّرُ لِي صَبْرِي عَلَى الضَّيْمِ وَالْأَذَى
وَتَكْسِبُنِي مِنْهُ النَّدَامَةُ أَلْفَةً
أَعِيشُ بِصَفْوٍ مِنْهُ يَوْمًا فَإِنْ جَنَى
وَأَذَكِّرُ نَفْسِي مِنْهُ عِنْدَ انْصِرَافِهَا
أَبْعَدْ بِلَائِي الْعَيْشِ أَبْغِي مُبْرَأً
يُرِوْقُكَ حَسَنَ الْفَجْرِ وَالنَّجْمِ فِي الدَّجَى
وَأَحْسَنُ مِنْهَا الْبَشْرَ فِي وَجْهِ صَاحِبِ
فِيَا لَيْتَ لِي دُنْيَا أُبَيْعُ حَطَامِهَا
إِذَا الْحَبُّ لَمْ يَخْلُصْ مِنَ الْبُغْضِ وَالْأَذَى
وَخِلَانِنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهُمْ
أَحَقُّ طِلَابِ الْوَدِّ مِنْ نَقْصِ طَالِبِ
لِتَكْمَلَ بِالْخَلِّ الَّذِي أَنْتَ نَاشِدُ
وَيَا طَيْبَ قَلْبِ غَرَّهِ الْوَدُّ حَقْبَةً
وَإِنَّكَ لَأَتَدْرِي أَقْلَبُ مَرَاوِغِ
وَإِنَّ وَدَادَ الْمَرءِ مِنْ بَعْضِ غُنْمِهِ
تَعِيشُ بِمَخْلُوفِ الرَّجَاءِ وَكَذْبِهِ

رحيق الحياة الودّ، لو دام صفوه
وأحسنه ما كان من عصره الصِّبا
فمن لي بعود الدهر للودِّ والصِّبا
يخال الصِّبا ودًّا وودُّ الصِّبا صبا
وإنَّ فقير الناس من خان خله
أبغى إخاء لم تُشبهه عداوة
كأنِّي لم أدر الأنام وخلقه
أبعد فراغي من جنازة ودنا
متى أرتضي الخلان صحواً وغيمة
أغالط نفسي فيهم وأغرها
وأكتم من آلام نفسي عزّة
فيا ساقِي النسيان عا طِ صحابتي
وهيهات ما أمرُّ إذا جدَّ جده
إذا انفلت السهم الطلّيق فما له
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله

وكالخمير أصفاه المعتق ذو العهد
ولم يخلُ بعد الشَّيب مُستحدثُ الودِّ
أليقَيْن ما كانا كما النذِّ للنذِّ
كيانهما الممزوج كالجوهر الفرد
وإن نال حظاً من طريفٍ ومن تلذُّ
وأنقم عفو الغدر أو غدرة العمدِ؟
ولم أدر أن الضدَّ يولع بالضدِّ
أروم خلود الودِّ من عادم الخلدِ؟
فأمنحهم غيبي وأمنعهم رعي
وإن لاح منهم غدر أعدائي اللدِّ
إذا لم يُتخ لي ما أزيل به وجدي
وهات لي النسيان رفاً على ردي
ليُنسى ولو واروه في مُشبه اللحدِ
ولو أنه سهم النَميري من ردِّ
ألا وهو الدَّهر المصرفُ ذو الأيدِ

وفي وصف الطباع

ما ازدريتُ الأنامِ إلَّا وهان الـ
وتفرَّدتُ لا أصولُ بكيدٍ
ومِن الناسِ مَنْ إذا ما ازدراهم
ولو أنِّي أكبرتُهُم لم يروني
ولو أنِّي أكبرتُهُم لم ترَ الرخـ
وُدُّهُمُ مثلُ بَغْضِهِمْ فيه عدوى
ويَرى المرءُ أَنَّهُ كلُّ شَيْءٍ
مركزُ الكونِ حوله دارة الألفـ
ولقد تحمَدَ الخليلُ طويلًا
فإذا الغدرُ شيمَةٌ وطِبَاعُ
وإذا النفسُ جانبٌ مُذَلَّهِمُ
وإذا المرءُ يحمَدُ الصَّحبَ منه
ومع الخُبْرِ بالأنامِ فقد يغـ
كلُّ يومٍ يخالُ منه جديدًا
قلْبُهُ الأملُ المضلُّ بالودِّ
ومع اليأسِ منهم كرمُ الصَّفـ
كيد منهم وهانَ منهم عداؤُ
وتزهَّدتُ واستنقامَ العزائِ
كان منه اللِّجرامُ والاعتدائِ
غافرًا واحتوتنِّي البغضاءُ
سمة ديني وما بهم رُحماءُ
مثل عدوى تسعى بها الثوباءُ
هو تبرُّ وما عداه هباءُ
ق وبهؤُ من فوقه وسماءُ
ثم يبْدُو ما كان منه انطواءُ
وإذا الودُّ والوفاءُ رياءُ
بالدنيا وجانبٌ وضاءُ
جانباً والكريمُ منه خفاءُ
رو الفتى عند غدرهم إعياءُ
وهو رثٌ وما طواه العفاءُ
يقود الأسي إليه الرجاءُ
ح إذ الحتمُ ما جنوا والقضاءُ

كلهم يشتكي ويشمت بالشا
كلهم يندبُ الوفاء وكلُّ
كلهم قانصٌ يرى في وفاءِ الـ
كلهم لا يودُّ للناس ما يِرُ
ويُسِرُّ الفتى ويبيدي اكتئابًا
صادق العطف كان أو كاذب العطفـ
وارتياح أن لم يُصبْ مثل خلِّ
وسواءٌ خبٌّ وغرٌّ ولا غرُّ
كلُّهم إن يرقك منه ذكاءٌ
فكأنَّ الذكاءَ منه وميضُ الـ
كلُّهم يبغضُ النقيصةَ حقًّا
واكتسابًا للحمد والريح يقلًا
كلُّهم يُلْبِسُ النقيصةَ منه
يبغضُ المرءَ للفضيلة كيما
وسواء نقصٌ وفضلٌ لديه
ومن الناس من يبوح بنقصِ
كالذي قال إنما أفقدته الـ
يمدح اللحم مغريًا وهو يسطو
حذرًا للشرور يمدح خيرًا

كي وكلّ كما يسيء يساءُ
يتأذى وطبعهُ الأيذاءُ
خلّ صيدًا وليسَ منه وفاءُ
غب فيه لنفسه ويشاءُ
إن ألمت بصاحب بأساءُ
ف فف في نحسٍ خله سراءُ
نزل الحزن داره والشقاءُ
و فللغرِّ صولة وعداءُ
بعد حين يرعك منه غباءُ
برق، والعقل كله ظلماً
حذر الناس بغضه إخفاءُ
ها ولولاهما لعيف الرياءُ
حلة الخير وهو منه براءُ
يحسب الناس أنّ ذاك نقاءُ
إن تدانت من كسبه النعماءُ
وكثيرٌ من قوله إطراءُ
حلم منه صراحة وإياءُ
مغرم الخبِّ في الورى الحُلماءُ
ذاك جبنٌ في طبعه واتقاءُ

قسم النقص والمحامد بين الـ
فلئيم من كان منه جفاء
ذاك ميزانه وما الحق إلا
ويرى الأخرق الذي يرحم النا
كي يمدّوه بالذي ضنّ عنهم
كلُّ حيٍّ يصون منه حياة
حاطها بالصّيال والمكر والقسـ
وبإنكار كيده وأذاه
يتدنّى يبغي العلاء ولا يُثـ
غير من آثروا على أنفس منـ
وعجيبٌ أن كان أظهرُ ما في الـ
وأشدُّ القساة ينكر لؤم الـ
وهو يُطري الحياة بقيا على الكيـ
بين أمرين يدرجُ النَّاسَ طرّاً
ومن الجوع أو حذارا له أو
وامتلاء يصير شهوة جسمٍ
هينٌ بعدها إذا ما الضحايا
خمصُ بطنٍ، ونهمةٌ وحذارُ
ذلك العيش ثم ما كان من خيـ

نّاس منه الأحقاد والأهواءُ
وكريمٌ من كان منه إخاءُ
ما رأى الحق يأسه والرجاءُ
س وإن ودّ أنهم رحماءُ
بجداه وهكذا الأحياءُ
ولئن غال ما عداه العفاءُ
و لو عمّ ما سواه الشقاءُ
وبدعوى الكمال وهو طلاءُ
ففيه عمّا يحطُّ منه إباءُ
هم نفوس الورى وقد قيل داءُ
نفس داءٌ والحرص منه الشفاءُ
نّاس كيما يكون منه مضاءُ
د وذعرا يكون منه الثناءُ
جوع بطن أو أن يكون امتلاءُ
خشية الموت كم قسا الأحياءُ
يهتك الطهر حفزها والمضاءُ
نال منها نحسٌ ونال شقاءُ
واحتيال، وقسوة ورياءُ
ر بكّي لولاه عيف البقاءُ

وقتل على الحياة دَعاها الـ
ذاك فَضْلٌ إِذا أَساءَ ولكن
ولوَّ أَنَّ السبيلَ للموتِ سهلٌ
فاحمد العيشَ إِنَّ حَبَّكَ لِلْعَيْبِ
إِنَّ أَقوى الرِجاءِ ما تعرفُ النَفْـ
لم يعفها وَإِنما شاءَ أَن يُبـ
دائِبٌ بَصَرَ الأنامِ بما جَمـ
والذي يَكُلُّ الحياةَ على العُلـ
يمدح المرءَ مثلَ ما حازَ من فَضـ
فقليلٌ ما نصدقُ النفسَ قولاً
مُهْجَةً الحاسدينَ من سورة الأَحـ
ساءَ فَعَلُّ منهم فساءتَ ظنونٌ
سوءُ ظنِّ الأنامِ طَبِعٌ ولكنْ
كُلُّ حَيٍّ أَمامه ما جنى الخِصـ
وعجيبٌ أَن يحسدَ المرءَ حتى
أَيُّ نفسٍ من أنفُسِ الناسِ عافَتْ
لَا بَلِ الفِضْلُ إِنَّ تِضاعَلَ ما في الـ
كلهم ذلكَ الحسودَ ولكن
لو يِنالُ الأنامِ ما حسدوه

حَيٌّ فَضْلاً يَبغي به ما يِشاءُ
وهو نَقْصٌ في الناسِ حينَ يُسَاءُ
لم تَكُنْ عنه نِجوةٌ أو عِزاءُ
شِ مَلُحٌ مَهْمًا تَمادى العِناؤُ
س وَإِنَّ قَبَّحَ الحِياةَ الذِكاؤُ
صِرَ قَدَمًا من حِسنِها ما يِشاءُ
لَ عِيشًا ووصفُهُ إِغِراءُ
م بها لا تروعه الأَشياءُ
لِ فَإِنَّ زادَ كانَ منه هِجاءُ
وكثيرٌ من أَجْلِ ذاكِ المرءِ
قَادِ والبُغْضِ مِهْجَةً هِجاءُ
والورى في طِباعِهم شِركاءُ
مِقالَةَ الظنِّ مِقالَةَ حولاءُ
مُ يِراهِ وما جِناهِ وِراءُ
بِعدَ أَن لَم تَدُمْ لِه النِعماءُ
حِسدًا لِلقُلُوبِ مِنْه اِكتِواءُ
نَفْسٍ مِنْه وَلَمْ يَكُنْ إِيذاءُ
هَيِّنٌ ما بَدَتْ بِهِ الفِضْلاءُ
حِسدوا ضِدَّهُ وَلِيمَ القِضاءُ

حسبوا اللؤم من ذكاءٍ وعقل
وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم
وقليل ما يندم المرء إن لم
فإذا الناس زَيَّنوا منه جرماً
ومضى سادراً يروود من الآ
يبتغي المرء أن يرى الناس طُرّاً
وهو لا يستطيع تغيير ما في
وحقيق بالشك من رأيه يتـ
رأيه مثل خلقه وهواه
في قنوطٍ ومطمع، وانقباض
لو بدا الشر في النفوس تعادَتْ
وإذا الشر أعوز المرء عجزاً
ومُقِرُّ بالشرِّ كي يُغفر الشرُّ
واعتداءً بالجوذ حرصٌ وكسبٌ
ولقد يحقدُ العشيرُ إذا خلاً
يجرؤ الفرد بالجميع على الشرِّ
شدَّ من أزر سافلٍ أنَّ شرّاً
فجبانٌ يشدُّ أزرَ جبانٍ
ولقد يفعلون خيراً ليخف الشـ

فادّعاها الطغام والأعلياءُ
واستشاطوا إن قيل هم لؤماءُ
يك جرم من بعده الازدراءُ
شملته من مدحهم خيلاءُ
ثم مرعى ودأبه الكبرياءُ
حيث يرضى، وخلقهم ما يشاءُ
نفسه كي يكون منهم رضاءُ
بع ما خولجت به الحوباءُ
حاكم فيه جوّه والغذاءُ
وارتياحٍ، تناكرت آراءُ
رحم الله فاحتواه كساءُ
ادّعى أن عجزه استعلاءُ
وكيما يعود منه اعتداءُ
وهو منه استزادة لا وفاءُ
ك رزء وكان منه رثاءُ
ولولاه غاله استخذاءُ
جمعت في مناله الجبناءُ
وعداءً يكون منه عداءُ
رُ منهم وذاك منهم رياءُ

والشقيّ الجزوعُ من شرّ قومٍ
مستتيمٌ إلى الولاء ويكوي
جاهل بالأنام يخدعه المطُـ
لقنوه أنّ المروءة أن يغـ
لا بل الفضلُ خيرُه وهو يدري
مطمئنًا بعدَ اصطناعِ جميلٍ
كلهم ظالم وإن كان مظلوم
يشتقي من لواعج الغيظ والذلّ
يظلم الصاغر الضعيف كما يظـ
طبقاتٌ مقدّرات من الطغـ
ومع الشرِّ والأباطيل في نفـ

جرّ نفعم منه إليهم رجاءُ
قلبه أن يفيض منهم ولاءُ
ـري نفوسًا لهم وحقّ الهجاءُ
ـترّ بالنّاس وهو منه غباءُ
إنّ بلاهم أن قد يعزّ الجراءُ
عندهم إن دهاه منهم بلاءُ
مّا رأى أن قسوّه استشفاءُ
بظلم الأذلّ، بئس الدواءُ
لمه من له عليه اعتلاءُ
ـيان ما إن يُخال فيها انتهاءُ
ـسٍ فللخير أنة سيماءُ

الصحراء

أرْحُبُّكَ أَمْ صَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ غَالِبٌ
كَصَمْتِ الْخَشُوعِ الْمَطْرُقِينَ نَزْوِعِهِمْ
وَصَمْتِ لَذِي الْمِحْرَابِ فِي بَيْتِ رَبِّهِ
تَوَقَّعَ مَنْ قَدْ غَالَهُ الصَّمْتُ هَاتِفًا
كَمَخْتَرِقِ الظُّلْمَاءِ لِحَاخِ لَعِينِهِ
حَدِّ أَنْ يُنَاجِيَ النَّفْسَ فِيكَ أَخُو الْحَجِيِّ
وَيَخْشَعُ مِنْ رَحْبٍ كَأَنْ لَا مَدَى لَهُ
وَيَخْشَعُ أَنْ لَا شَيْءَ إِلَّا مُجَانِسُ
وَكَمْ رَاعٍ رَأَى الْعَيْنَ إِنْ كَانَ لَا يُرَى
حَكَى خُدْعَةَ الْأَمَالِ أَلَّاكَ رَافِعًا
سِرَابُ الْأَمَانِيِّ فِي الْحَيَاةِ خَدِيعَةٌ
وَمَنْ ضَلَّ فِي خَرْقٍ مِنَ الْعَيْشِ لَبُّهُ
تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَنِ اللَّظَى
سَمُومَ كَدْفَاعِ الْبِرَاكِينِ أَوْ لَظَى الْـ
وَيَصْلَاهُ رُكْبَ خَالِ دُنْيَا تَقَلَّصَتْ
وَيَسْوَدُّ وَجْهَ الْأَفْقِ حَتَّى كَأَنَّمَا
غَدَا مُصْحَرٌ مِنْ رُوعِهِ وَهُوَ هَائِبٌ؟
مَقَابِرُ صَرَعَى لِلرَّدىِ وَخِرَائِبُ
يُقَارِبُهُ فِي صَمْتِهِ وَيَخَاطِبُ
يَكْلِمُهُ مِنْ فَرَطِ مَا الصَّمْتُ رَاعِبُ
إِذَا جَالَ فِيهَا اللَّحْظُ مَا هُوَ غَائِبُ
وَيَخْشَعُ صَمْتًا رَاكِبَ فِيكَ ذَاهِبُ
حَكَى أَبَدًا مَا حَدَّه الدَّهْرَ حَاسِبُ
فَلَمْ يَلْفَ إِلَّا مُشْبِهَةً أَوْ مُنَاسِبُ
سِوَى الشَّبِيهِ يَتْلُوهُ الشَّبِيهِ الْمَصَاقِبُ
عَلَى الْأَفْقِ بُشْرَى كَذَبَّتْهَا الْعَوَاقِبُ
وَقَدْ تَهْلِكُ الْمَرْءَ الْمُنَى وَالرَّغَائِبُ
كَمَنْ خَذَلْتَهُ فِي الْفِيَا فِي الْمَذَاهِبُ
كَأَنَّ شَوَاطِظَ الْقَيْظِ يَسْفِيهِ دَائِبُ
حِرَائِقُ يَصْلَاهُ الْحِصَا وَالنَّجَائِبُ
عَنِ النَّارِ لَوْ يَسْعَى جَحِيمَ مِقَارِبُ
ذُكَاءُ دَجَتْ أَوْ يَكْسِفُ الشَّمْسُ حَاجِبُ

كما راع مرأى الحسن والعُزّي سالب
وصبَّ عليه من سنا الشمس ساكب
كأن طلاءً قطره وهو صائب
تكاثر حتى تقَّب الدجن ثاقب
كما غمر الأرض المياهُ السوارب
به فإذا المألوف منه الغرائب
بأصدق منها فرحة وهو آيب
من اللبّ نيلاً لم تتله الكواعب
فأحسبها تدنو به وتقارب
ويذهل من رحب الفضاء المراقب؟
فتفضي إليه بالحوار الكواكب
وأنّ رقيباً في السماء يراقب
كأن وراء النجم ما هو طالب
كذا اليمُّ لا يقوى على اليمِّ كاتب
سفائن لجّ البيد تلك الركائب
إذا هبَّ إعصارٌ على الركب كارب
كما احتشدت فوق السفين السوارب
ويركبه ذو مطلب وهو هائب
جلاً لكما شِبهُ وشِبهُ مقارب

وكم حار ركب من فجاءة صحوة
إذ الجو كالبُور أخلص لونه
كذلك غبَّ الغيث ريعان بهجة
كأنّ ضياءً في سواد سحابة
تفجّر ينبوع من النور غامر
ضياءً ترى المألوف من كلّ منظر
وما فرحة الولهان عاد حبيبه
نهارك أم ليل الدَّراري نائل
أديم سماءٍ يُبرزُ الشهبَ صفوه
أما يخشع السَّمارُ من كثرة الدنى
يبيتُ يُناجي النجم والنجم سامر
كأنّ لحاظ النجم من لحظ عاقل
يُسائلُهُ عن عيشه أين سرُّه
إذا خطَّ فيك الدهر سطرًا محوتُهُ
وترقل فيك اليعملات وإنما
وللبحر أمواج؛ وللبيد مثلها
فيغرق في لجّ من الترب حائن
ورحك رَحْب البحر يطويك هائب
بأفكما للشهب رهب وروعة

وذي دولة في اليمِّ قد دال أمره
ويصغر عيشُ المرء في اليمِّ مثلما
لمحلك يلقى مكرم الضيف ضيفه
وتشدهُ الأخطارُ حتى كأنما
لقد صقلتها نار قينٍ وصيقل
تتسكَّت في بُردِ النقشف لم يكنْ
وآخر أردته لديك المطالبُ
تضائل فيك عيشه والرغائبُ
بخيرٍ وأما خصمه فهو سالبُ
بئوك سيوف ينتضيها المحاربُ
كما صقلتهم في الحياة النوائبُ
معاش ولا ترجى لديك الأطايبُ

الشاعر البابلي المجهول

يا غريبَ الدارِ عن وطني
هل سمعت اسمي وما نقل الـ
انكت الأطلالَ علَّ بها
قد وصفتُ الحسنَ أجمعه
وبحثتُ النفسَ قاطبةً
ولَكمَّ أجمتُ مضطغناً
سَهَرَ الأَقوامِ واختصموا
كلُّ ما قد صاغه عَرَبٌ
صُغُّته من قبلهم فعفا
لم يعشْ بالصيتِ شاعرهم
دُوْلٌ أودتْ بها غَيْرٌ
لم أدعُ معنَى لذي أدب
فاستباحَ الدهرَ من أدبي
بابلُ الأملاكِ ما عمرتْ
درستُ من بعد ما لبثتْ
بعد ما كانت خمائلها
ناظرًا في غابر الزمنِ
رَكَّبَ عن شعري وعن فِطني؟
أثرًا قد خُطَّ في الدمنِ
لم أدعُ في الكونِ من حسنِ
لم يفتني أيما شَجَنِ
عائبًا قولي من اللِّحنِ
فيَّ من راضٍ ومضطغنِ
أو من الإفرنجِ ذو لَسَنِ
وكأنَّ الأمرَ لم يكنِ
عمرَ صيتِ كان لي وفني
وَرَدَى اسمي بعدُ لم يَحِنِ
عالقٍ بالشعرِ مرتهنِ
ما استباحَ الدهرَ من وطني
مثلها في سائرِ المدنِ
حِقَبًا مشهورةَ السننِ
فتنةً تربو على الفتنِ

بعد ما دان الزمان لها
واستوى في الثرب ذو لسن
نمّ طويلًا يا أبا الزمن
بعد آلف من الحقب
لا ترى اسما كنت تُكبرُهُ
سل عن المشهور من قدم
عن عظيم كنت تحسبه
فإذا أنتم وشأنكم
يا غريب الدار عن وطن
هل سمعت اسمي وما نقل الـ

فكأنّ الدهر لم يدن
وذوو الإعياء واللكن
وادعًا في اللحد والكفن
قم وسل عن صولة المحن
سل عن الأوطان والسكن
وعن المعبود كالوثن
خالدًا كالدهر والزمن
حلم قد كان في الوسن
باحثًا في دارس المدن
ركب عن شعري وعن فطني؟

النشوء والارتقاء

أراك فريسة الجوعى — من سغباناً وشهوانا
بربك أيها الإنسا — ن لم أصبحت إنسانا؟
بعقل يبلغ الشمس — وأقصى الكون عرفانا
وجدت لكل ما كان — من الأكوان ميزانا
كأنك خالق الخلقى — من أكوانا وأزمانا
وسخرت الرياح مطى — ة والبرق فرسانا
وقد أعليت عمراناً — وقد قدست أديانا
وردت العيش عرياناً — وترجع عنه عرياناً
وملء حياتك الأحزا — ن والالام ألوانا
وتبليك الحياة كما — يفت الجو صوانا
وتصرعك الجراثيم — كما لو كنت ديدانا
وقد تهلك غرثاناً — وقد تهلك مبطانا
وقد تغدو إلى اللذا — ت فتاكاً وخزيانا
فبين الجوع والشهو — ة قد أجريت ميدانا
وللتخليل والتحري — م قد أعددت تبياناً
فما أصلحت حاليك — ولا طهرت أدراناً

وَفُقَّتَ الطَّيْرَ وَالْحَيَوَا
وزنَّتَ الذَّرَّةَ الصَّغْرَى
لَعِيشِكَ كَي يَكُونُ الْعَيْـ
بِرَبِّكَ أَيُّهَا الْإِنْسَا
نَ آثَامًا وَأَشْجَانَا
وَمَا أَعَدَدْتَ مِيزَانَا
شَ إِسْعَادًا وَإِحْسَانَا
نُ لِمَ أَصْبَحْتَ إِنْسَانًا!؟

النجاح

أنت ربُّ الأوثاب والأعلياءِ
تلبس المرء منك حلة فضل
أبي فضلٍ للمرء إن لم تحكه
فرص العيش كلها لك جندٌ
وصروف الأقدار طراً عبيدٌ
لا يضيرُ الذي اصطفتِ عداءُ
ويودُّ الذكيُّ لو كان غرّاً
أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالاً
وينيل القميءَ أجنحة النسبِ
يرتجي الناس غيثها وعلها
إيه يا مالك القلوب قلوبُ الـ
رُبَّ قلبٍ مُمكسٍ لك في البيـ
تنثر التبر مثلما تبعث الشمـ
فوق وغدٍ أو فوق غرِّ حظيِّ
لك ثوبٌ يخفي العيوبَ ويحبو الـ
قدَّر حاكه وليس صناعُ
وجماعُ الجهود والأهواءِ
يلهج الناسُ حولها بالثناءِ
وذكاءٍ إن لم تكن في الذكاءِ
والعطايا موائلُ كالإماءِ
للذي تصطفيه للآلاءِ
لا ولا يُزدرى لفرط الغباءِ
ثم تكسوه حلة الأذكياءِ
وينيلُ الوضيع أفقَ العلاءِ
ر فيغدو لقومه كسماءِ
بخشوعٍ وذلةٍ ورياءِ
نَّاس طرّاً طوع اللها والعطاءِ
ع وذاك المِكاسُ غير البِباءِ
س بأضوائها على الأرجاءِ
أو على ظافرٍ من الفضلاءِ
فضلُ فضلاً من روقة الآلاءِ
كصناع يدعونه بالقضاءِ

معدنُ الخير والفضيلة والحكْمُ
أَيُّ فضلٍ تعطى القويَّ قواه
أَيُّ صيتٍ يُجدي الذكيَّ بيانُ
أَيُّ فضلٍ تحبو الحكيمَ نُهاهُ
سَرَفٌ أن أضاعه الدهرُ لا يَفُـ
أترى التَّبر لو يظل دفينًا
أترى الحسن كان يعتد حسناً
يغنمُ الظافر السعيدُ وإن كذَّ
وهو في أعين الأنام نضارُ
يغفرُ الناس شرَّه وأذاه
إنما الحقُّ ما رأى النَّاسُ حقًا
والشريف الذي يرون شريفًا
والكريم الذي يرون كريمًا
صاح لو يُنبذُ المزيفُ طُرًّا
ثم باعوا بحيرةً وضلالٍ
وإذا النجاح لم يكن منه ميزًا
كن جديرًا به وإن لم تتلَّهُ
ويَضيرُ الأنامَ كيدُ حَقودٍ
فدع النَّاسَ يكلفون بما شا

مة من يرتدي بذاك الرداءِ
إن عداه النجاحُ في الأحياءِ؟
لم يُصبْ نهزةً من الباصغاءِ
وهو لولا الأنصار كالأغبياءِ؟
قر دهرًا أضاعه من ثراءِ
كان يُجبي أطيب الأشياءِ؟
وهو في خفيةٍ عن البصراءِ؟
ب منه النُّقادُ بطلَ الطلاءِ
وسواه في الخلق كالدقعا
ويمدُّونه بمحض الولاءِ
ثابتًا في عقيدة الأهواءِ
نال أو لم ينلْ مدى الشرفاءِ
حاز أو لمن يحزُّ هوى الخبراءِ
حَرَبَ النَّاسَ كُلُّ هذا الإباءِ
في دعاوى العقول والأراءِ
نَّ فكلُّ مزيف الأنباءِ
إنما الحقدُ آلة الأذنباءِ
صدَّ عن خيرٍ مطمح وعلاءِ
عوا وعش في حقيقة الأشياءِ

إن تجدها أو لم تجدها فللعي
نشوة النجح نشوة السعي والخوا
ولعلَّ الأحقاد ما صفرَّ النجـ
ورجاءٌ للنجح خيرٌ من النجـ
إنَّ بعدَ الرجاء أن تبلغَ القصدَ
ولقد يَنكُبُ النجاحُ أناسًا
والسعيدُ المحرومُ من أسلمَ الأطـ
ويودُّ الذي تودُّ له الأقبـ
ذاك خُبرٌ يغري الحكيمَ وإن شقَّ
ولقد يُحبِّطُ الطموحُ إذا زحـ
وفروضُ الحياة أخلقُ بالسَّعـ
إن أعلى من العلاء خليقًا
والسعيد الحظيُّ من رزقِ الجدِّ
هو طبُّ المالِ إنَّ أعنتَ العيـ
وسواء نجحَ وفوتَ إذا أحـ
والشقيُّ المحروم من لا يرى في الـ
ذاك من مات قلبه وهو حيُّ
خاصمته النعماء في كلِّ أمرٍ
خيبة المرء أن يملَّ منهاه

ولجدِّ نشوة الصهباءِ
سرُّ من لم يفز له بطلاءِ
ح وانحنى عليه بالأزرأِ
ح فعش من طلابه في رخاءِ
دَ ولا قصدَ بعد نيلِ الرجاءِ
بالذي فاق نكبةً للشقاءِ
ماعَ طرًّا لصرف حكم القضاءِ
دار يبغي فيها رخاء الرضاءِ
فيلفي رخاءه في العزاءِ
زحه لهم عنه بالإعياءِ
ي وأحجى من اقتعاد السماءِ
بعلاء لا حائزًا للعلاءِ
وفي الجدِّ مصرع الثوباءِ
شُ وغالت غوائلُ البأساءِ
مدت ما في مسعاته من دواءِ
عيش فرضًا ينأى به عن شقاءِ
وغدت نفسه ككفرٍ خلاءِ
وبدت فيه وحشةُ البيداءِ
لا تمادي الحرمان واللبطاءِ

ولعلَّ البِطَاءَ فِي النَجْحِ أَهْنَا
وَيُمَلُّ العَطَاءُ بَعْدَ أَوَانٍ
وَالَّذِي لَا يَمَلُّ فَرَضًا مَعَادًا
لَا يَنَالُ البَعِيدَ مِنْ لَا يَرَى الْأَذَى
خَطْوَةٌ إِثْرَ خَطْوَةٍ هَكَذَا سُنَّ
وَامْتِنَاعِ الطَّلِيبِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ
هُوَ خَطْبٌ أَدهَى مِنَ الفَوْتِ وَقَعًا
كَالَّذِي يَسْتَطِبُّ بِالْخَطْبِ مِنْ خَطِّ
لَيْسَ يُدْعَى الرِّضَاءُ يَأْسًا فَكَمْ رَا
وَالَّذِي يَسْتَدْرُجُ نَجًّا مِنَ الخَيْبِ
فَإِذَا مَا نَكَّصَتْ فِي العَيْشِ فَاعْلَمْ
يُدْخِلُ المَرءُ نَفْسَهُ فِي الرِّزَايَا
مِثْلَمَا أَسْمَعُوا الجِيَادَ صَلِيلًا
صَاحٍ، مَا العَيْشُ بِالمَخْلَدِ فِي الدَّهْرِ
وَإِذَا مَا ارْتَخَصْتَ مَا هُوَ مَبذُورٌ
فَالهَوَاءُ الحَيَاةُ وَهُوَ مُذَالٌ
لَا تَقْلُ خَيْبَةَ الرِّجَاءِ سَمُومٌ
إِنَّ بَعْضَ السَّمُومِ مِنْهُ دَوَاءٌ
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالخَيْرِ لَا تُؤْ

وقصارى المَبذُولِ لِلأَزْرَاءِ
كعزوفٍ مِنْ بَعْدِ طُولِ الغَدَاءِ
كَلَّ يَوْمَ مُوقِفُ السَّعْدَاءِ
نَى سَبِيلًا يُدْنِي إِلَى البَعْدَاءِ
لُةُ عَيْشٍ وَسُنَّةٌ فِي الجِرَاءِ
يَنْدُبُ المَرءُ خَيْبَةَ الأَهْوَاءِ
وَهُوَ دَاءٌ أَشَدُّ مِنْ ذَا الدَّاءِ
سَبِّ وَيُقْصِي الأَدْوَاءَ بِالأَدْوَاءِ
ضٍ وَفِي سَعْيِهِ دَبِيبُ الرِّجَاءِ
سَبَّةٌ أَحجَى بِرَفْعَةٍ وَعِلَاءِ
لَيْسَ فِي العَيْشِ مَوْطِنٌ لِلنَّجَاةِ
كِي يَدَاوِي مِنْ رَعْدَةِ الجَبْنَاءِ
كِي يَهْوَنَ الصَّلِيلُ فِي الهِيَجَاءِ
رَ فترتدَّ نَاكصًا لِلورَاءِ
لَ وَيَا رَبَّ مُرْخَصٍ مِنْ سَخَاءِ
لَوْ نَأَى كَانِ مُنِيَّةَ الأَحْيَاءِ
فَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ بِالأَسْمَاءِ
كَدَوَاءِ الرَّمْدَاءِ بِالظُّلْمَاءِ
لَعُ بِكسَبِ الجِجَالِ وَالْبِطْرَاءِ

ليس بين الباطراء والذمِّ إلا
واللبيبُ العليم بالناس لا يغـ
غايظوا الراجح السعيد بمن خا
يزعمون الخِيَابَ أحجى بفوزٍ
زعموا الدهر يظلم الندبَ إذ يسـ
فإذا الندب نال شأوا أعدوا
ولعمري لو بيّن النقص والفضـ
باتفاقٍ أو باقتدارٍ نجاحٍ
ولو أنّ المفضول لم يُلَفِ نُجْحًا
نابَهُ النقص من قضاءٍ فإن خا
ليس فوزُ الأباة قدرَ شقاءٍ
لا بل الفوزُ صحةٌ واقتدارُ
وبأن تطبّي رضاء نوي الجا
وبإحباطٍ مَنْ يكيّدُ بكيدٍ
وبإطراء من ترى منه نفعًا
واحتذاءِ الحياة ترضى الذي تر
وبأنّ لا تعاف كسبًا ولا خُلـ
فإذا عَفَتَ كان سعدك في الخيـ

كانطبق الجفون في الإغفاء
ترُّ بالمدح منهم والهجاء
ب ولو فاز كان في البغضاء
قد لواه القضاء ذو الأخطاء
مو بشأو اللئام والأدنياء
ما أعدوا له من الأيذاء
لُ لكانوا في النقص كالشركاء
كان أو لم يكن لدى الفضلاء
ضاعف الفوت غبن صرف القضاء
ب فغبن مضاعف في الجزاء
هزم الذل نخوة الأحياء
وببذل للذخر أو للحياء
ه وأهل الجدود والأقوياء
رُبَّ فوز مستجلب بالدهاء
وبإرضاء كلِّ دانٍ ونائي
ضاه من شيمةٍ ومن سيماء
قًا يُداني من مطلبٍ ورجاء
بـة والنجح من صنوف الشقاء

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

رُبَّ قُوْتٍ لِلْمَرْءِ مِنْهُ سَقَامٌ وَهُوَ فِي جِسْمِ آخِرٍ كَالدَّوَاءِ
وَكَذَا النُّجْحُ مِنْهُ عَزٌّ وَنَعْمًا ءُ وَنَجْحٌ يُلْمُ بِالْبُرْحَاءِ

الجبل

ذكرى

جلالك أهدى من ضياء المنائر
لقد كنت عرش المجد في الأرض عزة
فيا معبدًا سقف السماء غطاؤه
جلالك يلهي المرء عن كل زائل
توحدت كالرهبان يا رب راهب
تطل على السهل الفسيح كأنما
ألا إن للأهرام مجدًا وروعة
فأنت بناء الله لم يبن مثله
ومعتصم في معقل منك مانع
علوت برأس في السماء مباعد
وينساب فيك الماء جذلان لاهيًا
عليك اعتراك للعواصف رائع
وأنت وقور لم ترع من رعوها
يغير مر الدهر حيًا وهامدًا
ومنبرك الأعلى أجل المنابر
ومسكن أرباب الدهور الغواير
وعمدائه الدوحات ملء النواظر
فيخشع مسحور النهي الضمائر
رأى عصمة الأطوار طهر السرائر
تفكر في عيش القرى والعمائر
ولكنها إن لحت لهو الأصاغر
قدير ولم تعبت به يد جائر
كما اعتصم الملاح بين الجزائر
أكيما تناجي السحب أم كبر قادر؟
وأنا له روع كروعة هادر
وبرق ورعد طي سحبه مواطر
ولم تنهيب دورة للدوائر
سواك فهل أوقفت خطو المقادر

فيا مَلِكًا بُرْدُ الجليد كساؤه
تشاهدُ جيلًا بعد جيلٍ كأنما
ترى مولدَ الدولات ثم مماتها
خلطتُ بك النفس الطموح إلى العنا
ومن فوقه تاجُ النجوم الزواهرِ
تمرُّ بك الأجيالُ مرَّ العساكرِ
وتبصر مجدَ اليوم بعد الغوايرِ
ومرأى جلال منك ملء الخواطرِ

المستقبل

كهانة

خطراتُ الأحلامِ ستُرى في الأيامِ
أقوالُ وفعالُ هي رهنُ الأوهامِ

الآن

ويكونُ الممنوعُ هو حقُّ مسموعُ
ويكونُ المنبؤُ هو عرفُ متبوعُ

الآن

وجهودُ مشكورةُ ستغادي منكورةُ
آراءُ ومعانٍ حباتُ مبذورةُ

الآن

وترى في الأجيالِ من حالٍ ومالٍ
وسبيلًا مطروقًا كخيالٍ ومحالٍ

الآن

وأمرٌ مجهولهُ ستغادي مملولهُ
من فرطِ العرفانِ وتراها مأمولهُ

الآن

خطراتُ الأذهانِ وضروبُ العرفانِ
تهدي إن لم تُصمِ فتكات الإنسانِ

الآن

وولوعُ ببقاءِ ككفيلِ بنجاءِ
مهما صال الموتُ في حربِ وعداءِ

حالتان للنفس

طلب السكينة

يا ليت قلبي غدا خلاءً	كعالمٍ كلُّه بحارٌ
على انتفاء الحياة منها	في خضم ما له قرارٌ
فلا مهودٌ ولا قبورٌ	ولا سفينٌ ولا منارٌ
ولا حبيبٌ ولا عدوٌّ	ولا نموٌّ ولا احتضارٌ
ولا رخاءٌ ولا شقاءٌ	ولا رجاءٌ ولا اِدِّكارٌ
أو كان كالنجم في سُرَاهِ	الوادع السائر المدارُ
أو كان كالليل في هدوءٍ	يُخال في صمته حوارُ

طلب القوة

يا ليت قلبي على أساهُ	أقوى من الشرِّ والشقاءِ
وليت نفسي على هواها	أقوى من الحبِّ والرجاءِ
وليت لبي على حجاه	أجلد من غفلة الغباءِ
لا يضطّنيه عداءٌ عادٍ	وليس يغتُرُّ بالإخاءِ

يأخذ صفو الزمان عفواً
وليت صبري على بلاءٍ
فداوِ داءَ الحياة فينا
بالصبر والسعي والأمانِ
ولا يُعنى من القضاءِ
أشدُّ من أروع البلاءِ
لو تُسعد النفس بالدواءِ
والحلم والعزم والوفاءِ

عجز التجارب

مَا زَادَ مَرُّ حَيَاتِي غَيْرَ أَشْجَانِي
يَا دَهْرَ لَا تُتْسِنِي فِي ضَيْقٍ عَادِيَةٍ
وَقَوْنِي بِتَجَارِيِبِ أَزْوَالِهَا
وَكَيْفَ يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مُصْطَبِرٍ
يَزِيدُهُ الْعَمْرَ مِنْ وَهْيٍ وَمِنْ كِبَرٍ
فَكَيْفَ يَنْفَعُ تَجْرِيْبٌ وَمَانِحُهُ
بَعْضَ التَّجَارِبِ يَنْسَى لِيَذْكَرَ زَمَنًا
فَإِنْ تَبْقِظُ فِي تَجْرِيْبِ طَارِقَةٍ
ضُرُورَةَ الْعَيْشِ أَنْ يَنْسَى لِيَذْكَرَ مَا
فَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مِنْ حَالٍ لثَانِيَةٍ
فَإِنْ تَذَكَّرَ أَمْرًا وَاحِدًا أَبَدًا
وَإِنْ تَنَاسَ فَلَا نَفْعَ لَخَبْرَتِهِ
فَإِنْ تَذَكَّرَ مَنْسِيًّا تَبَادَهَهُ
كَأَنَّهُ مُسْتَجِدٌّ لَمْ يَلَمْ بِهِ
وَرُبَّ طَبْعٍ بَلَا خُبْرٍ وَتَجْرِبَةٍ
ذُخْرَ التَّجَارِبِ ذَخْرٌ لَمْ رَوَّاجَ لَهُ
فَزَوَّدْتَنِي رُجْحَانًا كَنْقَصَانِ
مَحَاسِنَ الْعَيْنِ مِنْ صَبْرٍ وَغَفْرَانِ
فَإِنَّمَا لَمْ تَزِدْنِي غَيْرَ عِرْفَانِ
يَمْرِي لَهُ الْخَبْرُ عِرْفَانًا بِإِيهَانِ
مَا زَادَهُ الْعَمْرُ مِنْ خُبْرٍ بِحَدَثَانِ
يُوهِي جِلَادَةَ أَعْصَابٍ وَجِثْمَانِ
إِذَا تَعَاوَرَ لُبُّ الْمَرْءِ ضِدَّانِ
فَإِنَّمَا هُوَ يَقْضَانُ كَوْسِنَانِ
يَغْدُو يِعَالِجُ مِنْ أَمْرٍ لَهُ ثَانِ
مُنْقَلٌّ بَيْنَ نَسْيَانٍ وَنَسْيَانِ
قَضَى الْحَيَاةَ غَرِيرًا جَدَّ غَفْلَانِ
وَكَيفَ يَجْدِيهِ مَنْسِيٌّ بِغُنْيَانِ
مَنْهُ فَجَاءَهُ مَا يَقْضِي الْجَدِيدَانِ
وَلَمْ يَحْوَلْ إِلَى طَبْعٍ وَدَيْدَانِ
أَسْخَى عَلَى الْمَرْءِ مِنْ خُبْرٍ وَعِرْفَانِ
وَلَمْ يُخَصَّ بِأَرْبَاحٍ وَأَثْمَانِ

ذخر الأقاويص مسحورًا ومختزنًا
إلّا تجاربُ علمٍ يستجدُّ بها
لولا انتفاعك من عادٍ مُفضَّلةٍ
لما خُدعتَ بأشباهِ إذا اختلطتْ
والخُبْرُ ليس بِنافٍ عادةً شَنأتْ
يزيدك الخُبْرُ علمًا بالحياة وما
حتى تسير على مجرى سجيَّتِهِم
فإن أبيتَ سجايا الناس من شممٍ
إلّا إذا ما لبستَ الدهرَ عافيةً

فليس للعين منه غير ريعانٍ
ما يملأ العيش من حسنٍ وإحسانٍ
قد تجتنبها مع التجريب في أنٍ
فعادةُ المرء والتجريبُ أمرانٍ
ولا يداوى به من وَهي أبدانٍ
تغرى به الناس من شرٍّ وطغيانٍ
فلا يزيدك فيها غير إمعانٍ
قضيتَ عيشك في همٍّ وأحزانٍ
فهياتُ لك من صبرٍ وغفرانٍ

ليلة حوراء

رقّ الظلامُ بليلةٍ حوراء كالطّرف الكحيلُ
سخرُ العيون كسحرها بين الشواهد والشكولُ
هي فتنة الحدق الملاما ح ونعمة الطرف العليلُ
رقّ الظلامُ كأنه متقيّاً الظلّ الظليلُ
في روضة فينانةٍ هجرَ الهجيرُ بها المقيلُ
وصفا الدجا فكأنما مزج النهار به الأصيلُ
فتمازجاً كتمازج الـ ماء المصفى والشّمولُ
في جناحها وصفائها قرنَ الجليلِ إلى الجميلُ
وتصالحاً من بعد ما أفـ ترقّ السبيل عن السبيلُ
تحنو علينا مثلما يحنو الخليل على الخليلُ
وتخالها حُلماً بسعـ دِجلاً عن قيد العقولِ
ولربّ ليلٍ فاحمٍ فيكادُ يُقَطعُ أو يسيلُ
لا مثلَ ليّلتِي التي تندى على الوجدِ الدخيلُ
في سحرها وصفائها ونجومها بُرءُ الغليلُ
عمّ السكونُ كأنه ملكٌ على الدنيا نزيلُ
فكأنها رسمٌ بدأ وكأنها حُلْمٌ مخيلُ

في مثلها من هذأة
وكهدأة في معبد
وكأنما أغفى الهوا
والبدر طيف في المنا
في مثلها من ليلة
ورأوا تجلي الله في
والزهر كالمسحور وسـ
والنهر غاف راکد
وسنان يحلم بالريا
في مثلها من ليلة
يُصغي إلى نجوى القلو
كوقوف نجم سماءها
كذهول مسحور بما
يا ليل بل يا سحر بل
سكن القضاء فلا يصول
للخاشعين به مثول
كغضة الطرف الكليل
م يطيف كالحب الوصول
عبد الدنيا أهل الحلول
كون عراه له زهول
سنان المحاسن في ذبول
نسي الترقق والمسيل
ض وظلها فيه الظليل
يقف الزمان فلا يحول
ب وذكراها العهد المحيل
يثنيه من سحر زهول
تجلو من الحلم الجميل
يا حلم ليتك لا تزول

الشتاء في إنجلترا

مقدمة

يسقط الثلج في إنجلترا شتاءً على شكل حبات الدقيق. فيعلو الأرض والمنازل والأشجار، فيخيّل للرائي كأنما قد كُسيَت الدنيا كساء من القطن. وكأن النهار ليلة مقمرة، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر. وتُذْكي النار في المواعد في البيوت، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية في جنّة الربيع، وتُذْكي نار المواعد وجنّات الوجوه فكأن في المواعد جمراً وفي الوجوه جمراً! وتبحث في القلوب فتري نار الحياة وشرتها، وتري الحب والآمال لم يُغَضَّ منها برد الشتاء وتلجه!

الناظم

نَشَرَ الضَّرِيبَ عَلَى البَسِيطَةِ حَلَةً	بِيبِضَاءِ تَمَحُو غِبْرَةَ الغِبْرَاءِ
يَسْعَى عَلَى وُضْحِ النِّهَارِ كَأَنَّمَا	يَسْرِي الفَتَى فِي لَيْلَةِ قَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ نَوْرَ البَدْرِ مَا حَلَّى الثَّرَى	بِرَوَاءِ تَلِكِ الحَلَّةِ البِيبِضَاءِ
غَلَبَ البِيبِاضَ عَلَى اصْفِرَارِ أَشْعَةِ	تَهَبُّ النِّهَارِ مِنْ اصْفِرَارِ ذُكَاءِ
وَعَلَى المَسَاكِنِ كَسُوَّةً مِنْهُ كَمَا	تَعْلُو المَفَارِقَ شِيْبَةَ الشَّمْطَاءِ
فَإِذَا مِثَابَهَةَ المَشِيبِ كَدَعُوَّةٍ	لِلنَّفْسِ أَنْ تَتَأَى عَنِ الأَهْوَاءِ
وَإِذَا اسْتَرَا حَ لِمُقْمَرٍ فِي لَوْنِهِ	رَاءِ تَرَى الأَحْلَامَ عَيْنُ الرَّاْيِ
وَكَأَنَّمَا فِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ يَسْبُ	عَى مَنْ سَعَى لَأِ عَالَمِ الدَّقْعَاءِ
وَكَأَنَّ زَهْرًا أْبِيضًا غَطَى الثَّرَى	بِرَوَاءِ ثَوْبِ الرُّوْضَةِ الغِنَاءِ

ولكلّ لون حسنه كالليلة الـ
ولربما اختلف الجمال، وفعله
وإذا المواقف في البيوت تضاحكت
خلت الربيع سعى إليك بحفله
يُذكي الوجوه لهيبها فتراهما
ما غصّ من دفء الحياة ونارها
الحبّ والآمل فوق متونه
والقلب قلب حيث كان إذا ذكت

لأبلاء أو كالقبة الزرقاء
متشابهة في أخذة الصهباء
من شدة الأيقاد والأذكاء
والنار زهر الجنة الفيحاء
جمرين يشتعلان في الظلماء
ثلج الشتاء على ثرى الغبراء
كالحبّ والآمال في الصحراء
نار الشباب وشرة الأحياء

بحر الحسد

مقدمة

الحياة هي بحر الحسد. ويسعى الناس في الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر، كأنما يسبحون في بحر من الحسد. وقد يدفع بعضهم بعضًا كي يظهر الدافع على متون أمواجه. وقد يعين بعضهم بعضًا في الأحيين. أما المجاملة في الحياة والتحيات، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفي بجماله ما في البحر من قبحٍ وبلاء!

الناظم

يسبح الأحياء في بحر الحسد	فاعتصم بالصبر فيه والجلد
واقعد صهوته مستبشراً	سابقاً في الموج منه والزبد
ضاحكاً من عنت الأمواج، لا	يُدْفَعُ الغائلُ منها بالكمد
انظر الأمواج في الشط، تجذ	لجهاً منهزم الأمر بدد
إن علت موجة حقد فاصطبر	أي موج في ذرى اليم خلد؟
وإذا ما رمّة لاحت فلا	تحسب الرمة فيه كالسند
وإذا لآلت الشمس على الـ	يم أخفت قبح ما دون الزبد
كمقال الخب يخفي كيده	إن سطا في العيش في لؤم وحقد
وإذا غار بك الماء فقل	كم حسام في قراب قد غمد!
رُبَّ درٍ فيه لا تأمله	إن من غاص على الدرّ وجد

درةٌ مخبوءة أنتِ إذا
أنجدِ السَّابِحَ إن حار وكنُ
ليس مجد الغدر أحجى بالفتى
أحمقُ الناس جهولٌ خائفُ
ما طفا باللؤم إن أغرقتَ وغدُ
للذي أشفى على الهلك عَضُدُ
أيُّ مجدٍ ناله الأوغاد مجدٌ؟
كلَّمَا لاح له برقٌ رَعَدُ
إنَّ من سار على الدرب وردُ
سهر العيش وفي الموت رقدُ
بعد أن عانى وأبلى وسهدُ!
رقدة يا طيبها من رقدةِ

الصدى

أمازح أم ساخرُ يا صدى تُرَدِّدُ الصوتَ ولفظَ المقالِ؟

الصدى: مقال! مقال! مقال!

أم قائلُ ذو خبلٍ لا يعي أغراه بالترديد مسُّ الخبالِ؟

الصدى: خبال! خبال! خبال!

أم أنت طفلٌ عابثٌ لا يني يلهو ويحكي ما يرى من فعالِ؟

الصدى: فعال! فعال! فعال!

أم ببغاء ما لها فطنة كم رَدَدَتْ من حكمةٍ أو مثالِ؟

الصدى: مثال! مثال! مثال!

أم أنت روحٌ لا تُرى تبتغي أمراً لدى الأحياءِ صعب المنالِ؟

الصدى: منال! منال! منال!

أم أنت بعض الجنِّ في خدعةٍ تسكن في الأطلال أو في الجبالِ

الصدى: جبال! جبال! جبال!

أم أنت شيخٌ أفنُّ إن سها رَدَدَ ما قيل له من مقالِ؟

الصدى: مقال! مقال! مقال!

أم كأصمِّ رامٍ إخفاء ما به فلا يطلب رجَع السؤالِ؟

الصدى: سؤال! سؤال! سؤال!

أم أنت مثل الناس في غيهم كم ردّد الجهال قولاً يقال؟

الصدى: يقال! يقال! يقال!

يخشون إن شذوا بإنكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال!

الصدى: ضلال! ضلال! ضلال!

فردّدوا بغياً على ألفة أو رددوا من كلال!

الصدى: كلال! كلال! كلال!

فقولهم مثل الصدى رجعةً وعيشهم ما بين قيل وقال!

الصدى: وقال! وقال! وقال!

حكيتهم في عيشهم ساخرًا أذلك العيش وعقبى المأل!

الصدى: مأل! مأل! مأل!

صمت الشك (علم أم ضعف؟)

ألا لا أبيعُ العيش مدحًا ولا ذمًّا
ولا يستقيم القولُ إلا لمنتشٍ
مللتُ أساطير الحياة فإن أُفِقُ
حلمتُ بحسن العيش والصدقِ والنهى
وإن لم يكن عيشُ الفتى حلمِ حالمٍ
فإن شئتُ كان الشكُّ ضعفًا وخيبةً
وإن كان أصلُ الوحش والناسِ واحدًا
وكيف أرى مستقبلَ الدهرِ للورى
إذا كان صدقُ الناسِ كذبًا وفضلهم
صحوت كصحو الموت من نوم عيشه
كما يلحق الآسى العليلُ دواءه
وهل ثقةٌ بالعيش والناسِ تشتري
وإن كان مدح المرءِ للعيش خشيّةً
يسوغ بيان السخطِ إن كان من هوى الـ
والإِ فإن الصمتِ أولى بقائلٍ
على تافهٍ لا ينقع الدهرَ غلةً

سكتُ فلا عذرًا نطقت ولا لومًا
من العيش والأمالِ لا من صحا غمًا
فمن لي بحلمٍ قد حلمت به قديمًا؟
أمانِي لا صُمًّا تبدت ولا بُكْمًا
فما عذرُ قولي إن حَسِبْتُ الدنى حلمًا
وإن شئتُ كان الشكُّ منطقه علمًا
فلم فَقَدُوا ظلفًا وقد كسبوا لومًا
علاءً ومحيا يجمع الخلق والفهما؟
رياء، وودٌّ منهمُ الغدرَ والسُّمًّا
أترجعني للعيش ألعقه رغبًا؟
وإن مجَّ منه علقمًا قد نبا طعمًا
لأنثرها نثرًا وأنظمها نظمًا؟
من اليأسِ كان المدحُ من وجَلِ ذمًّا
حياة وإن أغرى بك الأملِ الجمًّا
إذا قال قولًا جدَّد اليأسِ والهَمًّا
ولم يك بين الناسِ ربحًا ولا غنمًا

رأيت زوال الكائنات فلا أسي
سيحدث بعد القول قول يُدِيلُهُ
وما الخلد إلا عِزَّةٌ وطماعة
يكون الفتى في اليأس دهرًا وفي المنى
وقد حلَّ بي دهر إذا ما مدحته
وإن لم يُيَلِّك القولُ إلا مذمةً
فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكن
مملتُ نضالَ الناس في غير طائلٍ
وكم شبَّهوا فهمًا بسهم ومورد
فيا ليت هذا العيش يبدو كصورةٍ
كما تهدأ الهيجاء في رسمِ راسمٍ
ترى حسن إحصانٍ وتجويدِ صانعٍ

إذا لم أُخَلِّد لي مقالًا ولا نظماً
وإن زال أقوام تجذب بعدهم قوماً
وأنبِل كذبٍ يخدع اللبَّ والفهما
كأرجوحة بين الشقاوة والنعمى
أظل كحاسي المرِّ يفتعل البسماً
فمن برِّ نفسي أن ترى تركه حزمًا
صموتًا فحسبي أن أرى الحمق والحلماً
وإن كان شرًّا يصقل الذهن والفهما
ويأ طالما أشوى الصواب وكم أظماً
لعينيَّ أو خطأ على الطرس أو رسمًا
تراها فلا قتلًا تراها ولا كلماً
وقدرة فنَّانٍ وجهدًا له تمًّا

سحر الطبيعة

كئوسٌ من النور هذي الزهو
وليست بحلم ولكنها
وما خَفَّتْ لفنون الخيا
وماء الحياة ونبع الخلو
وعشب قشيب وظلُّ ظليل
ومما يزيد رواء الزهور
لقد خَفْتُ أن تنطوي مثلما
فأسلمتُ نفسي لسحر الخيال
وغبْتُ عن الحسنِ حسن الوجود
كأني نُقِلْتُ إلى عالم
كأني نُقِلْتُ إلى جنة
ومما يزيد رواء الزهور

ر أم هي أخيلة الشاعر؟
أجلُّ من الحُلم الباهرِ
ل فتنة حسنٍ لدى الخابرِ
د في مائها السلسل المائرِ
أدنياً أرى أم مُنى الساحرِ؟
أذى العيش والقدر الجائرِ
يزول الخيال عن الناظرِ
لأخلد في حُسنها الزاهرِ
كأني روح لدى العابرِ
سَيُنشأ في الدهر أو غابرِ
نأتُ عن سطا القدر الدائرِ
أذى العيش والقدر الحائرِ

الغابة

قد حيكتِ الآباد كالبحر والصخـ
وحجبتِ الأفق البعيد عن الطرـ
فكأنْ لا مدى لدوحك يُرجى
ورياح تشدو على ورق الدؤـ
منطق لم يدع لنفس شجوناً
ثم تبدو الغصون في هداة الريـ
وكأنني أصغي إلى غابر الدهـ
وكانَّ المساء ظلَّ دوحاً
وكان الظلام دسَّ كميناً
خطرت في ظلام دوحك أزوا
لبث القوم فيك دهرًا فناجاً
عُمداً شيدوا وسقفاً لبهـ
حين شادوا للدِّين بيعةً إيما
صرتِ ملهى وكنت غيلاً مخوفاً
وارتضيت الأمان من بعد دُعرٍ
غابة شادها ابن آدم نزلًا
راء من طول أرضك الشجراـ
ف فأنسيت منتهى الأشياء
حين تُدحى مطارحُ الغبراـ
ح بالحنِ شدة أو رخاء
لا يُحاكي صفاتها في الغناـ
ح كَنَايٍ معلقٍ بالهواـ
ر وما كان فيك من أزراـ
يتسامى ولات حين مساء
رابضاً في آجامك الدكناـ
ح وناجت مسامع القدماء
هُم سرارُ الفنون بالايحاء
واستمدُّوا من غابةٍ وسماـ
نِ تبدَّتْ كالغابة اللفاـ
وملاذ اللصوص والطرءـ
لم يزل في المدينة الشماـ
دوحها من قصورها الزهراـ

ربما عرّشت وضافتُ فلا شمّ
ومخوفٍ من الفجاءة فيها
واحتيالٍ ليُقنص الرزق والصيّب
كم وحيدٍ لا يعرف الأُنس فيها
ضاقَ ذرعًا بنفسه فغدا ينـ
عذبته لواحظ الشمس حتى
وأفاحٍ في دُورها وقرودُ
وغريبٍ ومُعدمٍ وطريدٍ
فكأنّ الأَقوام لم يخرجوا منـ
سُنّةٍ قد سننتها في نفوسِ
سُ لديها ولا مراحُ الهواءِ
كمخوفٍ في الغابة القتماءِ
دُ سواءٍ في مكرةٍ كسواءِ
أصبحتُ نفسه كقفرٍ خلاءِ
شُدُّ طيًّا في معرض الأحياءِ
أخذته لواعج الظلماءِ
ووحوشٍ من ناسها بالعرّاءِ
قد عداه حتى خداع الرجاءِ
ك ولما زال عهدك المتنائي
إن دعتها كانت جواب النداءِ

الحق والحسن

عصيت الحسن من همّ ونحسٍ
وقلتُ الحق خير منه عقبى
وقلتُ أيا رُواء الزهو بُعدًا
ويا مُلح الخمائل لا تكوني
ويا شمسُ اخبئي ضوءًا صبيحًا
أليس الناس في عنَتٍ وشرٍّ
سلي أهل الشقاء وما دهاهم
رمى بالنسل للآفات طُرًّا
وقالوا النسل فرضٌ أيُّ فرضٍ
ديار النحس كالجناد حُسناً
ورنَّق من مناقع آسناتٍ
وحيث ترى نعيم الحسن داء
وهل ترجوه لاستصلاح أمرٍ
فإن الحسن يلهي المرء عما
ولولا سلوة للحسن عيفتُ
فقال الحسن هل أنا غير سلوى
ينبخ على الورى في الطارقاتِ
وأولى بالنفوس السامياتِ
ويا سحر العيون الساحراتِ
حبائل قانصات آذاتِ
يغازل حسنه حُسن النباتِ
سلي الأيتام والمترمّلاتِ
وهل طابت لهم خدع الحياةِ
نشاوى لذّة لا الواجباتِ
جديرٌ بالنفوس المؤمناتِ؟
لدى العشاق فيها والهواةِ
أذُّ مع الغرام من الفراتِ
ترى فقد النفوس الآبياتِ
صريع عقار حُسن الفاتناتِ
يحاول من صلاح الحادثاتِ
حياةً في حضيض الهاوياتِ
تعين على كفاح النائباتِ

أنا الأمل الذي لولاه كانت
أنا الحق الذي تبغي جداه
أنا المثل الأجل، إلي مرقى
أنا الحادي الذي يحدو نفوساً
أنا الصبر الذي يودي بنحس
أنا الحب الذي لولاه كانت
فلما أن تبدى منه سحر
ولما أن تبدى منه سحر
خشعتُ وما ملكتُ قياد نفسي
وإن لم يزو نفس المرء عما
حياة المرء شرّاً من ممات
وتنشد كونه في الكائنات
خطا الراقين من ماضٍ وآت
فتطرب طربة المستوقرات
ويسعد في الهموم المضنيات
وجوه الكون أشبه بالرفات
أضاء بنوره وجه الحياة
أعاد النفس في مثل السبات
وقلت: الحق حُسنٌ لو يوّاتي
يحاول من صلاح الحادثات

ما وراء الأمن

ولكن ما وراءك يا عصام؟ (شاعر قديم)

سُ كَم من قائلِ عاتي	أما فكَرَّ هذا الننا
مُناه في الرماياتِ	لوَ ان لكلِّ ذي حقدٍ
حسيبَ على الجريراتِ	لوَ انَّ الأمرَ فوضى لا
قديمًا في البداواتِ	لكان الأمر ما كان
مِ مقضيِّ المشيئاتِ	إذ الأشره في الأرحُـ
أخيه أو السخيماتِ	ودامي النابِ من لحمٍ
عُ من بذلِ المروءاتِ	وغرُّ الناسِ ما يخذَ
وآياتِ السماواتِ	وغرُّ الأمنِ والسلمِ
وأرواحِ رحيماتِ	ومن يصغي لآياتِ
كحربِ الذئبِ والشاةِ	وخلفِ الأمنِ والسلمِ
وآخرِ بالسعاياتِ	قتالِ بالنكاياتِ
وأرجاسِ الغريزاتِ	وبالكذبِ وباللؤمِ
ف في حربِ المباراةِ	سلاحِ كل ما أسعَـ
نَمَتْ قتلى العداواتِ	ولو تقتل أَلحاظِ

أسهّم ما بدا في اللُحـ
وقوم الزمن الماضي
ظ أم سهم الحزازاتِ
كقوم الزمن الآتي

* * *

سألت الله أن يُخْلِـ
بأن يخلف أقوامًا
فمِنْ فُجَّار مهوأة
ومن رجبِ المباراة
فَ ظني عند ميقاتِ
كرامًا في السجياتِ
إلى أطهار مرقاةٍ
إلى طُهر المؤاخاةِ

نذالة التعاسة

كدتُ أنسى دواعي الرِّفقِ مما
يقضمونَ اليدَ التي تَنْتَحِيهِمْ
ويكيدونَ في الخفاءِ أو الجَهْـ
عَشَّ اللؤمُ حيثما عَشَّ البؤُ
ليس بدعًا، أليس ما نَعَصَّ العيـ
كل قلبٍ تبيت من حَسَاكِ البؤُ
يتلظى شرًّا ويرشح غدْرًا
يلوم المرءُ وهو غير شقيِّ
ليزيدنَّه اغتيالًا وحقْدًا
وسُعَارًا لو أنه نال من أرُ
وهو غلُّ لو حاقَ بالشمسِ أمسى
ليس شرَّ البأساءِ قصرًا على النحـ
وحُقودٍ وخسَّةٍ وسعاريِّ
تَقْسُدُ الأنفُسُ الكرائمُ حتى
ضَاعَ عطفَ الرحيمِ إذ ضَاعَ حُسْنُ الـ
وعظيمٌ ما أفسدَ النحسُ من خلـ
قد أرنتي نذالة التُّعَسَاءِ
بسخاءٍ ونجدةٍ وإِخَاءِ
رَّة أَلِيمٍ بَجَهْرِهِمِ وَالخَفَاءِ
س سوى في القليل من كرماءِ
ش من البؤسِ باعثِ الشخْنَاءِ
س مليئًا بخسَّةِ الأذنياءِ
ويُداجي خوفًا بثوبِ رِيَاءِ
كيف ينأى عن لؤمه في الشقاءِ
وافتراسًا على حُطَامِ الرِّخَاءِ
ضِ لَجَنَّتْ زلازلُ الغَبْرَاءِ
مثل ذرِّ الرمادِ وجهُ ذُكَاءِ
س ولكنْ كم أشعلت من عداءِ
واغتيالٍ ومكرةٍ ورياءِ
تَغْتدي مثلَ أنفُسِ اللؤمَاءِ
خُلِقَ في خيمِ أنفُسِ التُّعَسَاءِ
ق هضيمٍ ورحمةِ الرحماءِ

كم شقاءٍ يَمْضِي وفي النفس منه
من عوادي سخائم لست تدري
أم هي النفسُ سقمُها مثلُ سقمِ الـ
مثل ذل الشعوب خُفَّ لؤمًا
وصفات الشعب الضعيف لتُنفَى
من رياء وإحنة واحتيال
شيمٌ يدرأ الذليل بها من
أصبحت شيمة النفوس وإن لم
فمتى يلبس الخلائق طُرًّا
ليس إلا بها نجا نفوس الـ
فاطْلُبْنَهُ فيها وإلا فدَعْ نشـ

أثرٌ واضح لغير فناء
هي بالمرءِ علة الأذواء
جِسْم من إحنةٍ ومن شحناء
بعْدَ فوْتٍ من عهده وانتهاء
في جِسمٍ صحيحةٍ أقوياء
وتعادي تخاذلٍ وافتراء
عَجْزِه سَطوَةٌ من الأعداء
يُكُ ذُلٌّ ولم يكن من عداء
طِيبَ نفسٍ في شملة النعماء؟
نَّاسٌ طُرًّا من خِسة الغبراء
دَان أمرٍ بغير داعي الرجاء

بين الثريا والثرى

الحمل الجدى والسرطان؛ هي الأبراج المعروفة بهذه الأسماء، والمعنى هو أن الشباب لا يهتم بما يخبئ له القدر؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يُخبئُ له القدر.

الناظم

الشباب

تُذكرني الشبابَ وقد عَلَوْنَا	به فوق المجرّة والنجوم
ونحن الخالدون وكان حقًّا	خلوُّ الخالدين من الهموم
سوى الحزن الذي عُقباه ضحكُ	يرنُّ صداه في ضحك الهزيم
وطئنا فوق أطلال الدراري	وأشرفنا على بيد السديم
فلا حملٌ ولا جدِّي رقينَا	ولا السرطان ذو البرج العظيم
وما من صولة الأقدار خفنا	ولا لاحت لنا مثل الغيوم
بأرواح لها في الأفق مسعى	وتحليق على العيش البهيم
ركضنا في السماء لكل نجم	حنو الطير للزهر العميم
وحولنا وجوه الكون كأسًا	حسوناها ولم تك من كروم
ولم نعبأ بما تُخفي الليالي	ولم نخش المنية في الهجوم

وَأُسَلِّفْنَا الزَّمَانَ نَعِيمٍ عَيْشٍ
وَكُنَّا فِي ائْتِنَافِ الشَّمْلِ نَحْكِي
وَلَمْ نَحْذِرْ مَقَاضَاةَ الْغَرِيمِ
نِظَامِ الشَّهْبِ وَالذَّرِّ النِّظِيمِ

المشيب

سَكَّنَا الْأَرْضَ بَعْدَ الْأُفُقِ دَارًا
وَأُفْهَمْنَا الْقَضَاءَ وَمَا فَهَمْنَا
وَكُسِّرَتِ الْقَوَادِمُ وَالْخَوَافِي
صَحُونَا لِلْحَيَاةِ وَمَا تَرَاهِ
فَمِنْ حَذَرٍ إِلَى بَخْلِ وَذُلِّ
أَطَلَّ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبِ عَلَيْنَا
تُرْوَعْنَا الصَّرُوفُ بِكُلِّ خَطْبِ
وَضَاعَتِ جِدَّةُ الدُّنْيَا وَصَارَتْ
يَحَارِبُنَا التَّذَكُّرُ وَالتَّمْنِي
وَقَدِّمًا قَدْ نَعْمْنَا بِالتَّمْنِي
وَلَيْتَ الذِّكْرُ، وَهُوَ نَذِيرُ شَجْوِ
سَنَنْسِي أَنَّنَا كُنَّا قَدِيمًا
وَأُنزِلْنَا إِلَى بَطْنِ الْأَدِيمِ
وَقُلُّ مَا شَدَّتْ فِي لُغْوِ الْعَلِيمِ
وَهَيْضَ الْعَظْمِ فِي الْجِسْمِ الْكَلِيمِ
مِنَ الْخَلْقِ الْمَقْبَحِ وَالذَّمِيمِ
وَسَوْءِ الظَّنِّ بِالْخَلِّ الْحَمِيمِ
وَظِلُّ الْمَوْتِ أَصْبَحَ كَالنَّدِيمِ
وَخَطْبُ الْمَوْتِ أَهْوَنَ لِلْفَهِيمِ
كَأَطْمَارٍ عَلَى جِسْمِ الْعَدِيمِ
كَلَّا الْأَمْرَيْنِ يُفْضِي لِلْهَمُومِ
وَأَمَّنَّا الْخُلُودَ عَلَى النِّعِيمِ
يَدُومُ بَرَقَةَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
عَلَى هَامِ الثَّرْيَا وَالنَّجُومِ

بيان ماضٍ وحاضر (أنشودة)

عهدي بالعيش على رَغْدٍ
عذبًا كالماءِ حَسَاهُ صَدِي
نغمٌ والدهر يُوقِعُهُ
يَسْرِي كَالنَّشْوَةِ فِي الْجَسَدِ
يا ليت الدهر كمن يشدو
بأغانٍ إن يُطربُ يَزِدِ
إن قلتُ أعدُ نعمي عادتُ
كترنمُ ذي النغمِ الفردِ
حسنات كنت بها ثملًا
ذهبتُ في الدهر فلم تُعدِ
آمالٌ كنت بها شغفًا
نظرَ الولهانِ إلى الخُرْدِ
أحلامٌ كنت بها جذلًا
قد شحَّ النوم ولم تجدِ
وشباب ذقت به خلدًا
في طرفة عينٍ من أبدِ
لو دام دوام الخلد لما
نقع الظَّمآن من الصَّفَدِ
لو عاد بذلت له نخري
من مُطَرَفِي أو مُتَلَدِي
بشعاعٍ منه أعيش مدى
من مُطَرَفِي أو مُتَلَدِي
أب التذكارُ له شبحًا
دفعٌ للشمس على بُعدِ
ما خَلَفَ لي دهرٌ ثقةً
أو قَبْرًا شِيدَ لِمُفْتَقَدِ
يا نبع الماضي لو عاد الـ
بمآلٍ فيه أو أحدِ
لرجعتُ إليك رجوعَ صدِ
وورادُ إليك على جدِ
وغدًا ماذا يا دهرُ ترى
لم ينهلُ قبلُ ولم يردِ
قد قُدِّرَ لي بضميرِ غدِ؟

صور الصداقة والعداوة

وفي غادرٍ سمحٍ حقودٌ
أرى الأضدادَ فيكِ إلى لقاءٍ
أمدحك لي انتقاماً من عدوِّ
أساءَ إليك أم محضُ النِّتاءِ
وفأوكِ كي أبادلكِ التَّحَايَا
أذا سببُ التَّقَرُّبِ والتَّنَائِي؟
وكيما أصطلي وأشنَّ حرباً
على مَنْ مَدَّحُه لك كالهجاءِ
أتخدعني ولم تلحق بسنيِّ
ولم تظفرْ بخبري أو بلائي؟
وتمدق لي إخاءك مذق حقدٌ
عليّ وما أصبتك بالعداءِ
تحاربني وتحسب أن ستخفي،
عداؤك ليس يظفر بالخفاءِ
كشأن نَعَامَةٍ للرأس تخفي
وتحسب ما لها في الناس رائِي
ولست بأوَّلِ المُخْفِينِ بَغْضًا
نما بين المحبَّةِ واللِّئَاءِ
عرفتُ الناسَ قبلكِ يا خليلي
وذقتُ الغدرَ من حلو الوفاءِ
فإن كان الولاء كما أراه
فويلي من وفائك والولاءِ
وبعداً للمديح وإن تغالى
وسحقا للمروءة والصفاءِ
سلِّ الخُلَّانَ ما فعلوا بقلبي
وهل أبقوا لبطنك منه شيلوا
وهل أبقوا لبطنك منه شيلوا
أعيذك أن أراك شبيهة قومٍ
وهل أبقوا لبطنك منه شيلوا
وهم ففدوه من ذلِّ وعارٍ
وهم ففدوه من ذلِّ وعارٍ

وكم أخفوا رخاوتهم بهجرٍ
وهُم مثل الهلوك رمت رجالاً
على الأواب واقفة تنزى
وتحسب أنها نفضت خناها
فلا يعديك خلقهم فاني
صفحتُ ولو أردتُ بلغتُ ثاري
فإن يابوا وإن تابى سكوتي
ولا يُعليك بين الناس خفصي
لتنزلي إلى حيث استقرتُ
تُخبرني اللحاظ بغلِّ قوم
وكنتُ أظنه حسداً لقولي
ولو سمعوا بموتي ما استراحوا
أرادوا لي الممات ولو دهاني
فلا يُرضيهم عيشي رخيّاً
وفي الدنيا الدنيئة هانَ سمحُ
إذا ما أخرجوا سمحاً كريماً
دُعوني صامتاً فالصمت أوقى
أُداجي الناس ما داجوا وإني
ولكنّ الحياة لها قضاء

كمن فقدَ الحياء من النساءِ
بما قد صحَّ فيها من هجاءِ
وترمي القوم من دانٍ ونائي
كجلد الكلب هُزَّ لنفضِ ماءِ
رأيتُ الخلق يُعدي كالوباءِ
وقد عُرفَ اقتداري في الرِّماءِ
فما صمتي بعِي الأذعياءِ
ولم تبعُدْ بأفكك عن مسائي
بك الدنيا تَقننُ في العداءِ
على ما نلتُ من فرص الرخاءِ
فخلت الصمت أقرب للنجاءِ
ولا يشفي حقوقهم فنائي!
لفرط الحقد أُحسدُ للفناء!
ولا يرضيهم مني عفائي
تعالى عن سلاح الأذنياءِ
تدرِّع بالقواذع في الرماءِ
لكم إن لم تصلوا بالغباءِ
لأزهدُ في الدّهان وفي الرياءِ
فمن ياباه يزهد في البقاءِ

وما أدري لدن ألقى عدوًّا
أخوفه أذاي أخو دهاء
أنمق وعده بالخير إمّا
أسعني سعاية أم قولٍ واثٍ
أرجاه مرجي الخوف مني
أعدوى في التثاؤب من كسولٍ
أرشح اللؤم في رهطٍ وضيعٍ
ومن عرف الأنام رأى أمورًا
أراها كلها صورًا تنزى
سرابٌ لست أتبعه فأخشى
أنا المرء الذي عرف البرايا
ومن خبر الأنام لصنع فنٍ
تراموا بالهجاء فإن أصابوا
أليس الرهط فردًا ثم فردًا
نعمُّ رهطكم لما نعمُّ
نفوسكم معرّة كل رهطٍ
ومهزلة المكارم والمعالي
لعلكم حسبتكم كل شرٍ

أبّله أم تباله بالعداء؟
أخوفه ذكائي واعتنائي؟
تمادى من تمادى في الجفاء؟
يحكمه المحكم في الخفاء؟
ضلالًا نيل عوني أو ثنائي؟
كعدوى في العداوة والباخاء؟
يفيض بما يشاء من الأداء؟
مرعبة كعبة الكساء
تنزي الال في الخرق الخواء
هلاكا لاء، ولا هو من رجائي
فلا يردى لعادٍ أو لشائي
فكل الخلق من صور الأداء
فرهطهم الملتخ بالهجاء
وأوصافا لها عدوى الوباء؟
نفوسكم بأوضار الرماء
ومدرجة الشعوب إلى الفناء
وهل لؤم يئول إلى علاء؟
إلى عودٍ بخير وانتحاء

الهاربون من القضاء

أَنْظَلُّ مَوْهُونَ الْجَنَانَ مَرَوَّعًا
تَخْشَى الْحَيَاةَ وَلَسْتَ تَخْشَى مَيِّتَةَ
قَلَقًا تَطْلُ عَلَى الْحَيَاةِ كَأَنَّمَا
تَخْشَى الْحَيَاةَ وَكَذَّبَهَا وَسْفَالَهَا
وَالْحَيَّ يَأْكُلُ مِنْ حَيَاةٍ مِثْلِهِ
وَتَطَاوُلُ الْمَغْمُورُ يَنْحُو نَابَهَا
مَتَشَبِّهًا مِنْهُ بِعِطْفِي سَابِحٍ
كُلُّ يَخَالُ الدَّهْرُ إِنْ هُوَ عَاقَهُ
وَالْمَوْتُ يَعْصِفُ بِالْدَهْوَرِ وَأَهْلِهَا
فَعِلَامٌ تَخْضَعُ لِلتَّنَاكُصِ وَالْأَسَى
وَالْقَلْبُ يَلْمِسُهُ الْأَسَى فَيَهْزُهُ
وَعِلَامٌ تَرْتَقِبُ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ
عَمْرِي لَوْ أَنَّ الْغَيْبَ عَاجِلٌ وَانْقَضَى
فَمَتَى تَرَى صُورَ الْحَيَاةِ صَحَائِفًا
لَا إِنَّهَا أَمْرٌ تُزَاوِلُ صَرْفَهُ
أَوْ تَغْتَدِي بَيْنَ الْأَنَامِ مَغَامِرًا
قَلَقًا مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَقْدَارِ
هَبْنَهَا نَصِيبَ الْمَوْتِ فِي الْبِصْغَارِ
مِنْهَا وَقَفْتَ عَلَى الشَّفِيرِ الْهَارِي
وَصِيَالَهَا فِي قَسْوَةِ الْغَدَّارِ
لَحَسَ الضَّوَارِي لِلدَّمِّ الْمُدْرَارِ
كَتَطَاوُلِ الْغُرْقَانِ فِي التِّيَّارِ
لِيَجْرَهُ لِمَهَالِكٍ وَبِوَارِ
خَطْبِ الْجَمِيعِ بِقَاصِمِ الْأَعْمَارِ
فَكَأَنَّهَا صُورَ الْخِيَالِ السَّارِي
وَتَخَافُ حُكْمَ اللَّهِ فِي الْمَقْدَارِ
وَكَأَنَّهُ وَتَرٌّ مِنَ الْأُوتَارِ
وَالْغَيْبِ وَهُوَ مُحَجَّبٌ مِتْوَارِي
لِقَرَأَتِهِ خَبِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَكَأَنَّهَا سِفْرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَتَظَلُّ تَعْدُو مِنْهُ فِي مِضْمَارِ
تَسْعَى عَلَى سَنَنِ لَهْمٍ وَشِعَارِ

فإذا أُسِيتَ أُسِيتَ طرفة ناظر
وكذبتَ ما كَذَبَ الأنام ولم تجدُ
ونسيتَ ما جلب الزمان لأهله
فتقول للقلب المَرُوع إذا نزا
يا هاربًا من صولة المقدارِ
اهربْ إذا ما اسطعت في أزلِ الدُّنى
أو في المماتِ وما تُلاقي خلفه
تعدو ويدركك الذي خَلَفْتَه
كُلُّ من العيش المَرُوع هارب
بالفنِّ أو بالعلم أو بمجانة
فإذا القضاء مآلهم ونفاذه
سَلْ صفحة التاريخ كم قوم به
أقوام أدهارٍ مضتْ بعضُ لها
قد أبدلوا طبع السِّفالِ بأنفسِ
صاروا إذا غضبوا وإن سروا وإن
يتمرغون مجانةً فنفوسهم
وَصَمُوا الشبابَ ولم يكن من طبعه
إنَّ الشبابَ مُروءةٌ وسداجة
تَخْذُوا السِّفالِ مجنَّهم ليصونهم

وإذا نسيتَ نسيتَ كل عثارِ
في قسوةٍ من خِسَّةٍ وشنارِ
من محنةٍ أو مهلكٍ ودمارِ
حذرَ الحياةِ وصوله الأشرارِ
أثرأك تفلت من يد الأقدارِ!
أو في مدى الآباد والأدهارِ
بين الفناءِ ومعقل الأسرارِ
كالليلِ ليس يفرُّ منه الساري
لو فاز خَلَقَ في الدنى بفرارِ
أو بالسَّطَا والجند والأنصارِ
كحصادِ كل وسائل المختارِ
أجراه مجرى الدهر في مضمارِ
ذكرى وبعضُ ما لها من داري
من طبعها المتصاعد السَّوارِ
درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدارِ
وجسومهم كمزابل الأقدارِ
خلق اللئيم العاجز الغدَّارِ
وترفَعُ ينبو عن الأوضارِ
من صولة الغلاب والمغوارِ

فغدا السِّفَالُ سعادة ومسرة
نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة
قد خيلَ في فقدِ الحياة رجولة
طبُعَ المجانة عمَّ حتى خلته
أم وِرْثوه عن الجدود غنيمَةً
ويُذَلُّ من عنت الحياة وضيمها
وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن
واستمرَّ عُوا مرعى الغباوة والخنا
هزموا الدهور الغازيات بهزلهم
فإذا الدهور جديدةٌ قهَّارةٌ
درجوا على دَرَج الحياة إلى الردى

عبث الخنا ومجانة الفجارِ
للنائبات مجانة العُهَّارِ
فقدُ الحياء رجولةُ الدُّعارِ
كيدًا يحاك عليهمُ بسرارِ
يطفو الذليل بها على الأقدارِ
بسعادة المَجَّانِ والفجارِ
كتتابذِ بطبائع الأحرارِ
إِلْفَ السجون لطول عهدِ إِسارِ
فمَضت وظلُّوا رهن عقر الدارِ
وإذا اللَّئامُ فريسة الأدهارِ
من بعد جهلٍ راقهم وصغارِ

صديق البلاء

يغدرُ الناسُ في الشقاء ولكن
إنْ تَفدُ نعمةً عليّ تَلظّي
فإذا الدهرُ مالَ بي كان بكّا
المُواسي في الحزن حتى إذا ما
في سقامي حلّو الحديث شهّي
فإذا ما صَححتُ عاودَ بُغضي
لدهاه الأسي وطال عليه الـ
إن هجاني العدوُّ أحسن قولاً
فإذا ما مُدحتُ همَّ بقتلي
يا صديقَ البلاء عطفك في النحـ
إيه يا قلب ما دهاك من الخِلا
خلت أن الصديق مثل نسيمٍ
لا تنال الحياة إن لم تتلّه
إن تقدّمت لا يعوقك منه
ويعي ما تقوله ثم لا يلـ
من مديح تطري به مجدك الأمـ

عذره في الرّخاء لا في الشقاء
حسدًا لي وكان من أعدائي
ء على محنتي وطول بلائي
كنت في غبطة سطا بالعداء
وهو يرجو أن لو يُخلدَ دائي
ويله لو أعدُّ في الأقوياء
همُّ حتى يموتَ بالبرحاء
دافعًا فريّة العدا بالثناء
ورماني بقذعه والهجاء
س رياءً أبغضُ به من رياء
ن أدهى من صولة الأعداء
نافعٍ لازمٍ قليلٍ العناء
برُّه كالإخاء خير غذاء
عائق في منادح الأرجاء
بثُّ حتى يذيع في الأنحاء
جد أو لبك السنّي الذكاء

إِن تُرْدُهُ تَجْدُهُ أَوْ لَمْ تَرِدْهُ
لَمْ تَخَفْ مِنْهُ زُورَةَ الثَّقَلَاءِ
مَا اخْتَفَى فِي دَخِيلَةٍ مِنْهُ إِلَّا
مَا بَدَأَ ظَافِرًا بِهِ كُلَّ رَائِي
وَيْكَ إِنِ النَّسِيمُ قَدْ يُرْمَدُ الطَّرْزُ
فِي ائْتِلافِ الْحَالَاتِ وَالْأَجْوَاءِ
وَهُوَ مِثْلُ الصَّدِيقِ حَرًّا وَبَرْدًا
وَأَنْحَى بِالصَّرْصَرِ الْهُوجَاءِ
وَلَهُ عِذْرُهُ إِذَا اعْتَكَرَ الْجَوُّ
رَّةً مِنْ بَعْدِ رَوْنَقِ وَصْفَاءِ
وَعَلَى غِرَّةٍ يَبْلُوكُ بِالْمَطُّ
وَيُرسولُ الْوَبَاءِ وَالْأَدْوَاءِ
وَهُوَ خَدْنُ الْمَمَاتِ وَاسْطَةُ الْعَدُ

عجائب مألوفة

أليس عجبًا أن أحدًا بميتةٍ
ورأيي أتى للخلود نظيرُ؟
وإنِّي أفضي العمر في جدِّ أملٍ
وأعلم أنني للفناءٍ أسيرُ
وإن دهورًا بعدنا، ثم بعدها
دهور، توالى بعدهن دهورُ
وإن على هذا الثرى عاش قبلنا
شقيُّ بما نسعى له وأسيرُ
ولست ترى من لا يرى أن نفسه
لبابٌ لهذا الكون وهو قشورُ
فلم يُجدهِ إغرازه النفس إن دنا
رداه فلم ينجذ عليه نصيرُ
ويعلم كلُّ الناس هذا ولم يكن
ليردع عن بغي الحياة مغيرُ
وأن أرتضي للطرس ما أنا قائلُ
وإن راعني أن الحياة غرورُ
وأغضبُ إما سبني فمُ هالكُ
وأعلم ما يؤذي الغداة هيرُ
وأرهب صرف الدهر في كل طارقٍ
وأعلم لا يبقى سرورٌ ولا أسى
أليس عجبًا أنني اليوم عاجبُ
وأحلُّ حبور أم أناخ ثبورُ
وأن لا أرى الشرَّ الذي لا يمسنِي
وعلَّ حياة ما حكاها سميرُ؟
وإن كان علمٌ فهو أني أخاله
وأحسب أنني عالمٌ وخبيرُ
وأنكرُ ما قد كنتُ في السعد مادحًا
دهاني وإلا فالبعيد يسيرُ
أليس عجبًا أن نناط بمعجبٍ
به الناس إلا أن يعود حبورُ
من الرأي والمزجي الفعال شعورُ؟

وإنَّ وجوه الكون فكرة ناظرٍ
وأبغى صلاحِ الكونِ والناسِ مثلما
كأنِّي خلقت الكائناتِ وأنني
سيفنَى، وكُنْه الكائناتِ ستيرُ
مضى في بناءِ مالكٍ وأجيرُ
على الناسِ قاضٍ حاكمٍ وأميرُ!

عند بحر مويس شتاء

كَمْ خَشَعَ الْعَابِرُ مِنْ قَبْلِنَا
أَوْ فِي مَسَاءٍ إِذْ تُرَى ظِلْمَةٌ
وَرَبَّمَا كُنَّا الْأَلَى قَدْ مَضُوا
وَمَا الَّذِي يِنَاى بِنَا عَنْهُمْ
كَمْ مَنْظَرٍ تَحَسَّبُ إِمَّا بَدَا
أَنْكَ — وَالْقَلْبُ خَبِيرٌ بِهِ —
الدَّوْحُ كَالْمَفْكَرِ فِي هِدَاةٍ
أَوْ ثَاكِلَاتٍ طَالَ تَكَلُّ بِهَا
أَوْ صَمْتٍ مِنْ طَوْلٍ مَا عَمَّرَتْ
وَالنَّهْرُ كَالزَّبَقِ فِي لَمْعَةٍ
عَهْدَتُهُ فِي صَيْفِهِ لَوْلَا
وَالسَّحْبُ كَالْأَشْجَارِ قَدْ عَرَّشَتْ
أَوْ قَطَعَ مِنْ حُلْمٍ غَامِضٍ
وَالجَوْ قَدْ رَوَّعَ مِنْ قَرِّهِ
أَنْفَاسَ ثَغْرِ الْمَوْتِ فِي قَرِّهِ
وَالْأَرْضُ غِبْرَاءَ سِوَى مَا بَدَا
عَلَى ضَفَافِ النَّهْرِ وَقَتِ الْأَصِيلِ
قَدْ عَشَّشَتْ فِي الدَّوْحِ دَوْحًا كَفِيلُ
وَإِنْ نَأَى الظَّنُّ وَعَزَّ الدَّلِيلُ
مَنْ مَنْظَرٍ أَوْ خَاطِرٍ أَوْ مَيُولُ؟
مَنْ أَخَذَهُ الْفِكْرُ وَوَهْمَ الذَّهْوُلِ
أَجَلَّتْ قَدَمًا فِيهِ لَحْظَ الْمَجِيلِ
إِذْ سَكَنَ الْجَوْ سَكُونَ الْكُهُولِ
فَسَكَّنتَ مِنْ شَجْوِهَا وَالْعَوِيلِ
كَصِمْتَةِ الشَّيْخِ الْوَقُورِ الْجَلِيلِ
وَرَكْدَةٍ مَا إِنْ بِهَا مِنْ مَسِيلِ
لَوْ أَنَّ لِلْوَلْوِ سَيْلًا يَسِيلُ
فِي الْآفَاقِ تَبْدُو مِثْلَ ظِلِّ ظَلِيلِ
أَوْ كَمَثَارِ النَّقْعِ أَوْ كَالطَّلُولِ
كَأَنَّهُ قَرَّ مِمَاتٍ يَصُولُ
تَخْرُجُ مِنْ ثَغْرِ الْجِسْمِ مَحِيلُ
مَنْ عَشَّهَا مَنْتَشِرًا كَالْفَلُولِ

كأنما الدجن غدا تُربها
تشابهت في اللونِ عهدي بها
عهدي بها كالخود في غرسها
خيلَ حدادا إذ دجا لونها
خلاعة للصيفِ خلابة
تباينَ الحُسنان في روقة
كم متعةٍ جاءت بها رهبةً
وتربها الجَهْمُ كدجنٍ سديلُ
في صيفها، واللون غير القليلُ
زاهية الأصباغ شتَى الذُّيولُ
وهو كعقب العرس حتم البديلُ
وفي الشتاء الحُسْنُ جُمُ الفصولُ
لكنه زاد جلال الجميلُ
كرهبة البرق وعادي السُّيولُ

قرب الموتى

يا رُوحِ إِيْفِ أَلَيْفِ المَوْتِ وَالْحُفْرِ
أَوْ فابُعْثِي هاتِفًا بِاللَّيْلِ يُؤنْسِنِي
وَحَلَّقِي فَوْقَ قَوْمِ كُنْتِ زِينَتَهُمْ
فإِنَّ نوركِ نورَ النجمِ يرشِدُنَا
أَوْ كالملائِكِ تَهْدِي وَهِيَ خافِيَةٌ
عَجْزٌ عَنِ الشَّرِّ لَمْ أَبْصِرْهُ فِي نَفْرِ
غَرارَةٍ رُبَّمَا لَوْ عَشْتِ ما بَقِيَتْ
هَلْ تَلِكِ طَبْعُ الصِّبَا تُودِي الحِياةَ بِهِ
فصانِكِ اللهُ فِي أَمْنٍ وَفِي كَنْفِ
كأَنما أَنْتِ دُخْرٌ لَمْ يَجُودِ بِهِ
ما أَقْرَبَ المِيتِ مِنْ حَيٍّ وَإِنْ بَعْدَتْ
إِنْ الأَلَى خَلَّفُونَا بَعْدَهُمْ وَمَضَوْا
هَمْ فِي الأَمانيِّ وَالأَوراحِ وَالذِّكْرِ
فكَيْفِ تَجزَعُ مِنْ فَقْدٍ وَما انْتَقَلُوا
يا قَرَبَ دارِهِمْ مِنْ واصلِ لَهُمْ
ووحْشَةُ النَفْسِ مِنْ حَيٍّ يُغايِرُها

قُومِي اسأَلِي عَنِ أَلَيْفِ الهَمِّ وَالسَهْرِ
لو كانَ لِلمِيتِ مِنْ شوقٍ وَمِنْ ذِكْرِ
كَالطَّيْرِ تَهبطُ فَوْقَ الوَكْرِ فِي الشَّجَرِ
ورحلةَ العِيشِ تحكي رِحلةَ السَفْرِ
وتشعرُ النَفْسُ طَهْرًا لَيْسَ فِي السِّيرِ
يا شَرًّا ما خَلَّفَ الأَحبابِ مِنْ نَفْرِ
إِذا عداكَ الرَّدى عَنِ مَهبطِ البَشْرِ
لَا بَلْ غَرارِ فِؤادِ غَيْرِ ذِي نُكْرِ
وَقُدْسِ طَهْرٍ كَصونِ المرءِ لِلذُّخْرِ
عَلَى الدُّنْى وَهِيَ مِنْ ضَيَّرٍ وَمِنْ أَشْرِ
مِكانَةَ بَينِ هَذا الوَرْدِ وَالصِّدْرِ
ما خَلَّفُونَا وَإِنْ غابُوا عَنِ النَظْرِ
مَنَّا وَفِي القَلبِ وَالأَشجانِ وَالفِكرِ
إِلا إِلى النَفْسِ حَرزًا رِيمَ مِنْ غَيْرِ
بِالنَفْسِ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالعَينِ وَالأَثَرِ
أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةٍ فِي السَّمعِ وَالبَصْرِ

من حاضرينَ وإن ماتوا وإن بعدوا
وربَّ ذكرى تعيد الميْت في شبحِ
ماضٍ من الدهر والأقوام يُخبرنا
وإن غَدَوْا كحديثِ الركبِ والسَّمْرِ
يكادُ يُلَمَسُ لولا رادِعِ الحذرِ
أن لا مسافة بين المهدِ والحُفْرِ

نحن والزمن

مقدمة

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرة من أفكاره، ونسبة ومقياس من صنعه، فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعترئها من تحوُّل، وفكرة الزمن هذه أمر نسبي، شأنها شأن الإحساس بالحرارة والبرودة، أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال، ومن المستطاع أن يتصوّر العقل مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف في حواسه، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها في نظر الإنسان، وهي أيضاً قد تختلف في حواسه، فتختلف في حواسه، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها في نظر الإنسان، وهي أيضاً قد تختلف في نظره عنها في حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة، أو مرض أو صحة، والعجيب أن الإنسان في خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه، فيصوِّره كأنه شيخ مُفْنٍ في يده منجل، يحصد به الناس والخليقة، جيلاً بعد جيل، والدهر خليق أن يُمَثَّلَ بفتى في ريعان الشباب!

فالإنسان يهرم، والدول تشيخ وتفنئ، والأجيال تنقرض، والدهر هو الدهر. ومن أجل ذلك تصوّر بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضي فيه ولا مستقبل، وأما الماضي والمستقبل ففي الناس، والحقيقة أن هذه الفكرة في كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه.

وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هي نسبة الظلم إلى أنفسهم!

الناظم

ينشد البحر خريز الحقب
أم ترى الأفلاك في دوراتها
فرش الناس له منهم وجوهاً
أثر في سيره من قدم
زعم الناس إذا أمضاهم الـ
يستطيع البذل من يقوى على
كم ملوك ودهم لو تشتري
سنة أو ساعة أو طرفة
إيه يا دهر لقد شاطرك الـ
أرديه يا دهر واعقد غيره
كم شقي أبطأ الموت له
سلم الدهر عليه متقلاً
وسعيد يجتني من عيشه
فسواء متعس أو مسعد
نحن نبغي من زمان فسحة
لو يعود الدهر مردود الخطى
وصفوا الدهر بشيخ حاصد
وهموا في شيب دهر يافع

أم خُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمِنِ
رَتَلَتْ مِنْهُ خَفِيَّ اللَّحَنِ؟
خَدَّدَ الدَّهْرُ بِهَا مَا خَدَّدَا
جَعَّدَتْ مَا كَانَ بَصًّا أَمْرَدَا
دَّهْرٌ أَنْ أَمْضُوا مِنَ الدَّهْرِ سَنِينَ
خَزَنَهُ، هِيَهَاتَ ذَا مِنْ هَالِكِينَ
مِنْهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالذُّخْرِ النَّالِيْدُ
فَإِذَا الدَّهْرُ قِضَاءً لَا يَحِيْدُ
حُكَمَ فِي النَّاسِ قِضَاءً لَا يَحْوُلُ
إِنَّمَا الْقِرْنُ عَلَى الْقِرْنِ يَصُوْلُ
وَدَّهْ أَنْ لَوْ يَكُونُ الْأَسْرَعَا
ثُمَّ مَا أَبْطَأَ حَتَّى هُرِعَا
زَهْرًا يَرْجُو لَوْ الدَّهْرُ تَأْنَى
أَيْنَ مِنْ يَحْمَدُ خَطْوَ الدَّهْرِ أَيَّنَا؟
هَلْ رِبْحُنَا مِنْ زَمَانٍ قَدْ قَضَى؟
لَفَعَلْنَا فَعَلْنَا فِيمَا مَضَى
أَشْيَبَ فِي يَدِهِ كَالْمَنْجَلِ
ذِي فِتَاءٍ خَالِدٍ لَمْ يَنْصَلِ

يسرق الدهر بهاءً رائعاً
فهو كالرسم يمحو صورةً
وترى الدهر مُغيراً آسياً
والذي في القوم بالرزء يصول
ولعلَّ المضمَر المخبوء من
مصرع الدهر مَمَاتٌ للدُّنى
موتهُ موتٌ لمن قد قاسه
عجباً نحن خلقناه فما
ويُعير النَّوْيَ حُسْنًا أروَعَا
ثم يستنبطُ رسماً أبداعاً
يدهُ تأسو وأخرى تجرُحُ
يمنحُ السلوان فيما يمنحُ
مصرع الدهر يُرى بالأعينِ
كيف يبغيهِ الورى بالاحنِ؟
باتصال الفكر أو خفق القلوب
نسبةُ الظلم إليه والعيوب

أقوام بادوا

مفتاح القصيدة

جعلوا لطبع اللؤم كل قداسة وتحرّزوا من سنة المختار

المختار هو النبي ﷺ، وكل من نبذ الله ورسوله، لا بد أن يصير إلى ما هو موصوف في هذه القصيدة من الصفات؛ ونعني بالنبذ نبذ القلب وإن لم ينبذ اللسان، ولا نعني أحدًا بالذات، وإنما هي صفات يعرف كل متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار.

الناظم

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ما شأنهم	من بهرج في مطلب غرّارٍ
عاشوا عبيد كلامهم لم يذلفوا	من خلفه لحقائق الأفكارِ
جعلوا حطام اللؤم أعلى مكسبًا	وأعزَّ محمدًا ليوم فخارِ
يخفون أوزار النفوس بمنطقِ	فإنمُّ فاضح خافي الأوزارِ
حسبوا اغتياب الغائبين مطهرًا	لنفوسهم من خزية أو عارِ
كلُّ يغار من الإِجادة جُهدُهُ	مثل النساء تغار كل مغارِ
يحكي عظيمهم الحقير سفالة	متكثّرًا بدناءة الأنصارِ
يخشى البريء قضاءهم من خطّة	لم تُعفِ ناسًا من هوى الأصهارِ
العدل فيهم أجر كل مملّق	جعلَ النفاق عصابة الأبصارِ

كلّ يعاقب من يريد أليفه
الكذب عجز فيهم وخساسة
ندم المجيد على إجادة قوله
الضيم ما يجزى اللئام مجودًا
سبق بمضمار الحياة يحوزه
وتفرقوا إلا لدى التهويش والـ
وتخالهم حشرات روث ما لهم
وكان كل إجادة قد دهورت
فكأنما أذهانهم بالوعة
كل يلوذ باثرة ويخالها الـ
ففعاله ومقاله وسكوته
دأبوا على إخفاء حق، ما لهم
لؤم لعمرك لا مدى لصياله
الطيش أغلب للتأمل فيهم
سبق اللسان حصاتهم فكأنما
رانت على مهجاتهم وقلوبهم
شيم تورث حقة عن حقة
أو ما دهي أوصال جسم من ضنى
جعلوا لطبع اللؤم كل قداسة

ضراً له لا الكره للأشرار
والصدق عبد مزدري متواري
أو فعله من ضيعة وضرار
فيصون كل عجزه لفخار
متخلف بالغش في المضمار
تضلّل فهو مؤلف الدغار
إلا به حظ من الأكار
من عقلهم في بورة الأوصار
أخفت نفيس الدر في الأغوار
إيثار بئس مزيف الإيثار
للؤم لا فضلاً وحسن جوار
في حجبه من مكسب ونضار
وضئولة تحدو لسفل قرار
حتى لدى العظماء والأخيار
سكر العقار لهم بغير عقار
وعلى الحجا والسمع والأبصار
كتخلف الأرجاس في الأنهار
يمضي ويترك باقي الآثار
وتحرّزوا من سنة المختار

هات المرّي للكبار ولا تقل
هيهات يصلح نشء قوم لم يجد
عدوى الضئولة والخساسة فيهم
قوم إذا ابتدروا السباب رأيتهم
متعاضمين على نجاسة أنفس
ستر الخسيس خساسة بخساسة
متعظماً يبدو كريماً سامياً
وترى الوقار ولا وقار وإنما
ودعوا إلى الإصلاح دعوة مائق
هم يبتغون الجاه إن لم يبتغوا
لم تدر وحي المصلحين حصاتهم
صارت وسائل عيشتهم ما غاله
فقد الحياء صغارهم من ضيعة
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا
ضلت غرائز شرهم عن أصلها
فغدت دناءة أنفس وخساسة
وحديثهم كالحك يهتك عرهم
العدل ما وهب السمير سميره
جرؤت صعاليك على ما لم يكن

يا أين معوز رشده لصغار
خلق الكبار يضيء مثل منار
عدوى الوباء تسير كل مسار
يطلون موضع عرهم بالقرار
نتجت نتاج الدود في الأقدار
في أنفس الأعوان والأنصار
متعليًا بفضائل الأطهار
أخفوا دعارة أنفس بوقار
يسعى إلى الأرباح سعي تجار
مالاً بدعوة مصلح ثرثار
فتشبثوا بزوائف الأفكار
من طبع لؤم سائق لبوار
فغدوا كبار الفخر غير كبار
يؤذي لغير القوت وحش ضاري
في صون عيش أو لدفع ضرار
كيدًا بلا كسب ولا أوطار
فأخو السفاهة منه كأس عاري
والرأي للأوشاب والأعمار
في فهمهم، ففضوا بغير تماري

فوضى لعمر ك لا صلاح لشأنها
عادوا الذكاء خسارة فكأنما
إلا دعاوى الباطلات فإنها
يتمرغون مجاناً، فنفوسهم
كتمرغ المفلوك دغدغ جلدَه
كيف الصلاح لأمرِ هاوِ هاري؟
نبت الذبالة في الظلام الساري
عادت كعود مزيف الدينارِ
وجسومهم كمزابل الأوزارِ
عضُّ من البرغوث في الأقدارِ

العداء والفناء

عفا الجاني وقد بلغ التشفيّ وبعض العفو من فرح الشّماتِ

لِلناظم

قد يُعزّيكَ شامت يتشفيّ باجتناء الآلام لا بالعزاءِ

لِلناظم

مقدمة

إنّ العفو لا يكون من المظلوم المجني عليه وحده، بل قد يكون أيضًا من الجاني الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم، أو إذا أقنع الناس كي ينال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره. وكثيرًا ما يساعد الناسُ الشريرَ في شرّه، اعتقادًا منهم أنه هو المظلوم. أو لأنّ مساعدته في الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس للتذاذ القسوة؛ كما هي الحال في مرض «السادزم» عند إطلاق هذا المصطلح عليه في المعنى الأعم. وهذا النوع من العفو الذي يجود به الظالم إنّما هو من فرح الشّماتة، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذي يعزي المصاب، ويخفي فرح الشامت ويظهر الأسف. وهو إنّما يعزي كي يرى آلام المصاب أثناء التعزية. وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر. وقد تجتمع الأضداد منها في نفس واحدة من غفران وشّمات، ومن حقد الحياة وصفح الممات، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التي يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء.

الناظم

إذا ما دنا الموتُ من هالكٍ
وقد زال ما كان منْ نشوةٍ
ولاح له عيشه مائلاً
وأفهم ما كان من حرصه
يُرى أسفاً أنْ عداً أو جنى
وليس يُرى أسفاً لاغتفار
فليس على صفحه أسفاً
أيأسف أن ضاع ثأرٌ سُدى
عدوانٍ عاشا على إحنةٍ
أباحا النِّفاق وكيد اللئام
إذا ما دنا الموت من واحد
أيفرح مثل الجبان استراح
أيطعنه طعن نذل خصيماً
ومرأى الحمام كمرأى السَّقام
هو الموت يَشْفِي قلوب العدا
وقد يُطلب الصلح من فرحة
وكم من عداٍ غدا أُلْفَةً
كم احتربتُ أمم ثم عادت
ألم تسمع الأرضُ نوحَ الجريح

وأيقن ألا يطول البقاء
ومن شيرةٍ نال عنها العزاء
وقد بزَّ عما جناه الرياء
وأبصر ما قد طواه الخفاء
وإن كان منه الأذى والعداء
دعاه قديماً فلبى الدُّعاء
ولكن على التَّيْلِ ممَّن أساء
ومتَّع خصمٌ له بالبقاء؟
وباعا السماحة بيع الإماء
لنيل الحطام وكسب الهباء
أيشمت خصم له بالفناء؟
وبُشِّرَ بالأمن بعد العداء؟
صريع التراب مُراق الدماء؟
يذل العُتْلُ ويُخزي الجفاء
ويختم بالصلح حرب البقاء
تغير الشماتة ثوب السخاء
فيا عبثاً إذ تراق الدماء
كأن لم تَدُقْ في الحروب الشقاء
يودِّع حتى جنون الرجاء؟

أما اختلطت بالصديد الدماء
وكم عنقٍ لقتيلٍ، به
عضاضٌ يحاول خلد الضغائـ
فيا عبثاً لجهود الأنام
ويُصبح من كان خصماً لدوداً
أما أفعم الموت نثنَّ الهواء؟
عضاضٌ عدوٌّ صريع العداء
من في جسد خَلْفُه للفناء
سيمضي الرخاءُ ويمضي العناء
عزيزاً ويُبغضُ إلفُ المساء

مرأى الجمال وذكرى الجلال

مقدمة

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة في النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة، والهاويات العميقة، والأعاصير وأثرها، والبحار وأمواجها، وهي تبعث اللذة في النفس حتى في مخاوفها إذا لم تمتلك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب، وقد ينقلب الحنين المقهور في النفس إلى الجمال فيصير ولو عا بمناظر الجلال والروعة، كما أن مناظر الجلال والروعة قد تشد الحنين إلى الجمال وتذكر المرء به، وقد تطغى كل من العاطفتين على الأخرى، ولهما أيضاً صلوات أخرى غير ما ذكرنا. ومن مسرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلوات العاطفتين في نفسه. وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع.

الناظم

ذكرتك في البحار الزاخرات	وفي مجرى السفين الجاريات
كأن البحر حيّ ذو جنان	وموج اليم نبض النابضات
وفي ذلك الجلال بلاغ راء	وروع للنفوس الواعيات
ولكني ذكرتك يا حبيبي	كما حنّ المريض إلى الحياة
كما حنّ الهزار إلى ربيع	وأفنان الرياض على الأضائة
وكم غلب الجمال على جلال	كما غلب الرقاد على التفات
ذكرتك والقبور تردّ طرفي	وتسخر من هيام بالشيات

وتخبرني بأن الحب فانِ
ولكني ذكرتكَ يا حبيبي
ذُكرتكَ والسقام يبيد ليّ
ويلهي النفس عن حبِّ وشِعْرِ
ولكني ذُكرتُكَ يا حبيبي
ذُكرتُكَ في الطلول الدارسات
أرى الأهرام كالأعلام تزهو
فأُبْصِرُ مَنْ مضوا وأرى اعتزازًا
فيضوُّل عيش هذا الناس حتى
ولكني ذُكرتُكَ يا حبيبي
وأن العيش صنو للماتِ
وذاك الذكر خير الذكرياتِ
ويسلي النفس عن ماضٍ وآتِ
وعن سحر العيون الساحراتِ
كذكري للسنين المقبلاتِ
وآثار العصور الغابراتِ
على عبث الصروف المهلكاتِ
لهم بالمصيباتِ الفانياتِ
لينسى المرء ذِكر المصيباتِ
كذكري للأمر الخالداتِ

حواء الخالدة (من شعر الصبا)

أنتِ يا مَنْ أَلَفْتُ بَيْنَ الْفَنُونِ
دوحةُ الفنِ التي تحبو الورى
كُلُّ لَحْنٍ أَوْ قَرِيضٍ أَوْ دُمَى
كُلُّ مَنْ قَدْ خَلَبَتْ لَبَّ الرِّصِينِ
كُنْتُهَا لِلنَّاسِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
فَلَبِسْتُ الْحَسْنَ شَكْلًا بَعْدَ شَكْلٍ
وَرَأَيْتِ الْكُونَ فِي ضَحْوَتِهِ
كُنْتُ أُمًَّّا، كُنْتُ أُخْتًا، كُنْتُ زَوْجًا،
فَعَلَى صَدْرِكَ يَبْكِي هَمَّهُ
كَمْ نَفُوسٍ وَقُلُوبٍ بَسَطْتُ
فَعَرَفْتُ الْقَلْبَ مَا يَنْشُدُهُ
وَقَرَأْتُ الرُّوحَ دَهْرًا بَعْدَ دَهْرٍ
أَيُّ قَلْبٍ مَخْلُوقٍ لَمْ تَفْتَحِي
كُنْتُ حَوَاءَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا
وَقَلِيلٌ لَكَ يَا حَوَاءَ أَنْ
أَدَمٌ كَانَ بِجَهْلٍ قَانِعًا

وهي لولا ما جنت منك ظنون
بجناها من قطوف القاطنين
نُحِتَتْ أَوْ صُورَةٌ، مِنْكَ تَكُونُ
مِنْ حِسَانٍ جَمَعْتُ سِحْرَ الْفَتُونِ
تُحْفَةً فَاتِنَةً لِلنَّاطِرِينَ
وَأَخْبِرْتِ الْحَبَّ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
وَفَهِمْتِ النَّاسَ فِي ضَيْقٍ وَلِينٍ
كُنْتُ فِي الْبُؤْسِ عِزَاءَ الْبَائِسِينَ
وَأَسَاءَ مُوجِعِ الْقَلْبِ حَزِينٍ
لَكَ مَا تَضْمُرُ فِي مَاضِي السَّنِينِ
وَعَرَفْتِ النَّفْسَ وَالسَّرَّ الْكَمِينِ
وَبَلَوْتِ الْخَلْقَ فِي مَرِّ الْقُرُونِ
أَيُّ سِرٍّ لِلورى لِمَا تَعْرِفِينَ؟
يَنْدُبُ الْفَرْدُوسَ كُلُّ الْعَالَمِينَ
يَفْقَدُ الْخَلْقَ جِنَانِ الْخَالِدِينَ
نَاعِمًا بِالْجَهْلِ فِي خَفْضٍ وَلِينٍ

ليس يستطلع أمرًا غامضًا
بك شام الكون غصًا زاهيًا
جذوة الفطنة في اللبّ وفي
كفّري في النّسل عن إثم مضي
لم يكن إثمك إلا قدرًا
لا يحسُّ السّعدَ إلا هالكٌ
كنتِ هيلينَ التي من أجلها
وقليل لك يا هيلين أن
كنتِ شيرينَ التي قد ذللت
كنتِ تاييس إذا ما خطر
كنتِ سيفو إذ رمت بالشعر كالأ
كنتِ إسبزيا التي قد فتنت
كنتِ ليلي، كنتِ بثنًا، كنتِ عزًا،
كنتِ ما كنتِ ولكن أنتِ أنتِ
وغدًا كيف تكونين وما اسـ

في ثمار العيش والسرّ المصون
أكذا الغبن، فيا نعم الغبين
نفسه من حسنك الغض شئون
وثقي في الله خير الغافرين
كي يلذّ الناسُ سعدَ الهالكين
قد أحسّ الهمّ في القلب الحزين
خرّبت طروادة ذات الحصون
يهلك الأبطال في الحرب الزبون
عنق كسرى وهو ذو الملّك المكين
خفق القلب كطير في وكون
جمر تذكّي لفظه للسامعين
باقتران الحُسنِ والفهم الفطين
باعثات الوجد والشعر المبين
لك سحر الضوء والليل الدجين!
مُك بين الناس في الآتي الشطون؟

جنون الأقوياء

ملكوا الأرض واستباحوا حَمَاهَا
وسَعَوْا ينشرون في الأرض سرًّا
تارةً في الخفاء بالمكر يَعْدُو
أهُونُ الوزر ما أتوه جهارًا
والذي في الخفاء أَقْتُلُ للنَّفِـ
إن رَأُوا نقصَ أنفُسٍ في خصومِ
أفسدُوا أمرهم وفسدوا دُعَاةَ
واستمالوا سَمْعَ اللئيمِ بلُومِ
كصيالِ الشعوبِ بالمكرِ والكِبِـ
حلَّلُوا للوشاةِ أن تشتقي من
خدعتهم أرسادهم أم رَأَوْا أنَّ
مَكَّنُوهم مما أرادوا من الشَّرِّ
ذاك أن العدوَّ أرخصُ شأنًا
قرَّظوا العلمَ والحضارةَ جهرًا
ثم ساسوا بالخنلِ في السرِّ ما شا
لا رقيبٌ على الخفاءِ ولا الصوِّ

واستطالوا بجَنَّةِ الأقوياءِ
مُنكرًا في شريعةِ الأتقياءِ
نَ وطورًا في جهرةِ العظماءِ
من صيالٍ وقسوةِ وبلاءِ
سِ وأقسى لصوله في الخفاءِ
استزادوه بالأذى والدهاءِ
كي يهيجوا تشاخنَ الأشقياءِ
زاده خسَّةً على الأذنياءِ
د وإن أحرزت صفاتِ العلاءِ
لأعج الحقُّ بالأذى والعداءِ
سماحًا بشرهم كالجزاءِ؟
جزاءِ كخونهم والرياءِ
من تحاميِّ الأجحافِ في الأيذاءِ
وتقاةً لله أو للقضاءِ
عوا وشاءت جوامحُ الأهواءِ
لة فيه ولا عديم الحياءِ

عَدِمُوهُ لِلْكَفْرِ بِاللَّهِ وَالنَّاسِ
عَلَّمَ الْعِلْمَ صَائِلًا إِنَّمَا النَّاسُ
زَعَمُوا زَعَمَهُمْ وَسَمَّوْهُ عِلْمًا
وَأَبَاحُوا لِحَقْدِ كُلِّ وَلِيِّي
ثُمَّ قَالُوا وَسَطَّرُوا فِي ضَمِيرِ
قَسْ عَلَى مَا بَدَأَ مِنَ الشَّرِّ جَهْرًا
مَا أَجْنَوْهُ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْكُذْبِ
وَقَدِيمًا جُنَّ الْقَوِيُّ بِمَا طَأ
وَضَعُوهُ فِي مَنْزِلِ اللَّهِ كُفْرًا
وَرَأَى الْخَيْرَ وَالْفَضِيلَةَ مَا شَاءَ
وَرَأَى الشَّرَّ وَالْكَبَائِرَ مَا عَاشَ
وَكَذَا الْمَرْءَ وَهُوَ لَيْسَ وَلِيِّيَ الْإِنْسِ
وَسِوَاءِ شَعْبٍ وَفَرْدٍ وَذُو سُلْطَانٍ
صَنَعُوا الشَّرَّ حَسْبَةَ وَلَوْجَهُ اللَّهُ
أَوْ لِحَقْدٍ قَدْ مَوَّهَوهُ بِخَيْرٍ
أَوْ بَرَأِي الْأَحْرَارِ صَاغُوا قِيودًا
وَجَنُونَ الْقَوِيِّ أَقْبَحُ مِنْ قَسْ
إِيَّاهُ لَغَزَّ الْحَيَاةُ هَلْ دَوْرَةٌ لِلْإِنْسِ
لَعِبَةٌ مَا أَرَاهُ أَمْ خَيْلُ الْإِنْسِ

س سَوَى مَا رَجَوَا مِنَ الْآلَاءِ
س كَنَمَلٍ سِوَاهُمْ كَسَوَاءِ
وَاسْتَطَالُوا بِلُؤْمِ ذَلِكَ الذِّكَاةِ
مُتَلَجًّا نَارِ إِحْنَةِ الْأَحْشَاءِ
إِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ الْأَشْيَاءِ
فِي حُرُوبٍ وَنَزْوَةٍ وَعِدَائِ
بِ وَفِي كُلِّ قَسْوَةٍ وَاعْتِدَائِ
ع لَهُ مِنْ تَزَلُّفِ الضَّعْفَاءِ
فَطَغَى وَاسْتَبَاحَ سَفْكَ الدَّمَاءِ
ء وَإِنْ كَانَ مِنْ أَدْنَى الْأَدْنِيَاءِ
ف وَإِنْ كَانَ سِيرَةَ الْأَبْرِيَاءِ
حُكْمٌ يَطْغَى بِنَصْرَةِ اللُّؤْمَاءِ
طَانٌ أَوْ سَادِرٌ مِنَ الدَّهْمَاءِ
شَاهَتِ وَجُوهُهُمْ مِنْ رِيَاءِ!
وَتَبَاهُوا بِحَسَنِ ذَلِكَ الطَّلَاءِ
وَاسْتَبَاحُوا فِي النَّاسِ سَفْكَ الدَّمَاءِ
وَهُوَ حُسْنٌ يَقْسُو بِغَيْرِ ذِكَاةِ
شَرٌّ وَالْخَيْرِ غَيْرِ ذَاتِ انْتِهَاءِ؟
فُسُ أَمْ نَزْوَةٌ مِنَ الْحَمَقَاءِ

إِحْنٌ فِي الْحَيَاةِ مِثْلَ خَطْوِ
فَعَدَتْ نَهْزَةَ الْفَنُونِ، هُوَ الْفَنُّ
هَلْ لِسِحْرِ الْفَنُونِ أَنْ دَلَفَ الدَّهْـ
سِحْرُهَا يَتْرَكَ الْبَيْابَ عَمَارًا
وَيُحِيلُ الْخَسِيسَ مِنْ مَعْدَنِ الْعَيْـ
نَسْجُوهَا فِي الْبُرْدَةِ السَّيْرَاءِ
كَنْحَلٍ يَشْتَارُ أَرْبَى الشَّقَاءِ
رَسَاغِ الْأَنَامِ لَوَمِ الْبَقَاءِ
حَافِلًا بِالنَّعِيمِ وَالْآلَاءِ
شَرِيفًا بِصَنْعَةِ الْكِيمِيَاءِ

خطرات في الحياة والموت (عند رؤية جمجمة)

رحيقك يا كأسَ النهى والمشاعرِ
أكأسَ الحجا أين الرحيقُ ترشَّفتُ
أجرِّعهُ ثغرٌ من الموتِ ظامئُ
حوتها عوادي الدهرِ إلّا أقلها
بدا الناسُ جيلاً بعد جيلٍ كأنهم
وما تدركُ الألبابُ منهم عديدهم
كأن لم يلُحْ منهم إذا الموتُ غالهمُ
ولم يعرفوا اللّام تُحسبُ أنها
فأين مَضَتْ أحقادُ قومِ كأنها
وأين ولوعُ بالجمالِ كأنه
وأين فعالٌ يحسبُ الناسُ أنها
وأين جيوشُ دَكَّتْ الأرضَ خيلُها
وأين الغزاةُ الفاتحون وقد بدوا
فهل أنت ممن قد جَنَّتْه سيوفهم
أم ازدان تاجٌ قد لبست بحكمةِ
ومهبطُ سرِ الله بين السرائرِ
علالاته نشوى النهى والبصائرِ
طوى ما طوى من فطنة وخواطرِ
إذا خطَّ لفظ في بطون الدفاترِ
تهاويلُ سحرٍ أو سماديرِ ناظرِ
إذا استجمعتهم بين ماشٍ وحاضرِ
وميضُ الثنايا أو بكاءِ المحاجرِ
ستخذل في جسمٍ إلى الموتِ صائرِ
لهيبِ جحيمِ خالدٍ في السرائرِ؟
زعيمِ بتخليدِ الوجوه النواضرِ؟
على جبهة الأيام من وشمِ قادرِ؟
مضتْ حيث لا تمضي خواطرِ شاعرِ؟
كما تبعثُ الأشباحَ نفثةً ساحرِ؟
وداسته خيلٌ تحتها بالحوافرِ؟
بها اسطعَّتْ تصريفُ الصروفِ الدوائرِ

وهل أنت ممن دبّر الشرّ لبّه
أم الخير ما حنت إليه نوازعُ
لقد كنتِ وكر اللبّ لو أن عادياً
بك ارتاع مسعودٌ إذا ارتاح يائسُ
قد اختلف الأقسام في العيش والردى
هنيئاً لكلّ ما يرى من عُلالةٍ
وما علّت نفس الفتى بمنيّةٍ
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه
بذكرى الحتوف الجاليات على الورى
وأحكّم زهرُ النفس جرّ الجرائرِ؟
لديك وإن لم تحتقب خيرَ غادرٍ
من الموت لم يهبط عليه بكاسرٍ
بذكرى الردى يرجو عُلالةً صابرٍ
فمن ظافرٍ يهوى الحياة وخاسرٍ
بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابرِ
ستطوي هموم العيش طيّ الدساكرِ
فيعدو على البؤسى بذكرى الغوابرِ
من الراحة الكبرى أجلّ البشائرِ

يوم مطير

نهار تدانَى الدَّجْنُ في عُلُوِّ أَفْقِهِ
خَبَتْ شمسُه كالجمرِ يخبو لهيبُهُ
دجا مثل وجهِ الهَمِّ إِلا جلاله
تقيل على القلبِ البهيجِ عُبُوسُهُ
كما كان بعضُ الحزنِ للنفسِ شائِقًا
تري قطراتِ الغيثِ كالخيلٍ أُطْلِقَتْ
وتحسبها كالطيرِ تهفُو تنزِيًّا
كأن الصِّلَالَ الزاحفاتِ على النَّرى
كما عاج حيرانٌ يمينًا ويسرَّةً
على الأرضِ والجدرانِ والدوحِ قَطْرُهُ
أيسطو عليه الغيثُ يغسلُ نحسُه
كلهُو غلامٍ مَلَّكَ القسُو قلبُهُ
سجية كلِّ الناسِ من هابِ شرِّهم
ويعزو خيالِ المرءِ للكونِ رُوحَهُ
إِذا رَنَّقَ التُّرْبُ الهواءِ انبرى له
تري البرقِ فيه مُصْلِتًا سيفِ نِقْمَةٍ

مبلَّلَةٌ أَرجاؤُه ومناكبُهُ
وعاد رمادًا حسنُهُ وعجائبُهُ
فللدجنِ سحرِ يحزنِ النفسِ خالبُهُ
ولكنه قد يسحرِ القلبِ كاربُهُ
تعاقرُهُ في نشوةٍ وتقاربُهُ
لكسبِ رهانٍ أحرزَ السبقَ كاسبُهُ
تنزِّي الدُّبى إن أهرقَ الغيثُ ساكبُهُ
تجوسِ إِذا ما الغيثُ جاست سواربُهُ
من الذعرِ، شرُّ الذعرِ ما عاج صاحبُهُ
ويُدْفَعُ في وجهِ المشرِّدِ حاصبُهُ
أم الغيثِ من لهُو تراه يداعبُهُ؟
إِذا حيوانٌ هابَه فهو ضاربُهُ
رموهُ ببأسِ اللؤمِ والخوفِ شائبُهُ
مناقبه تُجلى به ومثالبُهُ
من الودقِ طهُرٌ يغسلُ الجو صائبُهُ
لها الرعدُ صوتِ يذهلُ اللبَّ راعبُهُ

إذا خف كان الغيث لهواً ونعمةً
ويطغى على الوادي بجيشٍ عرمرمٍ
يخفُّ على لوح الزجاج فسوته
وطوراً يلحُّ الودقُ منه فسوته
ويرنو إليه المرءُ من ثقب بيته
وطوراً ترى الغلمان تلقط طلَّهُ
ترى كلَّ لَوْنٍ بعده قد زها به
يُعَلِّقُ قرطاً في ذرى الدوح قطره
وإن لَجَّ لاحت للعيون خرائبُه
مسالكه مذمومة وعواقبُه
طنين فراشٍ مرَّ باللوح حاصبُه
خريزٌ كما يستحلبُ الدرَّ حالبُه
كأنَّ غريباً يتقي منه هائبُه
يداعب صنوُّ صنوهُ ويلاعبُه
كأنَّ طلاءً فوقه لَجَّ خاضبُه
فتحسبه قد نظم الدرَّ ثاقبُه

السكون بعد النغم

أَفَحَمَ الشَّجْوُ مَقُولَ النِّغْمِ العُدُّ
ب فأمسى هذا السكونَ المهيبًا
مثلما تفحم الشجونَ خطيبًا
صار في صمته قَتُولًا خطيبًا
كسكوتِ العَشَّاقِ في نشوةِ الـ
حَبِّ تتاجي فيه القلوبُ القلوبًا
أو سكوتِ اللهيفِ فوجئَ بالبُشـُ
رى ويخشى من حسنها أن تخيبًا
أو سكوتِ الشبابِ في حُلْمِ الـ
مالِ من قبل أن تُعاني المشيبًا
أو سكوتِ الخشوعِ في صَلَوَاتِ الـ
قلبِ صار البعيد منه قريبًا
أو سكوتِ الأمِ الرعومِ حنانًا
وابنها نائمَ حَمَتُهُ الخطوبًا
حلمتْ حلمها بما سوف يسعى
في مساعيه جيئةً وذهوبًا
من ثمار الحياة تختار أحلا
ها له نعمة وسعدًا وطيبًا

* * *

نَغْمٌ خَلَّفَتْ بوارًا لِلْحَنِ
دَقٌّ عن أن تصيبَ سمعًا طروبًا
وكانَ لم تزل بمسمع مسحو
رٍ من اللحنِ أملٍ أن تتوبًا
فهو يُصغي لعودة الصوت منها
وهي في نفسه تدبُّ ديبيا
سَحَرَ القلبَ شدوها أم سكونٌ
خَلَّفَتْه فكان سحرًا حبيبًا
عجب يسحر السكوت أم اللحنـُ
من يناجي في ذا السكون الغيوبًا
وكانَ الأصداء من بعدها في الـ
نَفْسَ تشدو وتستثير الوجيبًا

هامسات في النفس همس مُسِرِّ
في سكون كأنما هداً الكو
هدأة الكون في المساء وقد يخُ
فكأنَّ الحياة عادت سكوناً
تحسب الدهر ساعةً دَقَّها قد
ساعةً تُوهم الورى أن هذا الـ
تحسب الدهر مسقط الماء غال الـ
فدويُّ بالذکر في النفس منه
بائح بالهوى ويخشى الرقيباً
نُ خشوعاً لها وسحراً عجبياً
شع راءٍ والشمس تحدي غروباً
كسكون الردى رهيباً مهيباً
منع الصمت صوته أن يجوباً
كون قلبٌ ما إن يحس وجيباً
ماء فيه جموده أن يصوباً
وسكوتٌ في الأذن يسبي القلوباً

قيد الماضي

أخذنا عن الماضي قليلاً من النهى
فمن غامض لا يدرك الفهم فهمه
فمن قسو ذي خوف من الموت والأذى
ومن حقد ذي حقد يرى العيش كله
وأكثر ما نلنا الهواجس في النفس
ومن واضح كالخط في صفحة الطرس
ومن ضغن مهموم من الفكر والحدس
ظلامه مغلوب على الغد والأمس
لذاذة صنع الشر في الجهر والهمس
يدافع عنه المرء بالسيف والفس
ويسعى له الأضداد ندباً إلى نكس
ونلنا، وما زال الذي كان كائناً
يدافع عنه المرء بالحق والهوى

* * *

ويغرى به حتى الذين شقاؤهم
حقوق قلوب لا يُداوى فسادها
بأن يخذل الإصلاح ضغن ذوي النحس
فتدعو ذوي الآمال فيهم إلى اليأس

* * *

يريدون منع الحرب والحرب سنة
فهل يدركون الطهر من قبل عمرة
ويا ويلهم شبتت عن الطوق حربهم
وظلوا حيارى خشية من دمارها
إلى أن تُفبق النفس من إثرة النفس
وطينتهم معجونة الدم بالرجس؟
وأزرت بفعل السيف والروح والترس
وكلُّ يرجي نفع أحداثها الخمس
سجية لؤم هل تزول من الجنس
وكلُّ يعاف العدل إلا لنفسه

تغيّر فيهم مآتم العيش بالعرس
همّ الأئس ما أبدوا سوى نجس الغرس
كحرب طغت بالقهر والمكر والخلس؟
فأزرى جوار النفس بالدين والقدس
فكيف يراد العيش للأمن والأئس؟
وما طربوا إلا إلى نغم النحس
صفا مأوها من كدرة همّ في الكأس
نجوم الدجى زهر على قبة الرمس
ولم يستطيعوا البرء من خطل المس
ولم يشفهم من شرهم عمل النطس
فما صانها العادي ولما فاز بالقبس
إذا جدت الأحداث شر من الحبس
كما يغرق الغواص من نهكة القمس
كما يخلد المحموم في خطأ الحس
وأقوى من الحق الجهالة في النفس

وتأبى سجايا الشرّ طهرة عادل
سواءً لعمري طبع فرد وأمة
وكيف تزول الحرب، والسلم بينهم
وكم قدسوا قدسًا لتطهر أنفس
خميرة عيش شرهم وحقوقهم
بناء المعالي كان بالشرّ قائمًا
وما شربوا من لذة العيش شربة
غفلنا ونام الهامدون، وفوقنا
فإن كان خلق الناس للعجز والأسى
وأعجز أوصاف الأطباء داؤهم
وإن قبسوا من شعلة القدس قبسة
فإن ارتهان المرء في سجن شره
وإن انغماس المرء في لُج أمسه
وإن رسيب النفس في قيد شرها
يقولون إن الحق في الناس قوة

صوتك

صوتك صوتُ السلامِ تألفه النَّأْبُ
أو مثل صوتِ الطيورِ في وَضَحِ الصُّبِّ
صوتك صوت الربيعِ يبعث في الـ
أو مثل صوت الحياةِ ظافرةً
يُطربُ مثل الصَّدى الخلوبِ إذا
أو مثل شدو الشَّجِيّ يسمعه السَّا
من عالم الخلدِ خيلَ منبعثًا
تنال منه الأسماعُ فتنته
فهو كمعنى يُضفي لسامعه
أو عَيْنِ دعاءٍ، في محاسنها
تأخذ منها العيونُ أقربها
صوتك صوت الشبابِ والعمرِ
أو مثل صوت المُنَى السحيقةِ
كلاهما نافذٌ يُلبّي على
فسُ بعدَ الكفاحِ والظَّفْرِ
حِجِ نشاوى من غير ما سُكْرِ
رَوْضِ حياةِ الطيورِ والزهرِ
عابثةً للجمالِ والصُّورِ
رَدَدَه الريفِ في سَنَا القمرِ
هرُ في هَدَاةٍ من السَّحْرِ
لعالم الفانياتِ والغَيْرِ
وتقتضي مثلها من الأشرِ
مواردًا ثرَّةً من الفِكرِ
عمقُ كعمقِ البحارِ والدُّرِّ
وأبعدُ الحسنِ أطيبِ الأثرِ
ما دامَ فانٍ فاتٍ بالعُمْرِ
والحبِّ وصوتُ الداعي من القَدْرِ
ما كان من قِسْمَةٍ لمؤتمِرِ

شفق الغروب

شفقُ الغروبِ وإنه
وكأنه الأنماطُ أَعـ
خدرت ذكاءُ كأنها الـ
وكأنها الملك المحجـ
بستار مُلكِ حاكِ رَوِ
عبأتُ مفاتن لونها
والحسن أبهى حين رَوِ
رَوِ عُمُ لمهلك كل يو
كم مرَّ في يومٍ مضى
وأسى يخال مُخلدًا
والعيش ألوانٌ وبعـ

سحرٌ تُراح له القلوبُ
لَى صُنْعَهَا فَنُّ عَجِيبُ
حسناء يرقبها الرقيبُ
بُ في تَحَجُّبه رهيبُ
نَقَ حسنه الحزِقُ الأريبُ
والحسن معشوقٌ مهيبُ
قُ الحسن رَوِ عُمُ لا يريبُ
مِ لا يُقيم ولا يئوبُ
أملٌ يحقِّقُ أو يخيبُ
فإذا به ذكرى تنوبُ
ضُ العيش من بعضٍ قريبُ

* * *

شفقُ على أفق البحا
سودٌ تشابه عنبرًا
وكأنَّ صفحة مائه
من منبع الذهب استقى

ر به سفائنه تغيبُ
في يمه ذهبٌ صبيبُ
نور على نور يذوبُ
أم أنه ورد يصوبُ

أسفائناً قد حُمِلَتْ
شوقاً إلى وهجٍ على
والنفس تنشد مرتقى
ما يحمل الرائي الطروب
أفق كما حنَّ الغريب
كلُّ على وطنٍ يلوب

* * *

وعوالم للسحر تعـ
لاحت على شفق الغرو
نارٌ توجب في الغديـ
والشمسُ تبدو في المنا
ماءً ونارٌ جُمعا
وتوهجُ كدمٍ يلو
كدم الرحيقِ بنشوةٍ
رُفها وتشدّها القلوب
ب كأنها الحلم الحبيب
ر وحلية المرج العشيـ
قع ماسةً مثل اللهب
في المنظر العجب العجيب
ح بلا قتيلٍ أو حريب
ردَّ الكهُولَ عن المشيب

* * *

وعلى المزارع هابطٌ
وهدوء ذي السمع المُصيب
وعناق أرضٍ والسما
وعلى البهائم وحشة
بجناح ذي الريش الخضيب
سخ وراحة القلب المجيب
ء به وبالذغش العقيب
من غير مكروب كثيب

مفتاح القلوب

هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ
فهَبْه لي أتقِّ الأعادي
من قبل أن أنقم العوادي
فأعرف الحافِرات طرًّا
يا طالما غرَّني ابتسامُ
قد حرَّتْ دهرًا وحرَّ مني
هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ
ليقرأ العاذلون غيبي
وا حرَّ قلبي إذا تناءتْ
فيعرف الخُلُّ أنَّ قلبي
قد أخفق الحبُّ في بيانِ
وأخفق العيش وهو سفر
هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ
عن مُعلن السِّرِّ يا قَدْرُ؟
وأعرف الصَّادقَ الأبرَّ
والعقَّ الصَّابَ والصَّبرَ
إلى المودَّاتِ والسيرِ
كم باسمِ قلبه كثرُ
قوم تهابُ الذي استَسرَّ
عن معلن السِّرِّ يا قَدْرُ؟
ويأمنَ الحبُّ إن نَفَرُ
وخالني الغادرَ المكرَّ
أصفى من العذب في الغُدُرِ
وأخفق اللحظَ والبصرُ
تبلى على الحازمِ الحذرُ
عن معلن السِّرِّ يا قَدْرُ؟

الأندلس العربية

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها
إذ دَجَّتْ أَقْطَارُ أوروْبَا بَدَتْ
أو كنجمٍ يهتدي الساري به
أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به
أهلها الغرُّ الألى قد ملكوا
عمرُوا الأَرْضَ وأَجْرُوا ماءَهَا
لم يهابوا بهجةَ العيشِ ولا
أَفْسَحُوا للفكرِ فيهم موطناً
كللوا بالمجد هاماتهمُ
في خِلالِ البحرِ أو في المصنَعِ
لم يكونوا مثل قومٍ أنفوا
نجدةُ الفارسِ فيهم شيمَةٌ
ووفاء بعهودٍ وثقت
أخذ الإفرنج عنهم فكرهمُ
نهضةُ الأحياءِ لولا صحف
لم يكن مصرعهم من وهنٍ

بمثيلٍ، جنة الأندلسِ
في ظلامِ الدهرِ مثل القَبَسِ
في ضلالِ المسلكِ الملتبسِ
موحشاً في البيدِ وسطِ الحنْدِسِ
بالنهي منهم عنانِ الشُّمسِ
وزها كالسحرِ نبتُ اليبسِ
جعلوا الطهرَ قرينَ الدنسِ
موطنَ الفضلِ الشهيِّ الأَنسِ
في نعيمِ العزِّ أو في الأبؤسِ
في لظىِ الحربِ وطيبِ المغرسِ
أن ينالوا منه أعلى منفسِ
علّمت قومًا صفاءَ الأنفسِ
في ظلالِ السعدِ أو في التعسِ
وابتكاراً لم يكن بالأوكسِ
صنعوا، عزّت على الملتمسِ
لا ولا من لذةٍ لم تحبسِ

شجعوا في ضحوةِ المجدِ كما
دبَّت الفرقةُ فيهم كاللظى
صيرتُ بهجةَ أيامٍ لهم
وإذا شملُ أناسٍ لم يكن
قاتلوا قومًا بقومٍ منهم
بربرٌ من تحتهم والقوط من
تأنسُ النفسُ إلى عهدك يا
كنت أوحى من خيالٍ طارقٍ
فعلى القومِ سلامٌ إنهم
وهي أعباءُ حياةٍ ونهَى

شجعوا في أخرياتِ العَلَسِ
تتنلظى في الهشيمِ اليبسِ
مأتمًا من بعد حسنِ العرسِ
معقلًا هانوا على المفترسِ
عن قلوبٍ نفرت لم تسلسِ
فوقهم مثل رحي المندرسِ
حلم الأطلام بالأندلسِ!
في الكرى أو قبلة المختلسِ
حملوا شعلةَ نارِ القدسِ
وكفاحٍ ثم نومُ المرمسِ!

بهاء الحياة

كم أسينا على زوال بهاءٍ
ووددناه خالدًا ليس يفنى
ونرى بهجةَ الربيعِ دوامًا
ونرى عارمَ الشبابِ جديدًا
ونرى كل ما نوذُّ ونهوى
فأسينا إذ الفناء طريق الـ
كل أن يجدد الكون وجهًا
لذة العيش في التقلب في العيـ
أبدًا يبسط الزمان ويطوي
جدة الحسنِ رونقُ تأخذ الطرـ
ورأينا مفاتنا ربما مرَّ
غفلَ الطرفُ عن سناها فلما
أعجمت في حياتها ثم عادت
ثم عادت يحبو البيان حلاها
حسرة للبيان بعد فوات الـ
وإذا بالفناء فينا ينادي

كان أنسًا وكان للنفسِ أهلاً
فنرى الزهرَ في الحدائق حولًا
ليس يفنى الربيع ضوءًا وظلاً
أبدًا سادرًا إذا الشيخ غلاً
خالدًا لا يزول رسمًا وشكلًا
حسنٍ والعيش يتبع اليوم ليلاً
من حلاه يحلو إذا الرث ملأ
شِ ونيل الجديد حلوا محلّي
مُلحًا لا تدوم إلا لتُسلى
فَ طريفًا وما استجدَّ ليقلّي
تُ سراعًا كالطيفِ حين اضمحلًا
غربت ضاء حسنها وتجلّى
في ضمير الأباد أشهى وأحلى
حجة توضح البهاء وقولًا
حسن لو قد غدا أليفًا وخلا
لو يدوم الجمالُ هانَ وقلًا

بهجة العيش في زوال بهاء
وإذا خافت النفوس على فا
فوددنا الزمان حباً عليه
أبدًا واردة زلالاً
غير ما قانعين أن حياة
وقفة الكون مينة وفناء
فرضينا وما رضينا ولكنا
ثم عدنا إلى الأسي والتمني
وودنا خلود كل مراد
واستطبنا المحال من بعد ما لا
وأسينا على زوال بهاء

ملأ النفس طرفة ثم ولى
ن تحلى وكان أشهى وأغلى
لا جديدًا يرجى ورتًا أملاً
نهلاً جارعين منه وعلًا
وقفت في الزمان تعتد بطلًا
لا حياة به ولا حُسن يقلى
عرفنا الأمور فهماً وعقلاً
أبدًا غالبين فرعًا وأصلًا
ودوام الجمال شكلاً وشكلًا
ح بنور اليقين بطلًا وجهلاً
كان أنسًا وكان للنفس أهلاً!

مقطوعات شعرية

صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحيا ولا نُقَلُّ لي	ما حكمة العيش والبقاء
فمطلب للعلاء يحدو	وأخر كله عناء
كم سأل السائلون قِدَمًا	ما الكون، ما العيش، ما الفناء؟
مسألة ما لها جواب	وليس يُلْفَى لها غناء
كساخِطٍ من طروق داءٍ	وتاركٍ خلفه الدَّواء

ود الأسي

يا رفاقًا طالما أَنَسْتَهُمْ	لذة العيش حزينًا يا رفاق
قد وجدت الصِّدْق في ودِّ الأسي	مَقَّةُ اللذات كسبٌ ونفاق

غبي ذكي

يا غيبياً رأى الذكاء شقاءً
أنت أذكى من الذكي الذي يحـ
ورأى النّحس أن يكونا أريباً
يا شقيّاً لكي يكون أديباً
وإذا كانت الغباوة نعمى
فمن الحمق أن تكون لبيباً

البصير الأعمى

يا قلبُ صَبْرًا ولا تَعْتَبْ على قِسْمِ
الحظُّ أعمى لدى من لم يَنْلُ أرباباً
قد استوى الناس في عَتَبِ على القسمِ
وهو البصير لدى من فاز بالنعمِ

خطة الضعة

في كلِّ نفسٍ من نفوس الورى
إنْ كَذَّبَ المُثني على نفسه
لذاك يعلي الخبُّ من نفسه
أكثر من إعلائه نفسه
شيءٌ مِنَ الحِقْدِ وسوء الظنونِ
صدَّقَ من يزرى بفضل القرينِ
إنْ هدَّ من فضلٍ بمدحِ قمينِ
بأن يزرِكِّي النفس عند الفطينِ

ناجح

كل بشر منه فحّ
كل لفظ منه غدرُ
بلغ النُّجَحَ بلوؤمِ
إنَّ بعض النجح وزرُ

الكذب

للکذبِ في الناس أوساطُ مجنحة
والصدق يسعى لديهم كالسُلخفاةِ
يهوون ما لا يسيغ العقلُ من كذبِ
وينبذ الحق من حرص المجاراةِ
كأنما الكذب ملح يستلذ به
طهي الحديث وإشباع السخيماتِ

إخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقاً
لتبسط من لغو الكلام على الصدقِ
وأنَّ لساناً بين فكِّك ناطقاً
لإخفاء ما دون السريرة بالنطقِ
وتكتم ما قد يظهر الوجه أمره
بقولك قولاً باطلاً شبه الحقِّ

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء في بُغضٍ وفي مقاة
يرمي النِّفایة لا يبغی لها ثمناً
هما العجيبان إن أخى وحين عدا
حتى إذا ما حداها راغبٌ حسداً

ويغفر الذنب من إحسان فاعله حتى إذا نفذت آلاؤه حقداً

فخر الناجح

قبيح نجاح المرء إن هو شأنه
كأن لم يكن أهلاً له حين ناله
جلا منه عيب النفس من بعد ستره
ويا ربَّ نجح يسلب المرء رشده
بفخرٍ فلا يقبح نجاحك بالفخر
هو الصمت قد يطري إذ الفخر لا يطري
كذاك حديث العهد بالمال واليسر
ويبيد خصالاً منه تقتل أو تزري

نذالة الحسد

عدوك مرجوٌّ فإن كان حاسداً
وليس بنذلٍ كلُّ من صال أو عدا
فلا رحمة تُرجى لديه ولا عدلُ
وتاب ولكنَّ الحسود هو النذلُ

مغفل لمغفل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم
غرُّ يخادعه لنيم عاقلٍ
وبلوت من أحوالهم ما يبنتلي
ولبئس حظُّ المرء إن لم يعقلِ

ديوان عبد الرحمن شكري, الأعمال الشعرية الكاملة

كذبوا، فما عيش الأنام وهزله
يتهارشون على الحياة ورجسها
إِلا خداع مغفلٍ لمغفلٍ!
فِعْلَ الكلاب على خبيث المأكِل!

باقة غزل من شعر الصبا

يا أيُّها الخاذل النَّائي بجفوته
خلعتَ حسنًا على عيش كما خلعتَ
خَلَفْتَ في العيش سِحْرَ المنظر البهجِ
شمس الغروب على الأفاق من وهجِ

* * *

فرص الحياة قليلةٌ
بيننا جمالك يانعٌ
فإلَمَ صدُّك يا حبيبي
إذ لا جمال ولا صبا
فإنان كالغصن الرطيبِ
والعيش خلد في الشبا
يصبي القلوب إلى الوجيبِ
أحسستَ إقبال الردى
ب فإن دنوتَ من المشيبِ
كخشوع قلبك في المغيبِ
فترى الحياة قصيرة
كتلألؤ البرق الخلوبِ
وإذا الحياة كنغمة الـ
عصفور رُوع بالرقيبِ
متلفتًا يحسو ويخـ
شئى أن يفاجأ من قريبِ
بيننا تراه على الغديـ
ر تراه في الأفق الرحيبِ

* * *

خَلَفْتَ في القلب يا مُعَذِّبُهُ
ذكراك في نفس منصت يقظِ
ما خَلَفْتَ نغمة من الجرسِ
كأنما القلب نحوكم أبدًا
ذكرى غناء في الأذن كالهمسِ
لينوفر دائر مع الشمسِ

* * *

كنت روضي والعيش صيف وفيُّ
حافل بالنعيم والآلئ
فلئن عادت الحياةُ شتاءً
أنت فيها كزهرة في الشتاءِ
فهي محبوبه وأندادها كُتُبُـ
رُّ ومحبوبة بقفر عراءِ
وهي أشهى إلى النفوس وأحلى
لافتقاد الأنداد والأكفاءِ

* * *

أعِرِ البدرِ طَلَعَتَكَ
علمِ النجمِ نظرتَكَ
وامنح الصيفَ من روا
نك والزهَرَ نضرتَكَ
وهبِ الطيرَ شَدَوَ صَوُ
تك والفجرَ غُرَّتَكَ
وإذا ما هفا النسيبُ
مُ فَعَلَّمَهُ خَظرتَكَ
امنح الكونَ نشوتَكَ
علمِ السحرِ قدرتَكَ

الفهرس

الدِّيوان الأول : ضوء الفجر

كسرى والأسيرة (قصة)
خطرات في المساء (مناجاة يوم مضى)
عاشق المال (خداع الغواني)
حنين الغريب عند غروب الشمس
حمام الكازينو بالإسكندرية
الحبُّ نائمٌ ويقظان
مناجاة الحبيب
شكوى الزمان
شكوى الصديق
تحية للشمس عند شروقها
الحبُّ والليل
النعيمات
الفونوغراف
حديقة
مغالبة الهوى
مطال الهوى
نظرة
في سبيل الجامعة
مصري عربي يخاطب أخاه القبطي
ضرر اليأس
ذكرى
أعمى يرثي بصره
البخيل
ألومه في التجني
الخُمول

اليُسْرُ بعد العُسْرِ
حسنا ماتت في صباها
عتاب وأعتاب
المشقوق
حسنا تغني
نصيبي من الحياة
الصغير والكبير
الطموح
رثاء مصطفى كامل
موقف
التأليف
الشاعر وحببته
ليلة من ليالى الحب
عين اليقظة وعين الحلم
النصيحة
الحزم والحدثان
عتاب ومحبة
آمال النفس
ذكرى ليلة
أمانى الحب
دليل الشوق
مرثية فقيد الوطن والعلم قاسم أمين
رثاء قاسم أمين
زورة حبيب
الحب والرقعة
في الفخر والحكم
إلى صديق
ضيقة حال
رثاء الشيخ محمد عبده
عقيدة الحب

وصف راقصة
حالات الحب
طلعة وشجون
الحظ القليل الكثير
حساد على الصبر
الحزن والسرور
مواطن الأشياء
إلى صديق بعد إبلاله من مرض
شاهد الدمع
رثاء الحب
استهداء رسم جميل
عبادة الحُسن
الود الرخيص
إلى صديق
لجاجة الحب
غلالة الصهباء
مخادعة الهم
العذر في الكأس
خطرات في الحياة
مجلس
سبيل الحب
عناء الليل والحب
خطرات الحب
زهرة ووعد
اليأس من الحب
طول الليل
عفة الطرف
لحن يتمشى بالألم
الأمانى حدق
الخمود والجمود

الروض والهجير
معاني النظر
شفق الغروب
الحياة قمار
الخاطر والزمن الخالي
النبأ
الحب أعمى
لغز الحياة
دواء الملل
الروض بالليل
البرق
أمنية
جسم وقبر
النجوم
الخمول
نصيب قليل
الروض والحب
صديق عدو
كلمة في الشاعر بيرون
إلى صديق
موعد
عذير الحب
عذاب ونعمة
في التبسط
إلى عالم جليل
إلى صديق
لقاء على صد
حب من لوازم الحياة
الهوى
في التبسط

مغرم أم مغرم
الحياة
العزیز تَعَلَّة
كان الخداع وكنت الحذار
رثاء عزیز
ليلة نحس و ليلة سَعْدِ
استعطاف
إلى صديق
في معلم جاهل
ذكرى زورة
رثاء عزیز
المحب الهالك
في شاب يدَّعي سعة الاطلاع كذبًا
الحب يُدَعَم بالحب
المجادلة
حنين واشتياق
داء أم دواء
إسعاد الهوى
إلى أديب
كلماتُ العواطف
الديوان الثاني : لآلئ الأفكار
مقدمة

حياة الأمم أو التجدد والتغير
الإيمان والقضاء
الحياة والعبادة
القلق والغفلة
اليتم
الجمال والعبادة عند قدماء اليونان
الحياة والعمل
ضحكات الأطفال

الجمال والموت
عابدة الشمس (اسم زهرة معروفة)
صوت الليل
وصف البحر
معان لا يدركها التعبير
غلامٌ مريضٌ يكلم أمه
التنويم المغنطيسي أو عزيمة المجرم (قصة)
ليتني كنت إلهًا
لسان الغيب
نعى الزواج
الشاعر وصورة الكمال (قصة)
ربّما أو المزهو بحميد خلقه
النساء في الحياة والموت
الحلال والحرام
العقاب بالقتل
عيون الندى
الحاجة المكتومة (قصة)
الإنسان والزمن
مراجعة الحب
الحاجات الممتزجة
أنفاس السّحر
امرأة تُكلم بَعْلها
الحسنة الغادرة
النعمان ويوم بؤسه (قصة)
اليأس داء والأمل داء
ضوء القمر على القبور
الندامة
ثغر
ابتسامات
عتاب أم دلال

الحسن والآمال النبيلة
شرب الخمر والحبيب
أمل فريضة
صوت الموتى
الحجاب
الموت والتخيُّل أو أحلام الأحياء بالموت
شاعر في الغربية
حنينُ غريب
كأس خمر
الزوجة المهجورة تعالج السُّحر
الشاعر والزمن الخرب
الحب والحجاب
قبلة الزوجة الخائنة
خطأ الحرِّ وإصابة العبد
الحبُّ والكِبْرُ
مَلَل من الحياة
ذكر
رثاء عصفور
في دفعة قديمة ملقاة على شاطئ البحر
ذكرى على جفاء
إلى صديق
شكوى شاعر
عاطفة شوق
الحرية
نبوءة شاعر
أنا والغيب
ثورة النفس
فجر الشباب
الإيمان بالحياة
محبُّ يرد لحاظه

العظيم في قومه
نحن إخوة
لذة المحبوب والمحَبِّ
الشاعر وجمال الحياة
في قبيح اسمه حسن
الكاذب
كلمة مدح
العهد والخدر
العادات
أم إسبرطية قتلت ابنها
مناجاة الحبيب
الكبر والمجد
إلى صديق
الزوجة الغادرة (قصة)
كلمات النفس
عتاب
النفوس الضئيلة
مصر مهد العلوم
عظم الشر وعظم الوجود
الطبيعة
نصير الظالم
المتعصبون في الدين
أسف على الأسف
سوار ومعصم
للكاذب
ضحكة الفاتن
المال والحجى
أنين كأنين الريح
الحياء الكاذب
سوء الظن

القدرة والرجاء
هائب الموت
ربح وخسران
دافع الشر بالظن
السعادة
مالك كفاقد
الإحسان
الود الصحيح
هائب الحياة
رغبة في العيش
غناء يصم
إرافة العمر
اسم ممزق
عتاب
سلوة في جمال الطبيعة
شفة
إله الرعد في خرافات الوثنية
لذة الحب
حجة المستجدي
عتاب
الكسل وصاحبه
المجد والفخر
الوسائل والغايات
العزيمة المضللة
سبر غور الرأي
الخرافات
الرحمة تهدي إلى صحة الرأي
حجة الأشقياء
عزم في الشر
العقل والخذ

وظيفة الإنسان في الحياة
حياة الإنسان
عدو الفضيلة
الأديب والشقاء
الحسن والغرور
حب التقدير للعيش
كاذبان
رباعية من رباعيات عمر الخيام
شكوى
الحب والجمال
الأديب المتكف
الثأر
شكوى الزمان
خلوة
العذر في الهجر
نظرات مسالك
كاذب أبداً
الحب والهجر
ذم الشتاء
عتاب
لكل دهر إمام
صبر في الأمل وصبر في اليأس
إذا أكرمت اللئيم أهنته
صاحب الغيبة
الوليد
الدهر بحر
الحسنة ومرآتها
حلم
الجنة الخراب أو الشام في عهد الاستبداد (من الشعر المرسل)
اللئيم المستنبت

اليوم وغد
منظر
كاذب لئيم
عتاب الملك حجر لابنه امرئ القيس (من الشعر المرسل)
واقعة أبي قير (من الشعر المرسل)
نابليون والسّاحر المصري (قصة من الشعر المرسل)
الديوان الثالث : أناشيد الصبا

إهداء الديوان
كلمة لصاحب الديوان في: العاطفة في الشعر
الحب والموت
بين الحياة والموت
حكمة التجارب
الدفين الحي
الحسن مرآة الطبيعة
سحر الربيع
جنة الحب وجحيمه
حسرة العيد
الخوف والفرع
نشوة الحب
غاية الحب
الشعر والطبيعة
الأزاهير السود
طبع الإنسان
الحب واليأس
الحبيبان
صداقة الأموات والأحياء
شاعر يحتضر
أمل قديم
مرآة الضمائر
عناء الطيف

سلوان الجنون
ليس لي شغل سواك
حلم بالبعث
صنم الملاحه
بين الحقيقة والخيال
الحسود
بالله ما تفعل لو بلغوك
الحب والحياة
سراب الود
عبث الحياة
الحياة والفنون
مناجاة الأرواح
أنا مجنون بحبك
ظالمي ما أعدلك
ليتني وليتك
لولاك
الربيع والصبا
ليلة القدر
الرحمة (منقولة عن شكسبير)
غروب الشباب
الحب القديم والجديد
مواطن الحب
جنون الحياة
فراشة الحب
عصفور الجنة
إلى الروح التي أهوى
بعد الحسن
الحب والخلود أو وحي الشعر
الحب والود
وعظ القدر

مشتري الأحلام

جنة الحسن

صوت النذير

بين الحب والبغض

الديوان الرابع : ديوان زهر الربيع

مقدمة فى الشعر لصاحب الديوان

الباحث الأزلي

سمو النفس

حديقة الصيف

مصارع النجباء

المجاهد الجريح

عبث الشكوى

الطائر الحبيس

الإنسان والكون

وعظ الموت

أبناء الشمال (الآريون)

توأم النفس

حلم النفس

زهر الهوى ونبت الفياقي

جنون الأماني

هذا الحبيب

أحلام الصيف

فتنة الطهر

في الفردوس

حلم الفردوس

الجمال المنشود

قريب بعيد

عشيق القمر

الحب والرحمة

أملح الناس

ذكرى الحبيب الأول
بين العذر واللوم
نجوى
عقوق الغدر
بعد الود
الحب والطبيعة
نرجس
الخطاب والحشرة أو دين الكون
الوتر المفقود
أغاريد شاعر
صوت الله نجوى المؤمن
وارحمة للناس
جهاد المصلحين
الروح السوداء
سنة العيش التنافس أم التعاون
الكونان
نظرتان في النفس

الديوان الخامس : الخطرات

مقدمة لصاحب الديوان (في الشعر ومذاهبه)
الصنع والكسب
نجي النجوم
سحر اللحاظ
قوة الفكر
الذكر
المجرم
ليلة الحسن
البطل المنتظر
خميلة الحب
علالة العيش
لص أم أديب

تزاوج النفوس
عيش الأدياء
إلى المجهول
إلى ماضٍ من العمر
إلى الريح
طيف الجنون
المموه
شِقْوَة العيش
أمل ميت
التفاهم في الحب
ملك القلوب
الحق المكتوم
بلاغ الحب
الآمال الذاتية
شكوى
العلم وعزة النفس
نجم الحياة
ذل المشيب
خطوة عن عالم الحسن
الحسن الكاذب
تمثال سوء
يقظة في الفجر
قبر في القلب
صرصور الشعر
لوازم الحب
النقد القذر
إيكاروس العبد الروماني (حادثة في حياة الرومان)
قول العبد
قول الواعظ
دعابة (أي مواقع التقبيل أحسنها؟)

العيش والرجاء

بعد زينة

الروضة المنتهبة

حلم وردة (وردة في الشتاء تحلم بالصيف)

الهوى حلم العمي

الديوان السادس : ديوان الأفنان

مقدمة لصاحب الديوان

الحياة والحق

أبو الهول

هرم خوفو

الليل

سؤر العيش

ذكرى أمس

نعسة الطرف

قبس الحسن

درع الحياة

طائر السعادة

لا مرحبًا بالأقدار

مرحبًا بالأقدار

خلود التجارب

المثل الأعلى

الفصول

خواطر الأرق

غل السرائر

آلة الضمير

دعوة المصلح

الشهرة بعد الموت

دلال الربيع

ربيع القلوب

حقيقة أم وهم

عالم الحسن
اختفاء الحق
زورة الملائكة
الأم المسكينة
جد أم لعب
اصبر
صلع الدهر (من شعر السخر)
قرد النهى أو الفلسفة الحديثة
قبلة الوداع
تبر النفوس
ليت شعري
أنت والربيع (أغنية)
حلم بالأرواح الطليقة
الوحدة
من الحي إلى الميت
سجن الفضيلة
بيت اليأس
لغز الحياة
خواطر في الحياة
الشجرة والغراب
يا شاعر الكون
كعبة النفس
الصنم المكسور
غلة النفس

الديوان السابع : ديوان أزهار الخريف

الإهداء
مقدمة
آية الحسن
الشلال
يا وضيء البسمات

وسائل الحب
حجة النائى
فطنة الحسن
الأمانى والذكر
الحب والشفاعة
نجوى المحتجب
الحب والحذر
موارد الحب
الصبر والجزع
زورة المبعاد
يا ضوء
الصدىق المنشود
الملك التائر
الموت
ذعر المحب
طيرة الفرخ
حب العزوف
العدل والكسب
سفر اللؤم
ويل للشجي من الخلي
صحو ولا صحو
العظيم
الشمطاء الفتية
بعد عشرة أعوام (إلى حبيب غاضّ جماله)
سم الخسة وسعار الغرور
قربان القلب
أذنان الخسة
حقوق الفرائض
درسى من الطبيعة (اللينوفر)
نوح الحفيف

محارب الخرافات
يهوذا
البطل
في فكه
في شاب يدعي الفكاهاة والظرف
مر العمر
قصة هز الأنوف
الديوان الثامن : قصائد أخرى
الطفل
شهداء الإنسانية
العصر الذهبي
الشباب
نحو الفجر
مناجاة الأمل
فن الحياة
سر الحياة
بعد الإخاء والعداء
وفي وصف الطباع
الصحراء
الشاعر البابلي المجهول
النشوء والارتقاء
النجاح
الجبل
المستقبل
حالتان للنفس
عجز التجارب
ليلة حوراء
الشتاء في إنجلترا
بحر الحسد
الصدى

صمت الشك (علم أم ضعف؟)
سحر الطبيعة
الغابة
الحق والحسن
ما وراء الأمن
نذالة التعاسة
بين الثريا والثرى
بيان ماض وحاضر (أنشودة)
صور الصداقة والعداوة
الهاربون من القضاء
صديق البلاء
عجائب مألوفة
عند بحر موسى شتاء
قرب الموتى
نحن والزمن
أقوام بادوا
العداء والفناء
مرأى الجمال وذكرى الجلال
حواء الخالدة (من شعر الصبا)
جنون الأقوياء
خطرات في الحياة والموت (عند رؤية جمجمة)
يوم مطير
السكون بعد النغم
قيد الماضي
صوتك
شفق الغروب
مفتاح القلوب
الأندلس العربية
بهاء الحياة
مقطوعات شعرية

عبد الرحمن شكري

باقة غزل من شعر الصبا